

تأليف

الدكتور سيد بن حسين العفاني

قدم له

الشيخ محمد صفوت نور الدين

الشيخ محمد إسماعيل المقدم — الشيخ عائض القرني

الشيخ محمد عبد المقصود — الشيخ أبو إسحاق الحويني

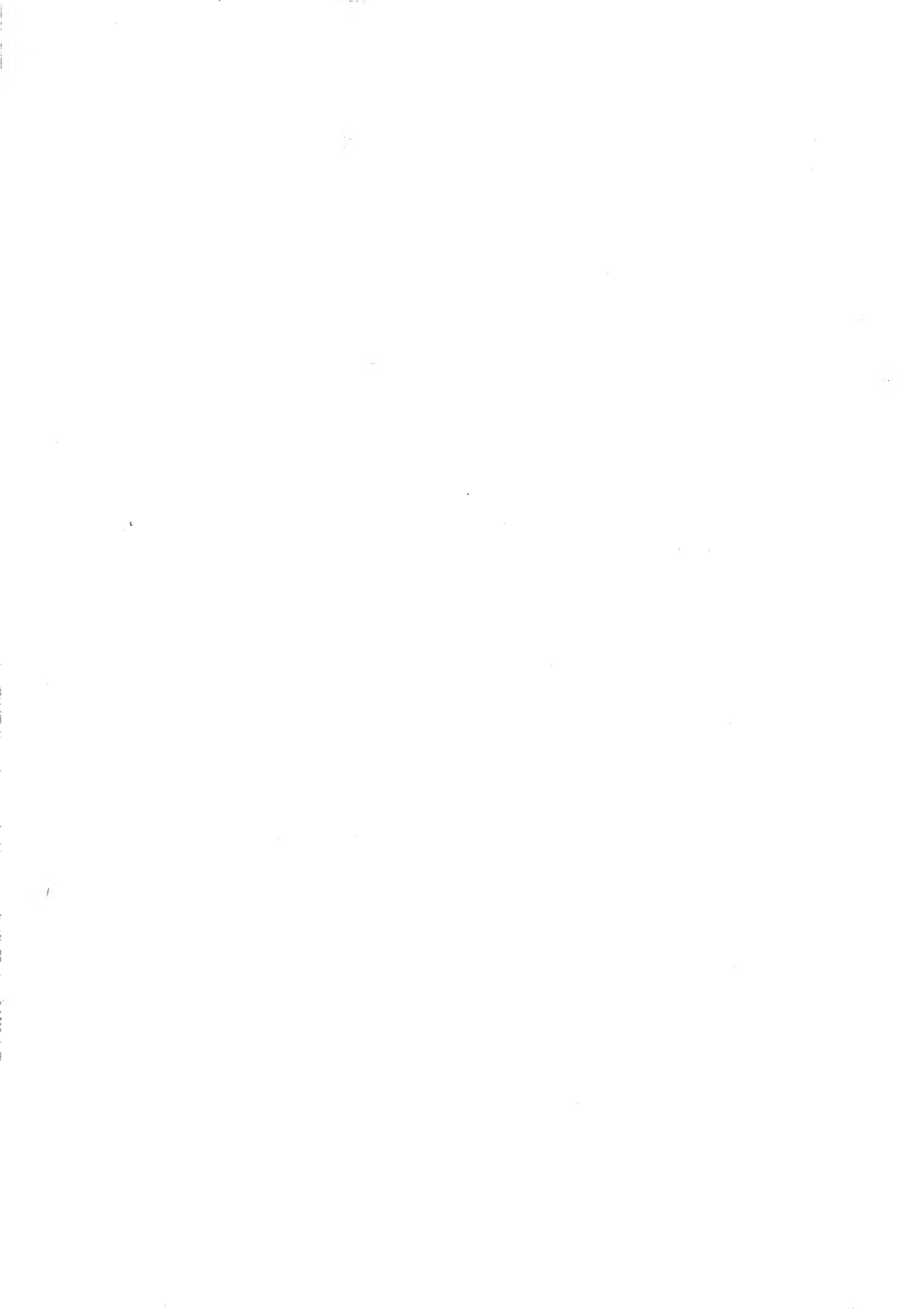
المجلد الثاني

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصْـلُ الأَوَّل

عُلُـوُّ الهِمَّـةِ
في
الدعـوةِ إلى الله



□ عُلُوُّ الهِمَّةِ في الدعوةِ إلى اللهِ □

قال تعالى : ﴿ **ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين** ﴾ [فصلت : ٣٣]. « الدعوة إلى الله أحسن كلمة تقال في الأرض ، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة ؛ ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات ، فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ .

إن النهوض بواجب الدعوة أمر شاق ، ولكنه شأن عظيم »[١].

وهذا الحسن البصري يرصد نفسه في البصرة لبعث همم الناس ، وشرح معنى الإصلاح ، فيتلو على أهل البصرة هذه الآية ثم يقول : « هو المؤمن : أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحًا في إجابته . فهذا حبيب الله . هذا وليُّ الله » .

قال ابن القيم : « مقام الدعوة إلى الله أشرف مقامات التعبد » .

يقول ابن القيم : « فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم ، وهم خلفاء الرسل في أممهم ، والناس تبع لهم ، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه ، وضمن له حفظه وعصمته من الناس . وهكذا المبلغون عنه من أمته ، لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له ، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية ، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثًا ، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو ، ولأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس ، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم ، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه ، وهم كما قال فيهم عمر بن الخطاب ، في خطبته التي ذكرها ابن وضَّاح[٢] في

---

(١) الظلال ٣١٢١/٦ بتصرف .

(٢) في « البدع والنهي عنها » لابن وضاح ص٣ .

كتاب « الحوادث والبدع » له ، قال : « الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، ويحيون بكتاب الله أهل العمى ، كم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه ، وضال تائهٍ قد هدوه ، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم ، يقبلونهم في سالف الدهر وإلى يومنا هذا ، فما نسيهم ربهم ، وما كان ربك نسيا . جعل قصصهم هدى وأخبر عن حسن مقالتهم . فلا تقصد عنهم ، فإنهم في منزلةٍ رفيعةٍ ، وإن أصابتهم الوضيعة » .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « إن لله عند كل بدعةٍ كِيد بها الإسلام وليًّا من أوليائه يذب عنها ، وينطق بعلاماتها ، فاغتنموا حضور تلك المواطن ، وتوكلوا على الله » .

ويكفي في هذا قول النبي ﷺ لعلي ولمعاذ أيضًا : « لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم »[1]. وقوله ﷺ : « من دعا إلى هدى فاتبع عليه ، كان له مِثْل أجر من اتبعه إلى عمله ، إلى يوم القيامة »[2] .

وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم »[3] .

وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **يأيها المدَّثِّر * قم فأنذر * وربك فكبر وثيابك فطهر** ﴾ [المدثر : ١ - ٤] .

« إنه النداء العلوي الجليل ، للأمر العظيم الثقيل .. نذارة هذه البشرية

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه مسلم والترمذي وأبو داود .

(٣) جلاء الأفهام (٢٤٩ - ٢٥٠) .

وإيقاظها ، وتخليصها من الشر في الدنيا ، ومن النار في الآخرة ، وتوجيهها إلى طريق الخلاص من قبل فوات الأوان ... وهو واجب ثقيل شاق ، حين يناط بفرد من البشر ، مهما يكن نبيا ورسولا ؛ فالبشرية من الضلال والعصيان والتمرد والعتو والعناد والإصرار والالتواء والتفصي من هذا الأمر ، بحيث تجعل من الدعوة أصعب وأثقل ما يكلفه إنسان من المهام في هذا الوجود .

إن كل أحد ، وكل شيء ، وكل قيمة ، وكل حقيقة .. صغير .. والله وحده هو الكبير .

وتتوارى الأجرام والأحجام ، والقوى والقيم ، والأحداث والأحوال ، والمعاني والأشكال ، وتنمحي في ظلال الجلال والكمال لله الواحد الكبير المتعال .

وهو توجيه للرسول ﷺ ليواجه نذارة البشرية ، ومتاعبها وأهوالها وأثقالها ، بهذا التصور ، وبهذا الشعور فيستصغر كل كيد ، وكل قوة ، وكل عقبة ، وهو يستشعر أن ربه الذي دعاه ليقوم بهذه النذارة ، هو الكبير ... ومشاق الدعوة وأهوالها في حاجة دائمة إلى استحضار هذا التصور وهذا الشعور .

وطهارة القلب والخلق والعمل .. طهارة الذات التي تحتوي الثياب ، وكل ما يلم بها أو يمسها هي الحالة المناسبة للتلقي من الملأ الأعلى ، كما أنها ألصق شيء بطبيعة هذه الرسالة ، وهي بعد هذا وذاك ضرورية لملابسة الإنذار والتبليغ ، ومزاولة الدعوة في وسط التيارات والأهواء والمداخل والدروب ، وما يصاحب هذا ويُلابسه من أدران ومقاذر وأخلاط وشوائب ، تحتاج من الداعية إلى الطهارة الكاملة كي يملك

(١) الظلال (٦/٣٧٥٤ - ٣٧٥٥) .

استنقاذ الملوثين دون أن يتلوث ، وملابسة المدنسين من غير أن يتدنس ، وهي لفتة دقيقة عميقة إلى ملابسات الرسالة والدعوة والقيام على هذا الأمر بين شتى الأوساط ، وشتى البيئات ، وشتى الظروف ، وشتى القلوب »[١] .

قال تعالى : ﴿ **ولا تمنن تستكثر** ﴾ [المدثر : ٦] .

« توجيه إلى إنكار ذاته وعدم المن بما يقدمه من الجهد ، أو استكثاره واستعظامه ، سيقدم الكثير ، وسيبذل الكثير ، وسيلقى الكثير من الجهد والتضحية والعناء . ولكن ربه يريد منه ألا يظل يستعظم ما يقدمه ويستكثره ويمتن به . وهذه الدعوة لا تستقيم في نفسٍ تحس بما تبذل فيها ، فالبذل فيها من الضخامة بحيث لا تحتمله النفس إلا حين تنساه . بل حين لا تستشعره من الأصل ؛ لأنها مستغرقةٌ في الشعور بالله ، شاعرةٌ بأن كل ما يقدمه هو من فضله ومن عطاياه . فهو فضلٌ يمنحها إياه ، وعطاء يختارها له ، ويوفِّقها لِنَيله . وهو اختيار واصطفاء وتكريم يستحق الشكر لله . لا المنّ والاستكثار » .

﴿ **ولربِّك فاصبر** ﴾ [المدثر : ٧] .

« الصَّبر هو الزّاد الأصيل في هذه المعركة الشاقّة ، معركة الدعوة إلى الله ، المعركة المزدوجة مع شهوات النفوس وأهواء القلوب ، ومع أعداء الدعوة الذين تقودهم شياطين الشهوات ، وتدفعهم شياطين الأهواء ! وهي معركة طويلة عنيفة ، لا زاد لها إلَّا الصبر الذي يُقْصَد فيه وجه الله ، ويتّجه به إليه احتسابًا عنده وحده » .

قال تعالى : ﴿ **في صحفٍ مكرَّمة مرفوعةٍ مطهرة بأيدي سفرةٍ كرامٍ بَرَرَةٍ** ﴾ [عبس : ١٣ - ١٦] .

« يُبيِّن الله عز وجل حقيقة هذه الدعوة وكرامتها ، وعظمتها ورفعتها ، واستغناءها عن كلِّ أحدٍ ، وعن كل سند ، وعنايتها فقط بمن يريدها لذاتها

---

(١) الظلال (٣٧٥٤/٦ - ٣٧٥٥) .

كائنًا ما كان وضعه ووزنه في ميدان الدنيا .

الدعوة كريمة في كل اعتبار ... كريمة في صحفها المرفوعة المطهرة .. الموكّل بها السُّفَراء من الملأ الأعلى ، ينقلونها إلى المختارين في الأرض ليبلّغوها .. وهم كذلك كرامٌ بررة ، فهي كريمةٌ في كل ما يتعلّق بها ، وما يمسّها من قريبٍ أو بعيد .

وهي عزيزة لا يُتصدَّى بها للمُعرِضين الذين يُظهرون الاستغناء عنها ، هي فقط لمن يعرف كرامتها ويطلب التَّطهر بها .

هذا هو الميزان ... ميزان الله ... الميزان الذي توزن به القيم والاعتبارات ، ويُقدّر به الناس والأوضاع .. وهذه هي كلمة الله ، الكلمة التي ينتهي إليها كلُّ قولٍ وكل حُكمٍ وكل فصلٍ » .

وقال تعالى : ﴿ **قل إني لن يُجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه مُلْتَحَدًا إلَّا بلاغًا من الله ورسالاته ..** ﴾ الآية [الجن : ٢٢ - ٢٣] .

« هذه هي القولة الرهيبة ، التي تملأ القلب بجدِّيَّة هذا الأمر ... أمر الرسالة والدعوة .. والرسول ﷺ يُؤْمَر بإعلان هذه الحقيقة الكبيرة ... إني لن يجيرني من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملجأ أو حماية ، إلا أن أُبلّغ هذا الأمر ، وأُؤدي هذه الأمانة ، فهذا هو الملجأ الوحيد ، وهذه هي الإجارة المأمونة .

يا للرهبة ! ويا للرَّوْعَة ! ويا للجدّ ! .

إنها ليست تطوُّعًا يتقدم به صاحب الدعوة . إنما هو التكليف ، التكليف الصارم الجازم ، الذي لا مفر من أدائه ، فالله من ورائه ! .

وإنها ليست اللذة الذاتية في حمل الهُدى والخير للناس . إنما هو الأمر العلوي الذي لا يمكن التَّفلُّت عنه ولا التَّردُّد فيه !.

وهكذا يتبين أمر الدعوة ويتحدَّد ... إنها تكليف وواجب ، وراءه

الهول ، ووراءه الجد ، ووراءه الكبير المتعال ! »[(١)] .

« إنها رهبة تُفزع المسلم حقًّا ، تقذفها تلك التهديدات التي خاطب الله تعالى بها من يصمت ويتخارس . ويظلّ الأخرس قَلِقًا أبدًا ، محرومًا من الطُّمأنينة والسكينة الإيمانية ، فإنها مكر خالص لأصحاب اللسان الناطق بالحق ، الذين يبشِّرون الناس بالجنة وينذرونهم عذاب جهنم ، فيرثون النبي ﷺ في ذلك ، كما وصفه الله تعالى بأنه أرسله بشيرًا ونذيرًا . والدعوة إلى التوحيد أُسُّ الدعوة ولُبُّها ومُخُّها ﴿ **ولقد بعثنا في كل أُمَّةٍ رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ » .

« وكل ما أحبَّه الله ورسوله من واجبٍ أو مستحبٍّ ، من باطنٍ وظاهرٍ ، فمن الدعوة إلى الله : الأمْرُ به . وكلّ ما أبْغَضَهُ الله ورسوله ، من باطنٍ وظاهر ، فمن الدعوة إلى الله : النَّهْي عنه ... لا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يفعل ما أحبّه الله ، ويترك ما أبغضه الله ، سواء كان من الأقوال أو الأعمال ، الباطنة أو الظاهرة »[(٢)] .

قال تعالى: ﴿**وادْعُ إلى ربِّك إنّك لعلى هُدًى مستقيم**﴾ [الحج: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿**وادْعُ إلى ربِّك ولا تكوننَّ من المشركين**﴾ [القصص: ٨٧].

« وهذه الآيات يدخل فيها المسلمون جميعًا ؛ لأنَّ الأصل في خطاب الله لرسوله ﷺ دخول أُمَّته فيه ، إلا ما استثنى ، وليس من هذا المستثنى أمْرُ الله تبارك وتعالى له بالدعوة إليه ، ومعنى ذلك أن الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية وشرّفها أن أشركها مع رسوله الكريم في وظيفة الدعوة إليه »[(٣)] .

---

(١) الظلال بتصرف ٦/٣٧٣٦ - ٣٧٣٧ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/١٦٤ .

(٣) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص٢٦٩ .

وقال تعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ...** ﴾ الآية [التوبة : ٧١].

قال القرطبي : « فجعل الله تعالى الأَمْرَ بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، فرقًا بين المؤمنين والمنافقين ، فدلّ على أنّ أخصّ أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورأسها الدُّعاء إلى الإسلام »[1].

قال ابن تيمية : « الدعوة إلى الله واجبة على من اتّبع النبي ﷺ ، وهم أُمَّته يدعُون إلى الله كما دعا إلى الله ، وهذا الواجب واجبٌ علىْ مجموع الأُمة ... وهو الذي يُسمِّيه العلماء فرض كفاية .. وكل واحدٍ من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره ، فما قام به غيره سَقَطَ عنه ، وما عجز ، لم يُطالَب به .

وأمّا ما لم يقُم به غيرُه وهو قادِرٌ عليه ، فعليه أن يقوم به ، ولهذا يجب على هذا أن يقوم بما لا يجب على ذاك . وقد تقسَّطتِ الدعوة على الأمة بحَسَب ذلك تارة ، وبحسب غيره أخرى ، فقد يدعو هذا إلى اعتقاد الواجب ، وهذا إلى عمل ظاهر واجب ، وهذا إلى عمل باطن واجب ، فتنوع الدعوة يكون في الوجوب تارة ، وفي الوقوع أُخرى »[2] .

« فالدعوة إلى الخير – وأعلاها الدعوة إلى الله – واجبةٌ على كل مسلم بقدر استطاعته ، والشأن في المسلم : المبادرةُ إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، دون انتظارٍ إلى غيره ، فقد لا يقوم به الغير فيقع في الإثم ... ولو ترك المسلم الدعوة إلى الله تَرْكًا دائمًا ، مستمرًّا متعمِّدًا ؛ فإنه لا ينضوي تحت مفهوم قوله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني ...** ﴾ الآية [يوسف : ١٠٨] ؛ لأن أتباع الرسول ﷺ هم الذين يدعون إلى الله » .

---

(١) تفسير القرطبي ٤/٤٧ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/١٦٥ – ١٦٦ .

« وقد يتوهّم الكثيرون أنهم قد أُذن لهم بالقعود ، حين قرَّر الفقهاء أن الدعوة إلى الله فرضٌ على الكفاية ، ويختارون أنفسهم في الطائفة المتخارسة ، وليس الأمر كما فهموا ؛ فإن معنى القيام بها : حصول الشيء المأمور به في عالم الواقع ، وتطبيقه ، واتِّعاظ الطائفة المأمورة فعلًا ، فإذا بقيت الطائفة المأمورة سادرة في غفلتها ، مُتَّبعة لشهوتها ، والِغَة في عصيانها ، بقي جميع المسلمين تحت هذا التكليف ، وعليهم أن يُعينوا الدعاة إلى الله ، الذين يأمرون بالمعروف ، ويزيدوا قوتهم ، ويكثروا سوادهم ، إلى الدرجة التي يكتسبون فيها الهيبة ، والتأثير الكافي لامتناع الطائفة العاصية - من أفراد الأمة - عن عصيانها ومخالفتها للشريعة ، فإذا امتنعت فعلًا ، لزم وجودُ عددٍ من الآمرين الدُّعاة ، يُديمون حالة الامتناع هذه ، وَوَسِعَ البعض الآخر أن يسكتوا ، أمّا قبل ذلك فلا ، ومن يستطلع حالة المسلمين اليوم ، يجدْ أن الجهود المبذولة في الدعوة إلى الله ، لا زالت أقلّ من المقدار المطلوب لامتناع من يرتكب المعاصي منهم . ورأس المعاصي : الحُكم بغير ما أنزل الله ، وبآراء العقول والأهواء والأفكار المستوردة ، ومن ثمّ فإنه لا يَسَعُ المسلمَ اليومَ أن يقعد عن الدعوة إلى الله »[1] .

« وشرط الخروج من عهدة الفرض الكفائي : حصول الكفاية بمن يقوم به »[2] .

« وللدعوة إلى الخير ، وأعلاها الدعوة إلى الله ، شروطٌ أولها العِلمْ ، ولكن العلم ليس شيئًا واحدًا لا يتجزَّأ ولا يتبعَّض ، وإنما هو بطبيعته يتجزّأ

---

(١) المنطلق لمحمد أحمد الراشد ص٩٤ .

(٢) أصول الدعوة ٢٧٥ .

ويتبعّض ، فمن عَلِم مسألةً وجَهِل أُخرى ، فهو عالمٌ بالأُولى جاهلٌ بالثانية ، ومعنى ذلك أنه يعد من جملة العلماء بالمسألة الأُولى ، وبالتالي يتوفَّر فيه شِرط وجوب الدعوة إلى ما علم دون ما جهل .

إن الأكثرين لا زال الحزن على واقع المسلمين يستهلكهم يومًا بعد يوم ، ولم يعرفوا طريق العمل ، أو عرفوه ومنعهم الخوف من تحمُّل التضحيات ، أو منعهم الحرص على المال فانعزلوا في مساجدهم وبيوتهم يبكون الإسلام ، ويتركون الأجيال وجماهير الشباب الساذج لمن يربيها من دعاة الإلحاد والعلمانية والشيوعية والوجودية ، ولمن يجرها إلى الفساد والحياة الشهوانية والزنا والخمر والإسراف في اللهو .

وخور عزائم هؤلاء علّه يوقع أبصارهم على صيحات المخلصين على مر الأجيال من لدن عصر الصحابة ، وحثّهم على العمل للإسلام والتبشير به ، ودعوة الخلق ، وتنبيه الجموع الغافلة ، وترك العزلة والتّواري .

إنه حزن قاتل ، وتعبُّد مرجوح ، وعزلة مضيّعة ، وبدعة هادمة »[١] .

عن عامر الشعبي أن رجالًا « خرجوا من الكوفة ، ونزلوا قريبًا يتعبَّدون ، فبلغ ذلك عبد الله بن مسعود فأتاهم ، ففرحوا بمجيئه إليهم ، فقال لهم : ما حملكم على ما صنعتم ؟ قالوا : أحببْنا أن نخرج من غمار الناس نتعبّد . فقال عبد الله : لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم ، فمنْ كان يقاتل العدو ؟ وما أنا ببارحٍ حتى ترجعوا »[٢] .

إنها كلمة الحق ، وعنوان الوعي ، وشارة التربية النبوية الكريمة .

---

(١) المنطلق ١/١٠٧ - ١٠٨ .

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك ص٣٩٠ .

سيماهم في كلامهم ، مثلما هي في وجوههم .

من يقاتل العدو إذن لو اعتزل العابدون ؟!.

من يردّ كيد الصهيونية والماسونية ، والدعاية الشيوعية الإلحادية ، إذا بقي المصلون في مساجدهم لا يضمّون جهودهم إلى جهود دعاة الإسلام ؟!.

وفي سورة العصر كفاية ... سطر واحد في القرآن فيه كفاية وغنى لأصحاب المنهج الصحيح ، قال تعالى : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خُسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصَوْا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ وهي تعدل ثلث القرآن .

فكلمتان فحسب بيَّنتا وجوب الدعوة كانتا ربع ثلث القرآن .

فكل واحد في خُسرٍ ، إلا من كمّل قوته العلمية بالإيمان ، وقوته العملية بالعمل بطاعته ، فهذا كمال في نفسه ، ثم كمّل غيره بوصيته له بذلك ، وأمره إياه به ، وبملاك ذلك كله ، وهو الصبر ، فكمل نفسه بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، وكمل غيره بتعليمه إياه ذلك ، ووصيته بالصبر عليه . ولهذا قال الشافعي رحمه الله : « لو فكّر الناس في سورة العصر لكفتْهم »(١) .

فالله سبحانه « لم يكتفِ منهم بمعرفة الحق والصبر عليه ، حتى يوصي بعضهم بعضا ويرشده إليه ، ويحثّه عليه ، فإذا كان من عدا هؤلاء ، فهو من الخاسرين »(٢) .

والداعية مجاهد مهاجر :

قال تعالى : ﴿ **فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادًا كبيرًا** ﴾.

[الفرقان : ٥٢] .

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ١/٣٣ .

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ٧٣ .

قال ابن القيم : « ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة ، فأما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله : ﴿ **فلا تطع الكافرين وجاهدهم به** ﴾ أي بالقرآن ﴿ **جهادًا كبيرًا** ﴾ ، فهذه سورة مكية ، والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة »[١].

فالدعوة ، والأمر والنهي ، والتواصي نوع من الجهاد .

ثم الداعية بعد ذلك له أجر المهاجرين ، كما قرّر الإمام ابن تيمية في تفسير قوله تعالى : ﴿ **والذين آمنوا من بعدُ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ...** ﴾ الآية [الأنفال : ٧٥]. فقال : « قالت طائفة من السلف: هذا يدخل فيه مَنْ آمن وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة ، وهكذا قوله تعالى : ﴿ **ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنوا ثم جاهدوا ثم صبروا إن ربك من بعدها لغفورٌ رحيمٌ** ﴾ ، يدخل في معناها كل من فتنه الشيطانُ عن دينه أو أوقعه في معصية ، ثم هجر السيئات ، وجاهد نفسه وغيرها من العدو ، وجاهد المنافقين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك ، وصبر على ما أصابه من قولٍ أو فعلٍ ، والله سبحانه وتعالى أعلم »[٢].

صلاة الله تعالى ومَن في السموات والأرض على معلِّم الناس الخيرَ :

عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلّون على معلّم الناس الخير »[٣].

استمرار ثواب الداعي بعد موته :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ٢/٥٨ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٨/٢٨٤ .

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢/٣٤٣ رقم (٢١٥٩) .

الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقةٍ جارية ، أو عِلْم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[(١)].

للدّاعي مثل أُجور من تَبِعه :

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن دلّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله » رواه مسلم .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ».

دعاء النبي ﷺ لمبلِّغ كلامه إلى غيره :

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ بالخيف من منى فقال : « نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها ، فربّ حامل فقهٍ غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »[(٢)].

ومن قرأ تراجم الدعاة إلى السُّنّة ووَصْف وجوههم ، لكفاه هذا هِمّةً إلى الدعوة إلى السنة : محمد بن سيرين ... أيوب السختياني ... وكيع بن الجراح ... عبد الغني المقدسي .

ماتوا وغيِّب في التراب شخوصهم   فالنَّشْر مسكٌ والعظـام رميـمُ

الثواب الجزيل لمن اهتدى على يديه شخص :

روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه ، لما أعطاه الراية يوم خيبر : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعُهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله

---

(١) رواه مسلم .
(٢) صحيح : رواه ابن ماجة ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١/٤٥ .

فيه ، فوالله لَأَن يهدي الله بك رجلًا واحدًا ، خيرٌ لك من حمر النعم »[١].

وإليك نماذج من علو الهمّة في الدعوة إلى الله عز وجلّ :

١ - علو همة نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله عزَّ وجلّ :

وله القدح المعلى في ذلك ، قال تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا فأخذهم الطوفان وهم ظالمون** ﴾ [العنكبوت : ١٤] .

لله درّه على عظيم صبره في الدعوة ، مع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم ، « وكان كلّما انقرض جيلٌ وصَّوا منْ بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته ، وكان الوالد إذا بَلَغ ولدُه وعَقِل عنه كلامَه ، وصّاه فيما بينه وبينه ألا يؤمن بنوحٍ أبدًا ما عاش ودائمًا ما بقي »[٢] .

قال تعالى : ﴿ **قال ربِّ إني دعوتُ قومي ليلًا ونهارًا * فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا * وإني كُلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغْشَوْا ثيابهم وأصرُّوا واستكبروا استكبارًا * ثم إني دعوتُهم جهارًا * ثم إني أعلنتُ لهم وأسررتُ لهم إسرارًا * فقلت استغفروا ربَّكم إنه كان غفَّارًا * يُرسل السماء عليكم مدرارًا * ويُمددكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهارًا * ما لكم لا ترجُون لله وقارًا** ﴾ [نوح : ٥ - ١٣].

قال أبو القاسم الغرناطي : « ذَكَر أولًا أنه دعاهم بالليل والنهار ، ثم ذكر أنه دعاهم جهارًا ،ثم ذكر أنه جَمَع بين الجهر والإسرار ، وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة »[٣].

---

(١) قيل المراد : خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها ، وقيل : تقتنيها وتملكها ، وكانت مما تتفاخر العرب بها . فتح الباري (٤٧٨/٧) .

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير (٧٤ ، ٧٥) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٢٨٢/٤ .

« قال ابن عطية : الجهار : دعاؤهم في المحافل ومواضع اجتماعهم ، والإسرار دعاء كل واحد على حدته »[١] .

قال القرطبي : « وكل هذا من نوح عليه السلام مبالغةٌ في الدعاء ، وتلطُّف في الاستدعاء »[٢] .

قال الزمخشري : « قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، في الابتداء بالأهون والتّرقّي في الأشد فالأشد ، فافتتح بالمناصحة في السرّ ، فلمّا لم يقبلوا ، ثنّى بالمجاهرة ، فلمّا لم تُؤثّر ، ثلّث بالجمع بين الإسرار والإعلان ، ومعنى « ثم » الدالة على تباعُد الأحوال ؛ لأن الجهر أغلظ من الإسرار ، والجمْع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما »[٣] .

قال القاسمي : « بَذَل نوح غاية الجهد دائمًا بلا فتورٍ ولا توانٍ ، وضاقت عليه الحِيَل في تلك المُدَد الطّوَل »[٤].

كفاحٌ نبيلٌ طويل :

سلك نوح إلى آذان قومه وقلوبهم وعقولهم ، شتّى الأساليب ومتنوّعَ الوسائل ، في دأبٍ طويل ، وفي صبرٍ جميل ، وجهدٍ نبيل ، ألف سنةٍ إلَّا خمسين عامًا ... ثم عاد إلى ربّه يقدّم حسابه ، ويبثّ شكواه ، في هذا البيان المفصَّل وفي هذه اللهجة المؤثرة .

ويحتمل نوح - وهو رسولٌ من أُولي العزم - ما يحتمل في سبيل

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/٢٨٢ .

(٢) تفسير القرطبي ١٨/٣٠١ .

(٣) الكشاف للزمخشري ٤/٦١٦ .

(٤) محاسن التأويل (٩/٢٩٤). بتصرف .

الدعوة ؛ ما يحتمل من إعراضٍ واستكبارٍ واستهزاء ، ألف سنة إلّا خمسين عامًا .. وعَدَد المستجيبين له لا يكاد يزيد ؛ ودرجة الإعراض والإصرار على الضلال ترتفع وتزداد .

وصورة نوح في دعوته ، وهو لا يملّ ولا يفتر ولا ييأس أمام الإعراض والإصرار ، صورةٌ لإصرار الداعية على الدعوة ، وتحيُّن كل فرصةٍ ليبلّغهم إياها ، وإصرارهم هم على الضلال .. ملامح الطفولة البشرية العنيدة ، من وضع الأصابع في الآذان ، وآذانهم لا تَسَع أصابعهم كاملة ، ضمانًا لعدم تسرُّب الصوت إليها بتاتًا ، وستر الرؤوس والوجوه بالثياب ، وهي صورة غليظة للإصرار والعناد ، كما أنها صورة بدائيّة لأطفال البشرية الكبار .

« ولم ينس نوح عليه الصلاة والسلام الدعوة حتى حين حضرته الوفاة ، فقد روى الإمام أحمد ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن نوحا عليه السلام لما حضرتْه الوفاة ، دعا ابنيه فقال : إني قاصِرٌ عليكما الوصية . آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين : أنهاكما عن الشرك والكِبْر . وآمركما بلا إله إلا الله ؛ فإن السموات والأرض وما فيهما لو وُضِعتْ في كفَّة الميزان ، ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لكانت أرجح . ولو أن السموات والأرض كانتا حلقةً ، فوضعت لا إله إلا الله عليهما لفصمتْهما . وآمركما بسبحان الله وبحمده ، فإنها صلاة كل شيءٍ ، وبها يرزق كل شيءٍ »[(١)] .

لقد كانت دعوة نوح صورةً من الجهد الدائب المُلِحّ الثابت المُصّر ، تُعرض على رسولنا ﷺ ، وهو الذي انتهت إليه أمانة دعوة الله في الأرض كلها في آخر الزمان ، واضطلع بأكبر عبءٍ كُلّفه رسول .. يرى فيها صورة

---

(١) الحرص على هداية الناس للدكتور فضل إلهي ص١٢ نشر إدارة ترجمان الإسلام باكستان .

الكفاح النبيل الطويل لأخ له من قبل ، لإقرار حقيقة الإيمان في الأرض . ويطلع منها على عناد البشرية أمام دعوة الحق .

وتعرض على الجماعة المسلمة في مكة ، وعلى الأمة المسلمة بعامة ، وهي الوارثة لدعوة الله في الأرض ... ترى فيها صورة الكفاح والإصرار والثبات هذا المدى الطويل من أبي البشرية الثاني ، وتُري المسلمين قيمة وحقيقة دعوتهم ، وحقيقة نسبهم العريق ! وحقيقة موكبهم المتّصل من مطْلع البشرية ، وحقيقة دورهم في إقرار هذه الدعوة والقيام بها ، وهي منهج الله القويم القديم .

وإن الإنسان ليأخذه الدهش والعَجَب ، كما تغمره الروعة والخشوع ، وهو يستعرض هذا الجهد الموصول من الرسل - عليهم صلوات الله وسلامه - لهداية البشرية الضّالّة المعاندة ، ويتدبر إرادة الله المستقرة على إرسال هؤلاء الرسل ، واحدًا بعد واحدٍ لهذه البشرية المُعرِضة العنيدة .

وقد يعِنّ للإنسان أن يسأل : تُرى تُساوي الحصيلة هذا الجهد الطويل ، وتلك التضحيات النبيلة ، من لدن نوحٍ عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، ثم ما كان بينهما وما تلاهما من جهود المؤمنين بدعوة الله وتضحياتهم الضِّخام ، تُرى : هل تساوي هذا الجهد الذي وصفه نوحٌ عليه السلام ، وقد استغرق عمرًا طويلًا بالغَ الطول ، لم يكتفِ قومه فيه بالإعراض ، بل أتبعوه بالسخرية والاتهام ، وهو يتلقّاهما بالصبر والحسنى ، والأدب الجميل والبيان المنير ؟! .

ثم تلك الجهود الموصولة منذ ذلك التاريخ ، وتلك التضحيات النبيلة التي لم تنقطع على مدار التاريخ من رسلٍ يُستهزأ بهم ، أو يحرقون بالنار ، أو يُنشرون بالمنشار ، أو يهجرون الأهل والديار .. حتى تجيء الرسالة الأخيرة ، فيجهد فيها محمد ﷺ ذلك الجهد المشهود المعروف ، ثم

تتوالى الجهود المُضنية والتضحيات المذهلة من القائمين على دعوته في كل أرض وفي كل جيل ؟؟.

ترى تساوي الحصيلة كل هذه الجهود ، وكل هذا الجهاد الشاق المرير ؟!.

ثم تُرى هذه البشرية كلها تساوي تلك العناية الكريمة من الله ، المتجلِّية في استقرار إرادته سبحانه على إرسال الرسل تترىٰ ، بعد العناد والإعراض والإصرار والاستكبار مِنْ هذا الخلْق الهزيل الصغير المسمى بالإنسان ؟! .

والجواب بعد التدبُّر : أن : نَعَمْ ... وبلا جدال !!

إن استقرار حقيقة الإيمان بالله في الأرض يساوي كل هذا الجهد ، وكل هذا الصبر ، وكل هذه المشقة ، وكل هذه التضحيات النبيلة المطردة من الرسل وأتباعهم الصادقين في كل جيل !

ولعلَّ استقرار هذه الحقيقة أكبر من وجود الإنسان ذاته ، بل أكبر من الأرض وما عليها ، بل أكبر من هذا الكون الهائل ، الذي لا تبلغ الأرض أن تكون فيه هباءةً ضائعة لا تكاد تُحَسَّ أو تُرى .

إن استقرار هذه الحقيقة في قلبٍ ، معناه : أن ينطوي هذا القلب على قبسٍ من آثار نور الله وعلمه ، وأنْ يكونَ مستودعًا لسرٍّ من أسرار الله ، وأن يكون أداة من أدوات قَدَره النافذ في هذا الوجود .... وهي حقيقة أكبر من الإنسان ذاته ومن أرضه وسمائه ، ومن كل هذا الكون الكبير !

كما أن استقرار حقيقة الإيمان في حياة البشر أو جماعةٍ منهم ، معناه : اتِّصال هذه الحياة الأرضية بالحياة الأبدية ، وارتفاعها إلى المستوى الذي يؤهّلها لهذا الاتصال ... معناه قُرب الفاني من الباقي وجمعيّته عليه ... وهي حصيلة تُربي على كل جهدٍ وكل تضحية ، ولو تحقَّقتْ على الأرض يومًا أو بعض يوم في عمر البشرية الطويل ؛ لأن تحقُّقها -

ولو في هذه الصورة – يرفع أمام البشرية في سائر أجيالها مشعل النور في صورة عملية واقعية ، تجاهد لتبلُغ إليها طَوال الأجيال .

ولقد أثبت الواقع التاريخي المتكرر أن النفس البشرية لم تبلُغ إلى آفاق الكمال المقدَّر لها بأي وسيلة ، كما بلغتْها باستقرار حقيقة الإيمان بالله فيها ، وأن الحياة البشرية لم ترتفع إلى هذه الآفاق كما ارتفعت بهذه الوسيلة ، وأن الفترات التي استقرَّت فيها هذه الحقيقة في الأرض ، وتسلَّم أهلها قيادة البشرية ، كانت قمّة في تاريخ الإنسان سامقة ، بل كانت حلمًا أكبر من الخيال ، ولكنَّه متمثِّل في واقع يحياه الناس .

هذه هي الدعوة .. فما أُقِرَّت حقيقة الإيمان بالله في الأرض إلا بالدعوة ، وما قامت قلوب تنطوي على حب الله والشوق إليه والقرب منه إلا بالدعوة ، وما قامت حياةٌ إنسانية يتمثل فيها منهج الله للحياة إلا بالدعوة .

والدعوة إلى الله لا بُدّ أن تمضي في طريقها كما أراد الله ، لأن الحصيلة تستحق الجهود المضنية والتضحيات النبيلة ، ولو صغُرت فانحصرت في قلبٍ واحدٍ ، يقرُب من الله ويحبُّه ويشتاق إليه ؛ قال ﷺ : « عُرِضَت عليَّ الأُمم ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهْط ، والنبي ومعه الرجُل والرجُلان ، والنبي وليس معه أحد »[(١)].

٢ - خليل الرحمن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام ، وعلوّ همتهما في الدعوة إلى الله :

قال تعالى : ﴿ **ووصَّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنيَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون * أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب**

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد عن ابن عباس .

الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢ - ١٣٣] .

اهتمامات القلب المؤمن وشغله الشّاغل وهمُّه الأول ، هو الدعوة إلى العقيدة .. هذه هي القضية التي شغلت بالَ خليل الرحمن إبراهيم ، ووصَّى بها بنيه ، وشغلت بال حفيده يعقوب في ساعة الاحتضار وفي سكرات الموت .. أمْرٌ جَلَل يريد أن يطمئنّ عليه ويستَوْثِق منه ، ترِكة يريد أن يخلّفها لأبنائه ، ويحرص على سلامة وصولها إليهم ... إنها الدعوة إلى العقيدة .. هي التَّرِكَة وهي الذُّخر ... وهي القضِية الكبرى ، وهي الشُّغل الشاغل والأمر الجلل ، الذي لا تشغل عنه سكراتُ الموت وصرعاتُه .

قال الفخر الرازي في تفسير الآية الثانية من الآيتين : « الآية دالّةٌ على أن شفقة الأنبياء - عليهم السلام - على أولادهم كانت في باب الدين ، وهمّتهم مصروفة إليه دون غيره »[١].

٣ - دعوة يوسف عليه السلام إلى الله تعالى وهو في السجن :

قال تعالى : **﴿ ودخل معه السجن فَتَيانِ قال أحدُهما إني أراني أعصر خمرًا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خُبزًا تأكل الطَّيْرُ منه نبِّئْنا بتأويله إنّا نراك من المحسنين * قال لا يأتيكما طعامٌ تُرزقانِهِ إلَّا نبّأتُكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذالكما ممّا علّمني ربي إني تركتُ ملّة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتّبعتُ ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكنَّ أكثر الناس لا يشكرون * يا صاحِبَي السجن أأربابٌ متفرِّقون خيرٌ أم الله الواحد القهّار * ما تعبدون من دونه إلَّا أسماءً سمَّيتُمُوها أنتم**

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٤/٧٥ .

وآباؤكم ما أنزل الله بها من سُلطانٍ إن الحُكم إلَّا لله أمر ألَّا تعبدوا إلَّا إياه ذلك الدِّين القيِّم ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [يوسف : ٣٦ - ٤٠].

ما أروعَ القيامَ بهذه المهمة الجليلة ، في تلك الأحوال الصعبة والظروف العسيرة ! فهو في السجن وظُلُماته ، مع الظّلْم وظلماته ، لا يغفل عن الدعوة لدينه ، ولعقيدته ، في كياسةٍ وتلطُّف ، مع الحزم ، وفي إدراكٍ لطبيعة البيئة ومداخل النفوس فيها ، كما أنه لا يغفل عن حُسن تمثيله بشخصه وأدبه وسلوكه لدينه هذا الذي يدعو إليه في سجنه .

٤ - حرص مؤمن يسٓ على إيمان قومه :

قال تعالى : ﴿ **وجاء من أقصى المدينة رجلٌ يسعى قال يا قوم اتَّبِعُوا المرسلين * اتَّبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون * وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه تُرجَعون * أأتَّخذ من دونه آلهةً إن يُردنِ الرحمنُ بضُرٍ لا تُغنِ عنّي شفاعتهم شيئًا ولا يُنقذون * إني إذًا لفي ضلالٍ مبين * إني آمنتُ بربِّكم فاسمعون * قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين** ﴾ [يسٓ : ٢٠ - ٢٧] .

هذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعدما رأى فيها من دلائل الحق ، وحينما استشعر قلبُه حقيقة الإيمان تحرَّكت هذه الحقيقةُ في ضميره ، فلم يطق عليها سُكُوتًا ، ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال مِنْ حوله والجحود والفجور ، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرَّك في شعوره ، وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق : ﴿ **اتّبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون** ﴾ .

إن الذي يدعو مثل هذه الدعوة ، وهو لا يطلب أجرًا ولا يبتغي مغنمًا .. إنه لصادق . وإلا فما الذي يحمله على هذا العناء ، إن لم يكن يلبّي تكليفًا من الله ؟! ما الذي يدفعه إلى حمل همّ الدعوة ، ومجابهة الناس

بغير ما ألفوا من العقيدة ؟! والتعرُّض لأذاهم وشرِهم واستهزائهم وتنكيلهم ، وهو لا يجني من ذلك كسبًا ، ولا يطلب أجرًا .

﴿ **إني آمنت بربكم فاسمعون** ﴾ هكذا ألقى بكلمة الإيمان الواثقة المطمئنة ، وأشهدهم عليها ، وهو يُوحي إليهم أن يقولوها كما قالها .

وقتلوه ووطئوه بأرجلهم ... وادَّخر الله لهذا الشهيد الكرامة ؞.. كرامة تليق بمقام المؤمن الشجاع المخلص .

ويذكر الشهيد الداعية طيب القلب رضيّ النفس قومه ، بعدما اطَّلَع على ما آتاه الله في الجنة من المغفرة والكرامة .. وتمنَّى أن يعلم قومه مصيره ليصيروا من المؤمنين ، فما أشدّ وأعمقَ حرصه على هداية قومه : لم يتخلَّ عنهم حتى بعد قتلهم له .

« قال ابن عباس رضي الله عنهما : نصح قومه في حياته بقوله : ﴿ **يا قوم اتَّبعوا المرسلين** ﴾ ، وبعد مماته في قوله : ﴿ **يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين** ﴾ »[(١)].

قال ابن كثير : « ومراده : أنهم لو اطّلعوا على ما حصل لي من النعيم المقيم والثواب العظيم ، لقادهم ذلك إلى اتّباع الرُّسُل ، فرحمه الله ورضي عنه ، كم كان حريصًا على هداية قومه »[(٢)].

ما سمعنا بداعيةٍ يذعو إلى الله بعد موته إلّا مؤمن يسٓ .

٥ - علوّ هِمَّة موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله عز وجلّ :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « عُرِضتْ عليَّ الأمم ، فرأيت النبيَّ ومعه الرَّهْط ، والنبيّ ومعه الرجُل والرجُلان ، والنبي وليس معه أحد ، إذْ رُفع لي سوادٌ عظيم ، فظننتُ أنهم

---

(١) ، (٢) مختصر تفسير ابن كثير لمحمد نسيب الرفاعي ٥٦٦/٣ طبع المكتب الإسلامي .

أمّتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأُفُق ، فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : انظر إلى الأُفق الآخر ، فإذا سواد عظيم : فقيل لي : هذه أُمّتُك .... » الحديث[١] .

وفي حديث مالك بن صعصعة في الإسراء : « ... فلمّا خلصتُ فإذا موسى قال : هذا موسى فسلِّمْ عليه ، فسلّمتُ عليه ، فردّ ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، فلما تجاوزتُ بكى . قيل له : ما يُبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلامًا بُعث بعدي يدخل الجنة من أُمّته أكثر ممن يدخلها من أمتي »[٢] .

وفي رواية شريك عن أنس : « لم أظن أحدًا يُرفع عليَّ » .

وفي حديث أبي سعيد : « قال موسى : يزعم بنو إسرائيل أني أكْرَمُ على الله ، وهذا أكرمُ على الله مني » .

وزاد الأموي في روايته : « ولو كان هذا وحده هان عليَّ ، ولكن معه أمته ، وهم أفضل الأمم عند الله » .

هذا والله بكاء الرجال .. لم يكتف بالندم والحسرة بل بكى ، فقد كان يتمنَّى أن يكون أسبق من النبي ﷺ في كثرة الأتباع ، حتى يكون رصيده يوم القيامة أعظم رصيد ، بكى « أسفًا على ما فاته من الأجر الذي يترتَّب عليه ؛ بسبب ما وقع من أمّته مع كثرة المُخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم ، المستلزم لتنقيص أجره ؛ لأن لكل نبيٍّ مثل أجر كل من اتبعه ، ولهذا كان مَنِ اتَّبعه مِنْ أُمته في العدد ، دون من اتَّبع نبيَّنا ﷺ ، مع طُول مُدَّتهم بالنسبة لهذه الأمة »[٣].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد .

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج . انظر فتح الباري ٧/ ٢٤١ - ٢٤٢ ، ٢٥١ .

(٣) فتح الباري ٧/٢٥٢ .

ولا يعني البكاء تقصير موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى ، بل هو دليلُ حرقة القلب الذي يسعى للكمال دائمًا . وإن « لموسى عليه السلام » منزلة عند ربه ، وخصوصًا في همته الدعوية ، حتى غفر الله له ما غفر بسبب همته الدعوية ، كما قرر ابن تيمية رحمه الله فيما يرويه عنه ابن قيم الجوزية قال :

« انظر إلى موسى عليه السلام ، رمى الألواح فيها كلام الله الذي كَتَبَه بيده فكَسَرَها ، وجرَّ بلحية نبيٍّ مثله ، ولَطَمَ عين مَلَك الموت ففقأها ، وعاتب ربَّه ليلة الإسراء في محمدٍ ﷺ ، وربُّه يحتمِلُ له ذلك كله ، ويُحِبُّه ويُكرِمه لأنه قام لله تلك المقامات العظيمة في مُقابلة أعْدَى عَدُوٍّ له ، وصَدَع بأمره ، وعالج أُمَّة القِبط وبني إسرائيل ، فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر ، وانظر إلى يونس - عليه السلام - حيث لم يكن له هذه المقامات التي لموسى ، غاضب ربَّه مرّة ، فأخَذَه وسجنه في بطن الحوت ، ولم يحتمل له ما احتمل لموسى »[1].

٦ - علو همّة نبينا ﷺ في الدعوة إلى الله :

وأعلى الهمة همّة نبينا ﷺ ... بأبي هو وأمي ﷺ ، كان حرصه أشدّ الحرص على هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم :

قال تعالى : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ [يوسف : ١٠٣] . وقوله تعالى : ﴿ **إن تحرصْ على هداهم فإن الله لا يهدي من يضلّ وما لهم من ناصرين** ﴾ [النحل : ٣٧]. بل كاد يموت غمًّا وأسفًا عليهم ، قال تعالى : ﴿ **فلا تذهب نفسُك عليهم حسرات إن الله عليمٌ بما يصنعون** ﴾ [فاطر : ٨] ، وقال تعالى : ﴿ **فلعلَّك باخِعٌ نفسَك على آثارهم إن لم يؤمنوا**

---

(١) مدارج السالكين .

بهذا الحديث أسَفًا ﴾ [الكهف : ٦] ، والبخْع : قتل النفْس غمًّا ، كما قال الراغب الأصفهاني في « المفردات في غريب القرآن » .

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلي ومثلكم كمثل رجلٍ أوقد نارًا ، فجعل الجَنَادِبُ والفَرَاشُ يقعن فيها ، وهو يذُبّهنّ عنها ، وأنا آخذ بحُجَزكم عن النار ، وأنتم تَفَلتون من يدي »[1] .

لقد دعا في جميع الأماكن والأزمان والأحوال ، ودعا جميع أصناف الناس ، واستخدم جميع الأساليب المشروعة .

دعا فوق الجبل ، وفي المسجد ، وفي الطريق ، والسوق ، وفي منازل الناس في المواسم ، وحتى في المقبرة،ودعا في الحضر والسفر ، وفي الأمن والقتال ، في صحته ومرضه ، وحينما كان يزور أو يُزار .

دعا مَنْ أحبّوه ، ومن أبغضوه ، وآذوه ، ومن استمعوا إلى دعوته ومن أعرضوا عنها .

وبَعَث الرسائل والرسل إلى الملوك والرؤساء ، ممن لم يتمكّن من الذهاب إليهم بنفسه .

أ - صعوده ﷺ على الصفا للدعوة إلى الله تعالى :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ [الشعراء : ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي : « يا بني فهر ! يا بني عدي ! » لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج ، أرسل رسولًا ينظر ما هو ، فجاء أبو لهبٍ وقريش ، فقال ﷺ : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي ، تُريد أن تُغير عليكم ، أكنتم مصدّقيّ ؟ » . قالوا : نعم ، ما جرّبنا عليك إلّا صدقًا .

---

(١) رواه مسلم .

قال : « فإني نذيرٌ لكم بين يَدَي عذابٍ شديد » . فقال أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعْتَنا ؟ فنزلتْ : ﴿ **تبَّتْ يدا أبي لهبٍ وتبَّ ما أغنى عنه مالُهُ وما كَسَب** ﴾[1].

ب - قيامه بالدعوة في الطريق :

وكان يدعو في الطريق أيضًا :

عن عبد الله بن عباسٍ ، أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يومًا ، فقال له الرسول ﷺ : « يا غلام ! إني مُعلِّمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فلتسأل الله ، وإذا استعنت فاستعِنْ بالله ، واعلم أن الأُمَّة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ قد كَتَبَه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك لم يضرّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك . رُفِعت الأقلام وجفّت الصحف »[2].

وتعليمه أيضًا لمعاذٍ في الطريق :

عن معاذٍ رضي الله عنه قال : كنت رِدْفَ النبي ﷺ على حمارٍ يُقال له : عُفَير ، فقال : « يا معاذ ! هل تدري ما حقُّ الله على عباده ؟ وما حقّ العباد على الله ؟ » . قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وحق العباد على الله أن لا يُعذب من لا يشرك به شيئًا » . فقلت : يا رسول الله، ! أفلا أُبشِّر به الناس ؟ قال : « لا تبشرهم فيتَّكِلُوا »[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ حديث رقم (٤٧٧٠) .

(٢) رواه أحمد في مسنده ٢٣٣/٤ . وقال الشيخ أحمد محمد شاكر : إسناده صحيح .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار. رقم الحديث (٢٨٥٦). فتح الباري ٥٨/٦ .

جـ - قيامه بالدعوة في سوق ذي المجاز :

روى أحمد عن رجلٍ من بني مالك بن كنانة ، قال : « رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخلّلها يقول : « يا أيها الناس ، قولوا : لا إله إلا الله تُفلحوا » . قال : وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول : لا يغوينّكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللّات والعزّى . وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ »[١].

د - ذهابه إلى منازل الناس بمنى للدعوة :

ومن إتيانه ﷺ الناس في أماكنهم للدعوة إلى الله تعالى أنه كان يأتي منازل الناس بمنى في الموسم .

عن ربيعة بن عباد الدؤلي قال : رأيت رسول الله ﷺ بمنى في منازلهم ، قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول : « يا أيها الناس ، إنّ الله أمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا » . قال : ووراءه رجل يقول : يا أيها الناس ، إنّ هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم » . فسألت عن هذا الرجل ، قيل : أبو لهب[٢] .

ولا يظنّ أحدٌ أنّ ذهابه ﷺ للدعوة إلى الله تعالى في الأسواق ومنى ، كان أمرًا نادرًا ، أو كان في موسمٍ واحد ، بل استمرَّ ﷺ على ذلك لمدة عشر سنوات .

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ لبث

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١/٦ كتاب المغازي والسير : باب تبليغ النبي ﷺ ما أرسل به : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ١٥/١ وصححه ووافقه الذهبي ، وقال : على شرطهما ١٤/١ .

عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومجنّة وعكاظ ومنازلهم في منى. يقول: «من يُؤويني ؟ ومن ينصرني حتى أُبلِّغ رسالات ربي فله الجنة؟». فلا يجد أحدًا ينصره ولا يُؤويه ، حتى إنّ الرجل يرحل من مصر أو اليمن إلى ذي رَحِمِه ، فيأتيه قومه فيقولون له : احذر غلام قريش لا يفتنّنك . ويمشي ﷺ بين رجالهم يدعوهم إلى الله عز وجلّ ، ويشيرون إليه بالأصابع ، حتى بَعَثَنا الله من يثرب ، فيأتيه الرجل منّا فيؤمن به ويُقرئه القرآن ، فينقلب إلى أهله فيُسلمون بإسلامه ، حتى لم يبق دار من دُور الأنصار إلّا وفيها رَهْط من المسلمين يُظهرون الإسلام . وبعثنا الله إليه فائتمرنا واجتمعنا وقلنا : حتى متى رسول الله يُطرد في جبال مكة ويخاف ؟! حتى قدمنا عليه في الموسم ، فواعَدَنا بيعة العقبة[1].

هـ - رجاؤه ﷺ الهداية لأجيال مَنْ آذوه أشدّ الأذى :

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت للنبي ﷺ : « هل أتى عليك يومٌ كان أشد من يوم أُحُد ؟ قال : « لقد لقيتُ من قومك ما لقيت ، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة ؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال ، فلم يُجبني إلى ما أردت فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفِق إلّا وأنا بقرن الثعالب[2]، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّتني ، فنظرتُ فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردُّوا عليك ، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال ؛

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٦٢٤/٢ ، وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه أحمد في المسند ، وقال ابن كثير : هذا إسناد جيد على شرط مسلم .

(٢) أي لم أفطن لنفسي وأتنبّه لحالي ، وللموضع الذي أنا ذاهبٌ إليه وفيه ، إلّا وأنا عند قرن الثعالب لكثرة همي الذي كنت فيه . « وقرن الثعالب : قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد » . شرح النووي ١٥٥/١٢ .

لتأمُره بما شئتَ فيهم . فناداني ملَكُ الجبال فسلمّ عليّ ثم قال : يا محمد . فقـال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخـشَبَيْن »[1]. فقال النبي ﷺ : « بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا » .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ... ينطلق مهمومًا فلا يُفيق إلا بقرن الثعالب ... أفبعد هذا حرصٌ على الناس ، وعلو همة في الدعوة ، من يفعل هذا سواه ، لقد اختلطت الدعوةُ بلحمه ودمه ، وشغلتْه عن كل شيءٍ سواه .. كيف لا وهو الخليل :

قد تخلَّلْتَ مسلَكَ الرُّوحِ منّي وبذا سُمِّيَ الخليلُ خليـلًا

تخلَّل حُبُّ مولاه مسلك الروِح منه .. فما أشدَّ حِرْصَه على الدعوة إليه ! وما أنوره وأجمله وأبهاه ! فمن يحمل همّ الدعوة يا من تسيرون على سنته ؟! يرجو هداية أجيال قادمة لمن آذوه ، إن لم يهتدوا هم ، بدلًا من تدميرهم وهلاكهم على يد مَلَكٍ مرسَل من الله .

و - ذهابه إلى الطائف ماشيًا دعوة إلى الله ، وتحمُّله الأذى من أهلها :

عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال : مات أبو طالب ، وازداد من البلاء على رسول الله ﷺ شدة ، فعمد إلى ثقيف يرجو أن يُؤوه وينصروه ، فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف ، وهم إخوةٌ : عبد ياليل بن عمرو ، وحبيب بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، فعرض عليهم نَفْسَه ، وشكا إليهم البلاء وما انتهك قومه منه ، فقال أحدهم : أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيءٍ قط،وقال الآخر : والله لا أُكلّمك بعد مجلسك هذا كلمةً واحدةً أبدًا ؛ لئن كنت رسولًا ، لأنت أعظمُ شَرَفًا وحقًّا منْ أن أُكلّمك ؛ وقال الآخر : أعَجَزَ الله أن يرسل غيرك ؟ وأفشوْا ذلك في

(١) هما جبلا مكة : أبو قبيس والجبل الذي يقابله .

ثقيف الذي قال لهم ، واجتمعوا يستهزئون برسول الله ﷺ وقعدوا له صفَّيْن على طريقه ، فأخذوا بأيديهم الحجارة ، فجعل لا يرفع رِجْلَهِ ولا يضعها إلَّا رضخوها بالحجارة ، وهم في ذلك يستهزئون ويسخرون ، فلمّا خَلَصَ من صَفَّيْهم وقدماه تسيلان الدماء ، عَمَد إلى حائطٍ من كرومهم ، فأتى ظلَّ حُبْلَةٍ من الكَرْم ، فجلس في أصلها مكروبًا مُوجَعًا ، تسيل قدماه الدماء ، فإذا في الكرم عُتْبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، فلما أبصرهما كره أن يأتيهما ؛ لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله ، وبه الذي به ، فأرسلا إليه غلامهما عدّاسًا بعنب ، وهو نصرانيٌّ من أهل نينَوَى . فلمّا أتاه وضع العنب بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ : « بسم الله » . فعجب عداس ؛ فقال له رسول الله ﷺ : « من أي أرضٍ أنت يا عداس ؟ ». قال : أنا من أهل نينوى . فقال النبي ﷺ : « من أهل مدينة الرجل الصالح يونس ابن متّى ؟ » فقال له عداس : وما يُدريك من يونس بن متى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس ما عَرَف ، وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحدًا يبلّغه رسالات الله تعالى . قال : يا رسول الله ، أخبرني خبر يونس ابن متى . فلمّا أخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس بن متى ما أوحى الله إليه من شأنه ، خرَّ ساجدًا لرسول الله ﷺ ، ثم جعل يقبِّل قدميه وهما تسيلان الدماء . فلمّا أبصر عُتبةُ وأخوه شيبةُ ما فعل غلامُهما سكتا . فلما أتاهما قالا له : ما شأنُك ؛ سجدتَ لمحمدٍ وقبّلتَ قدميْه ، ولم نرك فعلتَ هذا بأحدٍ منّا ؟! قال : هذا رجل صالح ، حدَّثني عن أشياء عرفتُها من شأن رسولٍ بَعَثَه الله تعالى إلينا يُدعى يونس بن متّى ، فأخبرني أنه رسول الله ﷺ ؛ فضحكا وقالا : لا يفتنك عن نصرانيّتك ، إنه رجلٌ يخدع . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة[1].

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني ص١٠٣ .

بأبي أنت وأمي يا سيّد الدعاة ... تخرج إلى ثقيف ماشيًا ، وتعرِض الإسلام على كبار القوم من أهل ثقيف ، وبهم من السفالة والوقاحة ما الله به عليمٌ ، وتتعرّض لسخرية ثقيف ، وتسيل الدماء من قدميْك الشريفتين ، ويبلُغ بك العناء ما يجعل أشد الناس عداوةً لك يُشفق عليك ... ومع هذا بمجرد ما تحين الفرصة لدعوة عداس إلى الله إلّا وتدعُوه ، فمن أحقُّ منك بهذا الشعرِ ! وقد تغلغل حُبّ مولاك ، والدعوة إليه في كل قطرة دمٍ منك ، وفي كل نبضةٍ من قلبك الطاهر :

واللّهِ ما طلعتْ شمسٌ ولا غربتْ ... إلَّا وحُبُّك مقـرونٌ بأنفاسي

ولا جلستُ إلى قومٍ أُحدِّثُهم ... إلَّا وأنت حديثي بين جُلّاسي

ز ـ دعوته ﷺ إلى الله في السفر وفي طريق الهجرة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فأقبل أعرابيٌّ ، فلمّا دنا منه قال له رسول الله ﷺ : « أين تريد ؟ » قال : إلى أهلي . قال : « هل لك إلى خير ». قال : ما هو ؟ قال : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ». قال : هل من شاهدٍ على ما تقول ؟ قال : « هذه الشجرة » . فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطىء الوادي ، فأقبلت تَخُدّ الأرض خدًّا ، فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثًا ، فشهدت أنه كما قال . ثم إنها رجعت إلى منبتها ، ورجع الأعرابيُّ إلى قومه فقال : إن يتبعوني أتيتُك بهم ، وإلّا رجعت إليك وكنتُ معك[1] .

وأخرج ابن سعد ، عن عاصمٍ الأسلمي قال : لمَّا هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ، فانتهى إلى الغميم ، أتاه بريدة بن الحصيب ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم هو ومَنْ معه - وكانوا زهاء ثمانين بيتًا -

---

(١) رواه الحاكم وإسناده جيد .

فصلّى رسول الله ﷺ العشاء فصلّوْا خلفه .

حتى وهو مطارَدٌ يتربص به الأعداء .. وكل ثانيةٍ من وقته تُقرِّبهم من إدراكه،ولكنَّ الدعوة هي الدعوة.

ح - انطلاقه ﷺ لدعوة رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ :

لم يكن خروجه ﷺ للدعوة إلى منازل الناس ومجالسهم في المرحلة المكية فقط ، بل استمرَّ على ذلك حتى بعد هجرته إلى المدينة المنورة .

فعن أنس رضي الله عنه قال : قيل للنبي ﷺ : لو أتيت عبد الله ابن أبيّ . فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارًا ، فانطلق المسلمون يمشون معه ، وهي أرض سَبخَة(١) ، فلمّا أتاه النبي ﷺ قال : إليك عني ، والله لقد آذاني نتن حمارك . فقال رجل من الأنصار منهم : والله لحمار رسول الله أطْيَبُ ريحًا منك(٢).

قال النووي في شرح مسلم ١٥٩/١٢ : « وفي هذا الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من الحلم والصفح والصبر على الأذى في الله ، ودوام الدعاء إلى الله تعالى » .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ مرَّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عَبَدَة الأوثان واليهود ، فيهم عبد الله بن أبي ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، فلما غشيت المجلس عَجَاجَةُ الدّابَّةِ(٣) خمّر عبد الله بن أبيّ أنْفَهُ بردائه ، ثم قال : لا تغيِّروا علينا . فسلّم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل ، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ،

---

(١) السَّبَخة : هي الأرض التي لا تنبت لملوحة أرضها .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس ٢٩٧/٥ - ٢٦٩١ . ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين .

(٣) ما ارتفع من غبار حوافرها .

فقال عبد الله بن أبيّ : أيها المرء ! لا أحْسَن من هذا . إن كان ما تقول حقًّا ، فلا تُؤذِنا في مجالسنا . وارجع إلى أهلك ، فمنْ جاءك فاقْصُص عليه . فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : اغْشَنا في مجالسنا فإنّا نحبّ ذلك[١] .

ط - مجيئه ﷺ للدعوة إلى بيت كبير اليهود :

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « انطلقوا إلى يهود » . فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس[٢]، فقام النبي ﷺ فناداهم : « يا معشر يهود ، أسلموا تسلمُوا ». فقالوا : بلّغت يا أبا القاسم . فقال : « ذلك أريد». ثم قالها الثانية. فقالوا: قد بلَّغتَ يا أبا القاسم. ثم قال الثالثة. فقال: « اعلموا أنّ الأرض لله ولرسوله ، وإني أريد أن أُجْلِيَكم ، فمن وجد بماله شيئًا فليَبِعْه ، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ولرسوله »[٣].

ى - دعوته وعيادته للمرضى :

لم يكن اهتمامه عليه الصلاة والسلام منصبًّا على دعوة كبار الناس فحسب ، بل اعتنى عناية شديدة بدعوة عامَّة الناس .

فقد روى الإمام البخاري ، عن أنسٍ رضي الله عنه قال : كان غلامٌ يهوديّ يخدم النبي ﷺ فمرض ، فأتاه النبي ﷺ يعُوده ، فقعد عند رأسه ،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين .

(٢) المدراس : المراد به كبير اليهود . ونسب البيت إليه لأنه هو الذي كان صاحب دراسة كتبهم ، أي قراءتها . فتح الباري (٣١٨/١٢) .

(٣) صحيح البخاري - كتاب الإكراه ، باب في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره . رقم الحديث (٦٩٤٤) ٣١٧/١٢ .

فقال له : « أسلم » . فنظر إلى أبيه ، وهو عنده ، فقال له : أطِعْ أبا القاسم ، ﷺ فأسلم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه من النار »[(١)].

ك - دعوته لمُحِبِّيه :

ومن أمثلة حرصه على إنقاذ مَنْ أحبّه - عليه الصلاة والسلام - من النار : أنه دعا عمَّه أبا طالب إلى قول : « لا إله إلا الله » واستمرَّ في دعوته هذه ، حتى عند حضور وقت وفاة عمه .

روى البخاري عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه أنه أخبره : لما حضرت أبا طالبٍ الوفاةُ ، جاءه رسول الله ﷺ ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أُمية بن المغيرة . قال رسول الله ﷺ لأبي طالب : « يا عمّ ، قل : لا إله إلا الله . كلمة أشهدُ لك عند الله » . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أميّة : يا أبا طالب ، أترغب عن ملّة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلّمهم : هو على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول : لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ : أما والله لأستغفرنّ لك ما لم أُنْهَ عنك ». فأنزل الله فيه : ﴿ **ما كان للنبي** ... ﴾[(٢)] الآية [التوبة : ١١٣] .

ل - دعوته ﷺ لمَنْ كانوا يُبغضونه :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما قاتل رسول الله ﷺ قومًا

---

(١) صحيح البخاري ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّى عليه ؟ وهل يُعرض على الصبي الإسلام . ٢١٩/٣ - رقم الحديث (١٣٥٦) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله . ٢٢٢/٣ - (١٣٦٠) .

حتى يدعوهم[(١)] .

م - دعوته ﷺ لمن جاء يريد قتْلَه :

عن جابر رضي الله عنه قال : كنّا مع النبي ﷺ بذات الرّقاع ، فإذا أتينا على شجرةٍ ظليلةٍ تركناها للنبي ﷺ ، فجاء رجلٌ من المشركين وسيف النبي ﷺ معلّق بالشجرة ، فاخْتَرَطَه ، فقال له : تخافني ؟ فقال له : « لا » . قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : « الله »[(٢)] .

وفي رواية لأبي بكر الإسماعيلي في صحيحه : فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ السيف ، فقال : « من يمنعك مني ؟ ». قال : كن خير آخذ . فقال : « أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ ». قال : لا ، ولكني أُعاهدك على أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قومٍ يُقاتلونك . فخلّى سبيله ، فأتى أصحابه ، فقال : « جئتُكم من عند خير الناس »[(٣)] .

ن - إرساله ﷺ الرسائل إلى الملوك والأمراء :

عن أنسٍ رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي ، وإلى كل جبّارٍ ، يدعوهم إلى الإسلام ، وليس بالنجاشي الذي صلّى عليه النبي ﷺ . رواه مسلم .

قال ابن حجر : « روى الطبراني من حديث المسور بن مخرمة - رضي الله عنه - قال : خرج رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال : « إن الله بعثني للناس كافّةً ، فأدُّوا عني ولا تختلفوا عليَّ » . فبعث عبدَ الله بن حُذافة إلى كسرى ، وسليطَ بن عمرو إلى هوذة بن عليّ باليمامة ، والعلاءَ الحضرميّ

---

(١) رواه أحمد في مسنده . وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ٣/٣٣٥ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع .

(٣) مشكاة المصابيح - باب التوكل والصبر - الفصل الثالث .

إلى المنذر بن ساوَى بهَجَر ، وعمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعباد ابني الجُلَنْدَى بعُمان ، ودِحْيَةَ إلى قيصر ، وشجاعَ بن وهب إلى أبي شمَّر الغسّاني ، وعمرو بن أُمية إلى النجاشي . فرجعوا جميعًا قبل وفاة النبي ﷺ غير عمرو بن العاص »[(١)]. اهـ .

وقال ابن حجر أيضًا : « وزاد أصحاب السِّيَر : أنه بعث المهاجر بن أبي أُمية بن الحارث بن عبد كُلَال وجريرًا إلى ذي الكَلَاع ، والسّائبَ إلى مسيلمة ، وحاطبَ بن أبي بلتعة إلى المقوقس »[(٢)].

س – دعوته عند القبر :

عنونَ البخاريُّ بابًا في صحيحه وسمّاه « موعظة المحدّث عند القبر وقعود أصحابه عنده » .

عن عليٍّ رضي الله عنه قال : كنا في جنازةٍ في بقيع الغرقد ، فأتانا النبي ﷺ فقعد ، وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة ، فنكس ، فجعل ينكت بمخصرته ، ثم قال : « ما منكم من أحدٍ ، ما من نَفْسٍ منفوسةٍ إلَّا كُتِب مكانُها من الجنة والنار ، وإلّا قد كُتبت شقيّةً أو سعيدة » . فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نتكِل على كتابنا ونَدَع العمل ، فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، وأمّا من كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ؟ قال : « أمّا أهل السعادة فيُيَسَّرُون لعمل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسّرون لعمل الشقاوة » . ثم قرأ : ﴿ **فأمّا من أعطى واتَّقى** ﴾[(٣)] الآية . [الليل : ٥].

(١) فتح الباري ١٢٧/٨ – ١٢٨ ، زاد المعاد ٣٠/١ – ٣١ .
(٢) فتح الباري ١٢٨/٨ .
(٣) فتح الباري ٢٢٥/٣ .

ع - قيامه بالدعوة ﷺ وهو في مرض الموت :

وحتى في مرض الموت ما فترت همّته عن الدعوة إلى الله عز وجل ، وهداية الناس وإرشادهم :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان على رسول الله ﷺ خميصة سوداء حين اشتدّ به وَجَعُه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : « قاتل الله قومًا اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يُحرِّم ذلك على أُمته[1] .

ف - قيامه ﷺ بالدعوة وهو يُغرغِر بنفسه :

بقي ﷺ منارًا للدُّعاة ، حريصًا على هداية الناس ، حتى وهو يغرغر بنفسه :

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال : كانت عامَّة وصيّة رسول الله ﷺ حين حضرتْه الوفاة ، وهو يغرغر بنفسه : « الصلاة وما ملكتْ أيمانُكم »[2] .

واستمر يدعو ويوصي حتى لم يبق لسانه المطهر قادرًا على تبيينها :

فعن أم سلمة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي توفّي فيه : « الصلاة ، وما ملكت أيمانُكم » . فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانُه[3] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، ورواه البخاري في صحيحه مختصرًا : كتاب الجنائز - باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ٣/٢٠٠ .

(٢) سنن ابن ماجة - أبواب الوصايا ، باب : وهل أوصى رسول الله ﷺ . قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٢/٩٥ : إسناده حسن ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ٢١٨٣ .

(٣) صحيح : رواه ابن ماجة في سننه ، وصحّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة رقم ١٣١٧ - ١/٢٧١ .

بأبي هو وأمي ﷺ ، ما أعلى همته في الدعوة إلى الله التي جرت في جسده مجرى الدم .. بل قام بها وهو ينتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية حيث الرفيق الأعلى . وعلى طريقه ﷺ في الدعوة وبذْل الجهد فيها ، سار صحابتُه الكرام وأُمته .

الصِّدِّيق رضي الله عنه أوّل خطيبٍ في الإسلام :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لمَّا اجتمع أصحابُ النبي ﷺ ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلًا ، ألحّ أبو بكرٍ على رسول الله ﷺ في الظهور ، فقال : « يا أبا بكر ، إنا قليل » . فلم يزل أبو بكر يُلحّ حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد ، كل رجلٍ في عشيرته ؛ وقام أبو بكر في الناس خطيبًا ، ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ ، وثار المشركون على أبي بكرٍ وعلى المسلمين ، فضربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا ، وَوُطِىءَ أبو بكرٍ ، وضُرِب ضربًا شديدا ، ودنا منه الفاسق عُتبة بن ربيعة ، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ، ويُحرِّفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر ، وحملتْ بنو تيم أبا بكرٍ في ثوبٍ حتى أدخلوه منزله ، ولا يشكُّون في موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد ، وقالوا : والله لئن مات أبو بكر ، لنقتُلنَّ عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبي بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلِّمون أبا بكرٍ حتى أجاب ، فتكلّم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فمسّوا منه بألسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لأُمّه أُمّ الخير : انظري أن تُطعميه شيئًا أو تسقيه إياه ، فلمّا خلت به ألحّتْ عليه ، وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله ما لي عِلْمٌ بصاحبك . فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل ، فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت : ما أعرف

أبا بكرٍ ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبّين أن أذهب معك إلى ابنك . قالت : نعم ، فمضتْ معها حتى وجدت أبا بكرٍ صريعًا دَنِفًا[1] ؛ فدنت أُمُّ جميل وأعلنتْ بالصِّياح وقالت : والله إن قومًا نالوا هذا منك لَأَهْلُ فسقٍ وكُفر ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت : هذه أُمُّك تسمع . قال : فلا شيء عليكِ منها . قالت : سالمٌ صالحٌ . قال : أين هو ؟ قالت : في دار ابن الأَرقم . قال : فإن لله عليّ أن لا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا ، أو آتي رسول الله ﷺ . فأمهلتا حتى إذا هدأتِ الرِّجْل وسكن الناسُ ، خرجتا به يتّكىء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ . قال : فأكبَّ عليه رسولُ الله فقبَّله ، وأكبّ عليه المسلمون ، ورقّ له رسول الله ﷺ رقّةً شديدة . فقال أبو بكر : بأبي وأُمي يا رسول الله ، ليس بي بأسٌ إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أُمّي بَرةٌ بولدها ، وأنت مبارَكٌ فادْعها إلى الله وادْعُ الله لها ، عسى أن بستنقذها بك من النار . قال : فدعا لها رسول الله ﷺ ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمتْ ، وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهرًا ، وهم تسعة وثلاثون رجلًا[2] .

يا دعاة الإسلام : هذا هو الصديق - رضي الله عنه - يدعو إلى الله ، فيُضرب بالنعال ، ما يصدُّه ذلك عن الدعوة .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرَّة حتى غُشي عليه ، فقام أبو بكرٍ رضي الله عنه فجعل يُنادي : ويلكم ﴿ **أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله** ﴾ فقالوا : من هذا ؟ فقالوا : أبو بكر

---

(١) الدَّنِف : هو المريض الذي لزمه المرض .

(٢) رواه الحافظ أبو الحسن الأطرابلسي . انظر حياة الصحابة للكاندهلوي ١/ ٢٥٩ - ٢٦١ .

المجنون[١] .

وزاد البزار : فتركوه وأقبلوا على أبي بكر .

الصِّدِّيق الذي سمّاه الله في السماء صدّيقا ، يُسمّيه المشركون المجنون ، وهو يدعو إلى الله !! ولكنّها الدعوة والصبر عليها وعلو الهمة فيها .

« قال ابن إسحاق : فلمّا أسلم أبو بكر - رضي الله عنه - وأظهر إسلامه ، دعا إلى الله عز وجل ، وكان أبو بكر رجلًا مألفًا لقومه محبًّا سهلًا ، وكان أنْسَبَ قريشٍ لقريش ، وأعْلَمَ قريشٍ بما كان فيها من خيرٍ وشرٍّ ، وكان رجلًا تاجرًا ذا خلقٍ ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحدٍ من الأمر ؛ لعِلْمه وتجارته وحُسن مُجالسته ، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وَثِق به من قومه ، ممّن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه - فيما بلغني - الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، رضي الله عنهم ، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكرٍ ، فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحق الإسلام ، فآمنوا . وكان هؤلاء النفر الذين سبقوا في الإسلام صدقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله »[٢] .

فلله درُّ الصديق الداعية الذي أسلم على يديه خمسة من العشرة المبشرين بالجنة .

روى البخاري عن عروة بن الزبير : سألتُ ابنَ العاص فقلتُ : أخبرني بأشدّ شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ ؟ قال : بينما النبي ﷺ يصلّي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط ، فوضع ثوبه على

---

(١) رواه أبو يعلى وأخرجه أيضًا البزار ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . وأخرجه الحاكم وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرّجاه .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٣/٢٩ .

عنقه فخنقه خنقًا شديدًا ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبي ﷺ وقال : ﴿ **أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم** ﴾ الآية .

وهذا بلال بن رباح رضي الله عنه : يعذّبونه في الرمضاء ، وقد وضعوا الصخر على صدره ، وتركوه لأطفال مكة في طرقاتها ، فيجهر بنشيده القدسي : أحد أحد .

وفاروق الإسلام عمر بن الخطاب الذي كان أشدّ قسوة على المستضعفين ، وأبعدهم عن الإسلام ، حتى قال عنه عامر بن ربيعة قبل إسلامه : لا يُسلم حتى يسلم حمار الخطاب . يُسلم ويعزّ به الإسلام ، ويجهر بالدعوة إلى الله عز وجل .

روى البخاري ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما زلنا أعزّةً منذ أسلم عمر بن الخطاب .

وقال ابن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحًا ، وإن هجرته كانت نصرًا ، وإن إمارته كانت رحمةً ، ولقد كنّا وما نصلّي عند الكعبة ، حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر ، قاتَلَ قريشًا ، حتى صلّى عند الكعبة وصلّيْنا معه .

عمر - رضي الله عنه - الذي اتّبع المجالس التي كان يجالس فيها بالكفر ، فلا يبقى مجلس منها إلا أظهر فيه الإيمان ودعا إلى الله عز وجل .

« عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر قال : أيّ قريش أنْقلُ للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معمر الجُمحي ، فغدا عليه ، قال عبد الله : وغدوتُ أتبع أثره وأنظر ما يفعل - وأنا غلامٌ أعْقِل كلّ ما رأيت - حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ . قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجرّ رداءه ، واتّبعه عمر ، واتّبعتُه أنا حتى قام على باب

المسجد ، صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريشٍ - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبأ . قال : يقول عمر مِنْ خلفه : كذب ، ولكني قد أسلمتُ ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . وثاروا إليه ، فما برح يُقاتلهم ويقاتلونه ، حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطلح[١] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحْلِف بالله أن لو قد كُنّا ثلاثمائة رجلٍ ، لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش ، عليه حُلَّة حبرة وقميصٌ موشى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟ فقالوا : صبأ عمر ، قال : فمه ؟! رجلٌ اختار لنفسه أمرًا ، فماذا تريدون ؟! أترون بني عدي يُسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خَلُّوا عن الرجل . قال : فوالله لكأنّما كانوا ثوبًا كشط عنه . قال : فقلت لأبي ، بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبَهْ ، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك - أي بُنَيَّ - العاص بن وائل السهمي »[٢].

ابن مسعود - رضي الله عنه - أول من جهر بالقرآن بعد النبي ﷺ :

عن عروة بن الزبير قال : أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود فللّه درّه[٣].

علو همة علي - رضي الله عنه - في الدعوة إلى الله عز وجل :

عن البراء أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد - رضي الله عنه - إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام . قال البراء : فكنت فيمن خرج مع خالد

---

(١) أى أعْيَا كما في النهاية .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٧٩/٣ . وقال ابن كثير : إسناده جيد قوي .

(٣) أخرجه ابن حجر في الإصابة ، ورجاله ثقات ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٦٦/١ ، وابن هشام ٣١٤/١ مطولًا .

ابن الوليد ، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام ، فلم يجيبوه ، ثم إن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وأمره أن يُقفِل خالدًا ، إلَّا رجلًا كان ممن مع خالدٍ ، فأحبّ أن يعقب مع عليٍّ ، فليعقب معه . قال البراء : فكنت فيمن عقب مع عليّ ، فلما دنونا من القوم ، خرجوا إلينا ، ثم تقدم فصلّى بنا عليٌّ ، ثم صفّنا صفًّا واحدًا ثم تقدم بين أيدينا ، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعًا ، فكتب عليّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم . فلمّا قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجدًا ثم رفع رأسه فقال : « السلام على همدان ! السلام على همدان ! »(١) .

دعوة عبد الرحمن بن عوف إلى الله عز وجل :

أخرج الدارقطني عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : دعا النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال : « تجهَّزْ فإني باعثك في سرية » . فذكر الحديث ، وفيه : فخرج عبد الرحمن حتى لحق بأصحابه ، فسار حتى قدم دومة الجندل ، فلمّا دخلها دعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيامٍ ، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي - رضي الله عنه - وكان نصرانيًّا وكان رأسهم . فكتب عبد الرحمن مع رجلٍ من جُهينة - يقال له رافع بن مكيث - إلى النبي ﷺ يخبره ، فكتب إليه النبي ﷺ ، أنْ تزوّج ابنة الأصبغ ، فتزوّجها ، وهي تماضر التي ولدت له بعد ذلك أبا سلمة ابن عبد الرحمن(٢) .

مصعب بن عمير بن هاشم ، السيد الشهيد السّابق البدري القرشي العبدري :

قال البراء بن عازب : « أوَّل من قدم علينا مصعب بن عمير ، وابن

---

(١) أخرجه البيهقي ، ورواه البخاري مختصرًا . كذا في البداية ١٠٥/٥ .

(٢) الإصابة في تراجم الصحابة ١٠٨/١ .

أُمّ مكتوم ، وكانوا يُقرئون الناس » . رواه البخاري ... سبحان الله ! ما منع العمى ابن أُمّ مكتوم عن الدعوة إلى الله والخروج من مكة إلى المدينة لتعليم الناس .

بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار إلى المدينة ؛ ليعلمهم كتاب الله ، فنزل بني غنم ، على أسعد بن زرارة يحدِّثهم ويقصّ عليهم القرآن ، فلم يزل مصعب عند سعد بن معاذ ، يدعو ويهدي الله على يديه ، حتى قلّ دارٌ من دور الأنصار إلّا أسلم فيها ناسٌ لا محالة ، وأسلم أشرافهم ، وأسلم عمرو بن الجموح ، وكسرت أصنامُهم ، ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله ﷺ ، وكان يُدعى المقرىء .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب ابن عمير يُريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر ، وكان سعدُ بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة فدخل به حائطًا من حوائط بني ظفر ، على بئرٍ يُقال له : بئر مرق ، فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير سيّدا قومهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مشركٌ على دين قومه ، فلمّا سمعا به قال سعدٌ لأُسيد : لا أبا لك ، انطلق إلى هذين الرجُلين ، اللذين قد أتيا دارينا ليُسفِّها ضُعفاءنا فازجرهما ، وانههما أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت ، كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدمًا . قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ، ثم أقبل إليهما ، فلمّا رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب : هذا سيّد قومه وقد جاءك ، فاصدق الله فيه . قال مصعب : إنْ يجلس أُكلّمه . قال : فوقف عليهما مُتشتِّمًا[1]، فقال : ما جاء بكما

---

(١) أي متلفِّظًا بقبيح الكلام .

إلينا تُسفِّهان ضعفاءنا عنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة . وقال موسى بن عقبة : فقال له : علام أتيتنا في دارنا بهذا الرعيد الغريب الطريد ؟ ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه . قال ابن إسحاق : فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرًا قبلته ، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت . قال : ثم ركّز حربته وجلس إليهما ، فكلّمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يُذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله . ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهر ، وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلًا إن اتبعكما ، لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن : سعد بن معاذ . ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر إليه سعد مقبلًا ، قال : أحلف بالله ، لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسًا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك . قال : فقام سعد بن معاذ مغضبًا مبادرًا مخوفًا ؛ للذي ذكر له من بني حارثة ، وأخذ الحربة في يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئًا . ثم خرج إليهما سعدٌ ، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدًا إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشتما ، ثم قال لأسعد بن زرارة : والله يا أبا أُمامة ، والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ، ما رمت[1] هذا مني ، أتغشانا في

---

(١) ما بلغت هذا مني .

دارنا بما نكرهُ ؟ قال : وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيد من ورائه قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك اثنان . قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمرًا رغبت فيه ، قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت . ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف . قال : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ؛ في إشراقه وتسهله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالا : تغتسل ، فتطهر ، وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين . قال : فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته ، فأقبل عائدًا إلى نادي قومه ومعه أسيد ابن الحضير ، فلمّا رآه قومه مقبلًا قالوا : نحلف بالله ، لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم . فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيّدنا وأفضلنا رأيًا وأيمننا نقيبة[1] . قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله ورسوله.قال : فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلمًا أو مسلمةً ، ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دور من دور الأنصار إلا وفيها رجالٌ ونساء مسلمون ، إلّا ما كان من دار بني أُمية بن زيد ، وخطمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك الأوس بن حارثة ؛ وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ، واسمه صيفي ، وقال الزبير بن بكار : اسمه الحارث ، وكان شاعرًا لهم ، قائدًا يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق »[2] .

---

(١) أي قيادة .

(٢) البداية والنهاية ١٤٩/٣ – ١٥١ .

فلله درّ مصعب بن عمير الداعية الذي على يديه أسلم الجبلان : سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير ، ولله در سعد بن معاذ ، فقد كان إسلامه فتحًا على الأوس والأنصار ، الداعية الذي أسلم بإسلامه قومه الرجال والنساء . فليحسن الداعية خلقه مع أهله ، وليجعل بينه وبينهم وصلا ، فوالله ما دخل بنو عبد الأشهل الإسلام بداية إلَّا حبًّا لسعد ميمون النقيبة حسن السيرة فيهم .

عروة بن مسعود سيد ثقيف ، ودعوته لقومه :

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال : لما أنشأ الناس الحج سنة تسعٍ ، قدم عروة بن مسعود – رضي الله عنه – على رسول الله ﷺ مسلمًا ، فاستأذن رسول الله ﷺ أن يرجع إلى قومه ، فقال رسول الله ﷺ : « إني أخاف أن يقتلوك » . قال : لو وجدوني نائمًا ما أيقظوني . فأذن له رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قومه مسلمًا ، فرجع عشاءً فجاء ثقيف يحيونه ، فدعاهم إلى الإسلام فاتهموه وأغضبوه وأسمعوه فقتلوه . فقال رسول الله ﷺ : « مثل عروة مثل صاحب ياسين ، دعا قومه إلى الله تعالى فقتلوه »[1] .

لما قدم عروة الطائف عشاءً فدخل منزله ، فأتته ثقيف تسلّم عليه بتحية الجاهلية ، فأنكرها عليهم وقال : عليكم بتحية أهل الجنة : السلام . فآذوه ونالوا منه ، فحلم عنهم ، وخرجوا من عنده ، فجعلوا يأتمرون به ، وطلع الفجر فأوفى على غُرْفةٍ له ، فأذَّن بالصلاة ، فخرجت إليه ثقيف من كل ناحيةٍ ، ورماه رجلٌ من بني مالكٍ يقال له : أوس بن عوف ، فأصاب أكحله و لم يرق دمه ، فقام غيلان بن سلمة ، وكنانة بن عبد ياليل ، والحكم بن عمرو ،

---

(١) رواه الطبراني ، وروى عن الزهري نحوه ، وكلاهما مرسل وإسنادهما حسن ، وأخرجه الحاكم (٣/ ص٦٦٠) بمعناه وصححه .

ووجوه الأحلاف فلبسوا السلاح وحشدوا ، وقالوا : نموت عن آخرنا أو نثأر به عشرة من رؤساء بني مالك ، فلمّا رأى عروة بن مسعود ما يصنعون قال : لا تقتلوا فيَّ ، قد تصدقت بدمي على صاحبه لأُصلح بذلك بينكم ، فهي كرامةٌ أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إليَّ ، وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ ، لقد أخبرني أنكم تقتلوني .

دعوة ضمام بن ثعلبة في بني سعد بن بكر :

أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال : بعث بنو سعد بن بكر ضمام ابن ثعلبة إلى رسول الله ﷺ ، فقدم علينا ، فأناخ بعيره على باب المسجد ، فعقله ثم دخل على رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالس مع أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أنا ابن عبد المطلب » . قال : محمد ؟ قال : « نعم » . قال : يا محمد إني سائلك ومغلظٌ عليك في المسألة ، فلا تجدن عليَّ في نفسك ، فإني لا أجد في نفسي . قال : « سل عما بدا لك » . قال : أنشدك الله إلهك وإله من قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : « اللهم نعم » . قال : فأنشدك الله إلهك وإله من قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نعبده ولا نشرك به شيئًا ، وأن نخلع هذه الأوثان والأنداد التي كان آباؤنا يعبدون ؟ فقال : « اللهم نعم » . ثم جعل يذكر فرائض الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضةٍ كما أنشده في التي كان قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك عبد الله ورسوله ، وسأُؤدي هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتني عنه ، لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف راجعًا إلى بعيره ، فقال رسول الله ﷺ حين ولى : إن يصدق ذو العقيصتين[1]، يدخل الجنة » .

---

(١) العقيصة : الشعر المعقوص وهو نحو من المضفور ، وأصل العقص : اللَّي وإدخال أطراف الشعر في أصوله .

وكان ضمام رجلًا جلد أشعر ذا غديرتين ، ثم أتى بعيره ، فأطلق عقاله حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به وهو يسب اللات والعزى ، فقالوا : مه يا ضمام ، اتق البرص والجذام والجنون . قال : ويلكم ، إنهما والله ما يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولًا ، وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، وإني قد جئتُكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه . فوالله ما أمسى ذلك اليوم من حاضرته رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلمًا . قال ابن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة[١] .

دعوة عُمير بن وهب الجمحي ، رضي الله عنه :

كان عمير بن وهب الجمحي شيطانًا من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقون منه عناءً .

جلس عمير بن وهب مع صفوان بن أُمية في الحجر بعد مصاب أهل بدرٍ بيسيرٍ - وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر - فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان : والله ما إن في العيش بعدهم خير . قال له عمير : صدقت ، أما والله لولا دين عليَّ ، ليس عندي قضاؤه ، وعيالٌ أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لركبت إلى محمدٍ حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة ، ابني أسير في أيديهم . قال : فاغتنمها صفوان بن أمية ، فقال : عليَّ دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيءٌ ويعجز عنهم . فقال له عمير : فاكتم عليَّ شأني وشأنك . قال : سأفعل . قال : ثم أمر عمير بسيفه ، فشُحِذ ....

(١) صحيح : أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٥٤ - ٥٥) وقال : قد اتفق الشيخان على إخراج ورود ضمام المدينة ، ولم يسُق واحد منهما الحديث بطوله وهذا صحيح . ووافقه الذهبي .

وسُمّ[١]، ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينما عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحًا السيف ، فقال : هذا الكلب ! عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلّا لشرٍّ ، وهو الذي حرَّش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله ، هذا عدوُّ الله عمير بن وهب ، قد جاء متوشِّحًا سيفه . قال : فأدخله عليَّ . قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخِذٌ بحمّالة سيفه في عنقه ، قال : « أرْسِلْه يا عمر ، ادن يا عمير » . فدنا ثم قال : أنعم صباحًا - كانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله ﷺ : « قد أكرمنا الله بتحيَّةٍ خيرٍ من تحيتك يا عمير ! بالسلام تحية أهل الجنة » . قال : أما والله يا محمد ، إن كنت بها لحديث عهدٍ . قال : « فما جاء بك يا عمير ؟ » . قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ ». قال : قبحها الله من سيوفٍ ، وهل أغنت شيئًا ؟! قال : « اصدُقني ، ما الذي جئت له ؟ » قال : ما جئت إلّا لذلك . قال : « بل قعدت أنت وصفوان ابن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين عليَّ وعيال عندي ، لخرجت حتى أقتل محمدًا ، فتحمل لك صفوان ابن أمية بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك » . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت

---

(١) أي جعل فيه سُمٌّ .

تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان ؛ فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق ، فقال رسول الله ﷺ : « فقهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن ، وأطلقوا أسيره » . ففعلوا . ثم قال : يا رسول الله ﷺ ، إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أُحبّ أن تأذن لي ، فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ، لعلَّ الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أُوذي أصحابك في دينهم . فأذن له رسول الله ﷺ ، فلحق بمكة . وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول : أبشروا بوقعةٍ تأتيكم الآن في أيامٍ تنسيكم وقعة بدرٍ ، وكان صفوان يسأل عنه الرُّكْبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه فحلف أن لا يكلمه أبدًا ، ولا ينفعه بنفعٍ أبدا[1].

فلمّا قدم عمير رضي الله عنه مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديدًا ، فأسلم على يديه أناس كثير[2].

رضي اللَّهُ عنك يا عمير ... كم بدّل الإسلام من الرجال .. كان شيطانًا من شياطين قريش فأسلم ، ففرح المسلمون حين هداه الله ، وقال عمر بن الخطاب : رضي الله عنه : « لخنزيرٌ كان أحب إلَّي منه حين اطلع ، وهو اليوم أحبُّ إلَّي من بعض بنيّ » . ثم يصبح داعية يسلم على يديه أناسٌ كثير .

عدي بن حاتم الطائي ، رضي الله عنه :

« لما ارتد بنو طيىء وانضموا إلى جيش المتنبىء طليحة بن خويلد

---

(١) البداية والنهاية ٣/٣١٣ . وهكذا أخرجه ابن جرير عن عروة بطوله .

(٢) الزيادة من كنز العمال ٧/٨١ . وهكذا أخرجه الطبراني عن محمد بن جعفر ابن الزبير . وقال الهيثمي ٨/٢٨٦ : إسناده جيد .

الأسدي ، دعاهم عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه إلى الإسلام بأمرٍ من الصديق رضي الله عنه ، وذلك قبل بدء القتال معهم ، فعادوا بفضل الله مع عدي - رضي الله عنه - إلى خالد رضي الله عنه مسلمين ، وكانوا خمسمائة مقاتل .

كما دعا عدي بن حاتم - رضي الله عنه - بني جديلة ، الذين كانوا قد انضمّوا أيضًا إلى المتنبيء طليحة الأسدي ، فاستجابوا لعديٍّ رضي الله عنه ، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب »[١].

الله أكبر .. لله دَرُّ الصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائي ، يهدي الله على يديه ألفًا وخمسمائة رجل ، بارك الله في سعيهم ودعوته ؛ لصدقهم وإخلاصهم وتنفيذهم وصية نبيهم ﷺ ببدء الدعوة قبل القتال ، كما قال ﷺ : « ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم » .

أمين الأُمَّة أبو عُبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه :

قام أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بدعوة الرُّوميين إلى الإسلام قبل بدء القتال معهم ، فقد ذهب بنفسه ، ومعه يزيد بنُ أبي سفيان وضرار ابن الأزور والحارث بن هشام وأبو جندل بن سهيل - رضي الله عنهم - إلى القائد الرومي أخي الملك « تذراق » ودعوه إلى الله عز وجل ، وكان ذلك قبل معركة اليرموك[٢] .

كما دعا أبو عبيدة - رضي الله عنه - الرسول الرومي الذي وفد إليه من قِبَل ماهان - وزير ملك الروم - طالبًا منه إرسال خالد بن الوليد - رضي الله عنه - إلى ماهان كي يتفاهم معه ، وشرح الله صدره للإسلام ،

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٥٣ - ٢٥٤ ، والكامل في التاريخ ٢/٢٣٤ .
(٢) البداية والنهاية ٧/٩ - ١٠ .

فاستجاب لدعوة أبي عبيدة – رضي الله عنه – وصاح : « اشهدوا عليّ بأجمعكم ؛ أني من المسلمين » . ففرح المسلمون بإسلامه وصافحوه ، ودعوا له بخيرٍ ، وقالوا له : « ما أعزَّك علينا ، وأرغبنا فيك ، وأكرمك علينا ! وما أنت عند كل امرئٍ منا إلا بمنزلة أخيه لأمه وأبيه » . قال الرومي : « فإنكم نعم ما رأيت »[1]. وكان هذا قبل معركة فحل .

عمرو بن العاص رضي الله عنه فاتح مصر :

قال ابن كثير في البداية والنهاية ٩٧/٧ – ٩٨ عن توجيه الدعوة لدخول الإسلام إلى أهل مصر : فلمّا تصافوا (المسلمون وأهل مصر) قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : لا تعجلوا حتى نُعذِر ، ليبرز إلّي أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد . فبرزا إليه فقال لهما عمرو بن العاص : أنتما راهبَا هذه البلاد ، فاسمعا : إن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق وأمره به ، وأمرنا به محمد ﷺ وأدّى إلينا كل الذي أُمر به ، ثم مضى وتركنا على الواضحة . وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فمن أجابنا إليه فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة .

وهذا ما بلغه عمرو بن العاص – رضي الله عنه – رسل المقوقس حاكم الإسكندرية أيضًا عند حصاره حصن بابليون ، وبعث به عمرو عبادة بن الصامت مع طائفةٍ من أصحابه إلى المقوقس .

ولما انتهى القتال وقع الأسرى من المصريين في يد فاتح مصر عمرو ، فأبدى المقوقس صاحب الإسكندرية استعداده لأداء الجزية للمسلمين ، على أن يُرَدّ إليه سبايا أرضه . ووافق عمرو بن العاص على هذا العرض بعد استئذان أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنه ، على أن يخير الأسرى الموجودون بمصر

---

(١) فتوح الشام للأزدي صـ١٩٨ ، وكتاب الفتوح لابن أعثم ٢٣٨/١ .

بين الإسلام ودين قومهم ، فمن اختار الإسلام فهو من المسلمين ، ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية .

يقول زياد بن جزء الزبيدي ، الذي كان في جند عمرو بن العاص - رضي الله عنه -: « فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا ، ثم نخيره بين الإسلام والنصرانية ، فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية ، ثم نحوزه إلينا . وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى ثم حاذوه إليهم ، ووضعنا عليه الجزية ، وجزعنا من ذلك جزعًا شديدًا ، حتى كأنه رجلٌ خرج منا إليهم »[1] .

الله أكبر ، ما أعلى همتهم في الدعوة إلى الله عز وجل ، وما أعظم فرحهم بإسلام الأسرى ، وما أشد تأسفهم على إعراضهم عنه ! كان فرحهم وتأسفهم : على دخول الناس في دين الله ، ولم يكن لحصولهم على الجزية أو حرمانهم منها .

فها هو **خالد بن الوليد** رضي الله عنه يعرض على أصحاب عدي أن يختاروا إحدى ثلاث : « الدخول في الإسلام أو الجزية ، أو المنابذة والمناجزة » فاختاروا أداء الجزية ، ولم يفرح بذلك خالد رضي الله عنه ، رغم أن مبلغ الجزية كان كبيرًا باعتبار ذلك الوقت ، حيث كان مائة وتسعين ألفًا ، بل ضاق صدره بذلك وبدا تأسفه على إعراضهم عن الإسلام من قوله لهم : « تَبًّا لكم ، ويحكم ! إن الكفر فلاة مضلة ، فأحمق العرب من سلكها »[2].

وفي عصورنا المتأخرة تحدث توماس . و . أرنولد عن حرص الأتراك

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١٠٥ - ١٠٦ ، والكامل في التاريخ ٢/٣٩٧ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٦١ - ٣٦٢ ، والبداية والنهاية ٦/٣٨٦ .

على إدخال الناس في الإسلام ، وفرحهم بمن دخل فيه فقال : « قد رأى الأتراك أن أعظم خيرٍ يستطيعون تقديمه لأي فردٍ هو أن يهدوه إلى الإسلام » ثم قال : « ومما يدل على الحب الروحي المتوقد ، الذي جعل هؤلاء القوم في مثل هذه المنزلة من الغيرة على نشر الدين ، تلك الأفراح الشعبية التي كانوا يحيون فيها من دخلوا طوعًا من المسلمين الجدد في الإسلام ، فكان المسلم الجديد يمتطي حصانًا ويُطاف به في طرقات المدينة ، وهم في نشوة النصر ، فإذا توسموا فيه خلوص النية في تغيير دينه ، وعرفوا أنه دخل بمحض إرادته في حظيرة الإسلام ، أو كان شخصًا ذا مكانةٍ طيبة ، استقبلوه بتكريم عظيم ، وأمدوه بما يعينه ، ولا شك أن هناك دليلًا قويًّا ، يؤيد قول من قال : إن في نفوس الأتراك غيرة لا يكاد يصدقها العقل ، حين يبتهلون إلى الله أن يحول الناس إلى الإسلام »[١].

علو همة المتطوعين في نشر الإسلام :

لقد سجل التاريخ أخبارًا حقيقية لنشر العقيدة الإسلامية ، تتضمّن سجلًا بأسماء رجال ونساء من جميع طبقات المجتمع ؛ من الملك إلى الفلّاح ، فلقد كان بدء دخول الإسلام في الهند وجزائر لكديف ومالديف والصين وبلاد أرخبيل الملايو ، وفي إفريقية ، على أيدي التُّجّار المسلمين .

يقول غوستاف لوبون : « والمسلم حيث يمرُّ يترك خلفه دينه ، وقد بلغ أشياع النبي ﷺ ملايين كثيرة في البلاد التي دخلها العرب بقصد التجارة ، لا فاتحين ؛ كبعض أجزاء الصين وإفريقية الوسطى ، وروسية ، وتم اعتناق هذه الملايين الإسلام طوعًا لا كرهًا ، ولم يُسمع أن الضرورة قضت بإرسال جيوشٍ مع هؤلاء المبشرين لمساعدتهم ، ويتسع نطاق الإسلام

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص١٨٤ - ١٨٥ .

بعد أن يقيمه هؤلاء في أي مكان »[(١)].

بل وتحمس العبيد المسلمون لإدخال النّاس في الإسلام .

ينقل توماس . و . أرنولد قصة عبدٍ مسلم ، في محاولته للدعوة إلى الله فيقول : « إن داوتي قابل رجلًا كان قد انتزع من بلده في طفولته ، وبيع بيع الرقيق في جدة ، فسأله داوتي : « ألا زال يضمر السخط نحو هؤلاء الذين سرقوه ، وأسلموا حياته للعبودية في أقاصي الأرض ؟ » فأجابه الرجل بقوله : « إن شيئًا واحدًا قد عوضني ، وهو أني لم أعد غارقًا في الجهل بين عبدة الأوثان . ما أعجب عناية الرحمن تلك التي جئت بفضلها إلى بلاد الرسول ﷺ هذه ، وتوصلت بها معرفة الدين ! آه ! ما أشد حلاوة الإيمان ! صدقني أيها الرفيق العزيز ، إنه أمر يعجز كل قلب عن الإفصاح عنه . كم أتمنى أن يهديك الله إلى تلك المعرفة السماوية ، ولكني موقنٌ أن الله سيرعاك ، حتى لا تهلك قبل أن تدخل هذا الدين . حقًّا ما أجمل أن أراك مسلمًا ، وأن تصير واحدًا منا ! ولكني أعرف أن الأجل بيد الله يفعل ما يشاء »[(٢)].

الله أكبر : انظر إلى محاولة داوتي إثارة الحقد في قلب هذا المسلم ضد أهله ، وسعي المسلم إلى إدخاله في الإسلام نفسه .

دخول التتار في الإسلام على يد الشيخ جمال الدين وابنه رشيد الدين من بخارى :

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله : « لمّا فتح التتار العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري ، وأثخنوه جراحًا وقتلًا ، ولم يتركوا فيه إلا روحًا ضعيفةً ونفسًا خافتًا ، وفُلَّ سيف الجهاد والمقاومة ، فأصبح لا

(١) حضارة العرب ٧٣٤ - ٧٣٥ .

(٢) الدعوة إلى الإسلام ص٣٨٥ .

يؤثر ولا يعمل ، وأغمده المسلمون يأسًا وقنوطًا ، وآمن الناس بأن التتار لا يمكن إخضاعهم ، وأن العالم الإسلامي قد كتب عليه أن يعيش تحت حكم هؤلاء الهمج ، وأن الإسلام لا مستقبل له ، قام هؤلاء الدعاة المخلصون ، الذين لا يزال تاريخ الدعوة والإصلاح - على إحصائه واستقصائه - يجهل أسماء كثيرٍ منهم ، يتسربون في هؤلاء الغلاظ الشداد ، يفتحون قلوبهم للإسلام ، حتى تفتحت له وأحبته ، وصاروا يدخلون في دين الله أفواجا .

وهكذا أخضعوا للإسلام من أخضع العالم الإسلامي بالأمس من شرقه إلى غربه ، وأدخلوا أمةً قهرت الأمم كلها - في عصرها - في دينٍ لا يحميه سيف ، ولا يدافع عنه جيش . أسلم التتار أُمَّةً وجنسًا ، وكونوا دولًا كثيرة ، كان لكثير منها مآثر إسلامية يتجمل بها تاريخ الإسلام ، وكان انتصار الإسلام على الديانتين المنافستين حادثة غريبة ، لا تتعلَّل إلّا بمشيئة الله تعالى وتأييده ، وتفوق دعاة الإسلام - في الإخلاص والرُّوحانية - على دعاة البُوذِيّة والنّصرانيّة »[1].

يقول أرنولد : « لقد كان منافسة هذه الديانات العظمى في إخضاع القوة القاهرة لعقيدتها صراعًا عجيبًا ينظر إليه التاريخ ، وينظر إليه العالم بدهشة واستغراب ، كل يحاول أن يخضع هؤلاء الوحوش القساة ، الذين داسوا هذه الديانات وحطموها . لم يكن أحد يتوقع أن الإسلام سينتصر في هذه المعركة ، ويهزم البوذية والنصرانية ، ويستأثر بالتتار ، فقد كانت عاصفة هجومهم وغاراتهم أشد على المسلمين منهم على غيرهم ، وكانت خسارتهم في ذلك أعظم من خسارة أيّة أمةٍ ودولةٍ وديانةٍ . وقتل التتار علماء

---

(١) ربانية لارهبانية . لأبي الحسن الندوي ص٣١ .

المسلمين وفقهاءهم ، وأسروهم واستعبدوهم ، وقد كان ملوك التتار وأمراؤهم يعطفون على كل ديانةٍ سوى الإسلام .

ولكن رغم هذه المصاعب ، دان المغول والأمم الوحشية التي جاءت بعدهم ، بديانة أمةٍ داستها بأقدامها،واعتنقت الإسلام .

ولا شك أن الفضل في ذلك - كما صرح به « أرنولْد » وغيره من المؤرخين الإسلاميين - يرجع إلى هؤلاء الدعاة المخلصين وربانيتهم ، وحرصهم على إرشاد هؤلاء الظالمين الذين سفكوا دماء المسلمين .

وقد نقل « أرنولد » قصة طريفة تدل على أسلوب دعوتهم ، ورقة موعظتهم ، وتجردهم من الأنانية والكبرياء ، وكم لها من أمثال فاتت التاريخ ، وأفلتت من أعين المراقبين وأقلام المسجلين .

أسلم سلطان (كاشغر) الذي كان يسمى « تغلق تيمورخان » (١٣٤٧م - ١٣٦٣م) على يد الشيخ « جمال الدين » الذي جاء من بخارى ، وكان من خبره ، أنه كان مع رفقةٍ له في رحلته ، فمروا بأرض السلطان التي كان قد حماها للصيد ، وهم لا يشعرون ، وأمر بهم الملك ، فأوثقوا ، وعرضوا عليه ، وقال - وقد استشاط غضبًا -: كيف دخلتم في حماي من غير إذنٍ ؟ قال الشيخ : نحن غرباء ، ولم نشعر بأننا نمشي على أرضٍ ممنوعة . ولمَّا علم الملك أنهم إيرانيون ، قال في احتقارٍ وسخرية : حتى الكلب أفضل من الإيرانيين . قال الشيخ : صدق الملك ، لولا أن الله أكرمنا بالدين الحق لكنا أذل من الكلاب . وتحير الملك ، ومضى للصيد تشغل فكره ، وأمر بعرضهم عليه بعد الصيد ، ولما رجع خلا بالشيخ وقال : فسِّر لي ما قلت ، وأخبرني ما تعني بالدين الحق ؟ وفسّر الشيخ الإسلام في حماسةٍ وقوّةٍ ، تفسيرًا رق له قلب السلطان ، وصوّر الكفر تصويرًا بشعًا هائلًا ، فزع منه السلطان ، وأيقن أنه على ضلالٍ وخطر .

ولكن السلطان رأى أنه لو أعلن الإسلام لَمَا استطاع أن يدخل قومه في الإسلام ، ورجا الشيخ أن ينتظر ، حتى إذا سمع أنه ولي الملك ، وجلس على أريكة الحُكم ، زاره ، وكانت المملكة « الجغتائية » قد توزعت في إماراتٍ متعددة ، واستطاع « تغلق تيمور » أن يجمعها ، ويكون منها مملكة صغيرة ، ورجع الشيخ « جمال الدين » إلى بلاده ، ومرض مرضًا شديدًا ، ولما حضرته الوفاة ، دعا ولده « رشيد الدين » وقال له : إنَّ « تغلق تيمور » سيكون في يومٍ من الأيام ملكًا عظيمًا ، فإذا سمعت بذلك تزوره ، وتقرئه مني السلام ، وتذكره بما وعدني به « من اعتناق الإسلام » وكان كذلك ، فقد بويع « تغلق تيمور » بالملك ، وجلس مكان أبيه ، ودخل الشيخ « رشيد الدين في المعسكر لينفذ وصية أبيه ، ولكنه لم يخلص إلى الملك ، فاحتال ، وبدأ يومًا يؤذِّن بصوتٍ عالٍ عند خيمة السلطان في الصباح الباكر ، فطار نوم السلطان وغضب ، وطلب الشيخ « رشيد الدين » وحضر الشيخ ، وبلغ السلطان تحية والده ، وكان السلطان على ذكر منه ، فنطق بالشهادتين وأسلم ، ثم نشر الإسلام في رعيته ، وأصبح الإسلام ديانة الأقطار التي كانت تحت سيطرة أولاد جغتاي بن جنكيزخان »[1].

علو الهمة في تأسيس المساجد لنشر الدعوة :

يقول الكاتب والعالم الأثري الفرنسي : « ما دخلت مسجدًا قط دون أن تهزني عاطفة حادة ؛ أو بعبارةٍ أخرى : دون أن يصيبني أسفٌ محقق على أنني لم أكن مسلمًا »[2].

---

(١) ربانية لا رهبانية . ص٣١ - ٣٥ ، كتاب « الدعوة إلى الإسلام » لأرنولد ص٢٥٦ .

(٢) الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد ص٤٥٩ .

يقول أرنولد : « في الصلوات اليومية ، يتجلّى هذا الدين في طريقة تزكية خاشعة مؤثرة ، لا تستطيع أن تترك العابد والمشاهد كليهما غير متأثرين »[(١)].

وذكر أرنولد أن مشهد صلاة في الجمعة في مسجدٍ ، كان عاملًا حاسمًا في تحول سعيد بن الحسن - أحد يهود الإسكندرية - إلى الإسلام ، وذلك في سنة ١٢٣٨م[(٢)] .

لمّا سيّر الصِّديق يزيد بن أبي سفيان وجيشه إلى الشام ، بشرهم بفتح الله تعالى إياها : « حتى تبنوا فيها المساجد ، فلا يعلم أنكم إنما تأتونها تلهيًا »[(٣)]. فأسس المسلمون المساجد بدمشق وحمص وحلب واللّاذقيَّة ، عند أول افتتاحهم البلاد الشاميَّة .

وفي العراق لما اختطّ المسلمون مدينة البصرة ، كان أوّل بناءٍ فيها المسجد .

وعندما أسّس عمرو بن العاص مدينة الفسطاط ، أقاموا أول ما أقاموا المسجد . الذي كان دائمًا آية استقرارهم في الأرض ، وتمثيلًا لحركتهم في طابعها الديني وظواهرها الاجتماعية[(٤)]، وكذا لما فتحوا الإسكندرية كان المسجد أول بناءٍ فيها .

وبنى عقبة بن نافع مسجدًا أول ما بنى مدينة القيروان ، ثم أُقيمت المدينة ومعالمها وطرقها ومرافقها حول المسجد[(٥)].

(١، ٢) الدعوة إلى الإسلام ص٤٥٨ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١/٤٥٥ .

(٤) انظر فتوح مصر لابن عبد الحكم ص٩١ - ٩٢ والخطط للمقريزي ١/٢٨٦ .

(٥) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد الأنصاري ١/١٠ .

وشيّد حسان بن النعمان الغسّاني مسجدًا جامعًا بمدينة تونس ، عند إنشائه هذه المَدينة .

وبنى بالقيروان تاجر الله إسماعيل بن عبيد الأنصاريُّ المسجد الكبير سنة ٩١هـ .

وفي الأندلس كان أول شيءٍ أقامه موسى بن نصير لدى عبوره : « مسجد الرايات » في الجزيرة الخضراء .

وفي الهند وعلى شواطئها الغربية ، بنى مالك بن دينارٍ مسجدًا بمدينة كدنغلور عاصمة مليبار القديمة . كما بنى ابن أخيه مالك بن حبيب عشرة مساجد في أنحاء كيرالا .

وفي السند اختطَّ محمد بن قاسم الثقفي - بعد فتحه مدينة ديبل عام ٩١هـ مدينةً وبنى فيها مسجدًا .

يقول توماس . و . أرنولد عن تحمس المسلمين لنشر الإسلام على الساحل الغربي من إفريقية : « وإذا ما اجتمع في مدينةٍ ستةُ رجالٍ منهم ، وأقل من ذلك أو أكثر ، وعزموا على أن يقيموا فيها فترةً من الزمن ، سارعوا إلى بناء مسجد ، وأخذوا ينشرون الدعوة »(١).

بعث المعلمين والقراء للدعوة في البلاد المفتوحة :

لما فتحت البلاد ، كان أهم أعمال الولاة تعليم الناس الإسلام ،كما يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « إنما بعثتُ عمالًا ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ، ويقيموا بينكم دينكم »(٢). وإلى جانب هذا ، كان المعلمون يبعثون إلى البلاد المفتوحة لتعليم الناس القرآن الكريم ، وتفقيههم أمور الدين .

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص٣٧٦ .

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية ص٢٣ .

لما كتب يزيد بن أبي سفيان إلى الفاروق رضي الله عنهما : « إن أهل الشام كثير ، وقد احتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم » . أرسل إليهم الفاروق - رضي الله عنه - معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء رضي الله عنهم .

وبعث - رضي الله عنه - عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، معلمًا ووزيرًا إلى أهل الكوفة ، قال ابن حجر في الفتح (١٦٢/٣) : « وكان قرظة ابن كعب الأنصاري أحد من وجهه عمر رضي الله عنه إلى الكوفه ليفقه الناس » .

قال قرظة بن كعب : « بعث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رهطًا من الأنصار إلى الكوفة فبعثني معهم »[1] .

وترك عقبة بن نافع في المغرب الأقصى بعض أصحابه يعلمون أهله القرآن والإسلام[2] .

وأرسل حسان بن النعمان - أمير المغرب - الفقهاء إلى سائر أنحاء بلاد البربر ؛ لتعليم البربر قواعد الدين ، ونشر العربية لغة القرآن[3] .

وترك موسى بن نصير مع البربر سبعة عشر رجلاً ، يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام[4] .

وأرسل عمر بن عبد العزيز نافعًا مولى ابن عمر - رضي الله عنه - إلى أهل مصر يعلمهم السنن[5] .

---

(١) سنن الدارمي ، باب من خاف الفتيا مخافة السقط ٧٣/١ .
(٢) البيان المغرب في أخبار المغرب ٣٧/١ .
(٣) تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، للدكتور : السيد عبد العزيز سالم .
(٤) البيان المغرب في أخبار المغرب ٣٧/١ .
(٥) سير أعلام النبلاء ٤٩٦/٤ .

كما أرسل - رحمه الله - عشرةً من التابعين ؛ ليفقهوا أهل إفريقية ويعلموهم أمر دينهم .

علو همة المسلمين في الدعوة إلى الله في أشدّ الأحوال وأصعبها :

ما كان يشغل الدعاة إلى الله عن الدعوة - التي امتزجت بدمائهم واختلطت بوجيب قلوبهم - شاغِلٌ مهما عظم ، ولله صبرهم في نشر دعوتهم وإسلامهم ، وحياتهم من أجل دعوتهم ونشرها .

يقول الشاعر :

لإسلامي أعيش أنا ... لتوحيدي وذا دِيني
نقشتُ حروفه تعلو ... على كلِّ العناوينِ
بخطٍّ بارزٍ يسمو ... على كلّ الميادينِ
لإسلامي ولو حَتَّى ... إلى الجدران شدُّوني
لإسلامي ولو حتى ... إلى النّيران زفّوني
لإسلامي لإسلامي ... ولو في السُّوق باعوني
وإسلامي له عرقي ... له نبضي وتكويني
وثارات لإسلامي ... تُعايشني تغذّيني
تبثُّ النّور في رُوحي ... وتنبضُ في شراييني
أنا ما رَمْلَةٌ إلّا ... وتعرفني وتدعوني
أنا بالدَّم قد رَوَّيـ ... ـتُ زيتوني وليموني
أنا من أعْيُن الشهدا ... ء أستوحي براكيني
من القرآن ينشدني ... فيُطربني ويُشجيني
أمَامًا يا دروب الخلـ ... ـد شدّيه وشديني
أماما يا مخاض النّا ... ر يا دَرْب القرابينِ
صلاح الدين في أعما ... ق أعماقي يناديني
وراياتي التي طُويتْ ... على ربوات حطّينِ

وأطفالي هناك هنا ... ك في عُمْر الرَّياحينِ
وآلافٌ من الأسرى ... وآلاف المساجينِ
تنادي الأُمة الكبرى ... وتهتف بالملايين
وصوتُ مؤذِّن الأقصى ... يهيب بنا أغيثوني
أنا ماذا أكون أنا ... بلا رَبِّي بلا ديني
أنا ماذا أكون أنا ... أجيبوني أجيبوني

تحمُّس الصديق للدعوة رغم فَقْده لحبيبه ﷺ :

لقد كان موت رسول الله ﷺ أعظم مصيبةٍ حلت بالمسلمين ، ورغم هذا ، ورغم حُبّ أبي بكرٍ الشديد لرسول الله ﷺ ، الذي لا يُعادله حبّ أحدٍ من البشر ، فقد تحمس الصِّدِّيق لنشر الدعوة ، وخطب الصديق بعد موت الحبيب ﷺ فقال :

« إن الله عمر محمدًا وأبقاه حتى أقام دين الله ، وأظهر أمر الله ، وبلغ رسالة الله ، وجاهد في سبيل الله ، ثم توفاه الله على ذلك ، وقد ترككم على الطريقة ، فلن يهلك هالكٌ إلَّا من بعد البيِّنة والشفاء ، فمن كان الله ربه فإن الله حيٌّ لا يموت ، ومن كان يعبد محمدًا ﷺ وينزله إلهًا فقد هلك إلهه . فاتقوا الله أيها الناس ، واعتصموا بدينكم ، وتوكلوا على ربكم ، فإن دين الله قائم ، وإن كلمة الله تامة ، وإن الله ناصر مَنْ نصره ومعزّ دينه ، وإن كتاب الله بين أظهرنا ، وهو النور والشفاء ، وبه هدى الله محمدًا ﷺ ، وفيه حلالُ الله وحرامه . والله لا نُبالي من أجْلَبَ علينا من خلْق الله ، إن سيوف الله لَمَسلولة ما وضعناها بعدُ ، ولنجاهدنّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ فلا يبغينّ أحدٌ إلّا على نفسه »[1] .

(١) البداية والنهاية ٦/٢٤٣ .

لله درّ الصّدّيق ، الذي قال فيه رسول الله ﷺ وفي عمر : « هذان من الدين السَّمْع والبَصَر »[(١)].

ونادى منادي الصديق من بعد الغد من مُتَوَفَّى رسول الله ﷺ : « ليتم بعث أسامة . ألا لا يبقين بالمدينة أحدٌ من جند أُسامة إلَّا خرج إلى عسكره بالجرف »[(٢)].

إصرار الصديق على قتال مانعي الزكاة رغم الأحوال العصيبة :

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : « لما قُبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة ، واشرأبّ[(٣)] النفاق بالمدينة . والله قد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى في حش في ليلةٍ مطيرةٍ بأرضٍ مسبعة » .

وهنا يظهر معدن الرجال ، وتسمو همة الصديق إلى أعلى ما تسمو إليه الهمم ، ويتجلى عزمه الراسخ على قتال مانعي الزكاة ، ويقول قولته التي تكتب بأحرفٍ من نور وترقم في الوجود أبد الدهر : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالًا كانوا يُؤدونه إلى رسول الله ، لقاتلتهم على منعه » . قال له عمر : « يا خليفة رسول الله ، تألف الناس وارفق بهم » . فقال : « أجبار في الجاهلية وخوارٌ في الإسلام ؟ إنه قد انقطع الوحي وتم الدين ، أينقص وأنا حيٌّ ؟! » .

ورضي الله عن الفاروق إذ يقول : « لو أطاعنا أبو بكرٍ لكفرنا » .

---

(١) صحيح . رواه الحاكم في المستدرك ٣/٦٩ وصحّحه وحسّنه الذهبي ، وصحّحه الألباني في الصحيحة رقم (٨١٤) ٢/٤٧٢ - ٤٧٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٢٣ .

(٣) علا وارتفع .

وشهدت الطباق السبع والأرضون السبع ، أن أبا بكرٍ وفيّ لدين الله ، وقام مقامًا لا يقومه أحدٌ غيره في الدعوة إلى الله والذَّبّ عن دين .

نَدْب الفاروق المسلمين لقتال أهل فارس بعد وفاة الصديق رضي الله عنهما :

وبالرغم من ألم وفاة وفراق الصِّدِّيق ، فقد كان « أول ما عمل به عمر رضي الله عنه أن نَدَبَ الناس مع المثنّى بن حارثة الشيباني – رضي الله عنه – إلى أهل فارس ، قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات فيها أبو بكر رضي الله عنه ، ثم أصبح فتبايع الناس ، فعاد فندب الناس إلى فارس »(١) .

تحمُّسُ المسلمين للدعوة في زمن زوال خلافتهم :

ورغم المعارضة الشديدة والصعاب الكثيرة ، علتْ هِمَمُ المسلمين في الدعوة في بلاد أرخبيل الملايو ، رغم معارضة الاستعمار الأسباني ، وفي بلاد الهند لم يستطع الاستعمار البريطاني إخماد تحمُّس المسلمين في شبه القارة الهندية للدعوة لدينهم .

يقول الدكتور غوستاف لوبون : « ثقلت قرون على أعفار العرب ، ودخلت حضارتهم في ذمَّة التاريخ منذ زمنٍ طويلٍ ، ولا نقول مع ذلك : إنهم ماتوا تمامًا ، ونرى الآن ديانتهم ولغتهم اللتين أدخلوهما على العالم ، أكثر انتشارًا مما كانتا عليه في أنضر أدوارهم ، فالعربية هي اللغة العامة من مراكش إلى الهند ، ولا يزال الإسلام جادًّا في تقدمه »(٢) .

ويرد توماس . و . أرنولد على من قال : « إن النشاط الدعوي للإسلام مرتبط مع سلطانه السياسي وجودًا وعدمًا » . فيقول :

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٤٤ ، والبداية والنهاية ٧/٢٦ .

(٢) حضارة العرب ص٧٣٤ .

« ولم يكن النشاط الروحي للإسلام ، كما زعم عدد كبير جدًّا من الناس ، متمشيًا مع سلطانه السياسي ، بل على العكس من ذلك ، نجد فقدان السلطة السياسية والانتعاش المادي ، يعمل على إبراز أجمل الصفات الروحية ، التي تعد أصدق البواعث التي تحفز على القيام بأعمال الدعوة ، وقد تعلم الإسلام منافع الشدائد ، ولما كان بعيدًا كل البعد عن الانحدار إلى الرخاء المادي ؛ لكونه نذير انحلالِ هذا الدين ، كان من المهم أن تلك البلاد الإسلامية الخالصة ، التي عاشت أطول وقتٍ في ظل الحكم المسيحي ، تتجلّى كأشد ما تكون نشاطًا في القيام بنشر تعاليم الدعوة . ويظهر مسلمو الهند والملايو من الحماسة والغيرة في نشر الدين ، ما لا نجده في تركيا أو في مراكش »[1].

دعوة إلى الله في السجون :

يقول توماس . و . أرنولد : « حتى الأسير المسلم يغتنم الفرص في المناسبات لدعوة آسريه أو إخوانه في الأسر إلى دينه »[2] .

ثم قال : « وقد تسرب الإسلام إلى أوروبا الشرقية أول الأمر بفضل الله ، ثم ما قام به فقيه مسلم ، سِيق أسيرًا ، وجيء به إلى بلاد بتشنج في مستهل القرن الحادي عشر ، وقد بسط بين يدي كثير منهم تعاليم الإسلام فاعتقدوه في إخلاصٍ ، حتى إنه أخذ في انتشار بين هذا الشعب ، ولم تأت نهاية القرن الحادي عشر حتى كان الشعب بأسره قد اعتنقوا الإسلام ، وكان من بينهم مسلمون تعلموا الفقه والتوحيد .

وفي عهد الإمبراطور جهانجير (١٦٠٥ - ١٦٢٨) كان هناك عالمٌ سني من علماء التوحيد ، يدعى الشيخ أحمد مجدد ، وقد تميز بقدرته على

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص٤٦٩ .
(٢) الدعوة إلى الإسلام ص٤٥٣ .

مجادلة الشيعة في عقائدهم بنوعٍ خاص . ولما كان هؤلاء مقربين إلى البلاط في ذلك الحين ، نجحوا في إيداعه السجن بتهمةٍ تافهة . وفي خلال السنتين اللتين قضاهما في الحبس ، أدخل في الإسلام عدة مئاتٍ من عبدة الأوثان ، الذين كانوا يرافقونه في هذا السجن نفسه .

ومنها أن الحكومة البريطانية قضت بنفي أحد مولوية[١] الهند إلى جزائر أندمان نفيًا مؤبّدًا ؛ لأنه كان قد قام بنصيبٍ فعال في مؤامرةٍ دبرها الوهابيون سنة ١٨٦٤م ، وهناك أدخل هذا المولوي في الإسلام - قبل وفاته - كثيرًا من المحكوم عليهم »[٢].

علو همة المسلمات في الدعوة إلى الله :

ما كان نشر الإسلام والدعوة إليه قاصرًا على الرجال وحدهم ، فكما قال رسول الله ﷺ : « النساء شقائق الرجال »[٣] فقد أدت المرأة المسلمة أوفر نصيبٍ في الدعوة إلى الله . ومن الشواهد على ذلك :

اهتمام أم شريك رضي الله عنها بالدعوة :

فقد قامت أم شريك - رضي الله عنها - بالدعوة سرًّا في أوساط النساء بمكة المكرمة ، رغم معارضة قريش الشديدة لذلك . ويتجلّى هذا فيما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بقوله : « وقع في قلب أُمّ شريك - رضي الله عنها - الإسلام ، فأسلمت وهي بمكة ، وكانت تحت أبي العسكر الدوسي ، ثم جعلت تدخل على نساء قريشٍ سرًّا ، فتدعوهن وترغبهن في الإسلام ، حتى ظهر أمرها لأهل مكة ، فأخذوها وقالوا : لولا قومك لفعلنا

---

(١) مولوي : لقب يلقب به العلماء في شبة القارة الهندية .
(٢) الدعوة إلى الإسلام ص٤٥٣ .
(٣) صحيح .

بك وفعلنا ، لكنا سنردك إليهم »[١] .

حرص أم سليم على إسلام ابنها ومن تقدم لخطبتها :

حرصت أم سليم - رضي الله عنها - على تلقين ابنها أنسٍ - رضي الله عنه - شهادة الإسلام رغم معارضة زوجها ، ودعت أبا طلحة إلى الإسلام حينما تقدم إليها . ولم ترتضِ منه مهرًا لها سوى الإسلام .

روى الإمام ابن سعد ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن جدته أم سليم رضي الله عنها ، أنها آمنت برسول الله ﷺ ، قالت : فجاء أبو أنس وكان غائبًا ، فقال : أصبوت ؟ قالت : ما صبوت ولكني آمنت بهذا الرجل . قالت : فجعلت تلقن أنسًا ، تشير إليه ، قل : « لا إله إلا الله » ، قل : « أشهد أن محمدًا رسول الله » . قال : ففعل . قال : فيقول لها أبوه : « لا تفسدي علي ابني » . فتقول : « إني لا أُفسده » . قال : فخرج مالك أبو أنس فلقيه عدو فقتله . فلما بلغها قتله ، قالت : « لا جرم ، لا أفطم أنسًا حتى يدع الثدي حيا ، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس ، فيقول : « قد قضت الذي عليها » . فترك الثدي ، فخطبها أبو طلحة وهو مشركٌ ، فأبت . فقالت له يومًا ، فيما تقول : « أرأيت حجرًا تعبده لا يضرك ولا ينفعك ، أو خشبة تأتي بها النجار فينجرها لك ، هل يضرك ، هل ينفعك ؟ »[٢] .

وفي رواية أنها قالت : « إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركًا . أما تعلم يا أبا طلحة ، أن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلانٍ النجار ، وأنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت ؟ » . قال : فانصرف عنها وقد وقع في قلبه من ذلك موقعًا . قال : وجعل لا يجيئها يومًا إلا قالت له ذلك[٣] .

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٥٣/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٢٥/٨ - ٤٢٦ .

(٣) الطبقات الكبرى ٤٢٧/٨ .

وفي رواية عند النسائي : قالت : « والله ما مثلك يا أبا طلحة يُردّ ، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ، ولا يحل لي أن أتزوجك . فإن تسلم فذاك مهري ، وما أسألك غيره .

وفي رواية عند ابن سعد : قالت : فهل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وأزوجك نفسي ، لا أريد منك صداقًا غيره ؟ » .

قال ثابت - البناني -: فما سمعت بامرأةٍ قط كانت أكرم مهرًا من أُمِّ سليمٍ رضي الله عنها : الإسلام ، فدخل بها فولدت له[1].

قال ﷺ : « دخلت الجنة ، فسمعت خشفةً بين يدي ، فقلت : ما هذه الخشفة ؟ فقيل : الغميصاء بنت ملحان »[2] .

لله درك أُمّ سليم ... تلقنين ابنك الشهادة وهو يرضع ... ويدخل الإسلام على يديك رجلٌ قال عنه رسولنا ﷺ : « لصوت أبي طلحة في الجيش خيرٌ من ألف رجل »[3] . وهو الذي سرد الصوم بعد النبي ﷺ أربعين عامًا .

أم حكيم بنت الحارث وحرصها على إسلام زوجها عكرمة :

لما أسلمت أُمُّ حكيم بنت الحارث زوجة عكرمة يوم الفتح ، وفرَّ زوجها إلى اليمن ، وكان النبي ﷺ قد أهدر دمه ولو كان معلقًا بأستار الكعبة ، حرصت أم حكيم - رضي الله عنها - على إسلام زوجها ، فبذلت لذلك جهودًا عظيمة . وكان عكرمة قد غادر مكة نحو الغرب في اتجاه جدة ، يريد اليمن عن طريق البحر ، خوفًا من القتل ، فاستأمنت أُمُّ حكيم النبي ﷺ .

---

(١) سنن النسائي - كتاب النكاح - التزويج على الإسلام ، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائي عن أنس .

(٣) صحيح : أخرجه الحاكم في المستدرك عن جابر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٠٨١) .

لزوجها ، وخرجت في طلبه ، وكانت قد اصطحبت معها غلامًا لها مملوكًا إلى جدة ، فاستغل الوضع المضطرب التي هي عليه ، فراودها عن نفسها أثناء الطريق ، فجعلت تمنيه « وكانت امرأةً عفيفة فاضلة عاقلة ، حتى قدمت على حي من العرب هم بنو علكٍ ، فطلبت منهم اعتقال الغلام ، بعد أن أخبرتهم خبر صنيعه القبيح ، فأوثقوه كتافًا ، وأبقوه لديهم حسب طلبها ، ثم واصلت سفرها حتى وصلت ميناء جدة »[(١)] .

وكان عكرمة قد ركب السفينة ، وعندما ركبها قال له ربانها - وكان مسلمًا -: أخلص فقال : أي شيءٍ أقول : قال : قل : لا إله إلا الله . قال عكرمة متعجِّبًا : ما هربت إلا من هذا . وبينا هو يحاور ربان السفينة ، إذ بامرأته العفيفة الوفية تناديه في إلحاحٍ : يا ابن عمّ جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس ، لا تهلك نفسك فوقف لها ، واستوضحها : ما الخبر ؟ فقالت : إني استأمنت لك محمدًا رسول الله ﷺ . قال : أنت فعلت ذلك ؟ قالت : نعم .

وفي رواية أُخرى : فأدركته وقد ركب سفينة فنادته : « يا ابن عم ، هذا أمانٌ معي من رسول الله ﷺ ، فإن تسلم وتقبل أمان رسول الله ﷺ فأنا زوجتك ، وإلا انقطعت العصمة فيما بيني وبينك »[(٢)] .

وعاد معها ، وفي الطريق « جعل عكرمة يطلب امرأته ، يجامعها ، فتأبى عليه وتقول : إنك كافر وأنا مسلمة »[(٣)]. فجعل يقول لها : إن أمرًا منعك مني لَأَمرٌ كبير . وفي أثناء العودة سألها عن غلامها الرومي ... فأخبرته خبر محاولته الدنيئة ، فلما وصل حيث الغلام مكتوفًا ، قتله في

---

(١) فتح مكة لمحمد أحمد بشاميل ص٢٢٧ .

(٢) ، (٣) تاريخ ابن عساكر ١١/٧٥٤ - ٧٥٦ .

الحال ، وذلك قبل أن يسلم . فلما دنا عكرمة من مكة ، بشر النبي ﷺ أصحابه بإسلام عكرمة ، فقال : « يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنًا مهاجرًا » .

وذكر المؤرخون أن الرسول الله ﷺ لما أقبل عليه عكرمة وثب إليه ، وما على النبي ﷺ رداء ، فرحًا بعكرمة . ثم جلس رسول الله ﷺ فوقف بين يديه ، وزوجته متنقبة ، فقال : يا محمد ، إن هذه أخبرتني أنك أمنتني . فقال رسول الله ﷺ : « صدقتْ ، فأنت آمن ». فقال عكرمة : فإلامَ تدعو ؟ قال : « أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة » . فقال عكرمة : والله ما دعوت إلا إلى الحق وأمر حسنٍ جميلٍ ، قد كنت والله فينا - قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه - وأنت أصدقنا حديثًا وأبرنا برًّا . ثم قال عكرمة : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله . فسر بذلك رسول الله ﷺ وقال : « لا تسألني اليوم شيئًا أُعطيه أَحدًا إلّا أعطيتكه » . فقال عكرمة : فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوةٍ عاديتكها ، أو مسير وضعت فيه ، أو مقام لقيتك فيه ، أو كلام قلته في وجهك ، أو أنت غائبٌ عنه . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها ، وكل مسير سار فيه إلى موضعٍ ، يريد المسير إطفاء نورك ، فاغفر له ما نال مني من عرض ، في وجهي أو أنا غائب عنه ». فقال عكرمة : رضيت يا رسول الله . ثم قال عكرمة : أما والله يا رسول الله ، لا أدع نفقة كنت أنفقها في صدٍّ عن سبيل الله ، إلّا أنفقت ضعفها في سبيل الله ، ولا قتال في صدٍّ عن سبيل الله ، إلّا أبليت ضعفه في سبيل الله »[1].

وكان إسلام الصنديد عكرمة حسنةً من حسناتٍ ، يسوقها الله ،

---

(١) فتح مكة لبشاميل ص٢٢٨ - ٢٢٩ نقلًا عن مغازي الواقدي ٨٥٣/٢ ، وزاد المعاد ٢٩٨/٢ .

بفضله ومنّه على يد أم حكيم ، رضي الله عنها :

نعم ، هذه هي المرأة المسلمة : في وضاءتها وعفتها ووفائها ودعوتها لدينها .

قال توماس . و . أرنولد : « يرجع الفضل في إسلام كثيرٍ من أمراء المغول إلى تأثير زوجةٍ مسلمة ، ولا يبعد أن يكون مثل هذا التأثير سببًا في إسلام كثيرٍ من الأتراك الوثنيين ، عندما كانوا قد أغاروا على الأقطار الإسلامية » .

وقال توماس : « ويقال:إن نساء قزان التتريات بوجهٍ خاص ، ذوات غيرةٍ باعتبارهن داعياتٍ إلى الإسلام ، ولا تمنع المتمسكة بدينها من أن تحتل مكانها إلى جانب الولي من الرجال في زمرة الداعين إلى العقيدة »[(١)] .

فيا ربات الخدور ... يا من سرتن على ركب القانتات العابدات الداعيات .. لا بد من الدعوة إلى الله عز وجل ... لا بد أن تخالط الدعوة إلى الله عز وجل دماءكن ، وأنفاسكن ، لا بد أن تؤثرن الدعوة إلى الله على كل شيء . فأهل الباطل ديدنهم : ﴿ **أن امشوا واصبروا على آلهتكم** ﴾ فما أحراكن بالصبر على الدعوة إلى الله .

فهذه « جولدا مائير » رئيسة وزراء إسرائيل من ١٩٦٩ - ١٩٧٣ إحدى النساء اللواتي ساهمن مساهمةً قوية في قيام دولة إسرائيل ، قال عنها : « ابن غوريون » أول رئيس للوزراء - عندما عادت من أمريكا محملة بخمسين مليون دولار بعد حملة تبرعات واسعة -: « سيقال عند كتابة التاريخ : إن امرأة يهودية أحضرت المال ، وهي التي صنعت الدولة »[(٢)] . بل

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص٤٥١ - ٤٥٢ .

(٢) مذكرات جولدا مائير ص١٧١ .

قال عنها ثانية : « إنها الرجل الوحيد في الدولة ! »[١][٢] ..

هذه اليهودية الكافرة تقول : « لقد كانت مسألة العمل في حركة العمل الصهيوني ، تجبرني للإخلاص لها ، ونسيان همومي كلها ، وأعتقد أن هذا الوضع لم يتغير طيلة مجرى حياتي في الستة عقود التالية » .

وتقول في مذكراتها ص٢٨٣ : « لم يقدم لنا الاستقلال على طبق من فضة ، بل حصلنا عليه بعد سنين من النزاع والمعارك ، ويجب أن ندرك بأنفسنا ومن أخطائنا ، الثمن الغالي للتصميم والعزيمة » .

وتقول ص٧١ : « لقد كان علينا الاعتماد على أنفسنا ، ومجابهة أي طارىء بروح بطولية مسئولة » .

هذه المرأة الرجل ... فأين دعاة القومية العربية ... الدعاة إلى التراب لا الدين ... أين أصحاب النعرات الناصرية .

« من الخليج الثائر ... إلى المحيط الهادر ... لبيك عبد الناصر » .

تـروح بنا مصائبُنا وتغـدو ... فما يُرْعى لنا في الناس عهدُ
ويخطُـب باقِلٌ في كلّ نـادٍ ... فيا « سُحْبانُ » قولُك لا يُعَدُّ
تُعيرهـمُ الصحافةُ مُقلتيهـا ... فهم في عُرفها الرُّكن الأشدُّ
لهم عَبْرَ الإذاعة ألفُ صوتٍ ... وفي التِّلفاز أذرعـةٌ تُمَـدُّ
على وطنيّة التفكيـر قامـوا ... وتحت غطائها قبضوا ومدُّوا
أقول لهم ثقافتُكـم هبـاءٌ ... وليس لغيمكم برْقٌ ورعدُ
لنا وطنيّةٌ ليست نشـازًا ... فما تجفو الكتابَ ولا تنِـدُّ

---

(١) مذكرات جولدا مائير ص٩٧ .

(٢) نكون أو لا نكون .. نظرات في مذكرات المرأة الصهيونية الرجل . لأحمد عبد الرحمن الصويان . ص١٠٧ - مقال في مجلة البيان العدد ٨٨ - المنتدى الإسلامي لندن .

لنا البيتُ الحرامُ لنا حراءٌ نعم ، ولنا زمازمُنا[١] ونجْدُ
لنا أرض الجزيرة قام فيها من الإسلام دون البغي سدُّ
لنا الأقصى لنا شامٌ ومِصْر لنا يمنٌ وبغدادٌ وسِنْدُ
لنا في المغرب العربيّ أهلٌ وأحبابٌ ، وفي كابولَ جُندُ
لنا الإسلام يجمع شمل قومي وإن وَرِمتْ أنوفُ مَنِ استبدُّوا
ولا وطنيةً لدُعاة فكْرٍ دخيلٍ ، مِنْ سوانا يُستَمَدُّ
إذا صارت روابطُنا ترابًا عليه حبالُ أُمَّتنا تُشَدُّ
فلا تعجب إذا اضطربت خُطانا وساوَمَنا على الأمجاد وغدُ
عروسٌ جُلِّلتْ بثيابِ حُزنٍ وطاف بها على الشّارِينَ عبد
مراكبها تُسَيَّرُ في بحارٍ ولا هدفٌ على الشّطان يبدو
إذا لم يحكم الإسلامُ قومي فمَهْدُك أيها المولود لَحْدُ

لا بدّ من الدعوة إلى الله عز وجل على كل المستويات :

دعوة للمنحرفين والغافلين إلى التمسُّك بالإسلام .

ودعوة للمتمسكين به لبعث هممهم ، وتعريفهم لطريق العمل وفقه الدعوة ، وقيامها على عقيدة السلف ، والتربية الإيمانية بفقة الكتاب والسنة وكثرة الذِّكر ، وقيام الليل وصيام النهار ، والمحافظة على الصلوات ... وتبصيرهم بواقع المسلمين الحاضر المؤلم ؛ ليُؤثروا العمل مع ميامين نفروا لمُقارعة الجاهلية والرجوع بالأمة إلى إسلامها بزيادة بذلٍ ، وترقيق قلب القلب بتراجم وأقوال الأئمة من السلف ؛ من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، وزُهّاد الأُمّة وعُبّادها وأصحاب السلوك فيها ، فكم من بركةٍ كامنة في كلامهم ، وهم العلماء بالله ، وكما قال يحيى بن معاذ : «أحسن شيءٍ: كلامٌ رقيق، يُستخرج مِن بحرٍ عميقٍ، على لسانِ رجُلٍ رفيق»[٢] .

---

(١) زمازم : اسم من أسماء زمزم .

(٢) تاريخ بغداد ١٤/٢٠٩ .

لا بد من الدعوة إلى الله وعلو الهمة فيها ؛ لانتشال الأمة من تيهها الذي تهيم فيه ، فالسواد الأعظم قد انحرف عن غير ما قصد كيد ، ولا إرادة سوءٍ ، وهم أهلٌ لأن يشاركوا الدعاة إلى إرجاع الأمة إلى التمسك بدينها ، إذا انجلى لهم جانب الانخداع الذي هم فيه ، فالفتنة قد فني عليها الكبير ، وكبر عليها الصغير .

لا بد من الدعوة إلى الله لاستنقاذ الظِّباء الجفولة ، والعصاة الذين تخلفوا عن منازل الفضل .

لا بد من الدعوة لمن ألهته الشهوة والغفلة عن الفرائض ، وسدر في العصيان .

لا بد من خطاب المقت والتذكير الغاضب لصاحب الكبائر الظالم الماجن .

كل ذلك في آنٍ واحد ... ولا تعجب فالدعوة هي الدعوة .

لا بد من تذكير المسلمين بأصلهم الضارب في التاريخ ، وحقيقة دورهم في الماضي والحاضر والمستقبل ، وأنه دورٌ ماضٍ في هذه الأرض إلى آخر الزمان ، كما قال ربعيّ بن عامر : « إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ظلم الكهان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة » .

نحن وُرّاثٌ هُداةٌ للبشرْ   نحن عند الحقِّ سرٌّ مدَّخرْ
لا تزال الشمس تُبدي نورنَا   غَيْمُنا فيه بُرُوقٌ وسَنَا
ذاتُنا المرآةُ للحقِّ ، اعْلَمِ   آيةُ الحقِّ وجودُ المسلمِ[1]

إن وجود المسلم ووجود الدعوة إلى الله حتمية من حتميات التاريخ الماضي والحاضر ، وإنها لحتمية ماضية إلى يوم القيامة .

---

(١) ديوان الأسرار والرموز لإقبال ص٦٧ .

لا بد من الدعوة إلى الله ، وإلّا فسدت الأرض وأسنت الحياة ، وتعفنت ، وذاقت البشرية الويلات من بعدها عن منهج الله .

إن المسلم أعز من أن يعتقد أن لصيق الأرض بإمكانه النطق بالصواب ، وإنما الصواب عنده ما نزل من السماء ، ودعا إليه رسول الله ﷺ : « أصدق كلمةٍ قالها الشاعر : كلمة لبيدٍ : ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل »[1] .

حينما يعيش الإنسان لدعوة الله ، يومها فقط سيذوق ، معنى السعادة .

إنّ السعــادة أن تعيــ ـش لفكرة الحقِّ التليدْ
لعقيــدةٍ كبــرى تحــل قضية الكـون العتيـدْ
وتُجيب عمّا يسأل الـ ـحيرانُ في وعيٍ رشيدْ
من أين جئتُ ؟ وأين أذ هَبُ لم خُلِقتُ ؟ وهل أعودْ
فتُشيـع في النفس اليقيـ ـن وتطرد الشّكَّ العنَيـدْ
وتُعلِّم الفكـرَ السّـويَّ وتصنع الخُلُق الحميـدْ
وتــردّ للنَّهْـج المُسَـدَّ دِ كلّ ذي عقلٍ شرودْ
تُعطي حياتـك قيمـةً ربّ الحيـاة بهـا يشيـدْ
ليظلّ طَرْفُـك رانيـًا في الأفْق للهدف البعيدْ
فتعيش في الدنيا لأُخْـ ـرى لا تزولُ ولا تَبيدْ
وتمـدّ أرضـك بالسمـا ءِ وبالملائكـة الشُّهُـودْ
هــذي العقيـدة للسعيـ ـدِ هَي الأساسُ هَي العمودْ
من عاش يحملها ويهـ ـتفُ باسمها فهو السعيد[2]

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة .

(٢) ليوسف القرضاوي ، عن مجلة التربية الإسلامية - السنة السادسة ص٢٧٨ .

يقول الشيخ القدوة السلفي عبد القادر الجيلاني ، مبينا فرحه عند العمل للدعوة وهداية الناس : « سبحان من ألقى في قلبي نُصح الخلق وجعله أكبر همي » . ويقول : «إذا رأيتُ وجه مريدٍ صادق قد أفلح على يدي ، شبعت وارتويت واكتسيت ، وفرحت ؛ كيف خرج مثله من تحت يدي ! »[١] .

وقال رحمه الله : « المتزهد المبتدىءُ في زهده : يهرب من الخلق ، والزاهد الكامل في زهده : لا يبالي بهم ، لا يهرب منهم ، بل يطلبهم ؛ لأنه يصير عارفًا لله عز وجل ، ومن عرف الله لا يهرب من شيءٍ ، ولا يخاف من شيءٍ سواه . المتبدىء يهرب من الفساق والعصاة ، والمنتهي يطلبهم . كيف لا يطلبهم وكل دوائهم عنده ؟!

ولهذا قال بعضهم : لا يضحك في وجه الفاسق إلا العارف . من كملت معرفته لله عز وجل ، صار دالًّا عليه ، يصير شبكةً يصطاد بها الخلق من بحر الدنيا ، يعطى القوة حتى يهزم إبليس وجنده ، يأخذ الخلق من أيديهم .

يا من اعتزل بزهده مع جهله ، تقدم واسمع ما أقول .

يا زهاد الأرض تقدموا ، خربوا صوامعكم واقربوا مني ، قد قعدتم في خلواتكم من غير أصلٍ . ما وقعتم بشيءٍ . تقدموا »[٢] .

رضي الله عنك يا جيلاني ... كلمات تهز القلب اهتزازًا ، ويطرب لها الفؤاد . خذ مكانك يا ابن الإسلام في صفوف دعوة الإسلام ... وحرر نفسك من نير الأفكار الأرضية ، وآراء طواغيت القرن العشرين .

يقول الإمام العظيم الجيلاني ، مبينا أن المؤمن الأخرس متأخر ، وأنه

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني ص٢٧ .

(٢) الفتح الرباني للجيلاني ص٧٣ بتصرف .

لا مكانة بعد النبوة فوق مكانة الدعوة ، وأن الفائز عند الله من اختاره الله : « وجعله جهبذًا وداعيًا للعباد ونذيرًا لهم ، وحجة هاديًا مهديًا ... فهذه هي الغاية القصوى في بني آدم .. لا منزلة تفوق منزلته إلا النبوة »[1] .

وبمثل هذه الكلمات النيرة أسلم المئات ، واهتدت الألوف المؤلفة في مجلس الجيلاني الداعية الرباني عالي الهمة .

من أراد أن يدلف إلى الفردوس الأعلى ، ولا يرضى بالمنازل الواطئة ، من أراد المنزلة العليا القصوى من الجنة ، فعليه أن يكون في المنزلة القصوى في هذه الحياة الدنيا .. واحدة بواحدة ، ولكلِّ سلعةٍ ثمن .

وما هذه المنزلة القصوى في الدنيا إلّا منزلة الدعوة إلى الله .. رحمك الله يا جيلاني ، فما كان أفهمك لدعوة الله .

يقول الجيلاني عن المؤمن الأخرس عن الدعوة : « قلبٌ بلا لسانٍ ، هو مؤمن ستره الله عز وجل عن خلقه ، وأسبل عليه كنفه ، وبصره بعيوب نفسه ، ونور قلبه » .

« فلأن هذا المؤمن لم يملك اللسان ، نزلت مرتبته ، وتأخرت ، وفقد ما في ألقاب الأول من الهيبة والفخامة ؛ فالأول : (جهبذ) و (داعية) و (حجة) ، وله ما في هذه الكلمات من إشعاع البهاء . والثاني (مستور) فحسب ، وبين جرس هذه الكلمة ولفظها ، وتلك الكلمات وألفاظها من البعد ، مثل ما بين الأرض والسماء . إن بونًا شاسعًا ، وطفرة واسعة بين المنزلتين ؛ منزلة الدعوة ، ومنزلة الإيمان المستور المنعزل . وسبب البون هو اللسان الناطق بالحق لا غير. من ملك هذا اللسان ، فقد بذ وسبق قافلة السائرين إلى الله . كلهم يسير إلى الله ، ولكن أين من في المقدمة ، ممن في المؤخرة ؟ وكلهم يدخل إن شاء الله الجنة ، ولكن أين من يدخلها في الزمر

---

(١) الفتح الرباني ص٤٩ .

الأُولى ، ممن يدخلها بعد أعوامٍ من الانتظار في ساحة العرض !! »[١] .

أخي : العالم من كان داعية ، أما مؤلف الكتب فحسب،فنقول له :

لستَ والله عالمًا أو حكيمًا   إنما أنت تاجرٌ في العلوم[٢]

ابن الجوزي الداعية الكبير :

صاحب المجلس الذي تاب فيه الآلاف ، وأسلم المئات ، وبكت آلاف العيون من المواعظ النورانية ... ملأ بغداد دعوة إلى الله وحثًّا على الدعوة ، يقول ، رحمه الله : « الزهاد في مقام الخفافيش ، قد دفنوا أنفسهم بالعزلة عن نفع الناس ، وهي حالة حسنة إذا لم تمنع من خيرٍ ، من جماعةٍ واتباع جنازةٍ وعيادة مريضٍ ، إلا أنها حَالة الجبناء .أما الشجعان فهم يتعلمون ويعلمون ، وهذه مقامات الأنبياء عليهم السلام »[٣].

« وهكذا استمرت كلمات الواعين في كل جيل ، لا يسوغون لأحدٍ أن يعتزل ويقعد عن الدعوة إلى الله ولو أكثر العبادة .

حسبوا بأن الدِّين عُزلةُ راهبٍ   واستمرءوا الأوراد والأذكارا
عَجَبًا أراهم يؤمنون ببعضه   وأرى القلوب ببعضه كُفّارا
والدِّين كان ولا يزال فرائضًا   ونـوافلًا لله واستغفـارا
والدِّين ميدانٌ وصَمْصَام وفُرْ   سانٌ تُبيد الشَّرَّ والأشـرارا
والدين حُكم باسم ربِّك قائم   بالعدل لا جوْرًا ولا استهتارا »[٤]

دع بيتك وراء ظهرك :

والقعود في البيوت أكثر بعدًا عن صفة المؤمن الكامل ، ولذلك كان

---

(١) المنطلق لمحمد أحمد الراشد ص١٢٢، ١٢٣ . مؤسسة الرسالة .

(٢) ديوان المثاني لعزام ص٩٨ .

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي ص٢٢٤ .

(٤) المنطلق ص١١٦ .

الصحابة - رضي الله عنهم - ينكرون أشدَّ الإنكار على من يتوارى في بيته .

قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه -: « إن أقلَّ العيب على المرء أن يجلس في داره »[1]. فعدوه عيبًا .

يقول الغزالي رحمه الله : « اعلم أن كل قاعدٍ في بيته ، أينما كان ، فليس خاليًا في هذا الزمان عن منكرٍ ، من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف ، فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد ، فكيف في القرى والبوادي ، ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية ، وسائر أصناف الخلق .

وواجبٌ أن يكون في كل مسجدٍ ومحلَّةٍ من البلد فقيهٌ يعلم الناس دينهم ، وكذا في كل قرية ، وواجبٌ على كل فقيهٍ فرغ من فرض عينه ، وتفرغ لفرض الكفاية ، أن يخرج إلى ما يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ، ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم »[2] .

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٢٧/١٦) : « فواجب على الأمة أن يبلغوا ما أُنزل إليه ، وينذروا كما أنذر ، قال الله تعالى : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقَّهُوا في الدِّين وليُنذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ والجن لمّا سمعوا القرآن ﴿ **ولَّوْا إلى قومهم منذرين** ﴾ » .

قال ابن القيم : « والعالم الذي قد عرف السنة ، والحلال والحرام ، وطرق الخير والشر ، مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم : أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح »[3] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٢١/٣ .

(٢) إحياء علوم الدين ٣٤٢/٢ .

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، لابن قيم الجوزية ص٩٣ .

الداعية رحّالة(١):

أخي : كان الدعاة إلى الله يسيحون لنشر الدعوة وتبليغها ، ويبادئون الناس بالكلام ، ويحتكون بهم احتكاكًا هادفًا ، ولا ينتظرون مجيء الناس لهم ليسألوهم ، هكذا كان شأن الدعاة دومًا .

أما ترى الأعرابي يقول لرسول الله ﷺ : « يا محمد ، أتانا رسولك ، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك . وكذلك الناس تُؤتى ، ومن انتظر أن يأتيه الناس فليس بداعيةٍ ، وستبقيه الأيام وحيدًا فريدًا وتعلمه التثاؤب . لا بد من تحركٍ ومبادأةٍ وغدوٍّ ورواح وتكلُّمٍ وزعم .

ليس القعود والتمني من الطرق الموصلة ، فافقه سيرة سلفك وقلدهم ، تصل ، وإلا فراوح في مكانك ، فإنك لن تبرحه .

وَصْل الماضي بالآتي :

إن الإسلام اليوم أحوج ما يكون إلى جماعةٍ من الدعاة الذين يدركون جيدًا واجبهم في هداية الناس ، ويبصرون موقعهم في موكب الدعوة السائر ، وأنهم حلقة تصل الماضي بالآتي .

نحن في ذي الحياة رَكْبٌ سِفَارٌ ... يَصِلُ اللاحِقينَ بالماضينـــا
قد هدانا السبيلَ مَنْ سبقُونا ... وعلينـــا هدايـــةُ الآتينـــا(٢)

نعم ، تعبوا - رحمهم الله - حتى أوصلوا عقيدة التوحيد لنا ، وربونا ، وهذبونا ، وانتشلونا من مخاطر متلفة ، وعلينا أن نكون أوفياء لهم ، ننفذ عهدنا ، حين أخذوا علينا أن نعمل مثل الذي عملوا .

والغرس يقتضي مخالطة الناس ، ومشافهتهم والصَّدع بالحق .

أما أن يختار الخلوة ، فهو كما وصفه مصطفى صادق الرافعي :

---

(١) المنطلق ص١١٩ ، ١٢٠ بتصرف .

(٢) المثاني لعزّام ص١٤٩ .

« يحسب أنه قد فرّ من الرذائل إلى فضائله ، ولكن فراره من مجاهدة الرذيلة ، هو في نفسه رذيلةٌ لكل فضائله ، وماذا تكون العفة والأمانة والصِّدق والوفاء والبر والإحسان وغيرها ، إذا كانت فيمن انقطع في صحراء أو على رأس جبلٍ ؟ أيزعم أحدٌ أن الصدق فضيلة في إنسانٍ ليس حوله إلا عشرة أحجار ؟ وأيم الله ، إن الخالي من مجاهدة الرذائل جميعًا ، لهو الخالي من الفضائل جميعًا »[1] .

وصفٌ لعالي الهمة من الدعاة :

يقول الجيلاني : « هم قيامٌ في مقام الدعوة ، يدعون الخلق إلى معرفة الحق عز وجل ، لا يزالون يدعُون القلوب »[2] .

« من صحت تبعيته للرسول ﷺ ، ألبسه درعه وخوذته، وقلده سيفه . ونحله من أدبه وشمائله وأخلاقه ، وخلع عليه من خلعه ، واشتد فرحه به : كيف هو من أُمته ؟ ويشكر ربه على ذلك ، ثم يجعله نائبًا له في أمته ، ودليلًا وداعيًا لهم إلى باب الحق عز وجل .

كان هو الداعي والدليل ، ولما قبضه الحق عز وجل أقام له من أُمته من يخلفه فيهم ، وهم آحاد أفراد ، من كل ألفِ ألف واحد ، يدلون الخلق ، ويصبرون على أذاهم ، مع دوام النصح لهم ، يتبسمون في وجوه المنافقين والفساق ، ويحتالون عليهم بكل حيلةٍ حتى يخلصوهم مما هم فيه ، ويحملونهم إلى باب ربهم عز وجل »[3] .

والدعوة تحتاج إلى مجاهدة النفس وإماتة الهوى ، لتحصل حياة الدعوة : « موتٌ ثم نشر ، ثم إذا شاء أنشرك له ، ردك إلى الخلق لتنظر في مصالحهم وتردهم إلى بابه ، تجيء لك القوة على مقاساة الخلق ، فتردهم عن ضلالهم »[4] .

---

(١) وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ٢/٩٧ .

(٢) الفتح الرباني ص٧ .

(٣) (٤) الفتح الرباني ٨٣ ، ١٠٧ .

التَّجرُّد الكامل للدعوة :

لا نجاح للدعوة ، ولا وصول للغاية ، إن أعطيناها فضول الأوقات، ولم ننس أنفسنا وطعامنا .

لا بد من التجرد الكامل والانغماس بكُلِّيَّتك في الدعوة ، حتى ينسى نفسه ، ويعود لا يرى إلّا من يدعوهم ، ولا يتكلم إلّا بما يفيد من يدعوهم ، فعالمه وكونه الفسيح لا يحوي شهوةً ولا منصبًا ، ليس في هذا الكون إلا الذين يباشر دعوتهم ، هم تجارته ، ولذته ، ومنصبه ، ونبض قلبه ووجيب صدره ، وقفٌ على الدعوة إلى ربه .

وشُغِلتُ عن فهْم الحديث سوى ما كـان عنـك فإنه شُغلـي
وأُدِيم نحو مُحدِّثي وجهي ليرى أنْ قد عقلتُ وعندكم عقلي

يقول الجيلاني : « يصير كأن لا نفس له ، ولا طبع ولا هوى ، ينسى طعامه وشرابه ولباسه ، يصير ناسيًا لنفسه ، ذاكرًا لخلْق ربه عز وجل ، يخرج بقلبه عن نفسه والخلق ، ويبقى بربه عز وجل ، كلّ طلبه نفع الخلق ، قد سلم نفسه إلى يد قضاء ربه عز وجل »[1] .

ويرحم الله الشيخ حسن البنا ، ما كان يدخل بيته إلّا ليُهيّيء متاعه لسفرٍ جديدٍ من أجل الدعوة ، رجته زوجه الانتظار ، وقد خشيت موت ابنه بعد شدة المرض به ، فقال لها : « إن جده يعرف طريق المقابر جيّدًا » .

الداعي عالي الهمة رجل عامّة :

الداعية الفذّ هو رجل العامّة .. يقصد العامة ، يتّصل بهم ويجالسهم ويعلمهم ، مثل سيرة سلفه الجهابذة .

كانوا أئمة للعامة ، يتصدون لإرشاد كل الناس ، فيتزايد حب القلوب

---

(١) الفتح الرباني ص٢١١ .

لهم ، ويرون فيهم القدوة الصحيحة التي لا مطعن فيها ، فيتبعونهم ، ويمتثلون أمرهم .

منهم إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ، رحمه الله :

فهذا الزاهد المشهور بشر بن الحارث الحافي ، رحمه الله ، يعدد ثلاث خصالٍ امتاز بها الإمام أحمد ، وفُضِّل بها عليه ، وقصر هو عنها ، أحدها : « أنه نصب إمامًا للعامة » .

لم يحمله علمه على حصر نفسه بين الجدران ، بل نزل إلى الجموع ، وقادها في مواقفها في معارضة الجهمية والمعتزلة الذين أرادوا حرف عقيدة الأمة ببدعة خلق القرآن ، ونازع الدولة كلها حين أرادت فرض البدعة بالقوة ، حتى نصره الله بالمتوكل . وإنما نعني بالعامة جمهور الناس ، المثقف منهم والأُمِّي ، لا الاصطلاح الحادث الذي يعني الجهال .

وقد كان إمام أهل السنة يترصد أخيار الرجال في المجتمع فيحتك بهم ، ويتعرف عليهم ، ويزورهم .

« كان إذا بلغه عن شخصٍ صلاحٌ أو زهد ، أو قيامٌ بحقٍّ ، أو اتباع للأمر : سأل عنه ، وأحبَّ أن يجري بينه وبينه معرفة ، وأحب أن يعرف أحواله »[(١)] .

نعم ، لا يكون رجل عامة إلا من فتش عن الناس وبحث عنهم ، وسأل عن أخبارهم ، ورحل للقائهم ، وزارهم في مجالسهم ومنتدياتهم .

وقد بلغ الإمام أحمد الغاية والمنزلة القصوى ، فقد كان « موسى بن حزام - شيخ البخاري والترمذي - في أول أمره ينتحل الإرجاء ، ثم أعانه الله بأحمد بن حنبل ، فانتحل السنة وذب عنها ، وقمع من خالفها ، مع لزوم الدين حتى مات »[(٢)] . « وهذه الكلمات تحوي من معاني الدعوة

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص٢١٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٣٤١/١٠ .

شيئًا كثيرًا .

إن تغيير عقيدة موسى بن حزام لم يتمّ بالأماني المجردة ، فقد لزم الإمام أحمد أن يجلس معه المجالس ، مناقشًا له برفقٍ وسكينةٍ ، وحكمةٍ وموعظةٍ حسنة ، حتى استطاع صرفه عن بدعة الإرجاء ، ثم مجالس أُخرى علمه فيها السنة ، ثم مجالس أُخرى بعث فيه همةً عاليةً استمر معها حتى موته بالدفاع عن السنة ، وقمع مخالفيها من أهل البدع والشهوات .

إنه كذلك طريق الدعوة وسبيل خدمة الإسلام ، وكذلك كان سلفنا من دعاة الإسلام : لا بد لك من ترك زوجك وأولادك ، ومجالس الدنيا وهموم التجارة ، بضع ساعاتٍ في كل يوم ، تتوجه فيها إلى الله ، داعيًا أن يعين بك ضالًا من ضحايا الطواغيت فتهديه ، أو يعين بك يائسًا جامدًا ، يستهلكه الحزن على واقع المسلمين وتقيده همومه الدنيوية ، فتحركه وتغطه غطًّا .

إنها غطة العزم .

غط جبريل عليه السلام نبينا محمدًا ﷺ ثلاثًا في غار حراء ، في أول لحظات نبوته ، فضمه إلى صدره ضمًّا شديدًا ، ثم قال له : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ وغطَّ النبيُّ ﷺ ابن عمه عبد الله بن عباس ، فضمه إلى صدره ، وقال : « اللهم علمه القرآن » .

وغطّك الدعاة .

وعليك أن تغطَّ غيرك هذه الغطَّة الواجبة ، التي تضع حدًّا فاصلًا بين عهد الرخاوة ، وعهد حمل الأمانة بحزمٍ وعزمٍ ووفاءٍ .

لقد أعان الله - تعالى - بأحمد بن حنبل آلافًا من مثل موسى بن حزام ، وبهم استطاع أن يرد فتنة وكيد الجهمية والمعتزلة وينصر السنة ، فكم يا ترى سيعين الله بك اليوم من تردُّ بهم كيد الشرق والغرب »[1] .

---

(١) المنطلق ص١٢٧ - ١٢٩ .

قال ابن الجوزي : تاب علي يدي مائة ألفٍ ، وأسلم على يدي عشرون ألفًا .

الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام :

وصفوه بأنه كان « رجل عامّة »(١) .

يقول أبو إسحاق الفزاري : « ما رأيت مثل الأوزاعي والثوري ، فأما الأوزاعي فكان رجل عامة ، وأما الثوري فكان رجل خاصة ، ولو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي »(٢) .

« بلغ الثوري وهو بمكة مقدم الأوزاعي ، فخرج حتى لقيه بذي طوى ، فلما لقيه حل رسن البعير من القطار ، فوضعه على رقبته فجعل يتخلل به ، [ومالك بن أنس يسوق به] ، فإذا مرَّ بجماعةٍ قال : الطريق للشيخ »(٣) .

وأبو إسحاق الفزاري الإمام :

كان رجل عامَّة :

« قال إبراهيم بن سعيد الجوهري : قلت لأبي أسامة : أيهما أفضل : فُضيل بن عياضٍ أو أبو إسحاق الفزاري ؟ فقال : كان فضيل رجُلَ نفسه ، وكان أبو إسحاق رجل عامةٍ »(٤) .

الله أكبر : « الفضيل بن عياض » الذي كان ابن عيينة يقبل يده ، الفضيل : سيد المسلمين في وقته ، كما يقول ابن تيمية ، الفضيل الذي قال

---

(١) تهذيب التهذيب ٢٤١/٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١٣/٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١١٢/٧ ، والبداية والنهاية ١١٦/١٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٥٤٣/٨ .

فيه ابن المبارك : « إذا نظرت إلى فضيل : جدد لي الحزن ومقت نفسي » .
ومع هذا يعلوه مرتبةً الفزاريُّ في رأي أبي أسامة ؛ لأنه كان رجل عامة .
« قال ابن مهدي : كان الأوزاعي والفزاري إمامين في السنة .
وقال أبو حاتم : اتفق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمامٌ يقتدى به بلا مدافعةٍ .
يروى أن هارون الرشيد أخذ زنديقًا ليقتله ، فقال الرجل : أين أنت من ألف حديثٍ وضعتها ؟ قال : فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك يتخلّلانها ، فيخرجانها حرفًا حرفًا .
قال أبو صالح الفراء : لقيت الفضيل بن عياض ، فعزاني بأبي إسحاق وقال : ربما اشتقت إلى المصيصة ، ما بي فضل الرباط إلا أن أرى أبا إسحاقٍ ، رحمه الله »[(١)] .
« وهو الذي أدب أهل الثغور الإسلامية التي في أعالي بلاد الشام والجزيرة تجاه الروم ، وعلمهم سنن النبي ﷺ ، وكان يأمر وينهى ، وإذا دخل الثغر رجلٌ مبتدِعٌ ، أخْرَجَهَ »[(٢)] .

وخالد بن عبد الله الواسطي :

أحد المحدثين الثقات من شيوخ البخاري ، وصفوه بأنه كان « رجل عامة »[(٣)] .

والإمام الزهري زعيم المحدثين :

ربَّى أجيالًا من أهل الحواضر الإسلامية ، وجعلهم أئمة في الحديث ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٥٤١ - ٥٤٣ .
(٢) تهذيب التهذيب ١/١٥٢ .
(٣) تهذيب التهذيب ٣/١٠٠ .

وما كان ذلك يكفيه ، بل « كان ينزل بالأعراب يعلمهم » ، يحفظ من بقي صحيح العقيدة ، ويتلطف مع من نجح أهل البدع في جرفه؛ فيرجعه إلى التوحيد .

وجدد آخرون سيرة الزهري ، منهم الفقيه الواعظ أحمد الغزالي ، أخو الإمام صاحب الإحياء ، فإنه كان « يدخل القرى والضياع ، ويعظ لأهل البوادي تقرُّبًا إلى الله »[(١)] .

الانخلاع عن الفردية والتعاون على البر والتقوى من علوّ الهمة في الدعوة :

أخي : « ألست تبغي القرب منه ؟

فاشتغل بدلالة عباده عليه ، فهي حالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أما علمت أنهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد ؛ لعلمهم أن ذلك آثر عند حبيبهم ؟ »[(٢)] .

فواصل الخطو على دربهم تصل ، قال تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتَّبعني** ... ﴾ الآية [يوسف : ١٠٨] وهذا من أثمن النصوص في التعاون على البر والتقوى .

قال تعالى : ﴿ **وكأيِّن من نبيٍّ قاتَلَ معه ربِّيُّون كثيرٌ** ... ﴾ الآية [آل عمران : ١٤٦] .

قال ابن القيم : « فالرِّبِّيُّون هنا : الجماعات ، بإجماع المفسرين ، قيل : إنه من الرِّبَّةِ ، بكسر الراء : وهي الجماعة . قال الجوهريُّ : الرِّبِّي واحدُ الرِّبِّيِّين ، وهم الألوف من الناس »[(٣)] .

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٦/٦٢ ، المنطلق ص١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي ص٣٨ .

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/١٥٤ .

وورثة هذا النبي له وأولئك الأنبياء ، لهم أسوة حسنة بهم ، لا يتفردون ، بل يسيرون ألوفًا .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية الذي سبق عصره ، الفقيه العظيم الذي سبَرَ المقاصد العامّة لدين الله : « وأما لفظ « الزعيم » فإنه مثل لفظ : الكفيل والقبيل والضَّمين ، قال تعالى : ﴿ **ولِمَنْ جاء به حِمْلُ بعيرٍ وأنا به زعيم** ﴾ [يوسف : ٧٢] فمن تكفل بأمر طائفةٍ فإنه يقال : هو زعيم . فإن كان قد تكفل بخيرٍ ، كان محمودًا على ذلك ، وإن كان شرًّا ، كان مذمومًا على ذلك .

وأما « رأس الحزب » فإنه رأس الطائفة التي تتحزب ، أي تصير حزبًا ، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ ، فهم مؤمنون ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا ، مثل التَّعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل ، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم ، سواء كان على الحق أو الباطل ، فهذا من التفرق الذي ذمَّه الله تعالى ورسوله ، فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ، ونَهَيا عن الفرقة والاختلاف ، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ، ونَهَيا عن التعاون على الإثم والعدوان »[١] .

نعم للتعاون على البر والتقوى ولا للتحزُّب المفرق ، لا بد أن يكون ولاء الداعية لله ورسوله ﷺ فوق أي شعارٍ ، وإلا فدعوها فإنها منتنة .

الداعي عالي الهمة من يقول : ها أنا ذا :

وسط رياح الجاهلية التي تصفر صفيرًا شديدًا في ديار المسلمين الخالية ، لا بد من وجود الداعي عالي الهمة ، الذي يصرخ بالمسلمين

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٩٢/١١ .

مُستنهضًا ، فيعلو هتافُه على صفيرها ، يهدر بنشيد الإسلام الجديد الذي يشوق المسلمين سماعُه ... يعرف طريق العودة الصحيح ، ويفقه واقع المسلمين ، ويعلم سنن الله في الكون ، ويعلم دينه جيّدًا ، يدق صدره ويعلي صوته ليسمعه المسلمون ، ويقول : ها أنا ، فيلتفون حوله ويميّزون صيحته ونبرة تكبيره .

في مثل فترات الذُّهول التي تعيشها الأمة ، وغيبوبتها عن إدراك ذاتها ، الأمة بحاجةٍ إلى داعٍ يقول : « ها أنا » تعني إدراك الطريق الصحيح ، الذي يبدأ من تربية الفرد على معاني العقيدة الإسلامية الصافية ، فالأمة تولد من دعوة رجلٍ واحدٍ فقيهٍ ذي همة ، كما قال إقبال في ديوانه « الأسرار والرموز » ص١٠٨ : « تُولد الأمة من قلب جليل » .

صفاء عقائديّ وتجرُّد سلوكي .

« لا بد من طليعةٍ تعزم هذه العزمة وتمضي في الطريق » .

البعث الإسلامي والعودة الإسلامية « إنما تتحقق بأن تحمل المنهج جماعةٌ من الدعاة تؤمن به إيمانًا كاملًا ، وتستقيم عليه بقدر طاقتها ، تجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك »[(١)] .

« وهذه الطلائع هي الطلائع الموفقة الفائزة ، التي سيندم من لم يلتحق بها منذ الآن ، وسيتوجع كما توجع الصحابي ذو الجوشن الضبابي رضي الله عنه ، حين لم يسلم إلا بعد فتح مكة ، وقد كان رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام بعد بدر ، فقال له : هل لك إلى أن تكون من أوائل هذا الأمر ؟ قال : لا . قال : فما يمنعك منه ؟. قال : رأيت قومك كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ، فانظر ، فإن ظهرت عليهم آمنت بك واتبعتك ، وإن ظهروا عليك

---

(١) « هذا الدين » لسيد قطب ص٧ .

لم أتبعك ، فكان ذو الجوشن يتوجع على تركه الإسلام حين دعاه إليه رسول الله ﷺ .

وكم من أناسٍ لا يعدو منطقهم منطق ذي الجوشن ، يدعوهم واقع الدعوة الإسلامية إلى أن يكونوا الأوائل والمقدمة والنُّبلاءَ والقادة ورأس النَّفيضة ، فيأبون إلّا أن يكونوا مؤخرة ، وكم من إصبعٍ سيعضّ ندمًا يوم يختار الله الطلائع السائرة لإتمام نوره »[١] .

« إن لأفراد المسلمين وللدعاة أُسوةً وقدوةً في الحوار الشريف بين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، حين أمر الله إبراهيم ببناء الكعبة . قال إبراهيم عليه السلام : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمرٍ . قال : فاصنع ما أمرك ربي . قال : وتُعِينني ؟ قال : وأُعينك .

فهذا جواب المؤمنين دومًا بلا تلكُّؤٍ ولا تلعثم ، وإن الله قد أمر بنشْر دينه وإعادة حكمه ، ويجب أن تكون هذه الأعوان غير متخلفة ، وامض وبادر ، وكن وريث إسماعيل ، لا تقعد في بيتك ، لا تسمع نداء مستقبلك الوظيفي والتجاري ، فهنا في هذه الإجابة الإسماعيلية رأس مالك الحقيقي »[٢] .

لقد بكى رسول الله ﷺ عند قتل حمزة ، وقال : « ولكن حمزة لا بواكي له » . ألا مِنْ رجلٍ يحمل همَّ الإسلام في غربته ، ودعوة الإسلام ، أو يندب النادب ويقول : « ولكن الإسلامُ لا بواكي له » . يا له من دينٍ لو أن له رجالًا .

إن الدعوة إلى الله لا تقوم على أكتاف ضعفاء ليس لهم إرادة ولا همّة ... لا تزداد بأن نجمع ونضمّ أصفارًا بعضها إلى بعض .

---

(١) المنطلق ص١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) المنطلق ص١٦٧ - ١٦٨ .

لا بد من تربية الأفراد والدعوة .. وقلوب تضيء للسالكين وتتوقد شوقًا للعمل لدين الله .

قلوب الأحرار ، لا أنوار الثُّريّات ، نار العزم لا غيرها .

تنصب خيمتك في صحراء جاهلية القرن العشرين ، وتضرم نارك ليراها التائهون والمنقطعون فيقصدونها وينزلون خيمتك ، وتنادي ابنتك لُبَيْنى لتزيد لهب النار وتعلمها :

يا لُبَيْنَى أوْقِدِي طال المدى	أوقدي علَّ على النار هُدَى
أوقدي يا لُبْنَ قد حار الدليلْ	أوقدي النار لأبناء السبيلْ
ارفعي النار وأذْكِي جَمْرها	علّ هذا الرَّكْب يعشو شطْرَها
شردي هذا الظلام الجاثما	أرشدي هذا الفَرَاش الهائما
حبَّذَا النار بلَيْلٍ تُوقَدُ	حبّذَا المُؤْنِس هذا الموقِدُ
حبذا عندك هذا النُّزُلُ	لو حوانا في سِفارٍ منزلُ
ما لذَا المنزل قد سار الفريقْ	إنما النيران أعلام الطريقْ
زوِّدينا بهُيامٍ ووَجيبْ	زوّدي يا لُبنَ من هذا اللَّهِيبْ[١]

أوجه الخير ووسائل الدعوة كثيرةٌ لا نحقرها ، وكيف وقد أعلى من قدرها رسول الله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا »[٢]، وقوله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة ، والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله »[٣].

---

(١) لعزام من قصيدة « اللمعات » التي ألحقها بترجمته لديوان « رسالة المشرق » لإقبال .

(٢) رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي عن سهل بن سعد .

(٣) صحيح : رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٤٧٦) .

وبناء المساجد والمدارس والمصانع وحفر الآبار ، وأولى من هذا كله مصاولة الابتداع وأعداء الإسلام ، وكشف زيف الماسونية والعلمانية والزنادقة ، ونشر العلم والسنة أولى وأولى .

فقد جاء زهير بن أبي زهير تلميذ الإمام أحمد بن حنبل يسأله : « إن فلانا ربما سعى في الأمور ، مثل المصانع والمساجد والآبار ؟ قال : فقال لي أحمد : لا،نَفْسُه أولى به . وكره أن يبذل الرجل نفسه ووجهه »[(١)] .

فهناك بونٌ وبُعد شاسع بين الجهدين :

جهد السعي المجرد في مصالح الناس مهما أتعب البدن .

وجهد مواكبة الدعوة في شموها مواكبةً تستهلك البدن ، وتُرهق الفكر ، وتمتصّ رحيق الروح .

الداعي عالي الهمة يرفع للخير رايةً ، وينوي المرابطة للدعوة :

نعم يا أخي ، ارفع للخير راية ، تكبيرًا ينبّه ونارًا تلفت ، يبصرها أهل الخير فيتجمعون حولها ، فالجاهلية إن نظمت صفوفها ﴿ **فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفًّا** ﴾ فأحرى بدعاة الحق والإسلام التجرد المطلق له ، إن في الناس نزعاتٍ للحق كامنة ، وعاطفة للإسلام مستسِرَّة ، فاصبر لدعوة الإسلام ، وانوِ المرابطة ، فهذه أرض الإسلام لا تترك لغيره .

شأن الداعية الحرّ دومًا أن يصير على المقام والدعوة في دار الإسلام وإن علا صوت الباطل فيها ؛ ليلتقط من مجتمع مُسْتَخْزٍ فتيانًا صباح الوجوه والمقاصد ، لم يُصب قلوبهم وأبدانهم شيءٌ من دنيس الجاهلية وأمراضها وحرامها ، ويربّيهم ويغرز فيهم العمل لدعوة الإسلام وعزّه .

---

(١) طبقات الحنابلة ١٥٩/١ .

« نعم في المجتمع المستخزي الذي طال خضوعه للطغيان تجد : النفس تميل إلى الإسفاف ، وتخلد إلى الراحة ، وتهوى الهيّن من كل أمر .

ولكن في النفس – على هذا – نزوعًا إلى العلاء وشغفًا بالارتقاء ، وحنينًا إلى المكارم ، وشوقًا إلى العظائم .

إن فيها لجمرةً يغطّيها الرماد ، وشرارة يقدحها الزّناد ، فإن وجدت نافخًا في جمرها ، وقادحًا لشررها ، استيقظت ، وتحفزت ، وعملت ، وصعدت ، وكلما ذاقت لذة العمل والرقي ، زادت حبًّا له ، وهيامًا به »[1] .

ولهذا فإن المهاجر مخطيء ، إلا هجرة صاحب سرٍّ يخشى عليه ، أو هجرة صاحب فقه إلى من يحتاج إليه ، أو هجرة من يخشى الفتنة في دينه .

نُرابط في ديار الإسلام التي فتحها عمرو ، وعاش فيها الشافعي ، ونشأ بها الليث ، وأخرجت العسقلاني والطحاوي والسيوطي .

بلاد الليث مأوى الشافعيّ ... أنتركها لِفكْر المارقينا
سيوطيُّ الحديث يَنُوحُ يبكي ... وحافِظُنا يُجاوِبُه أنينا
ينادي العسقلاني يا بلادي ... أضعت الهَدْيَ كنّا حافظينا
فيا فسطاطَ عمرو العاصِ عودي ... يعود الطير كم نزح السنينا

عن سهل بن سعد : قال ﷺ : « رباط يومٍ في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها ... ». رواه البخاري وأحمد والترمذي .

أخي : إن الأرض لا تقدِّس أحدًا ، وإنما يقدس العبد عمله كما قال سلمان لأبي الدرداء:... إنما تقدّسنا الدعوة والمرابطة عليها في ديار الإسلام .

---

(١) دراسات إسلامية لسيد قطب ص٢٩ ، والمنطلق لمحمد أحمد الراشد ص١٩٠ ، ١٩١ .

لم نعرف الإسلام إلّا دعوةً وضّاءةً تُحيي الأنام وتُلهمُ

قيل لأحد فحول الرجال : « لنا حُوَيْجة » ، فقال : « اطلبوا لها رُجَيْلًا » . فالرجيل تشبع نفسُه بعمل اليسير ، أما الرجل فهو من كانت همته عالية ، قد رصد نفسه لضخام الأعمال ، ويأنف من صغارها .

وإن هذه الدعوة - والله - لهي شأن الرجال حقًّا الذين يضم سِربُهم كل مقدام ، أما أهل السكوت والخرس فليس فيهم إلّا رويجل .

قالوا : السعادة في السكو ن وفي الخمول وفي الخمودْ
في العيش بين الأهل لا عيشَ المهاجر والطريد
في المشي خلف الرَّكْب في دعةٍ وفي خَطْوٍ وئيد
في أن تقول كما يُقا لُ فَلَا اعتراض ولا رُدُود
في أن تسير مع القطيـ ـعِ وأن تُقاد ولا تقود
في أن تصيح لكل وا لٍ عاش عهدُكُمُ المجيد
قلتُ : الحياة هي التّحـ ـرك لا السُّكُون ولا الهمود
قلت : السعادة أن تُبـ ـلِّغ دين ذي العرش المجيد(*)
وهي التَّلـذُّذ بالمتا عبِ لا التَّلذّذ بالرقود[1].

الدعوة لدين الله بيعة قديمة مع الله :

قال تعالى: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيِّين لَمَا آتيتُكم من كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ مصدِّق لما معكم لتؤمنُنّ به ولتنصرُنّه قال أأقْررتمْ وأخذتم على ذلكم إصْري قالوا أقرَرْنا قال فاشْهدُوا وأنا معكم من الشاهدين**﴾. [آل عمران: ٨١].

قال ابن عباس : « ما بعث الله نبيًّا إلّا أخذ عليه الميثاق ، لئن بُعث محمدٌ وهو حَيّ ليؤمنَنَّ به ولينصُرَنَّه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أُمّته ؛ لئن بُعِث محمدٌ وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه » .

---

(١) قصيدة للقرضاوي سوى هذا البيت المشار إليه بالعلامة ★ .

وإذن فالبيعة علينا نحن الآن من ورثةِ محمدٍ ﷺ أوجبُ وأظهر ، إلزامًا وأولويّة .

وقال الله تعالى : ﴿ **لتؤمنوا بالله ورسوله وتُعزِّروه وتوقِّروه وتسبحوه بُكرةً وأصيلًا** ﴾ .

فالدعوة إلى الله ونصرة رسوله بيعةٌ مع الله وعهدٌ معه ، ورحم الله الزاهد جعفر الخلدي البغدادي حين قال : « ما عقدتُ لله على نفسي عقدًا فنكثتُه »[(١)] للدعاة في عهودهم سمت الوفاء ، فهل نوفي لله بعهده وبيعته .

كان ابن المبارك يتمثّل ببيتين كلّما خرج لصالحةٍ ، فيقول :

بُغض الحياة وخوف الله أخرجني ... وبيع نفسي بما ليست له ثمنَا
إني وزَنتُ الذي يبقى ليَعْدِلَه ... ما ليس يبقى فلا والله ما اتَّزنا[(٢)]

يا لها من صرخةٍ في المشرق كان ابن الجوزي إمام الدعاةِ يمدُّ بها صوته على شاطيء دجلة ببغداد ويهتف : « أوّل قدمٍ في الطريق : بذل الروح ، هذه الجادّة ، فأين السالك »[(٣)] .

وقالها رُويم البغدادي: «هو بذل الروح ، وإلّا فلا تشتغل بترهات»[(٤)] .

نعم ، بذل الروح للدعوة لدين الله .

الداعية عالي الهمة ليس من أصحاب العقُول المستريحة :

قَال أحمد بن داود أبو سعيد الواسطي : « دخلت على أحمد الحبس

---

(١) تاريخ بغداد ٢٢٩/٧ .
(٢) تاريخ بغداد ١٦٦/١٠ .
(٣) المدهش لابن الجوزي ص٢٩٩ .
(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ١٨٣ .

قبل الضرب ، فقلت له في بعض كلامي : يا أبا عبد الله : عليك عيال ، ولك صبيان ، وأنت معذور . كأني أسهل عليه الإجابة ، فقال لي أحمد ابن حنبل : إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد ، فقد استرحت »[١] .

وما أكثر ما يقال مثل هذا للدعاة اليوم ، وما أكثر من يفهم الإسلام ثم يحدّث نفسه بمثل هذا ، فيجبن وينزوي ولا يُشارك الدعاة سيرهم . وإنما هو حديث من استراح ، كما يقول الإمام أحمد ، وأما من لدغ واقع المسلمين قلبه ، فأنى له الراحة ؟! وأنى يدع لصبيانه وزوجه تخذيله وتقييده عن الاندفاع للدعوة لدين الله ؟ وهل الموت إلّا في آجالٍ ؟ إن عهد الدعوة لن يقدم أجلًا ولكنه يرفع إلى الفراديس .

فإن لم يكن المسلم مع أحمد ، أو مع وَرَثة أحمد ، وقعد لعذرٍ أو شبه عذرٍ ، فإنه مطالبٌ بالأسف وازدراء نفسه على الأقل ، ألّا يكون مع القوم الدعاة العاملين ، كما قيل للزاهد بشر بن الحارث الحافي يوم تعذيب أحمد بن حنبل : « قد ضرب أحمد بن حنبل إلى الساعة سبعة عشر سوطًا . فمدّ بشر رجْله وجعل ينظر إلى ساقيه ويقول : ما أقبح هذا الساق أن لا يكون القيد فيه نُصرةً لهذا الرجل »[٢] .

إن المسلم الصادق إنْ عذر نفسه وأفتاها بالتخلف عن ركب الدعاة ، خوفًا من الفتنة ، وبطش الطغاة « أو لنوع ضرورةٍ أو ضعفٍ يدريه من نفسه ، أو شبهةٍ ، عرف ما يوجبه ذلك من التواضع وترك التطاول على الدعاة ، ويظل يتهم نفسه في اجتهاده ، ويمنح الصابرين المقتحمين المتجردين للدعوة لسانًا جميلًا ، يكون لهم فيه نوع سلوةٍ وراحة ، وأما أسير هواه فيجادل ويثرثر ، ويقذف لسانه بكل لفظٍ صلب ، ألّا يوصف بتخلُّفٍ ،

---

(١) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ٤٣/١ .

(٢) مناقب أحمد ، لابن الجوزي ص١١٩ .

فيجمع بجداله نقصًا إلى نقصٍ ، والعياذ بالله »[١].

ليس على الداعية غير البلاغ :

عجبتُ لهم قالوا : تماديت في المنى ... وفي المثل العليا وفي المرتقى الصعبِ

فاقصرْ ولا تُجهد يَرَاعَك إنما ... ستَبْذرُ حَبًّا في ثرًى ليْسَ بالخصْبِ

فقلتُ لهمْ مهْلًا فما اليأسُ شيمتي ... سأَبْذر حَبِّي والثِّمارُ منَ الربِّ

إذا أنا أبلغتُ الرسالة جاهدًا ... ولم أجِدِ السمعَ المجيب فما ذنبي[٢]

يقول سيد قطب عن الدعاة : « أُجَرَاء عند الله ، أينما وحيثما وكيفما أرادهم أن يعملوا ، عملوا وقبضوا الأجر المعلوم ! وليس لهم ولا عليهم أن تتجه الدعوة إلى أيّ مصير ، فذلك شأن صاحب الأمر ، لا شأن الأجير »[٣].

﴿ واجعلنا للمتقين إمامًا ﴾ :

قال ابن القيم في « الروح » ص٢٥٢ : « ذكر سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه ، وأثنى عليهم في تنزيله ، وأحسن جزاءهم يوم لقائه ، فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم ، ثم قال : ﴿ **والذين يقولون ربّنا هَبْ لنا من أزواجنا وذُرِّيّاتنا قُرَّة أعينٍ واجعلنا للمتقين إمامًا** ﴾ [الفرقان : ٧٤]. فسألوه أن يُقِرَّ أَعْينَهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له سبحانه ، وأن يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته وعبوديته » .

الداعي عالي الهمة لا تشغله الدعوة عن عبادته :

لا بد من التوازن بين حق النفس من التربية والعبادة ، وبين حق

---

(١) المنطلق ص٢٣٣ .

(٢) للقرضاوي- مجلة «المباحث المصرية» عدد ٣١ سنة ١٩٥١ ، المنطلق ص٢٣٧ .

(٣) معالم في الطريق ص١٨١ .

المدعوين ؛ فإن الداعي قد ينغمس بكل خلجة فيه إلى تربية الذين يدعوهم وينسى نفسه ، قال ﷺ : « مثل الذي يعلّم الناس الخير وينسى نفسه ، كمثل السّراج يُضيء للناس ويحرق نفسه »[(١)] .

قال ابن المنكدر : « العلم يهتف بالعمل ، فإن أجابه ، وإلّا ارتحل » .

فلا بد على الداعي أن يأخذ بالقسط الوافر من العلم والعبادة ؛ من قيامٍ وصيام وذكر ، وإلّا قسا القلب .

الربانية على نهج السلف علو همّة ، والأسوة هي علم الدعْوة :

باطلٌ ظنّ مَن يتوهم عدم وجوب شرط القدوة ، كيف وقد قال الله تعالى : ﴿ **ولكنْ كونوا رَبّانِيِّين بما كنتم تُعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

قال مجاهد : هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره ، فهم أهل الأمر والنهي .

قال ابن تيمية : « وذلك هو المنقول عن السلف في الرباني : نقل عن عليٍّ قال : هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها . وعن ابن عباس قال : هم الفقهاء المعلّمون . وقلت : أهل الأمر والنهي هم الفقهاء المعلّمون . وقال قتادة وعطاء : هم الفقهاء العلماء الحكماء .

قال ابن قتيبة : واحدهم رَبّانِي ، وهم العلماء المعلِّمون ... » . ثم ختم فقال : إنهم « منسوبون إلى التربية »[(٢)] .

قال ابن تيمية : (٥/٦١) : إن الرباني منسوب إلى الرَّبّ ، فزيادة الألف والنون كاللحياني ، وقيل : إلى تربية الناس ، وقيل : إلى رَبّان السفينة،

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه الدارمي والترمذي وقال : حسن صحيح ، وقال الألباني : إسناده صحيح . انظر : اقتضاء العلم العمل ص١٦ ، ١٧ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦٣/١ .

وهذا أصح ، فإن الأصل عدم الزيادة في النسبة لأنهم منسوبون إلى التربية ، وهذه تختص بهم ، وأما نسبتهم إلى الرب فلا اختصاص لهم بذلك ، بل كل عبدٍ له فهو منسوب إليه .

وهي تدل على إيمانٍ وعبادةٍ وتَألُّهٍ .

قال ابن الحنفية لما مات ابن عباس : اليوم مات ربَّانِيُّ هذه الأمة ، وذلك لكونه يؤدِّبهم بما آتاه الله من العلم .

قال إبراهيم : كان علقمة من الرّبّانيّين .

وفي الربانيين :

قال سعيد بن جبير : حكماء أتقياء .

وقال الحسن : فقهاء علماء . وقال : لولا العلماء لصار الناس كالبهائم .

قال ابن القيم :

« وأولى الأقوال عندي بالصواب ، أنها جمع رباني ، وأن الرباني المنسوب إلى الربان الذي يربي الناس ، وهو الذي يصلح أمورهم ويربها ويقوم بها .

قال علقمة بن عبد :

وكنت امرأ أفْضَتْ إليك ربابتي وقَبْلَكَ ربّتني فضِعْتُ ربوبُ

ربتني : ولي أمري والقيام به قبلك من يربه ويُصلحه .

رب أمري فلان فهو يربه ربًّا وهو رابه ، فإذا أُريد به المبالغة في مدحه قيل : هو ربان » .

وعلى أساس التربية الإسلامية الصافية من نبع الكتاب والسنة بفهم السلف وذوقهم يكون المدح ، وإلّا فالربانيون يذمون تارة ويمدحون تارة ، والخلفاء أفضل ولم يسموا ربانيين .

فكل قدوة ومرب على غير فهم السابقين نقول له : « اقصد البحر وخل القنوات » . فحينئذٍ يشع النور ، ويهتدي المدعو برؤية الداعي قبل كلامه .

« لما هم إمام مصر الليث بن سعد بفعل مفضول ينافي العزيمة ، قال له يحيى بن سعيد الأنصاري : لا تفعل ؛ فإنك إمامٌ منظورٌ إليك » .

ويرحم الله من قال : « من لم تهذبك رؤيته ، فاعلم أنه غير مهذب ، ومن لم ينعشك عبيره على بعدٍ ، فاعلم أنه لا طيب فيه ، فلا تتكلف لشمه » .

والداعية الصادق تستمر هيبته الإيمانية في تعاظم ، وتظل في تصاعد ما تصاعدت هيبته لله تعالى وتعاظمت اهتمامات قلبه بدعوته ، حتى يغدو منظره قاطعًا لغفلة ناظره .

وقال الشافعي : من وعظ أخاه بفعله كان هاديًا .

وكان عبد الواحد بن زيد يقول : « ما بلغ الحسن البصري إلى ما بلغ ، إلا لكونه إذا أمر الناس بشيءٍ ، يكون أسبقهم إليه ، وإذا نهاهم عن شيءٍ ، يكون أبعدهم منه » . وقد قيل : « من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه »[(١)].

نعم : من لا ينتفع بصمت العالم لا ينتفع بعلمه .

« إن الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله أكثر مما يكلمهم بلسان قوله ، فإذا نظر الصادق إلى تصاريفه في مورده ومصدره ، وخلوته وجلوته ، وكلامه وسكوته ، ينتفع بالنظر إليه ، فهو نفع اللحظ ، ومن لا يكون حاله وأفعاله هكذا ، فلفظه أيضًا لا ينفع . ونورانية القول على قدر نورانية القلب ، ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها » . وهذا من جيد الكلام .

---

(١) المنطلق ص٢٥٥ - ٢٥٦ .

ومثله من كلام التابعين قول شهر بن حوشب : « إذا حدث الرجل القوم ، فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه » .

وقال مالك بن دينار : « إن العالم إذا لم يعمل بعلمه ، زلت موعظته عن القلوب ، كما تزل القطرة عن الصفا » .

ويرحم الله الرافعي ، حيث قال : « إن الموعظة إن لم تتأد في أسلوبها الحي كانت بالباطل أشبه ، وإنه لا يغير النفس إلا النفس التي فيها قوة التحويل والتغيير ، كنفوس الأنبياء ، ومن كان في طريقة روحهم ، وإن هـذه الصناعة إنما هي وضع نور البصيرة في الكلام ، لا وضع القيـاس والحجة ، وإن الرجل الزاهد الصحيح الزهد إنما هو حياة تلبسها الحقيقة لتكون به شيئًا في الحياة والعمل ، لا شيئًا في القول والتوهم ، فيكون إلهامها فيه ، كحرارة النار في النار ، من واتاها أحسها .

ولعمري ، كم من فقيه يقول للناس : هذا حرام ، فلا يزيد الحرام إلا ظهورًا وانكشافًا ، ما دام لا ينطق إلا نطق الكتب ، ولا يحسن أن يصل بين النفس والشرع ، وقد خلا من القوة التي تجعله روحًا تتعلق الأرواح بها ، وتضعه بين الناس في موضعٍ يكون به في اعتبارهم كأنه آتٍ من الجنة منذ قريب ، راجع إليها بعد قريب .

والفقيه الذي يتعلق بالمال وشهوات النفس ، ولا يجعل همه إلا زيادة الرزق بالمال وشهوات النفس ، وحظ الدنيا ، هو الفقيه الفاسد الصورة في خيال الناس ، يفهمهم أول شيءٍ ألا يفهموا عنه »[١] .

« إن الأسوة وحدها هي علم الحياة »[٢] .

ودعوتنا هي الحياة .

---

(١) ، (٢) وحي القلم للرافعي ٢/٢٠١ ، ٢/١١١ .

فالأسوة وحدها علم الدعوة .

وعلم الدعوة كله هو الأسوة الصادقة(١) .

أخي : إن الواو والراء والدال لا يشم منها رائحة الورد ، فكن بالخير موصوفًا ولا تكن للخير وصافًا .

« إن عمر بن الخطاب أبقى معه الأحنف بن قيس – وكان متكلمًا لبقًا داهية – في المدينة سنةً يراقبه ، ثم قال له : يا أحنف ، قد بلوتك وخبرتك ، فلم أرَ إلَّا خيرًا ، ورأيت علانيتك حسنةً ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، فإنا كنا نتحدث : إنما يهلك هذه الأُمّة كل منافقٍ عليمٍ »(٢) .

كم من المتكلمين بالإسلام ترى الدعاية ترفعه ، فإذا عاملته وجدته مصلحِيًّا جافّ القلب والروح . وحقًّا قال عبد الوهاب عزام :

إن في الناس أوجُهًا لامعاتٍ تملأ العين زهــرة ورواءَ
ويراها البصير صورة زهــر لم تهبها الحياة عطرًا وماءَ(٣)

ولمثل هذا دأَبَ السلف الصالح على كثرة التوصية بضرورة مثل هذا الاختبار ، كقول الحسن البصري : « اعتبروا الناس بأعمالهم ، ودعوا قولهم ، فإن الله لم يدع قولًا إلا جعل عليه دليلًا من عملٍ يصدقه أو يكذبه ، فإذا سمعت قولًا حسنًا ، فرويدًا بصاحبه ، فإن وافق قوله عمله فنعم ، ونعمة عَيْنٍ ، فآخِهِ ، وأحْبِبه ، وأوْدِده ، وإن خالف قولًا وعملًا ، فماذا يشبه عليك منه ، أو ماذا يخفى عليك منه ؟! إياك وإياه ، لا يخدعنك »(٤) .

---

(١) المنطلق ص٢٥٧ – ٢٥٨ .

(٢) طبقات ابن سعد ٩٤/٧ .

(٣) ديوان المثاني ص٨١ .

(٤) الزهد لابن المبارك ص٢٦ .

« إنها الوصية القديمة ، ولكن القلوب تغفل ، وشهوة الوصول السريع ، أو شهوة التكاثر بالأنصار ، تلهي ، وتدعو إلى التجاوز عن العلم الموروث »[1].

عالي الهمة من الدُّعاة ليس هدفه التجميع القطيعي :

« من المزالق أن تسير الدعوة وراء رجل الشارع حريصةً عليه قبل حصول المقدار اللازم من الوعي الإسلامي والعدد الكافي من أصحاب التربية الصلبة .

إن المتولعين بالسياسة من الدعاة ، يريدون للدعوة أن تدخل في سباقٍ مع الأحزاب لاكتساب رجل الشارع ، والغوغاءِ ، والدهماء ، والمصفقين ، الذين هم مادة الأحزاب الجاهلية الأرضية وعنصر حياتها ؛ لأن هذه الأحزاب تستطيع أن تبدِّل وتحور برامجها وفق طلبات هؤلاء ، وتبعًا لاستهلاك السوق .

أما الدعوة الإسلامية ، فما بمثل هؤلاء تنتصر ، وما بمثل هؤلاء تغير مجرى الحياة.إن التجميع القطيعي ممكِنٌ ، لكنه لا يستمر طويلًا »[2] .

يقول الشيخ البنا : « التدرج في الخطوات وانتظار الزمن وعدم التسرع بالنتائج ، فلكل أجلٍ كتابٌ » . والزمن جزء من العلاج ، وهذا يقي الدعوة المصارع .

إن الطريق التربوي : صعب ... طويل ... بطيء . يسبقنا فيه الأرضيون لوقتٍ ... يسقط فيه بعضنا ... وتفوتنا بعض المغانم فيه ... لكنه طريقٌ مأمون ، ثابت ، مضمون .

طريق واحد أصيل لا ثاني له : « أقيموا دولة الإسلام في صدوركم .. تقم في أرضكم » .

---

(١) المنطلق ص٢٥٩ - ٢٦١ .

(٢) المنطلق ص٢٤٠ - ٢٤١ .

إنك واجدٌ كثيرًا من الدعاة الإسلاميين والجماعات الإسلامية ، يفنون أعمارهم وهم يلهثون وراء إقامة حُكم إسلامي ، أو المطالبة بدولة إسلامية ، فإذا حاققتهم ، وجدتهم غارقين في المخالفات الشرعية ، والأحوال الشركية ، والأفعال البدعية - إلّا من رحم ربي سبحانه - ناسين أو متناسين ، جاهلين أو متجاهلين « أنَّ قيام حكم إسلامي في أي بلدٍ لن يجيء عن مثل هذه الطرق ، وأنه لن يكون إلا بمنهجٍ بطيءٍ طويل المدى ، يستهدف القاعدة لا القمة ، ويبدأ من غرس العقيدة من جديد ، والتربية الإسلامية الأخلاقية ، وأن هذا الطريق الذي يبدو بطيئًا طويلًا جدًّا ، هو أقرب الطرق وأسرعها »[1] .

« إذ إن الوصول إلى تطبيق النظام الإسلامي والحكم بشريعة الله ، ليس هدفًا عاجلًا ؛ لأنه لا يمكن تحقيقه إلا بعد نقل المجتمعات ذاتها - أو جملة صالحة منها ذات وزن وثقل في مجرى الحياة العامة - إلى فهمٍ صحيح للعقيدة الإسلامية ، ثم للنظام الإسلامي ، وإلى تربية إسلامية صحيحة على الخلق الإسلامي ، مهما اقتضى ذلك من الزمن الطويل والمراحل البطيئة »[2] .

والخلاصة: «إن تحكيم الشريعة، وإقامة الحدود، وقيام الدولة الإسلامية واجتناب المحرمات وفعل الواجبات ؛ كل هذه الأمور من حقوق التوحيد ومكملاته ، وهي تابعةٌ له ، فكيف يعتنى بالتابع ويهمل الأصل ؟! »[3].

التوحيد منطلق الدعوة إلى الله وغايتها :

أُسُّ الدعوة إلى الله التوحيد ، وزبدةُ رسالات الرسل .

---

(١) « لماذا أعدموني » . سيد قطب ص٦٧ .

(٢) « لماذا أعدموني » . سيد قطب ص٢٩ .

(٣) الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي ، لعلي حسن عبد الحميد ص٣٦ - ٣٧ ، دار الصحابة .

« التوحيـد منطلق الدعوة إلى الله ، وغايتها ، فلا دعـوة إلى الله بدونه ، مهما تسمت باسم من أسماء الإسلام ، وانتسبت إليه ، وذلك أن الرسل جميعًا ، وعلى رأسهم سيدهم وخاتمهم محمد ﷺ كانت دعوتهم إلى توحيد الله بدءًا وغايةً ونهايةً ، فكل رسول قال لقومه أول ما قال : ﴿ **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره** ﴾ »[1].

يقول الشيخ سيد قطب في الظلال (٢/٩٤٠، ٩٤١) : « إن دين الله ليس راية ولا شعارًا ولا وراثة !! إن دين الله حقيقة تتمثل في الضمير وفي الحياة سواء ، تتمثل في عقيدة تعمر القلب وشعائر تقام للتعبد ، ونظام يصرف الحياة ... ولا يقوم دين الله ، إلا في هذا الكل المتكامل ... وكل اعتبارٍ غير هذا الاعتبار تمييعٌ للعقيدة ، وخداع للضمير .

وصاحب الدعوة لا يكون قد بلغ عن الله إلّا إذا أبلغهم حقيقة الدعوة كاملةً ... وحين يجمجم صاحب الدعوة ويتمتم ولا يبين عن الفارق الأساسي بين واقع الناس من الباطل وبين ما يدعوهم إليه من الحق ، حين يفعل هذا صاحب الدعوة - مراعاةً للظروف والملابسات - يكون قد خدعهم وآذاهم .

إن التلطف في دعوة الناس إلى الله ، ينبغي أن يكون في الأسلوب الذي يبلغ به الداعية ، لا في الحقيقة التي يبلغهم إياها ... إن الحقيقة يجب أن تبلغ إليهم كاملةً ... أما الأسلوب فيتبع المقتضيات القائمة ، ويرتكز على قاعدة الحكمة والموعظة الحسنة » .

إن مصلحة الدعوة لا تكون في بعد الناس عن تعلم عقيدتهم ، أو بيان بدع الناس وما هم عليه من البعد عن السنة .

---

(١) من مقدمة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق لكتاب « منهج الأنبياء » ص١١ .

يقول الشيخ سيد قطب ، رحمه الله : « إن كلمة « مصلحة الدعوة »[١] يجب أن ترتفع من قاموس أصحاب الدعوات ؛ لأنها مزلة ، ومدخل للشيطان ، يأتيهم حين يعز عليه أن يأتيهم من ناحية مصلحة الأشخاص .

ولقد تتحول « مصلحة الدعوة » إلى صنم يتعبده أصحاب الدعوة ، وينسون معه منهج الدعوة الأصيل .

إن على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على منهجها ، ويتحروا هذا المنهج ، دون التفاتٍ إلى ما يعقبه هذا التحري من نتائج ، وقد يلوح لهم أن فيها خطرًا على الدعوة وأصحابها .

فالخطر الوحيد الذي يجب أن يتقوه هو خطر الانحراف عن المنهج لسببٍ من الأسباب ، سواء كان هذا الانحراف كثيرًا أو قليلًا ، والله أعلم منهم بالمصلحة ، وهم ليسوا بها مكلفين ، إنما هم مكلفون بأمرٍ واحدٍ : ألَّا ينحرفوا عن المنهج ، وألَّا يحيدوا عن الطريق »[٢] .

الدعوة إلى الله شرفٌ في الغاية ، طهارةٌ في الوسيلة :

الدعوة إلى الله وسيلة لإقامة العبودية في النفس ، ونشرها بين الناس ، وهي في نفسها عبادة .

والأصل في العبادات التوقف والبطلان حتى يقوم دليلٌ على الأمر . فلا مجال هِنا للتجارب الشخصية ، ولا للاجتهادات الفكرية ... بل المجال أبدًا مجال تعبُّد ، ليس للأقيسة والآراء فيه موضع !! فهو شرف في الغاية وطهارة في الوسيلة ، فلا يسوغ لنا أن نلبس الدعوة إلى الله لباس تنظيمٍ

---

(١) بدون الضابط الشرعي للمصالح والمفاسد .

(٢) في ظلال القرآن سيد قطب (٥/٦١٧) .

أجنبيٍّ عنها ، واستفراغ الجهد فيه ، مما يؤول بالهدم والإسقاط لأصول الدعوة وبنيتها الأساسية .

فالدعوة تتكون من وسيلة وغاية : حقيقة الدعوة أمر ثابت لا يتغير بتغير الأزمان والمكان والأحوال ، والأصل في وسائل نشر الدعوة كذلك التوقيف على منهاج النبوة ، إذ « كل ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادةٌ »[١] .

والوسائل للدعوة هي في عصرنا – وفيما قبله وبعده – لا بد أن تكون هي وسائل الدعوة التي بعث بها النبي ﷺ ، وبلغ فيها الغاية ، ولا تختلف في عصرنا مثلًا إلّا في جوانب منها مرتبطة بأصولها التوقيفية . ولكن هذا التغيير مأسورٌ بمضمار الشرع ، موزون بمقاييس الكتاب والسنة ، فمتى اختل شيءٌ منه ، وجب إبعاده ، والبراءة منه .

أمّا وسيلة محدثة يتعبد بها فلا ، إذ « طريق الدعوة طريق واحد سار عليها رسول الله ﷺ وصحابته من قبل ، وسار الدعاة ، ونسير عليها بتوفيقٍ من الله من بعد ، إيمان وعمل ، ومحبة وإخاء »[٢] .

هذه نصيحتنا للذين يدعون إلى الله ولا يقدمون بين يدي الله ورسوله ، ليس للمخذولين ولا للمتخاذلين ولا للناكصين ولا للمتحمسين الفارغين .

إلى الذين لا يستريبون قيد شعرةٍ بصدق وحقيقة قول نبيهم ﷺ : « تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك » ... عملًا لا ادعاءً ، تطبيقًا لا أماني خياليةً ، فيعلمون أنها المحجة ... وبها

---

(١) العبودية لابن تيمية ص٦٦ .

(٢) الدعوة إلى الله لعلي حسن عبد الحميد ص٤٧ – ٤٨ .

الحجة ، فلا عاطفة تحرفهم ، ولا واقع يزيغهم ... غايتهم السامية العمل بطاعة الله ... رجاء رحمة الله ... على نورٍ من الله .

لا تحك رأسك إلا بأثر :

« إن استطعت أن لا تحك رأسك إلّا بأثر ، فافعل » .

قال أبو العالية : « عليكم بالأمر الأول ؛ الذي كانوا عليه قبل أن يتفرقوا » .

قال عاصم الأحول : فحدثت به الحسن البصري فقال : « قد نصحك والله وصدقك » .

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه قال : « كنا نأتي زيد بن صوحان ، فكان يقول : يا عباد الله ، أكرموا ، وأجملوا ؛ فإنما وسيلة العباد إلى الله بخصلتين : الخوف والطمع . فأتيته ذات يوم وقد كتبوا كتابًا ، فنسقوا كلامًا من هذا النحو : إن الله ربنا ، ومحمد نبينا ، والقرآن إمامنا ، ومن كان معنا كنا وكنا ، ومن خالفنا كانت يدنا عليه وكنا وكنا . قال : فجعل يعرض الكتاب عليهم رجلًا رجلًا ، فيقولون : أقررت يا فلان ؟ حتى انتهوا إليّ ، فقالوا : أقررت يا غلام ؟ قلت : لا ! قال - يعني زيدًا -: لا تعجلوا على الغلام ، ما تقول يا غلام ؟ قلت : إن الله قد أخذ علي عهدًا في كتابه ، فلن أُحْدِث عهدًا سوى العهد الذي أخذه علي . فرجع القوم من عند آخرهم ، ما أقر منهم أحد ، وكانوا زهاء ثلاثين نفسًا »[1] .

وهذه قصة عجيبة تبين كيف كان فهم السلف - رضوان الله عليهم - للعمل الجماعي ، وأنه لا يخرج في شكلٍ ولا مضمونٍ عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وليتعلم منها الدعاة أن الأعمال الشرعية والأقوال الدينية ، يجب أن توضع في قالبها الشرعي ، دون أي شيءٍ مما هو حادث مما لا دليل

---

(١) حلية الأولياء (٢/٢٠٤) ، وسير أعلام النبلاء (٤/١٩٢) بسند صحيح .

عليه . فأين من هذا مما يسمونه البديل الإسلامي ، والمسارح الإسلامية ؛ التبعية والتقليد المناقض لأصول الشخصية الإسلامية في وضوحها واستقلالها ، بَدَلًا من التحايل والتمييع وتتبع الرخص والزلات و « عصرنة الإسلام » .

وليتعلم الدعاة منها : سماع الحق من أي إنسانٍ كان ، سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا ، طالما أن الحجة معه والدليل يرافقه ، وأن الكثرة أو القلة ليست معيارًا للخطأ والصواب .

ولتعلم يا أخي أن العمل الجماعي - بصفته السنية - والتعاون على البر والتقوى ، ذو ثمرةٍ جليلة ، أما ما يشم منه رائحة تحزُّبٍ أو افتراقٍ عن الأُمة بشكلٍ أو مضمونٍ ، فلا .

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٥/٢٨ - ١٦) : « وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ، ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء ، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى » .

ويقول رحمه الله (٥١٢/١١) : « وليس لأحدٍ أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته ، ويعادي على ذلك ، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ، وما عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ، ولا يخص أحدًا بمزيد موالاةٍ ، إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه ، فيقدم من قدم الله تعالى ورسوله عليه ، ويفضل من فضل الله ورسوله » .

علو الهمة في دعوة غير المسلمين للإسلام .

رَجُلٌ يُسلم على يديه أربعةُ آلافٍ من الأجانب :

هذا الرجل المبارك الأُمّة المهندس محمد توفيق بن أحمد مؤسس « دار تبليغ الإسلام » أثناء إقامته في سويسرا في بعثة هندسية (١٩٢٩ - ١٩٣١) يعمل في صمتٍ منذ خمسة وستين عامًا ، ومحرر مجلة البريد الإسلامي

وصاحب امتيازها ، والذي أسلم على يده أربعة آلاف من الأجانب ، منهم قسيس يعمل أستاذًا للأدب في جامعة الفاتيكان ، وقاضي جزيرة سان موريس ، والقائد الهولندي « كلنجر » الذي أسمى نفسه « محمد توفيق كلنجر » تيمنًا باسم صديقه الأستاذ محمد توفيق .

أصدر بداية مجلة اسمها « التقوى » وطبع من العدد الأول منها ألف نسخة ، ووزعها فانتشرت بحمد الله انتشارًا واسعًا ، وكان يكتب عليها – كما يكتب على مجلة « البريد الإسلامي » –: « اقرأها وأعطها لغيرك مشكورًا » . وواصل إصدار « التقوى » حتى سنة ١٩٣٥ .

ولَمَّا رشح في بعثة هندسية إلى سويسرا عام ١٩٢٩ ، يقول : « وهناك شعرت بحاجة الأوروبيين للحصول على فكرةٍ صحيحة وموضوعية عن الإسلام ، ومن ثم بدأ العمل لتبليغ الإسلام « دار تبليغ الإسلام » وهو اسم معنوي كنت أعمل من ورائه ولا زلت ، وكانت كل الرسائل والإعلانات التي أبعث بها إلى الصحف الأوروبية ، أو أنشرها من خلالها : باسم محمد توفيق محرر مجلة « التقوى » في القاهرة ، وكنت أتسلم كثيرًا من الرسائل على المنزل الذي كنت أسكن فيه ، وبالطبع كنت أرد عليها ، وفي كل مكانٍ كنت أتواجد فيه ، أجد كثيرًا من الأسئلة المتعلقة بالإسلام والمسلمين ، وكانت صورة الإسلام مشوهة من أعداء الإسلام والمستشرقين ، ومن حَسَنِي النية الذين يصدقون كل ما يقرءون فيعتقدون أن الإسلام بهذه الصورة ، وذات مرة قام أحد المبشرين واسمه روبلي أو دكتور روبلي ، مفتش التبشير في أسوان في ذلك الوقت ، وكان بصدد جمع تبرعات للمساعدة في خدمات المستشفى التبشيري في مصر ، ونشر في الصحف أنه سيلقي محاضرة عن مصر وفلسطين ، وحدد موعدها وحث الجمهور لحضوَرها ، وكان مكان المحاضرة في أحد المعابد الأوروبية وتصورت

وقتها أنه سيتعرض في محاضرته للإسلام ، وفعلًا تناول في حديثه أشياء كثيرة تمس الإسلام ، وتحدث في مواضيع كثيرة عن العرب وفلسطين ومصر ، وقد حمل الرجل صورًا معه إلى المحاضرة ، تسيء إلى الإسلام وإلى مصر أبلغ إساءة ، ومن الصور التي عرضها بالفانوس في هذا الوقت ، صورة جمل ، وسيدة تركب خلف الرجل في المكان المنحدر من مؤخرة الجمل تكاد تسقط ، ليوحي بهذا أن معاملة الرجل للمرأة في الإسلام سيئة . ثم قال : هل تتخيلون كيف يتم الزواج هناك ؟!- القول للدكتور روبلي - المرأة عند المسلمين تباع ، فهناك التي يشتريها الزوج عند الزواج بعشرةِ جنيهات[1]، وأُخرى بعشرين ، وثالثة بخمسين ، كأنك تشتري عنزًا أو جاموسة ، يمكنك أن تشتري المرأة ، ويمكنك أن تتزوج ممن تعجبك بأي عدد تشاء - ولم يحدد الدكتور روبلي عدد النساء بأربع كما هو معروف !! .

وبعد هذا عرض د . روبلي صورة أُخرى لرجلين يمشيان ، أحدهما مغزله يغزل به وأمامه زوجه تحمل حملًا ثقيلًا من القمح ، قدره د . روبلي حسب الصورة بأنه أربع كيلات ، وقال للمشاهدين الذين يشاهدون الصورة : هل تعرفون كم تحمل هذه المرأة ؟ إنها تحمل ما يساوي أربع كيلات من القمح ، وبالرغم من ذلك يقول زوجها لصاحبه : سأطلقها بالرغم من تفانيها وتعبها في خدمته ، وبعد ذلك قال لهم : الآن سأعرض عليكم صورة لأكبر مستشفى رمدي في مصر في القاهرة ، وجاء بصورة ضريح السيدة نفيسة ، وتظهر فيه حلقات في جوانب الضريح ، وجاء بأناس تظهر عيونهم بصورة قبيحة جدًّا ، وقد وضعت عليها طبقاتٌ من الطين بشكل قبيح ، تتقزز منه العين ، وقال : هذه الطبيبة - السيدة نفيسة - من نسل النبي أُرسلت إلى مصر لتعمي المصريين !! وقال لهم : هل تعرفون كم عدد

---

(١) إشارة إلى المهر في الثلاثينيات من القرن العشرين .

العميان في مصر ؟ وأجاب : إنهم يمثلون (٣٠٪) ! وعندما انتهت المحاضرة قدم المحاضرون التبرعات لهذا المبشر ، ورغبت في أن أرد على د . روبلي ، غير أن لغتي الألمانية لم تكن تسعفني في هذه المهمة ، فقلت كلماتٍ قصيرة في نهاية المحاضرة ، واستمع إليها الحاضرون ؛ مؤداها أن لي تعليقًا قصيرًا ستقرءونه في الصحف ، وأثناء خروجي اعتذرت له عن الإسهام في تقديم التبرعات ، وعندما ذهبت إلى البيت قالت لي المرأة التي كنت أسكن عندها - غاضبةً - وقد حضرت : هل دينكم بهذا الشكل ؟ وهل الحياة في بلادكم على هذه الصورة القبيحة ؟! غير أني لم أنم تلك الليلة ، وجئت بجميع القواميس في محاولة مني لكتابة ردٍّ يصحح ما أثاره مفتش التبشير في محاضرته من أكاذيب ومغالطات ، وفي الصباح صححت لي هذه المرأة الرد المكتوب بلغةٍ ركيكة ، وبعثت بهذا الرد إلى الصحف ، وقد نسخت منه ثماني نسخ ، ونشرت الصحف الرد في صفحاتها الأولى ، وذكرت أنه لمحمد توفيق محرر مجلة « التقوى » بالقاهرة ، ومن هنا كانت الحاجة ماسة لتأسيس « دار تبليغ الإسلام » ؛ لتقوم بتقديم مفهوم صحيح عن الإسلام ، ولتساعد الأجانب الراغبين في معرفة الحقيقة فيما يتصل بالإسلام ، بلغاتهم الحية في مواجهة حملات التضليل والأكاذيب والتعصب »[1] .

والغريب أن المهندس محمد توفيق أثناء إقامته بالفيوم درس في مدرسة تبشيرية ، وغضب والده وطرده من البيت ، وأقام إقامة داخلية بهذه المدرسة ، واكتشف بفطرته أباطيل الإنجيل ، وكتب في ذلك ثلاث كراريس

---

(١) « رجل من أمّة التوحيد أسلم على يده ٤٠٠٠ من الأجانب » لعبد اللطيف الجوهري ص٢٢ - ٢٥ . دار الصحوة للنشر .

مدرسية ، رد بها على مستر « جلوي » مفتش التبشير ، الذي لم يستطع الإجابة ، وما قال له إلا : إن الذي كتب هذا الكلام شيطان وليس أنت . وضاق ذرعًا بالمدرسة التبشيرية ، وعاد إلى أحضان أبويه بعد أن اطلع عمه - وكان ذا دينٍ - على ما كتبه ابن أخيه ردًّا على الإنجيل .

يقول الأستاذ عبد اللطيف الجوهري - مؤلف كتاب « رجل من أمة التوحيد أسلم على يده ٤٠٠٠ من الأجانب » - للمهندس محمد توفيق ، أثناء حواره معه الذي ذكره في كتابه ، وكان هذا الحوار سنة ١٤٠٧هـ الموافق يونية سنة ١٩٨٧ ، ونشر في مجلة « منار الإسلام » الظبيانية الغراء ص١٠٨ - ١١٣ : « ماذا عن رقم آخر بطاقة تزف للمسلمين بشرى ميلاد مسلم جديد . وما قصة إسلامه باختصار ؟ فقال الشيخ محمد توفيق : آخر بطاقة رقم (٣٣٣٤) وصاحبها هولندي ، جاء إلينا فأعطيته رسائلي ليقرأها ، ولكن لم أرَ منه الحماس الكافي لاعتناق الإسلام ، وفي مرة أُخرى زارني في صحبة صديق إنجليزي معه شديد التحمس إلى الإسلام ، فعندما رأى هذا الحماس لدى الإنجليزي ، عاد إليّ بعدما تفرغ لدراسة الإسلام ، وأقر بالشهادتين وكتب إقرارًا بالإسلام وأسلم »[1] .

كان الشيخ المهندس محمد توفيق يراسل مثقفي العالم الذين يريدون فكرة صحيحة عن الإسلام ، ويتلقى آلاف الرسائل على صندوق بريده رقم (١١٢) في القاهرة من مختلف أنحاء العالم .

يقول رحمه الله : « إن اتجاهي لتبليغ الإسلام للأجانب ، دفعني إليه - بالإضافة إلى واجب التبليغ على كل مسلم - افتتان العرب والمسلمين بالأجانب ، فيما يعرف « بعقدة الخواجة » فأردت أن أتخذ من الأجانب

(١) رجل من أمة التوحيد ص٢٧ .

حقلًا للدعوة الإسلامية ، فإذا أسلم هؤلاء الأجانب ، لفت ذلك أنظارنا في بلاد العرب والمسلمين - مما يلفتنا - إلى عظمة ديننا وضرورة الالتجاء إليه والتشبث بهديه »[١] .

ويقول : « إنني في مجال تبليغ الدعوة للأجانب ، لا أترك الأجنبي الذي يراسلني بصدد دعوة الإسلام ، إلا بعد ما يعلن الشهادتين ، وفي العادة قد تطول المراسلة أو تقصر ، وأقصر مراسلة انتهت بإعلان إسلام أحد الأجانب من ألمانيا استمرت شهرين ، وأطولها استمرت سبعة عشر عامًا مع رجل من تشيكوسلوفاكيا ، ومع هذا الأخير الذي كانت تربطني به صداقة ، وكان يتردد على القاهرة ويتفضل بزيارتي ، وكان مصرًّا على التمسك بعقيدته ، بيد أنه جاءني ذات مرة ، بعد مرور سبعة عشر عامًا على صداقتنا ، وقال لي : إنني أحمل لك مفاجأة ، فقلت له : ما هي ؟ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله »[٢] .

رحمه الله ، لقد تفرغ تفرغًا تامًّا لمراسلة الأجانب والرد على استفساراتهم طوال عمره المبارك الذي يناهز التسعين عامًا .

كتب إليه رجلٌ نصراني أجنبي : إن عمري ثمانون عامًا ، وقد دأبت منذ نعومة أظافري على التردد على الكنيسة، وإن ما قدمته من معلوماتٍ عن المسيح ، يفوق ما عرفت عنه في الكنيسة .

يراسل الشيخ محمد توفيق صيدليًّا كاثوليكيًّا يسكن في « بازل » على الحدود الفرنسية وزوجته ، مدة طويلة بعد طول جهدٍ معهما ، ويرسل إلى زوجة هذا الصيدلي ترجمة معاني القرآن الكريم ، وتستوقفها أشياء ، ويسافر

(١) رجل من أمة التوحيد ص٥٩ .
(٢) رجل من أمة التوحيد ص٥٩ - ٦٠ .

الشيخ إلى « بازل » ويصل بقطار الساعة الرابعة بعد الظهر ، وكانوا في انتظاره - الصيدلي وزوجه وأولاده - ولم يكونوا يعرفونه ، وكان قد وافاهم بمواصفاته ، وأنه طويل نحيف بنظارة ومعه كتاب لونه أحمر ، وكان قد حمله ليعرف به ، واهتدوا إلى معرفته ، وفور وصولهم إلى البيت ، قالت له زوجة الصيدلي : هل أنت متوضىء ؟ فقال لها : نعم ، فقالت : ونحن أيضًا متوضئون ، ثم طلبت منه أن يصلي بهم إمامًا ، فتأثر وبكى .

أم نقص حكاية الصبي الألماني ، الذي كان والده يراسل الشيخ في موضوع « الإسلام » ووصلت مراسلته إلى قناعته بالإسلام ، وكان الشيخ في مراسلته قد ذكر له أن أول من أسلم من الصبية علي بن أبي طالب ، ومن الرجال أبو بكر الصديق ، ومن النساء خديجة بنت خويلد ، وبعد ما أعلن الرجل إسلامه ، وبعث إلى الشيخ بإقرار الشهادة ، أرسل إليه الشيخ شهادة اعتناق الإسلام ، وعقب ذلك تلقى الشيخ رسالة من ابن الألماني الصبي وقال : أرجو أن ترسل لي الإقرار للتوقيع عليه ، وشهادةً باعتناق الإسلام مثل أبي ، فكتب إليه الشيخ يستمهله حتى يكبر ويزداد تعرفه على الإسلام ، فأرسل من فوره رسالةً ذات منطقٍ مفحم ، أقنع الشيخ وأثر فيه كثيرًا ، حيث قال في رسالته : « هل طلب محمد بن عبد الله من علي ابن أبي طالب أن يرجىء إسلامه حتى يكبر ؟! » فلم ير إلا أن يلبي طلبه فورًا ، ويرسل إليه الإقرار ليوقعه ، ثم الشهادة باعتناق الإسلام[١] .

يقول الأستاذ أنور الجندي عن المهندس محمد توفيق أحمد : « هذا رجل ليست له شهرة الأدباء ، ولكن له مكانة العاملين في مجال الفكر

---

(١) رجل من أمّة التوحيد ص٨٥ .

الإسلامي والدعوة الإسلامية في صدقٍ وثبات ، وقد اختار مجالًا لا يكاد ينافسه فيه أحد ، وهو المحيط الخارجي ، وفي قلب أوروبا بالذات ، وأصدر مجلة « البريد الإسلامي » الزاهرة عام ١٩٤٣م ، وأنشأ « دار تبليغ الإسلام » قبل ذلك عام ١٩٢٩م ، بدأ عمله في سويسرا عن طريق الرسائل والإعلانات ، ففي كل محطةٍ من المحطات على طول الطريق من النمسا إلى زيورخ إلى باول ، تجد لوحًا تقول : « لقد علمت خطأ عن الإسلام ، إن كنت تريد أن تعرف الحقيقة ، فاكتب إلى فلان ، فإذا أرسلت إليه ، أرسل لك كتبًا صغيرة موجزة » وقال لي : أرسل لي خمسةً من أصدقائك ، ولا يلبث أن يرسل لهم بطاقاته ، وامتد عمله في النمسا والسويد والنرويج وفرنسا ، ونما هذا العمل الصامت الخالص لوجه الله ، وفي سبيل التعريف بالإسلام ، وتحرير مفاهيمه ، حتى كتب إلى مائة ألفٍ من البشر ، قال لهم كلمة التوحيد ، فكسب منهم أصدقاء ، وكسب منهم معتنقين ، ونشأ من خلال ذلك في هذه الأقطار مجتمعات إسلامية »[1].

يا سبحان خالق الهمم ... يرسل خطابات إلى مائة ألف شخص !! .

ويقول الصحفي المغربي الأستاذ عبد القادر الإدريسي عن الشيخ محمد توفيق في مقالة « الرجل المؤسسة » : « أسلم على يده أكثر من ثلاثة آلاف شخص ... هذا هو المدخل الرئيسي إلى عالم صاحبي ... التقيت به مرتين ، تفصل بينهما ثلاث عشرة سنة كاملة ، لم يتغير الرجل طوال هذه المدة ، بل أستطيع أن أقول : إن قوته وعزيمته تزدادان مضاءً مع توالي الأعوام ، الإشراق في عينيه يجذبك إليه بقوة ، رجل ليس كالرجال ، قمة من القمم

---

(١) رجل من أمة التوحيد ص١١١ - ١١٢ . نقلًا عن مقالة في مجلة « المنهل » الحجازية في رجب سنة ١٣٩٠ الموافق سبتمبر سنة ١٩٧٠ بعنوان « لقاء مع جيل الرواد المهندس محمد توفيق أحمد » .

الشامخة التي وهبت حياتها لله رب العالمين ... يحتفظ بمكتبه - الذي يشغل جناحًا من شقته المتواضعة - بملفاتٍ كاملةٍ عن الأشخاص الذين اهتدوا إلى دين الله على يده ، أصناف متعددة من البشر ، الصفة التي تجمعهم أنهم خارج الوطن الإسلامي ، والحكاية لها بداية جديرة بالتسجيل : رحل صاحبي إلى أوروبا في الثلاثينيات ، وأقام بإحدى المدن السويسرية ، حيث عمل في الهندسة الكهربائية ، وطالت إقامته في تلك الديار ، وأقام علاقات عديدة مع مختلف الطبقات ، مما أكسبه حسن السمعة وطيب الذكر ، وأخذ في الدعوة إلى الإسلام في الأوساط المسيحية ، ولقي عمله إقبالًا كبيرًا ، وفوجيء بتدفق لم يكن يتوقعه من شتى الأوساط ؛ المتعلمة والمثقفة والعادية ، فزاده ذلك إقبالًا على المضي في هذا الطريق ، ودخل الكنائس والمدارس والسجون والنوادي الليلية ، وأخذ ينفق على الدعوة من دخله الشخصي ، وهداه تفكيره إلى استئجار الأماكن العامة ، مثل دور السينما والنوادي وقاعات الاجتماعات ؛ لإلقاء المحاضرات وإدارة الندوات ، وفجأة وجد نفسه في عالمٍ لم يخطط له . كان في البداية يقدر أن المسألة لا تعدو أن تكون عملًا متواضعًا . يقصد به وجه الله لا أقل ولا أكثر ، فإذا به أمام نتائج باهرة وحركة واسعة وإقبالٍ لم يخطر على بال ، وإذا باسم الرجل يتردد في أكثر من جهة في أوروبا ، وإذا بالصحافة تكتب عنه ، وإذا برجال الكنيسة يتحركون لمعرفة السر وراء هذا النجاح ، فلما أيقنوا أن الرجل لا يدعمه أحد سوى الله ، كفوا عن المناوشة وسلموا أمرهم لله ، حتى إن بعض الرهبان والقساوسة أخذوا يترددون عليه في مقر إقامته بمدينة بادن (أرجاو) بسويسرا لمناقشته والأخذ عنه ، وكتب الله لهذا العمل المتواضع الخالص لوجهه الكريم ، أن يتسع ويمتد ويشع وينمو في اطراد ، وكان أن ارتفع المعدل الشهري للذين يُقبلون على الإسلام ، وبمرور الأعوام قفزوا إلى الألف الأُولى ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، وهذا كله

من فضل ربي الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا . اتخذ لنفسه شعارًا يلخصه في الجملة التالية : « الناس جميعًا أسرة واحدة ، ربها واحد ، ودينها واحد ، هو الإسلام الذي دعا إليه جميع رسل الله الكرام ، والسعيد الناجي من فهم القرآن ، وعمل على نشر تعاليمه التي تحقق المحبة والسلام بين بني الإنسان » . وهو يطبع هذا الشعار على الرسائل التي يوزعها مجانًا بسبع لغات على القارات الخمس . هذا الرجل تخطى عتبة الثمانين ولا يزال في فتوة وحيوية الشباب .

رجل يستحق التكريم ممن جعل الله تكريم الرجال على أيديهم .. لقد أسعدني أن ألتقي بالمهندس محمد توفيق بن أحمد سعد ، وهذا اسمه بالكامل . ألستم معي أن هذا الرجل يضاهي عمله عمل المؤسسات .. إنه بحق الرجل المؤسسة ، ولا عجب »[(١)] .

وتحت عنوان « مع العاملين في صمت وبلا دعاية » كتب الأستاذ محمد الجندي : « يذكر المهندس توفيق أحمد ، أنه في الوقت الذي تحاصر فيه الصحافة الإسلامية وتخضع لأجهزةٍ متعددة من الرقابة ، فإن جمعية « شهود يهوه » تصدر مجلة تسمى « برج المراقبة » وتوزع منها عشرة ملايين نسخة ، وبتسع وسبعين لغة ولهجة في العالم ، بينما كل المجلات والصحف في العالم الإسلامي لا تتجاوز إصداراتها في مجموعها على مليون نسخة ، وفي عددٍ محدود من اللغات ، علمًا بأن جمعية « شهود يهوه » هي مؤسسة يهودية ترتدي ثوبًا نصرانيًا مزيفًا ، وتقوم على مبدأ خداع الجماهير المسيحية الساذجة ، وإدخال نبوءات التوراة المحرفة في النفوس ، والتي منها ما يبشر بعودة اليهود إلى فلسطين والتي تخدم الفكر الصهيوني . ودار تبليغ الإسلام

---

(١) مجلة «المسلمون» الدولية بلندن – العدد الصادر في ٢١ من رجب سنة ١٤٠٢/ الموافق ١٤ من مايو ١٩٨٢م .

تقوم على شخصٍ واحد ، هو « الساعي ومسئول العلاقات العامة والمحرر ورئيس التحرير ومسئول المراسلات والتمويل وغيرها » . وقد وصفته إحدى المجلات الإسلامية بأن هذا الجهد الكبير ، الذي يقوم به ، لا تستطيع مؤسساتٌ بكاملها عمله ، ورجحت جهده على جهد أحد المؤتمرات الإسلامية ، والتي أشرفت عليه مجموعة دولٍ في إحدى العواصم الأوروبية عام ١٩٧٦ ، وكان هذا المؤتمر يهتم بالتراث من خلال مخطوطاتٍ إسلامية ومجموعة محاضرات ، ورغم هذا لم يعلن أحدٌ إسلامه .

ويمنح المهندس توفيق أحمد شهادةً بإسلام من يرغب من الأوروبيين ، ولا يتم منح هذه الشهادة إلّا بعد إجراء الاختبارات الدقيقة حول الدوافع من اعتناق دين الإسلام ، ويكتب في الشهادة أي خروج على تعاليم الإسلام يلغيها »[(١)] .

« اقرأها وأعطها لغيرك مشكورًا ، ولا تحتكرها فتأثم » . كتبت هذه العبارة على مجلة البريد الإسلامي ... فرحم الله الرجل الأُمَّة المؤسسة ... عالي الهمة ... الشيخ الداعية المهندس محمد توفيق ، الذي أسلم على يديه أربعة آلاف شخص ، وكتب إلى مائة ألف شخص يدعوهم إلى الإسلام ... هذه هي الأُسوة والقدوة .

الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني القرشي الهندي ، وجهوده في مقاومة التنصير ، وكتابه « إظهار الحق » :

وحين نتكلم عن التنصير في الهند ، الذي مهد له الاستعمار الانجليزي ، وتحويل المساجد إلى كنائس ، وبناء ألف مدرسة تبشيرية كنسية يدرس

---

(١) مجلة « الهدى » الخليجية – العدد الصادر في يوم الجمعة ١٤ من ذي الحجة سنة ١٤٠٥هـ .

فيها خمسة وستون ألف طالب ، ويتبع للكنائس معاهد متخصصة وكليات في « هوجلي » و « كلكتا » و « لاهور » و « غازي يور » و « عليكرة » تدار بأموال الوقف الإسلامي ... نتكلم عن المنصر هنري مارتين ، الذي وضع أساسًا قويًا للتنصير بترجمة الإنجيل إلى الفارسية والأردية ... نأتي إلى خاتمة المطاف إلى المستشرق الأمريكي الكاثوليكي د . فندر ، والذي تحول إلى البروتستانتية وأرسلته كنيسة إنجلترا رئيسا للمنصرين في الهند .

تزعم فندر الحملة التنصيرية داخل الهند بإلقاء المواعظ والخطب في الاجتماعات العامة والمآتم والأفراح الإسلامية والهندوسية ، والتهجم على العقائد غير النصرانية ، والطعن في الإسلام ، والتشكيك في القرآن الكريم وفي رسول الإسلام ﷺ ، وتحدي علماء المسلمين علنًا .

وكان يوجه المنصرين إلى مختلف المديريات الهندية ، ويدربهم على إلقاء الخطب والمحاضرات . وألف عدة كتب للدعوة للنصرانية ، أهمها وأخطرها « ميزان الحق » ، بل هو أخطر كتب المنصرين على الإطلاق ، وتلقى المنصرون والقساوسة هذا الكتاب بالقبول والتقدير ، لشموله جميع الشبه والافتراءات ، وكل ما يمكن أن يعترض به المنصرون والمستشرقون على دين الإسلام ، بالإضافة ... لشموله جميع أوجه الرد والدفاع عن العقائد النصرانية ، ونفدت له ثلاث طبعات متتالية في الهند بالإنجليزية والفارسية والأردية ، وترجم فيما بعد للتركية والعربية . وهذا الكتاب هو الينبوع الذي منه يستقي المبشرون مطاعنهم في الإسلام ، ويعد صاحبه به أخطر منصر دخل القارة الهندية . وقد عد م . هوري زعزعة فندر لعقيدة المسلمين في الهند بترجمته كتابه « ميزان الحق » إلى اللغتين الفارسية والأردية ، أعظم من عمل القس هنري مارتين بترجمته الإنجيل للفارسية والأردية ، كما ورد في كتاب الغارة على العالم الإسلامي

(ص٣١ – ٣٢) ، وقد عد إبراهيم خليل أحمد – القسيس المصري الذي أسلم – في كتابه الاستشراق والتبشير (ص٦٤ ، ٦٢) أخطر أربعة كتب للمنصرين ، وجعل أولها وأكثرها خطورة كتاب « ميزان الحق » .

وكان لهذا الكتاب ردود فعل عنيفة ، حصلت عند المسلمين إثر صدور هذا الكتاب ؛ لانتشاره السريع ، وسكوت كثير من العلماء عن الرد عليه فترةً من الزمن ، بحيث خيف على ضعاف النفوس من الردة .

بل إن رام شندر الهندوسي الذي كان صديقًا لفندر وللشيخ رحمت الله ، وكان محبًّا لفندر وكتبه ، تجرأ أن يطلب من الشيخ رحمت الله – وهو أستاذ الهند بلا منازع في الرد على النصارى – زيارة فندر لعله يهتدي إلى النصرانية !!

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في مجلة البعث الإسلامي عدد ٩ سنة ١٣٩٩هـ ص٥٥ : « وقد استفحل أمر فندر ورأى أن الجو قد خلا له ، فازداد جراءةً وتحديًا ، ورأى الشيخ رحمت الله أنه لا سبيل إلى الحد من نشاط هؤلاء القسوس ، وفي مقدمتهم وعلى رأسهم القس فندر ، وإعادة الثقة إلى نفوس المسلمين إلا مناظرة فندر في مجمع حافل ، يحضره المسلمون والمواطنون والحكام الأوروبيون والنصارى والمنصرون ، وكان فندر كثير الإدلال بكتابه ميزان الحق ، فخورًا بتبجحاته ، ويرى أنه ليس من السهل معارضته ونقضه من علماء المسلمين .

كل هذه الأسباب مجتمعةً ، جعلت الحاجة ماسة للرد على هذا القسيس ، مما حفز الشيخ رحمت الله للدعوة إلى مناظرته علنًا حتى يعريه ، ويفقده كل هذا الأثر في الأوساط الهندية .

فأرسل الشيخ رحمت الله تسع رسائل إلى الدكتور القسيس فندر لترتيب أمور المناظرة العلنية بينهما ، بدأت المراسلات بتاريخ ٢٣ آذار ،

وانتهت في ٨ نيسان سنة ١٨٥٤ ، ويظهر منها أن الشيخ رحمت الله قد أشرب قلبه حب المناظرة ، وكان يخشى عدم قبول فندر للمناظرة العلنية ، فقد كانت رسائل فندر إليه تحوي شروطًا صعبة لتثبيط همته ، فقبلها ، وتم الاتفاق بينهما على أن تكون المناظرة في خمسة موضوعات ، هي : النسخ ، والتحريف ، وأُلوهية المسيح والتثليث ، وإعجاز القرآن ، ونبوة محمد ﷺ ، وأن تكون المناظرة يومي الإثنين والثلاثاء ١١ ، ١٢ رجب سنة ١٢٧٠هـ و١١ نيسان سنة ١٨٥٤م في موضوعي النسخ ، والتحريف ، ومكان المناظرة في خان عبد المسيح الذي كان مدرسة في السابق ، وأن يكون القسيس فزنج مساعدًا للقسيس فندر ، وأن يكون الدكتور محمد وزير خان أبادي مساعدًا للشيخ رحمت الله ، وكان محمد وزير خان قد درس الطب في لندن وتخرج عام ١٨٣٢م فأتقن اللغتين الإنجليزية واليونانية ، واطلع على المسيحية في مصادرها الأصلية ، وعند عودته إلى الهند أحضر معه عددًا من الكتب الأصلية عن النصرانية وأقوال علمائها المحققين .

وتم انعقاد مجلس المناظرة العام في اليوم الأول ١١ رجب في تمام الساعة السادسة والنصف صباحًا ، في حي عبد المسيح ببلدة أكبر أباد ، وقد توافد الناس لحضور المناظرة من المسلمين والمسيحيين والوثنيين ، وكان على رأس الحضور أُمراء المسلمين والهندوس وحكام الإنجليز وأعيان البلدة والوجهاء وكبار الموظفين المدنيين والعسكريين ، كما حضرها القضاة والعلماء المسلمون والقساوسة والمنصرون ومراسلو الصحف ، وقد زاد عدد الحضور في هذا اليوم على خمسمائة نفس ، وتناقل الناس خبر المناظرة ، فزاد عدد الحضور في اليوم الثاني على ألف نسمة من جميع الأطراف .

وقد أسفرت هذه المناظرة الكبرى عن :

تعرية فندر وكتاباته :

فقد استطاع الشيخ رحمت الله بفضل الله في هذه المناظرة أن يظهر فندر للناس على حقيقته ، وتعرية كتاباته التي ملئت تبجحًا وتحدِّيًا ، فأظهر تناقضه في مواضع عديدة من كتبه ، وأنه كان يكتب بغير علم ، وقد تراجع فنـدر عن كتاباتٍ كتبها ، ويكفي انتصارًا للشيخ ، أنه أظهر للحاضـرين ضآلة علم فندر ، وتهربه عن الجواب بطرق شتى .

اعتراف القسيس فندر العلني وصاحبه بوقوع النسخ والتحريف في كتب العهدين : بسبعة مواضع أصلية ، منها أكبر شاهدٍ لهم التثليث ، وهو ما في رسالة يوحنا الأولى ٥/٧ – ٨ ، من أن الذين يشهدون في السماء ثلاثة ، وهم واحد .

كما اعترفا بوجود أربعين ألف موضع سمياها سهو الكاتب أو اختلاف العبارة ، مع عدم القدرة على تعيين الصادقة جزمًا ، وقدما القول بأن اختلافات العبارة أربعون ألفًا ، على القول القائل بأنها مائة ألف وخمسون ألفا ، وهي ما يطلق المسلمون عليه اسم التحريف النافي لبقاء إلهامية كتب العهدين .

فلما ظهرت الغلبة لرحمت الله في مسألتي النسخ والتحريف ، ورأى ذلك صاحب الميزان « فندر » ، سد باب المناظرة ، ووقع في عرض الشيخ ونفسه ، ولعل القسيس « فندر » خشي أن يظهر المزيد من مثالب كتاباته ، وخاصة مسألتي الألوهية والنبوة ، بل لعله خشي أن يهتدي إلى الله وإلى الدين الحق ، بعد أن يثبت له الشيخ بطلان عقيدة ألوهية المسيح وثبوت نبوة محمد ﷺ ، على ما كان مشروطًا من دخول المغلوب في دين الغالب منهما .

وبعد هزيمة فندر في المناظرة ، وجره العار الكبير والخزي على الكنيسة ، لم يستطع البقاء في الهند ، وسافر إلى ألمانيا وسويسرا وبريطانيا ،

ثم اختارته الكنيسة منصرًا في مقر الخلافة الإسلامية في القسطنطينية فسافر إليها سنة ١٨٥٨م .

وقد اتصل فندر بالسلطان عبد العزيزَ خان ، وزور أخبار المناظرة ، وزعم أن الغلبة فيها كانت له ، ثم دعا مسلمي تركيا إلى الاقتداء بإخوانهم مسلمي الهند ، حيث زعم أنهم تحولوا إلى النصرانية ، وأن المساجد أصبحت كنائس ، وأخذ يتجول في أرجاء تركيا يشيع أخبار هذه المناظرة بطريقته الخاصة ، معتمدًا على الكذب وتزوير الحقائق ؛ لرفع مكانته وستر فضائحه .

ولكن السلطان عبد العزيز خان أُصيب بغمٍّ شديد لسماعه أخبار فندر ، وخشي أن تؤثر هذه الإشاعات على أبناء المسلمين ، وقد علم من الحجاج الأتراك أن الشيخ رحمت الله موجود في مكة المكرمة - بعد مصادرة الإنجليز لأمواله ، وجعلوا مكافأة ألف روبية لمن يدلهم على الشيخ رحمت الله ، وحظروا بيع كتبه وطبعها ، فاضطر للهجرة متخفيًّا حتى وصل إلى مكة سنة ١٨٦٢م - فعجل السلطان عبد العزيز بالأمر إلى أمير مكة الشريف عبد الله بن عون ، بإرسال الشيخ رحمت الله إلى دار الخلافة ؛ ليناظر فندر في تركيا .

ولما حل الشيخ ضيفًا رسميًا في قصر الخلافة ، وسمع فندر بذلك فر هاربًا من تركيا .

وقد أوعز السلطان العثماني بترحيل المنصرين عن تركيا ، وحظر نشاطهم ، ومصادرة كتبهم ومنع انتشارها .

ولمَّا سمع السلطان عبد العزيز العلماء والوزراء وكبار رجال الدولة ، طلب من الشيخ أن يقص خبر المناظرة ، فلما استبان للسلطان طول باع الشيخ في هذه الموضوعات ، وتمكنه منها ، طلب منه تأليف كتاب باللغة

العربية يضم مسائل المناظرة الخمسَ ، فعقد الشيخ العزم على تأليف كتاب يكون سدًّا منيعًا في وجه المنصرين ، فألف كتابه « إظهار الحق » ليكون مرجعًا لطلاب العلم والباحثين عن الحق والمتخصِّصين في هذا الفن .

ولو كان فندر يعلم أن مجيئه إلى تركيا وكذبه على السلطان عبد العزيز خان ، وتزويره أخبار المناظرة ، سيكون سببًا في تأليف هذا الكتاب ، لفضل البقاء في بلاده ، أو قطع لسانه ، كي لا يخرج هذا السفر الجليل إلى عالم الوجود ، فأي دارسٍ لعلم مقارنة الأديان والرد على العقائد الباطلة ، وأي طالب للرد على المنصرين والمستشرقين ، وأي باحث عن الحق بخصوص كتب أهل الكتاب وعقائدهم ، ولا يطلع على « إظهار الحق » ، يكون قد فاته من هذا العالم زبدته ، ولن ينال مادته في أي كتاب آخر .

فهو كتاب في فنه آية ، وليس وراءه لمبتغي الزيادة غاية .

أظهرت أنواره أسراره   كم جلتْ أقمارُه ليلَ ارتيابْ
نِعْم مبناه رياضٌ أثمرتْ   دُرَّ معناه لمن يدري الخطابْ
كلّ غاوٍ لو رآه مُنصفًا   من ظلام الكفر بالإيمان طابْ

وقد طبع الكتاب أكثر من عشر طبعات بالعربية ، وأمر السلطان العثماني عبد الحميد خان بترجمته وطباعته وتوزيعه في العالم الإسلامي ، وترجم إلى تسع لغاتٍ أجنبية ، منها : الألمانية والفرنسية والإنجليزية ، وترجم إلى التركية . وغاظ النصارى صدور هذا الكتاب ، فأخذوا يشترون الكتاب من الأسواق بجميع ترجماته وطبعاته ، ويجمعونها ثم يتلفونها بالحرق ، قاصدين إعدام وجوده من الأسواق العالمية ، ومنع وصوله إلى أيدي القراء عامة والنصارى خاصة ، وقد علقت صحيفة اللندن تايمز على هذه العملية الحاقدة بقولها : « لو دام الناس يقرءون هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم » .

وكيف لا والشيخ أعلم بكتب النصارى واليهود منهم ، فالشيخ درس كتب العهدين دراسةً نقديةً تحليلية عدة مرات ، ودرس كتب القدماء والمحدثين من علماء المسلمين واليهود والنصارى ، حتى أصبح عالمًا بجميع طرق النقد ، وكان مجموع طبعات كتب العهدين التي رجع إليها الشيخ في مؤلفه اثنتين وثلاثين طبعة ، بأربع لغات منها (١٣) بالعربية ، و (٨) بالفارسية ، و (٦) باللغات الهندية و (٥) بالإنجليزية .

هذا بالإضافة إلى ثمانية وخمسين مصدرًا أساسيًّا من التواريخ والتفاسير التي كتبها العلماء المحققون من أهل اليهودية والنصرانية . هذا بالإضافة إلى كتب التفسير والتاريخ الإسلامية لعلماء السنة »(١) .

فلله همة هذا السهم القرشي العثماني الصائب ، ورحم الله بدر شيوخ الهند وشهابها الثاقب .

الداعية عالي الهمة أحمد ديدات :

الذي زلزل أركان التنصير في جنوب أفريقيا ، وناظر زعماءهم في أمريكا ، وتحدى البابا ودعاه إلى مناظرة علنية ، فما استطاع أن يجيبه إلى طلبه .

يقول هذا الداعية الذي يجوب القارات شرقًا وغربًا رادًّا على افتراءات اليهود والنصارى مزلزلًا لعهديهم ، يقول ديدات في خاتمة كتابه « هل الكتاب المقدس كلام الله » :

« ولا بد أن القارىء إذا كان ذا ذهنٍ متفتح ، أن يكون قد اقتنع الآن أن الكتاب المقدس ليس كما يدعي أتباعه من النصارى ، وخلال أربعين سنة

---

(١) مقدمة كتاب « إظهار الحق » للشيخ الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي ، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الطبعة الثانية .

يسألني الناس ؛ كيف لي بكل هذا العلم بالنصرانية وكتابها ، وبصراحة فخبرتي باليهوديَة والنصرانية ليست من اختياري ، بل قد أُرغمت أن أكون هكذا .

عندما كنت أشتغل مساعد بائعٍ عام ١٩٣٩ بجانب معهد لتخريج الوعاظ ، كنت وأصدقائي هدفًا دائمًا لخريجي هذا المعهد ، فلم يكن يمر يوم لا يضايقنا فيه هؤلاء بإهاناتهم للإسلام ونبي القرآن ، وقد كنت شابًّا حساسًا في العشرين من عمري ، فكنت أقضي ليالي عديدة ساهرًا أبكي ، لضعفي وعدم قدرتي على الدفاع عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي أُرسل رحمة للعالمين ، وقررت دراسة القرآن والكتاب المقدس والكتب التي تتحدث عنهما ؛ واكتشافي لكتاب « إظهار الحق » كان أول خطوة في تغيير مجرى حياتي ، وبعد فترة كانت لدي القدرة على أن أدعو أولئك الوعاظ للمناقشة ، وأحرجهم بالحقائق المعروضة ، مما اضطرهم لاحترام الإسلام ونبيه » .

بائع الملح الهندي أحمد حسين ديدات الذي عاش في جنوب إفريقيا ، الذي أصبح يجادل آباء الكنائس وعلماء اللاهوت وزعماء التنصير.

هذا الرجل الذي يدعو إلى الله عز وجل عن طريق المحاضرات واللقاءات في كل مدينة يذهب إليها ، وفي كل جامعةٍ يزورها ، وقد ألقى محاضراتٍ في بريطانيا، أيرلندة، أمريكا، كندا، هونج كونج، سنغافورة، الهند ، زيمبابوي ، موريتانيا ، ملاوي ، أبو ظبي ، السعودية ، وأعظم تجمع استمع له أكثر من ٣٠ ألف مستمع في جرين بوينت في مقاطعة الكاب .

هذا الرجل الذي تناظر مع اثنين وثلاثين قسيسًا في أماكن مختلفة من العالم ، وأشهرها في نظره المناظرة التي كانت في قاعة الألبرت هول في لندن ، وقد حضرها جَمْعٌ غفير من الناس بمختلف الأديان والطوائف .

الداعية عالي الهمة الذي أقنع أحد رجال الأعمال ، ممن يشغل وظيفةً في مركز الدعوة الإسلامي في مدراس ، بإنشاء معهدٍ للدعاة ، وبدأ ديدات في تدريب الدعاة على طول الساحل الجنوبي هناك ، واستمر العمل في هذا المعهد لمدة عشر سنوات متصلة ، وخرج جيلًا من الدعاة لنشر الدعوة في الكرة الأرضية ؛ شرقها وغربها .

هذا الرجل الذي تحدى النصارى قائلًا : « لكل مسألة جدلية تقدمونها لي تأييدًا لدينكم ، سأقدم لكم عشرًا ضدها »[1] .

أسس مركز نشر الإسلام في عام ١٩٥٨ في جنوب إفريقيا ، يوزع ١٠٠,٠٠٠ من ترجمة معاني القرآن بالإنجليزية .

قال ديدات : « إن النبي ﷺ قال : « اليد العُليا خيرٌ من اليد السفلى » وهذا يعني أن الذي يعطي ، أرفع منزلةً من الذي يأخذ . إن مهمتنا هي أن نخرج لنبلّغ رسالة الله ، إننا في مكانةٍ أعلى مِن الناحية العقائدية » .

يقول ديدات : إذا امتلكنا أشعة الليزر فلن تجدينا عن الدعوة إلى الله شيئًا ؛ لأن الدين يظهر بالدعوة والمجاهدة .

ويقول : « ملايين الخطط وملايين المتفرغين المنصرين ، هدفهم تحويل العالم الإسلامي إلى النصرانية ونحن نغط في نومٍ عميق » .

ويقول : « علينا أن نتجاوز القضايا الهامشية في مناظرتنا للنصارى ، ونجادلهم في أصل الخلاف الذي هو قضية التوحيد » .

ويقول : « الأمة التي تملك هذه الأموال الطائلة التي بيد المسلمين ، ولا تنفقها في الدعوة ، أمةٌ تستحق الدمار ، وسيحاسبها الله يوم القيامة » .

---

(١) من الحوار الذي أجرته معه فايزة أمبا في جريدة « عرب نيوز » السعودية التي تصدر بالإنجليزية .

يقول ديدات : « كنت أسأل الجمهور الذين التقيت بهم : « هل سيظهر هذا الدين ؟ » ويقولون : نعم ، إنه الحق ، وإن الدين غالب على الجميع . فأقول : إذا كنتم تؤمنون بذلك ، فلماذا تستندون على ظهوركم دون أن تفعلوا شيئًا ، وتركبون السيارات الفاخرة ، وتنفقون الأموال الطائلة فيما لا يفيد ، وتقولون : الدين غالب ، دون العمل له ؟!! » .

ويقول : « شرط اللقاء والتحدث مع النصارى : التحدث عن العبودية لله وحده ، فالحديث عن التوحيد شرط التناظر مع النصارى » .

« يسرق النصارى أطفالنا ، ففي ليستر بريطانيا وضعوا خطة بميزانيةٍ تقدر بملايين الدولارات لتنصير الفولانيين في نيجيريا » .

« الآن يتفرغ لنا المنصرون بالملايين ، حيث يتوزعون حول العالم لتنصير المسلمين ، وهم يقرعون أبوابنا في بلادنا ، فقد تنصر (١٥) مليون أندونيسي ، وهم يفخرون - الآن - بأنهم استطاعوا تنصير الباكستانيين والبنغاليين الآن أكثر من أيام الاستعمار البريطاني هناك ، وهناك الآن مئات الآلاف متفرغون للتنصير في إفريقية »(١) .

يا أيها الموحِّدون ، يا ورثة خير النبيين وأعلاهم همة : « إن الإسلام لا بواكي له » .

يقول ديدات : « هناك مجموعة صغيرة من النصارى قد طبعوا أكثر من (٨٤) مليون نسخة من كتابٍ واحد ، بأكثر من (٩٥) لغة مختلفة ، ويطبعون (١٠٢) مليون نسخة من مجلة شهرية بأكثر من (١٠٢) لغة ، ويصدرون من مجلةٍ أُخرى تسمى اليقظة (٨,٩) مليون نسخة في الشهر ، بأكثر من (٥٤) لغة . وميزانية الرجل « سويجارت » مليون دولار يوميًّا ،

---

(١) من كتاب « أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن » - كتاب المختار الإسلامي .

ونحن المسلمين بكل دخلنا من البترودولار ، لا نستطيع أن ننفق مليون دولار للدعوة في السنة الواحدة .

النصارى أصبحوا يجرفون المسلمين في كافة أنحاء العالم ، ولكن ليس هناك من يبكي لهذه النتيجة ، بينما نرى النصارى يندفعون على نطاق واحدٍ لنشر دينهم ، والتضحية بحياة الترف والبذخ ، والعيش في أدغال إفريقية والصحاري الحارقة لنشر دينهم .

فالأيرلنديون - مثلًا ، وهم من الفقراء في بريطانيا مقارنةً بالإنجليز - يبعثون آلاف الرجال والنساء لخدمة المسيح عليه السلام - كما يزعمون - في العالم ، وفي الكنيسة الكاثوليكية والرومانية ، ترى الكثير من القساوسة والراهبات الأيرلنديات ، لماذا ؟! لأنهم يربون من الصغر على التضحية في سبيل المسيح - عليه السلام - ومن أجله .

أما نحن ، فصحيح أنهم يربوننا بالصلاة وتربية اللحية ، وهذا جميل ، ولكنه جزء ، فقلما تسمع على المنبر من يحمسك ويشجعك على الانطلاق والدعوة إلى الله في بقاع العالم . كلهم يحدثونك عن الصلاة والزكاة ... إلخ ، ولكن قلما يكون الحديث لنشر الدين ... أين الجهاد؟ »[1].

وصدق الداعية ديدات التي تمتزج الدعوة بدمه ولحمه .

في مدينة ملكال في جنوب السودان ، تأتي المبشرة من بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا ، أُوتيت الواحدة منهن قدرًا من الجمال يؤهلها لحياة الترقي في أرقى المدن رفاهية ... تأتي المبشرة طبيبة أو غيرها تعيش في القطاطي .. الواحدة منهن خص من البوص المطين ، تعيش الواحدة منهن على طعام

(١) أحمد ديدات من كتاب المختار الإسلامي - نقلًا عن مجلة الإصلاح الخليجية ، بقلم الأستاذ صفوت منصور .

الويكا - البامية المجففة - وتشرب من النهر مباشرة ، فليس هناك صنابير للمياه ... ترعى أطفال السودانيات ، وتشرف على علاج الأطفال والإشراف على تغذيتهن ، في بيئاتٍ لا يرضى أن يعيش فيها السودانيون أنفسهم ، وتصبر الواحدة العام الطويل حتى تدعو إلى النصرانية .

يقول ديدات : « إن المسلم يملك هذا الدين ... يملك البرهان عليه ، وعليه أن يصحو ، ويعلم أنه يملك « جرافة » منحها الله إياه ، تحطم كل الصخـور - صخور الأصنام والجاهلية - هي هذا الدين ، فعليه استخدامها لنيل العزة ، ولكن تصرفاتنا تدل على ألّا عزة لنا في هذا العالم ، مع أن أصل العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » .

ويقول ديدات : « من مائة ألف صحابيٍّ حضروا حجة الوداع ، لم يدفن في المدينة منهم إلا عشرة آلاف ، أين ذهب الباقون ؟ فهموا معاني الشهادة والتبليغ للرسالة ، وانطلقوا في الآفاق يمتطون خيولهم وجمالهم ، ينشرون دعوة الله ويبلغونها للعالمين ، أدركوا رسالتهم للعالم ، ولم يكتفوا بالجلوس في بيوتهم ومساجدهم يقيمون نصف الدين ويتركون النصف الآخر » .

إلى القابعينِ في منازلهم ... « يكفيكم أن تعرفوا أن عدد المنصرين (١٧) مليون شخص في جميع أنحاء العالم » .

ولعل من أهم مناظرات الداعية عالي الهمة أحمد ديدات ، مناظرته الشهيرة في أمريكا مع « المنصر الصليبي القس جيمي سويجارت ، صاحب الأحاديث التلفزيونية التي يشاهدها أكثر من مليوني شخص في الولايات المتحدة ، وتصل لأكثر من ١٤٠ بلدًا واستطاع أن يحصل على أكثر من ١٤٠ مليـون دولار سنويًا ، ويعتبر من أكثر المنصرين نفوذًا في

العالم »[١] .

ولقد أفحمه - على مرأى من الآلاف - أحمد ديدات ، وفي المناظرة تطاول على رسول الله ﷺ ، فأخزاه الله بعدها مباشرة « بفضائح مع المومسات في نيو أورليانز وفنادقها ، وقد دفع أموالًا للمومسات ؛ للقيام بأعمال داعرة ، واعترف بخطيئته أمام ثمانية آلاف شخص من أتباع كنيسته ، ونقلت الاعتراف كل كاميرات التليفزيون عبر الولايات المتحدة ، وأجهش بالبكاء وهو يقدم اعترافاته يوم الأحد ٢/٢١ قائلًا : ليست لدي النية بتاتًا لنكران خطيئتي .. ولا أُسميها غلطة ... جريمة ... أنا أُسميها خطيئة ... كل من جلبت لهم الفضيحة والعار والإحراج ... السماح »[٢] .

وصدق الله : ﴿ **فأمَّا الزَّبَد فيذهب جُفاءً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض** ﴾ [الرعد : ١٧].

ثم يعاود عالي الهمة ديدات الكرة مع رأس الأفعى بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني ، ويدعوه إلى « حوار في لقاء علني في ميدان القديس بطرس في روما مقر البابوية ، وفي الوقت والزمان المناسب لقداسته .

ولما لم يرد البابا على تلك الرسالة ، عاود الشيخ ديدات الكرة ، وأرسل له ثلاثة خطابات أُخرى وبرقية ، وهنا رد الفاتيكان مقترحًا إجراء مثل هذا الحوار في سكرتارية الفاتيكان وليس في مكان علني .

رد الشيخ ديدات على بابا الفاتيكان برسالةٍ جاء فيها : « يسعدنا أنكم ترتبون للقاء معنا ، ولكننا نتمسك بأن يكون مثل هذا اللقاء علنًا ، كما كان في خطابنا المفتوح إليكم ، والذي اقترحنا فيه مثل هذا اللقاء ، وذلك من أجل البلايين المؤمنة بالمسيحية والإسلام ، من أجل الحقيقة وإرضاء الرب ...

---

(١) ، (٢) من كتاب « أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن » كتاب المختار الإسلامي .

ومع هذا فيمكننا الالتقاء بكم حسب رغبتكم في السكرتارية ، ولكن هناك العديد من المسلمين في جنوب إفريقيا فقط ، والذين يصرون على حضور هذا اللقاء ، لذلك نرجو إفادتنا عن الإمكانيات المتاحة في سكرتارية الفاتيكان والخاصة بإسكان هؤلاء .

ونظرًا لوجود آلاف آخرين ممن يرغبون في حضور هذا الحوار ، فإننا نطلب أيضًا تصريحًا بتصوير اللقاء بأجهزة الفيديو ، حتى تصل مناقشتنا إلى الملايين الذين يودون الاستفادة من الحوار » .

« وبعد أكثر من شهرين من الانتظار تم إرسال برقيتين أخريين ؛ إحداهما إلى سكرتارية الفاتيكان ، والأُخرى إلى البابا ذاته . وبعد شهر آخر تم إرسال برقيتين أُخريين دون جدوى »[1] .

لله درُّك يا ديدات والله لا نقارن قلامة ظفره ببابا الفاتيكان .

ألم تَرَ أن السَّيْف ينقص قَدْرُه إذا قيل إن السيف أمْضى من العصا

وعلى الطريق سار غازي وأَخَوَاهُ :

فبدعوةٍ من بعض قساوسة السودان ومبشريه ، وعلى رأسهم المبشر القسيس جيمس بخيت وتيخارمضان ومن معهما من القساوسة ، عقدت مناظرة استغرقت ستة أيام ... في كل يوم ثلاث ساعات متتالية ، في الفترة من ١٤٠١/١/٢٣ هـ إلى ١٤٠١/١/٢٩ هـ ، الموافق ١٩٨٠/١٢/١ م إلى ١٩٨٠/١٢/٧ ، بين ثلاثة من أعلام الفكر الإسلامي : الشيخ الدكتور محمد جميل غازي والأستاذ إبراهيم خليل أحمد - الذي كان من أخطر القساوسة المصريين وأسلم - واللواء مهندس أحمد عبد الوهاب علي الذي شغل بمقارنة الأديان منذ أكثر من خمسةٍ وعشرين عامًا ، وبين القساوسة السودانيين وعلى

---

(١) أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن كتاب المختار الإسلامي ص٥٥ - ٥٧ .

رأسهم المبشر القسيس جيمس بخيت ، وآمن جميع القساوسة والمبشرون المناظرون ، وأسلم بإسلامهم خمسمائة »[١] .

والله عز وجل لا يضيع جهد الداعية الدكتور محمد جميل عازي ... الذي ربما ظل في الدعوة بعيدًا عن أولاده خمسة شهور متوالية ، فرحمه الله وأجزل له المثوبة .

وهذا الداعية العظيم إبراهيم خليل أحمد ، الذي كان رأسًا من رؤوس التبشير والكفر في مصر والعالم ، فإذا هو بعد إسلامه يجوب البلاد دعوة إلى الله عز وجل ، يتحدث في جامعةِ أسيوط سنة ١٩٧٦ ، فيقف بعد محاضرته سبعة عشر من شباب جامعة أسيوط ليعلنوا إسلامهم بكل قوة وبكل جرأة .

يقول حفظه الله : « لقد شعرت أن الإسلام يفرض علي فرضا ، وهو أن أحمل رسالة التبليغ ، وأن أدعو برسالة لا إله إلا الله » .

فهلا اتعظ الغافلون من المسلمين بسير الرجال العماليق ... وهلا آمن المبشرون الدجالون الذين يصدق عليهم قول المسيح لليهود : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ؛ لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلًا واحدًا ، ومتى حصل تجعلونه ابنًا لجهنم أكثر منكم مضاعفًا » .

فعلى كل مسلم أن يضع الدعوة إلى الله نصب عينيه حتى يأتيه اليقين .

ذكر توماس . و . أرنولد في كتاب «الدعوة إلى الإسلام» ص٤٥٣-٤٥٤ أنه : « في إفريقية حكم البلجيكيون على زعيم عربي بالإعدام ، فقضى ساعاته الأخيرة وهو يحاول أن يدخل في الإسلام ذلك المبشر المسيحي ، الذي كان قد أرسل إليه ليزجي إليه التعزيات الدينية » .

---

(١) من كتاب « مناظرة بين الإسلام والنصرانية » طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

وذكر توماس ص٣١٩ أن الشيخ حسن علي كان من الدعاة المتحمسين جدًّا لنشر الإسلام ، فلما آن رحيله إلى الدار الآخرة بدأ يردد كلمات دعوية طالما قالها وهو يدعو الناس إلى الإسلام .

وعنه قال توماس . و . أرنولد : « وتجلت حماسته في نشر الدعوة ، حتى في آخر لحظةٍ من لحظات حياته ، حين سمعه بعض الناس خلسة وهو يقول على فراشِ الموت : اترك دينك وصر مسلمًا » فلما سئل عن ذلك ، قال : « إنه يتحدث إلى المسيحيين » .

وهذا فاروق الإسلام ، وهو على فراش الموت لا ينسى الدعوة إلى الإسلام والدخول في السلم كافة .

روى البخاري ، عن عمر بن ميمون قال : « جاء شابٌّ إلى عمر - رضي الله عنه - بعدما طعن ، وعرف الناس أنه ميت ، فقال رجل له : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ ، وقدم في الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ثم شهادة . قال : وددت أن ذلك كفافٌ ، لا علي ولا لي . فلما أدبر فإذا إزاره يمس الأرض ، فقال : « رُدّوا عليّ الغلام ، فقال : يا ابن أخي ، ارفع ثوبك فإنه أَنْقَى لثوبك وأَتْقَى لربِّك »[1] .

هذا عمر ... متكامل الشخصية .. في أحرج اللحظات وهو على فراش الموت ينهى عن إسبال الإزار للرجال ، فأين من يقول بأن الحديث عن هذا في واقع المسلمين الأليم الآن من علامات ضيق الأفق ؟! .

ونختم بمسك الختام وصديق الأُمة الأكبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

فإن آخر ما قاله أبو بكر - رضي الله عنه - قبل انتقاله إلى رحمة الله

---

(١) صحيح البخاري - كتاب فضائل الصحابة ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان .

كما روى الطبري في تاريخه (٣/٤١٤) : « عَلّي بعمر رضي الله عنه » فجاءه فقال له : « اسمع يا عمر ما أقول لك ، ثم اعمل به . إني لأرجو أن أموت من يومي هذا - وذلك يوم الإثنين - فإن أنا متُّ فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، ولا تشغلنكم مصيبةٌ وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم » .

الله أكبر ... لله درك من صِدِّيقٍ كان من الدِّين سمعه وبصره .

وفي هـذا أُسوةٌ للدعاة الذين يريدون الآخـرة ويعملون لها ... ويعيشون بالإسلام وللإسلام إلى يوم لقاء ربِّهم ﴿ **يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلبٍ سليم** ﴾ [الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] .

* * *



الفصْــلُ الثَّـانِـي

علـو الهمـة
في
الاتبـاع ومجانبة الابتـداع



□ علو الهمة في الاتباع ومجانبة الابتداع □

إذا أردت أن تعرف قدر الرجل ، فانظر أين همته من الاتباع ومجانبة الابتداع ... فلا يُعدّ الرجل رجلًا إلا إذا خالط حبُّ القرآن والسنة والعملُ بهما لحمه ودمه ، وآثرهما على ما سواهما . فقد بَعَث قيّومُ السموات والأرضين رسوله ﷺ بالكتاب المبين ، والنور للأرواح .

هو الفارق بين الهدى والضلال ، والغي والرشاد ، والشك واليقين . أنزله لنقرأه تدبرًا ، ونتأمله تبصُّرًا ، ونسعد به تذكُّرًا ، ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه ، ونصدق به ونجتهد على إقامة أوامره ونواهيه ، ونجتني ثمار علومه النافعة الموصلة إلى الله - سبحانه - من أشجاره ، ورياحين الحكم من بين رياضه وأزهاره .

فهو كتابه الدالّ عليه لمن أراد معرفته ، وطريقه الموصلة لسالكها إليه ، ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات ، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات ، والسبب الواصل بينه وبين عباده إذا انقطعت الأسباب ، وبابه الأعظم الذي منه الدخول ، فلا يغلق إذا غُلقت الأبواب . وهو الصراط المستقيم الذي لا تميل به الآراء ، والذِّكر لحكيم الذي لا تزيغ به الأهواء ، والنزل الكريم الذي لا يشبع منه العلماء ، لا تفنى عجائبه ، ولا تقلع سحائبه ، ولا تنقضي آياته ، ولا تختلف دلالاته ، كلما ازدادت البصائر فيه تأمُّلًا وتفكيرًا ، زادها هداية وتبصيرًا . وكلما بَجَّستْ معينه فجّر لها ينابيع الحكمة تفجيرًا . فهو نور البصائر من عماها ، وشفاء الصدور من أدوائها وجَوَاها ، وحياة القلوب ، ولذّة النفوس ، ورياض القلوب ، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، والمنادي بالمساء والصباح : يا أهل الفلاح ، حي على الفلاح . نادى منادي الإيمان على رأس الصراط المستقيم : ﴿ **يا قومنا أجيبوا داعيَ الله وآمنوا به يَغْفر لكم من ذنوبكم ويُجرْكم من عذاب أليم** ﴾ [الأحقاف : ٣١].

فحقيق بالإنسان أن ينفق ساعات عمره - بل أنفاسه - فيما ينال به المطالب العالية ، ويخلص به من الخسران المبين ، وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن وتفهمه وتدبره ، واستخراج كنوزه وإثارة دفائنه ، وصرف العناية إليه ، والعكوف بالهمة عليه ، فإنه الكفيل بمصالح العباد ، في المعاش والمعاد ، والموصل لهم إلى سبيل الرشاد ، فالحقيقة والطريقة ، والأذواق والمواجيد الصحيحة ، كلها لا تقتبس إلّا من مشكاته ، ولا تستثمر إلا من شجراته .

﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون ﴾ [يونس : ٥٨] .

وقال تعالى : **﴿ أوَ لم يَكْفِهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم إن في ذلك لرحمةً وذِكْرى لقوم يؤمنون ﴾** [العنكبوت : ٥١] .

لله درّ مَن « اتخذ الله وحده معبوده ومرجوه ومخوفه وغاية مقصده ومنتهى طلبه ، واتخذَ رسوله ﷺ - وَحدهُ - دليله وإمامه وقائده وسائقه ، فوحّد الله بعبادته ومحبته وخوفه ورجائه ، وإفراد رسوله بمتابعته والاقتداء به والتخلق بأخلاقه والتأدُّب بآدابه ، وللعبد في كل وقت هجرتان : هجرةٌ إلى الله بالطلب والمحبة ، والعبودية والتوكل ، والإنابة والتسليم والتفويض ، والخوف والرجاء والإقبال عليه ، وصدق اللجأ والافتقار في كل نفَسٍ إليه . وهجرةٌ إلى رسوله ﷺ في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة ، بحيث تكون موافقةً لشرعه الذي هو تفصيل محابّ الله ومرضاته ، ولا يقبل الله من أحدٍ دينًا سواه ، وكل عملٍ سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد ، قال بعض العارفين : كل عملٍ بلا متابعةٍ فهو عيش النفس »[1] .

---

(١) طريق الهجرتين ص٧ .

فهذا هو الغريب حقًّا « والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء . وأهل العلم في المؤمنين غرباء . وأهل السنة - الذين يميزونها من الأهـواء والبدع - فهم غرباء . والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين : هم أشدُّ هؤلاء غربة . ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًّا ، فلا غربة عليهم . وإنما غربتهم بين الأكثرين ، الذين قال الله عز وجل فيهم : ﴿ **وإنْ تُطِعْ أكثر من في الأرض يُضِلّوك عن سبيل الله** ... ﴾ [الأنعام : ١١٦] فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه ، وغربتهم هي الغربة الموحشة ، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم ، كما قيل :

فليس غريبًا مَنْ تَناءَتْ دياره ولكِنَّ مَن تنْأَيْنَ عنه غَرِيبُ

غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق . وهي الغربة التي مدح رسول الله ﷺ أهلها ، وأخبر عن الدين الذي جاء به أنه : « بدأ غريبًا » وأنه : « سيعود غريبًا كما بدأ » وأن « أهله يصيرون غرباء » .

وهذه الغربة قد تكون في مكانٍ دون مكان ، ووقت دون وقت ، وبين قومٍ دون قوم . ولكن أهل هذه « الغربة » هم أهل الله حقًّا ؛ فإنهم لم يأووا إلى غير الله ، ولم ينتسبوا إلى غير رسوله ﷺ ، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به . وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم ، فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا في مكانهم ، فيقال لهم : « ألا تنطلقون حيث انطلق الناس ؟ فيقولون : فارقنا الناس ، ونحن أحوج إليهم منا اليوم ، وإنا ننتظر ربنا الذي كنا نعبده » .

فهذه « الغربة » لا وحشة على صاحبها ، بل هو آنَسُ ما يكون إذا استوحش الناس ، وأشدّ ما تكون وحشته إذا استأنسوا ، فوليّه الله ورسوله والذين آمنوا ، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه .

ومن صفات هؤلاء الغرباء - الذين غبطهم النبي ﷺ -: التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس ، وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف

عندهم ، وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس ، وترك الانتساب إلى أحدٍ غير الله ورسوله ؛ لا شيخ ، ولا طريقة ، ولا مذهب ، ولا طائفة . بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده ، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده . وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقًّا . وأكثر الناس - بل كلهم - لائم لهم .

فلغربتهم بين هذا الخلق : يعدّونهم أهل شذوذٍ وبدعةٍ ، ومفارقة للسواد الأعظم .

ومعنى قول النبي ﷺ : « هم النزاع من القبائل » ، أن الله سبحانه بعث رسوله ، وأهل الأرض على أديانٍ مختلفة ، فهم بين عباد أوثان ونيران ، وعباد صور وصلبان ، ويهود وصابئة وفلاسفة ، وكان الإسلام في أول ظهوره غريبًا ، وكان من أسلم منهم ، واستجاب لله ولرسوله : غريبًا في حيّه وقبيلته وأهله وعشيرته ، فكان المستجيبون لدعوة الإسلام نزّاعًا من القبائل ، بل آحادًا منهم ، تغرّبوا عن قبائلهم وعشائرهم ، ودخلوا في الإسلام ، فكانوا هم الغرباء حقًا ، حتى ظهر الإسلام ، وانتشرت دعوته ودخل الناس فيه أفواجًا ، فزالت تلك الغربة عنهم . ثم أخذ في الاغتراب والترحل ، حتى عاد غريبًا كما بدأ . بل الإسلام الحق - الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه - هو اليوم أشدّ غُربةً منه في أول ظهوره ، وإن كانت أعلامُه ورسومُه الظاهرةُ مشهورةً معروفةً . فالإسلام الحقيقيّ غريب جدًّا ، وأهله غرباء أشدّ الغربة بين الناس .

وكيف لا تكون فرقةٌ واحدة قليلة جدًّا ، غريبةً بين اثنتين وسبعين فرقة ، ذات أتباع ورئاسات ، ومناصب وولايات ، ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول ؟! فإن نفس ما جاء به : يضادّ أهواءهم ولذاتهم ، وما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم ، والشهوات التي هي غاياتُ مقاصدهم وإراداتهم ؟ .

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريبًا بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم ، وأطاعوا شحهم ، وأعجب كلٌّ منهم برأيه ؟! كما قال النبي ﷺ : « مروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شحًّا مطاعًا وهوًى متَّبعًا ، ودنيا مُؤْثَرةً ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، ورأيت أمرًا لا بد لك به ، فعليك بخاصّة نفسك . وإياك وعوامّهم ؛ فإن وراءكم أيامًا صبر الصابر فيهن كالقابض على الجمر » .

ولهذا جعل للمسلم الصادق في هذا الوقت - إذا تمسك بدينه -: أجر خمسين من الصحابة ، ففي سنن أبي داود والترمذي - من حديث أبي ثعلبة الخشني - قال : سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفُسَكم لا يضرّكم من ضلَّ إذا اهتديتم** ﴾ [المائدة : ١٠٥] ، فقال : « بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا ، وهوًى متَّبعًا ، ودنيا مُؤْثَرةً ، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام ؛ فإن من ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر ، للعامل فيهن أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله » . قلت : يا رسول الله ، أجر خمسين منهم ؟ قال : « أجر خمسين منكم » .

وهذا الأجر العظيم إنما هو لغربته بين الناس ، والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم .

فإذا أراد المؤمن ، الذي قد رزقه الله بصيرةً في دينه ، وفقهًا في سنة رسوله ، وفهمًا في كتابه ، وأراه ما الناس فيه : من الأهواء والبدع والضلالات ، وتنكُّبهم عن الصراط المستقيم ، الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط : فليوطن نفسه على قدح الجهال ، وأهل البدع فيه ، وطعنهم عليه ، وإزرائهم به ، وتنفير الناس عنه ، وتحذيرهم منه ، كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ . فأما إن دعاهم إلى ذلك ، وقَدَح فيما هم عليه : فهنالك تقوم قيامتهم ،

ويبغون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، ويجلبون عليه بخيلِ كبيرهم ورَجْلِه .

فهو غريب في دينه ، لفساد أديانهم . غريبٌ في تمسكه بالسنة ؛ لتمسكهم بالبدع . غريب في اعتقاده ؛ لفساد عقائدهم . غريب في صلاته ؛ لسوء صلاتهم .. غريب في طريقه ؛ لضلال وفساد طرقهم . غريب في نسبته ؛ لمخالفة نسبهم . غريب في معاشرته لهم ؛ لأنه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم .

وبالجملة : فهو غريب في أمور دنياه وآخرته . لا يجد من العامة مساعدًا ولا مُعينًا . فهو عالمٌ بين جُهّال . صاحب سنة بين أهل بدع . داعٍ إلى الله ورسوله بين دعاةٍ إلى الأهواء والبدع . آمر بالمعروف ، ناهٍ عن المنكر بين قومٍ المعروف لديهم منكر والمنكر معروف »[١] .

قال رسول الله ﷺ : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولًا »[٢] .

قال ابن قيم الجوزية : « وهذه سهلة بالدعوى واللسان ، وهي من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان. والرضا بنبيه رسولًا يتضمن كمال الانقياد له ، والتسليم المطلق إليه ، بحيث يكون أولى به من نفسه ، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ، ولا يحاكم إلا إليه ، ولا يحكم عليه غيره ، ولا يرضى بحكم غيره ألبتة ، لا في شيءٍ من أسماء الرب وصفاته وأفعاله ، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته ، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه . لا يرضى بحكم غيره ، ولا يرضى إلا بحكمه . فإن عجز

---

(١) مدارج السالكين ١٩٦/٢ - ٢٠٠ .

(٢) رواه أحمد ومسلم والترمذي عن العباس بن عبد المطلب .

عنه ، كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يقيته إلا من الميتة والدم . وأحسن أحواله أن يكون من باب التراب الذي إنما يتيمم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور .

لا يبقى في قلبه حرج من حكمهٔ ، ويسلم له تسليمًا ، ولو كان مخالفًا لمراد نفسه أو هواها ، أو قول مقلده وشيخه وطائفته .

وهٰهنا يوحشك الناس كلهم إلا الغرباء في العالم . فإياك أن تستوحش من الاغتراب والتفرد ، فإنه **والله عين العزة** ، والصحبة مع الله ورسوله ، وروح الأُنس به ، والرضا به ربًّا ، وبمحمد ﷺ رسولًا ، وبالإسلام دينا . بل الصادق كلما وجد مسَّ الاغتراب ، وذاق حلاوته ، وتنسّم روحه ، قال : اللهم زدني اغترابا ، ووحشة من العالم ، وأُنسًا بك . وكلما ذاق حلاوة هذا الاغتراب ، وهذا التفرد ، رأى الوحشة عين الأنس بالناس ، والذل عيْن العزّ بهم ، والجهل عن الوقوف مع آرائهم وزبالة أُذهانهم ، والانقطاع عن التقيّد برسومهم وأوضاعهم ، فلم يؤثر بنصيبه من الله أحدًا من الخلق ، ولم يبع حظّه من الله بموافقتهم فيما لا يجدي عليه إلا الحرمان .

وغايته : مودة بينهم في الحياة الدنيا ، فإذا انقطعت الأسباب ، وحقَّت الحقائق ، وبعثر ما في القبور ، وحُصّل ما في الصدور ، وبليت السرائر ، ولم يجد من دون مولاه الحق من قوةٍ ولا ناصر ، تبيّن له حينئذٍ مواقع الربح والخسران ، وما الذي يخفّ أو يرجح به الميزان »[١] .

وقال ﷺ : « لا تزال طائفة من أُمَّتي ظاهرين على الحق ، حتى تقوم الساعة »[٢].

---

(١) مدارج السالكين ٢/١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك عن عمر وصححه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٧١٦٤ .

وقال ﷺ : « لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين ، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون »[١] .

وعن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرُّهم من خذلهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس » . رواه أحمد والبخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي قوامةً على أمر الله ، لا يضرها من خالفها »[٢] .

قال يزيد بن هارون : إن لم يكونوا أصحاب الحديث ، فلا أدري من هم .

وقال ابن المبارك : هم عندي أصحاب الحديث .

وقال ابن المديني : هم أصحاب الحديث .

وقال ابن حنبل : « إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث ، فلا أدري من هم » .

وقال البخاري : يعني أصحاب الحديث . وقال : هم أهل العلم .

فأهل الحديث - حشرنا الله معهم - لا يتعصبون لقول شخصٍ معين مهما سما وعلا ، حاشا محمدًا ﷺ ، وهم الذين هدم الله بهم كل بدعةٍ شنيعة ، فهم أمناء الله في خليقته ، وهم الطائفة الظاهرة والفرقة الناجية ، بل والأمة الوسط ، الشهداء على الخلق .

الدعوة إلى الاتباع ... الدعوة إلى الكتاب والسنة : منهجٌ للحياة ومنهجٌ للفكر ، ومنهجٌ للتصور ، تطلق الإنسان من كل قيدٍ إلا ضوابط الفطرة .

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن المغيرة .

(٢) صحيح : رواه ابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٧١٦٨ .

﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

الدعـوة إلى الكتاب والسنة ... الدعوة إلى الاتباع : دعوةٌ تُحيي القلوب والعقول ، وتطلقها من أوهاق الجهل والخرافة ، ومن ضغط الوهم والأسطورة ، ومن العبودية لغير الله ، والمذلة للعبدِ أو للشهواتِ سواءٌ .

قال تعالى : **﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون * ومن يُطع الله ورسوله ويخشى الله ويَتقْهِ فأولئك هم الفائزون ﴾** [النور : ٥١ - ٥٢] .

وقال تعالى : **﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا قد يعلم الله الذين يتسلّلون منكم لِواذًا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم ﴾**. [النور : ٦٣] .

وقال تعالى : **﴿ يأيها الذين آمنوا لا تُقدِّموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم * يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعضٍ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾**. [الحجرات : ١ - ٢] .

يقول ابن القيم رحمه الله : « فرأس الأدب مع الرسول ﷺ كمال التسليم له ، والانقياد لأمره ، وتلقي خبره بالقبول والتصديق ، دون أن يحمله معارضة خيالٍ باطلٍ يسميه معقولًا ، أو يحمله شبهة أو شكًّا ، أو يقدم عليه آراء الرجال ، وزبالات أذهانهم ، فيوحده بالتحكيم والتسليم ، والانقياد والإذعان . كما وحد المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل .

فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما : توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول . فلا يحاكم إلى غيره ، ولا يرضى بحكم غيره . ولا

يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه ، وذوي مذهبه وطائفته ، ومن يعظمه ، فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره ، وإلا فإن طلب السلامة : أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم ، وإلا حرفه عن مواضعه ، وسمى تحريفه تأويلًا وحملًا . فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنبٍ على الإطلاق - ما خلا الشرك بالله - خيرٌ له من أن يلقاه بهذه الحال .

ولقد خاطبت يومًا بعض أكابر هؤلاء ، فقلت له : سألتك بالله ، لو قُدِّرَ أن الرسول ﷺ حَيٌّ بين أظهرنا ، وقد وَاجَهَنا بكلامه وبخطابه ، أكان فرضًا علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه ، أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم ؟ فقال : بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفاتٍ إلى سواه . فقلت : فما الذي نسخ هذا الفرض عنا ؟ وبأي شيءٍ نسخ ؟ فوضع إصبعه على فيه ، وبقي باهتًا متحيِّرًا ، وما نطق بكلمة .

هذا أدب الخواص معه ، لا مخالفة أمره ، ورفع الأصوات ، وإزعاج الأعضاء بالصلاة عليه والتسليم ، وعزل كلامه عن اليقين ، وأن يستفاد منه معرفة الله ، أو يتلقى منه أحكامه ، بل المعول في باب معرفة الله : على العقول المنهوكة المتحيرة المتناقضة ، وفي الأحكام : على تقليد الرجال وآرائها . والقرآن والسنة إنما نقرؤهما تبرُّكًا ، لا أنا نتلقى منهما أصول الدين ولا فروعه . ومن طلب ذلك ورامه ، عاديناه وسعينا في قطع دابره واستئصال شأفته : ﴿ **بل قلوبهم في غمرةٍ من هذا ولهم أعمالٌ من دون ذلك هم لها عاملون حتى إذا أخذنا مُترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي تُتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرًا تهجرون أفلم يدَّبَّروا القول أم جاءهم ما لم يأتِ آباءهم الأولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له مُنكِرون أم يقولون به جِنّة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتَّبع الحقُّ**

أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهنّ بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خَرْجًا فخَراجُ ربِّك خيرٌ وهو خير الرازقين وإنك لتدعوهم إلى صراطٍ مستقيمٍ وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ﴾ [المؤمنون : ٦٣ - ٧٤] .

والناصح لنفسه ، العامل على نجاتها يتدبّر هذه الآيات حقّ تدبرها ، ويتأملها حق تأملها ، وينزلها على الواقع فيرى العجب ، ولا يظنها اختصت بقومٍ كانوا فبانوا « فالحديث لك واسمعي يا جارة » والله المستعان .

ومن الأدب معه : أن لا ترفع الأصوات فوق صوته ، فإنه سببٌ لحبوط الأعمال ، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به ؟ أترى ذلك موجبًا لقبول الأعمال ؟! ورفع الصوت فوف صوته موجب لحبوطها »(١) .

قال تعالى : ﴿ **لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجًا** ﴾. [المائدة : ٤٨] . قال ابن عباس : سبيلٌ وسنة .

وقال تعالى : ﴿ **ثم جعلناك على شريعةٍ من الأمر فاتَّبعها** ﴾ [الجاثية : ١٨] . قال الحسن : على السنة .

وقال تعالى : ﴿ **الذين آتينـاهم الكتاب يتلونه حقّ تـلاوته** ﴾. [البقرة : ١٢١] قال عطاء : يتبعونه حقّ اتّباعه ، ويعملون به حق عمله .

وقال تعالى : ﴿ **ويُعلِّمهم الكتاب والحكمة** ﴾ [آل عمران : ١٦٤]. قال الحسن : الكتاب : القرآن ، والحكمة : السنة .

وقال تعالى : ﴿ **وإني لغفّارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى** ﴾. [طه : ٨٢]. قال سعيد بن جبير : ثم استقام . قال : لزوم السنة والجماعة . وقال شمر بن عطية : ثم اهتدى . قال : للسنة .

---

(١) مدارج السالكين ٢/٣٨٧ - ٣٨٩ .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودّ وجوه** ﴾ [آل عمران : ١٠٦] ، قال : فأما الذين ابيضت وجوههم : فأهل السنة والجماعة وأولو العلم ، وأما الذين اسودت وجوههم : فأهل البدع والضلالة .

وقال تعالى : ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم** ﴾. [النساء : ٥٩] . قال عطاء : طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة .

وقال تعالى : ﴿ **فإن تنازعتم في شيءٍ فرُدُّوه إلى الله والرسول** ﴾. قال ميمون بن مهران : ما دام حيًّا ، فإذا قُبض فإلى سنته . وقال مجاهد : كتاب الله وسنة نبيه ، ولا تردوا إلى أُولي الأمر شيئًا .

قال تعالى : ﴿ **وإن تُطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ [النور : ٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله ورسوله يُدخله جناتٍ تجري من تحتها الأنهار** ﴾. [النساء : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقًا** ﴾. [النساء : ٦٩] .

وقال تعالى : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾. [النساء : ٨٠] .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يُطع الله ورسوله ويخشى الله ويَتَّقْهِ فأولئك هم الفائزون** ﴾. [النور : ٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يُطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٧١] .

وقال تعالى : ﴿ **ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله** ﴾. [التوبة : ٧١] .

وقال تعالى : ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول** ﴾ [آل عمران : ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ **وأطيعوا الله ورسوله ولا تولّوا عنه وأنتم تسمعون** ﴾ [الأنفال : ٢٠] .

وقال تعالى : ﴿**وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم**﴾. [محمد: ٣٣].

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من نبيٍّ بعثه الله في أمةٍ قبلي ، إلا كان له من أمته حواريُّون ، وأصحاب يأخذون بسنته ، ويتقيدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »(١) .

وقال ﷺ : « إن أناسًا من أُمتي يأتون بعدي ، يودّ أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهله وماله »(٢).

وقال ﷺ : « أشدّ أُمتي لي حبًّا قومٌ يكونون بعدي ، يودّ أحدهم أنه فقد أهله وماله وأنه رآني »(٣).

والدعاوى يحتج لها ولا يحتج بها ... وللمحبة علامات حتى لا يدعي الخلي حرقة الشجي .

فأول علامات المحبة : الاتباع والاعتصام بالكتاب والسنة .

قال الحسن : ادَّعى قوم على عهد رسول الله ﷺ محبة الله ، فابتلاهم الله بهذه الآية : ﴿ **قل إن كنتم تحبُّون الله فاتَّبعوني يحُببْكمُ الله ويغفر لكم**

---

(١) رواه أحمد ومسلم .

(٢) حسن : أخرجه الحاكم عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٠٠٨).

(٣) صحيح : رواه أحمد في المسند عن أبي ذر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٠٣) .

ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ .

وثمرة الاتباع محبة الله للمتبع .. وشأن عظيم أن تُحِب ، وأعظم منه أن تُحَبّ .

حواريُّو الرسول من يأخُذون بسُنّته ويتقيّدون بأمره ، وهم أنصار سنته ، يود أحدُهم لو اشترى رؤيته بأهله وماله وولده ، وهم أعلى الناس همة في اتباع هديه ، وحث الناس على التمسك بسنته ، وذم أهل البدع والتنفير منهم .

قال تعالى : **﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنتْ طائفةٌ من بني إسرائيل وكفرت طائفةٌ فأيّدْنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾** [الصف : ١٤] .

« هذا الموضع الكريم الذي يرفعهم الله إليه ، وهل أرفع من مكانٍ يكون فيه العبد نصيرًا للرب ؟! إن هذه الصفة تحمل من التكريم ما هو أكبر من الجنة والنعيم ... كونوا أنصار الله ... فما أجدر أتباع محمد ﷺ أن يَنْتَدِبُوا لهذا الأمر الدائم ، كما انْتَدَبَ الحواريُّون للأمر الموقوت .

وفي هذا استنهاضُ همةِ المؤمنين بالدين الأخير ، الأُمَناء على منهج الله في الأرض ، وورثة العقيدة والرسالة الإلهية ، المختارين لهذه المهمة الكبرى ، استنهاض همتهم لنصرة الله ونصرة دينه . فما أطعمه من مذاق وما أعظمها من مهمة ، وما أعلاها من همة .. أن تَتَّبع وتقود الناس إلى الاتباع .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي على الناس زمانٌ ، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر »[1] .

---

(١) صحيح . رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٨٧٩) ، والصحيحة رقم (٩٥٥) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من ورائكم زمان صبرٍ ، للمتمسِّك فيه أجر خمسين شهيدًا منكم »[١] .

وعن ابن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « طوبى للغرباء ، أناس صالحون في أناس سوءٍ كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم »[٢] .

وقال ﷺ : « إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ ، فطوبى للغرباء »[٣] .

وفي رواية جابر : « الذين يصلحون إذا فسد الناس » .

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلتْ منها القلوب ، وذرفتْ منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظةُ مُوَدِّعٍ ، فأوصنا . قال : أُوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإنْ تأمَّر عليكم عبدٌ ، وإنه من يَعِش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بُسنَّتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كلّ بدعةٍ ضلالةٌ »[٤] .

---

(١) صحيح . رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٢٣٠) .

(٢) صحيح . رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٨١٦) ، والصحيحة رقم (١٦١٩) .

(٣) رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ، والترمذي وابن ماجة عن ابن مسعود ، وابن ماجة عن أنس ، والطبراني في الكبير عن سلمان وسهل بن سعد وابن عباس .

(٤) صحيح . رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٠/١ .

وقوله : « عضّوا عليها بالنواجذ » أي اجتهدوا على السُّنّة والزموها ، واحرصوا عليها كما يلزم العاضُّ على الشيء بنواجذه ، خوفًا من ذهابه وتفلُّته .

وعن أبي شريح الخزاعي قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ ». قالوا : بلى . قال : « إن هذا القرآن طرَفه بيد الله وطَرَفه بأيديكم ، فتمسَّكُوا به ، فإنكم لن تضلّوا ولن تهلكوا بعده أبدا »[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تركت فيكم شيئيْن ، لن تضلّوا بعدهما ؛ كتاب الله وسُنّتي ، ولن يتفرَّقا حتى يردا عليَّ الحوض »[2] .

وعن أبي موسى ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب[3] أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أُخرى ، إنما هي قيعانٌ لا تمسك ماءً ، ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به » . متفق عليه .

---

(١) صحيح . رواه الطبراني في الكبير ، وقال المنذري : إسناده جيد ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١/٢٠ .
هذه الأحاديث وأكثر منها وردت في كتاب لي تحت الطبع وهو : « عطر الياسمين في اتّباع سيِّد المرسلين » .

(٢) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك ، وصححه ووافقه الألباني ، وصححه في صحيح الجامع رقم (٢٩٣٤) .

(٣) جمع أجدب ، وهي الأرض الصلبة التي تمسك الماء .

وعن المقدام بن معدي كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يُوشك رجلٌ شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموه ، وإن ما حرم رسولُ الله ﷺ كما حرَّم الله ، ألا لا يحلُّ لكم الحمار الأهليُّ ، ولا كلُّ ذي نابٍ من السِّباع ؛ ولا لُقَطَة معاهدٍ ، إلا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم ، فعليهم أن يقروه[1]، فإن لم يقروه ، فله أن يُعقبهم بمثل قِراه »[2] .

وروى الترمذي بسندٍ صحيح ، عن أبي رافعٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا أُلْفينّ أحَدَكم مُتّكِئًا على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري ، مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه ، فيقول : لا أدري ، ما وجدنا في كتاب الله اتَّبعناه »[3] .

وقال رسول الله ﷺ : « قد تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بما عرفتم من سُنّتي ، وسُنّة الخلفاء الراشدين المهدِيِّين ، عضّوا عليها بالنّواجِذ ، وعليكم بالطاعة وإنْ عبدًا حَبَشِيًّا ، فإنما المؤمن كالجمل الأنف ، حيثما قِيدَ انقاد »[4].

---

(١) أي يُضيّفوه .

(٢) صحيح : رواه أبو داود في « الأطعمة » وفي السنة ، وروى الدارمي نحوه ، وكذا ابن ماجة إلى قوله : « كما حرَّم الله » . وقال الألباني في التعليق على المشكاة (١/٥٧ - ٥٨) : سنده صحيح .

(٣) صحيح : رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة والبيهقي في « دلائل النبوة » وسنده صحيح .

(٤) صحيح : رواه أحمد وابن ماجة والحاكم عن العرباض ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٣٦٩) .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهَدْي هدي محمد ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ » . رواه مسلم .

وعن جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ حين أتاه عمر ، فقال : إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا ، أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال : « أمُتَهَوِّكُون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي » .

ولفظ الدارمي : عن جابر ، أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة ، فقال : يا رسول الله ، هذه نسخة من التوراة ، فسكت ، فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير ، فقال أبو بكر : ثكلتك الثواكل ! ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟! فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ فقال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا . فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفس محمد بيده ، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني ، لضللتم عن سواء السبيل ، ولو كان حيًّا وأدرك نبوتي لاتبعني »[١].

عن البراء بن عازب رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل : اللهم أسلمتُ وجهي إليك ، وفوّضتُ أمري إليك ، وألجأتُ ظهري إليك ، رغبةً ورهبةً إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك

---

(١) حسن . رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان والدارمي ، وقال الألباني في التعليق على مشكاة المصابيح (١/٦٣) : « وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف ، ولكن الحديث حسن عندي لأن له طرقًا كثيرة عند اللالكائي والهروي وغيرهما » .

الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت . واجعلهن من آخر كلامك ، فإن مت من ليلتك ، مت وأنت على الفطرة » . قال : فرددتهن لأستذكرهن فقلت : آمنت برسولك الذي أرسلت قال : « قل : آمنت بنبيك الذي أرسلت »[1].

لله ما أحلى هذا الحديث في الحثّ على الاتباع ... قد يقول قائل : ما الفرق بين نبيك ورسولك ؟ الفرق بينهما الاتباع .

قال النووي في شرح مسلم (٥/٥٦٣) : « اختار المازري وغيره ، أن سبب الإنكار : أن هذا ذكر ودعاء ، فينبغي فيه الاقتصار على اللفظ الوارد بحروفه ، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف ، ولعله أُوحي إليه ﷺ بهذه الكلمات ، فيتعين أداؤها بحروفها ، وهذا القول حسن » .

إن كان يتعين هذا في باب الأذكار ، فما ظنك بالاعتقاد والأحكام ؟!

فاقصد البحر وخلِّ القنوات .. إذا أتى نهر الله بطل نهر معقل .. في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل .

ونسرد ونعطر صفحاتنا بذكر سادات المتبعين وذبهم عن السنة ودحضهم للبدعة .

الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه :

قال رضي الله عنه : « لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ » .

هذه والله أعلى الهمم ممن كان من دين الله السمع والبصر .

أخرج البيهقي بسنده : جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه لتسأله ميراثها . فقال لها أبو بكر : ما لك في كتاب الله شيء ، وما أعلم لك في سنة النبي ﷺ شيئًا ، فارجعي حتى أسأل الناس ، فسأل الناس ، فقال له المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس . فقال

(١) رواه البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم .

أبو بكر : هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال ، فأنفذه لها أبو بكر .

الفاروق عمر رضي الله عنه :

خَرّج ابن المبارك عن عمر بن الخطاب : أن يزيد بن أبي سفيان يأكل ألوان الطعام ، فقال عمر لمولى له - يقال له : يرفأ -: إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني . فلما حضر عشاؤه أعلمه ، فأتاه عمر فسلم عليه ، فاستأذن فأذن له فدخل ، فقرب عشاءَه فجاء بثريد لحم ، فأكل عمر معه منها ، ثم قرب شواء فبسط يزيد يده ، وكف عمر ، ثم قال : والله يا يزيد ابن أبي سفيان ، أطعامٌ بعد طعام ؟ والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم .

عن المسور بن مخرمة ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان ، فقرأ فيها حروفًا لم يكن النبي ﷺ أقرأنيها ، فأردت أساوره وأنا في الصلاة ، فلما فرغ قلت : من أقرأك هذه القراءة ؟ فقال : رسول الله ﷺ . فقلت : كذبت ، والله ما أقرأك هكذا رسول الله ﷺ . فأخذت بيده أقوده ، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، إنك أقرأتني سورة الفرقان ، وإني سمعت هذا يقرأ فيها حروفًا لم تكن أقرأتنيها . فقال رسول الله ﷺ : « اقرأْ يا هشام » فقرأ كما كان قرأ ، فقال رسول الله ﷺ : « هكذا أُنزلت » ثم قال : « اقرأ يا عمر » فقرأت ، فقال : « هكذا أُنزلت » ثم قال رسول الله ﷺ : « إن القرآن أُنزل على سبعةِ أحرفٍ » .

واستلم عمر الحجر الأسود وقال : إني لأعلم أنك حَجَر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك .

وعن المسيب رحمه الله قال : قضى عمر رضي الله عنه بقضاءٍ في

الأصابع ، ثم أُخبر بكتابٍ كتبه النبي ﷺ لابن حزمٍ ، فأخذ به وترك أمره الأول .

وقال نافع : كان الناس يأتون الشجرة ، التي بايع رسول الله ﷺ تحتها بيعة الرضوان ، فيصلون عندها ، فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها ، وأمر بها فقطعت .

وعن المعرور قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها ، قال : فقرأ بنا في الفجر ﴿ **ألم تَرَ كيف فعَل ربّك بأصْحابِ الفيل** ﴾ ، و ﴿ **لإيلاف قريش** ﴾ فلما انصرف ، فرأى الناس مسجدًا فبادروه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مسجدٌ صلَّى فيه النبي ﷺ ، فقال : هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم ، اتخذوا آثارَ أنبيائهم بيعًا ، من عرضت له صلاة فليصل ، ومن لم تعرض له صلاة فليمض .

قال عمر رضي الله عنه على المنبر : « ألا إن أَصحاب الرأْي أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فأفتوا برأيهم ، فضلوا وأضلوا ، ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي ، ونتبع ولا نبتدع ، ما نضل ما تمسكنا بالأثر » .

وعن عمر قال : اتهموا الرأْي على الدين ، فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأي اجتهادًا ، ووالله ما آلو عن الحق ، وذلك يوم أبي جندل ، والكفار بين يدي رسول الله ﷺ ، وأهل مكة ، فقال : « اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم » . فقالوا : إنا قد صدقناك بما تقول ، ولكن تكتب : باسمك اللهم . قال : فرضي رسول الله ﷺ وأبيت عليهم ، حتى قال : « يا عمر ، تراني قد رضيت وتأبى ؟! » قال : فرضيت .

وعن عمر بن ميمون ، عن أبيه قال : أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا لما فتحنا المدائن ، أصبت كتابًا فيه كلام معجب . قال : أمن كتاب الله ؟ قال : لا . فدعا بالدرة فجعل يضربه بها ، فجعل يقرأ ﴿ **الر تلك آيات الكتاب المبين إنّا أنزلناه قرآنًا عربيًّا**

لعلكم تعقلون ﴾ إلى قوله : ﴿ **وإنْ كنت من قبله لمن الغافلين** ﴾ [يوسف : ١ - ٣]. ثم قال : إنما هلك من كان قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم ، وتركوا التوراة والإنجيل ، حتى دَرَسَا وذهب ما فيهما من العلم .

وعن أَسْلم قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : فيم الرمَلان والكشف عن المناكب ، وقد أطال الله الإسلام ونفى الكفر وأهله ، ومع ذلك لا ندع شيئًا كنا نفعله في عهد رسول الله ﷺ .

وعن السائب بن يزيد أنه قال : أتى رجل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا لقينا رجلًا يسأل عن تأويل القرآن . فقال : اللهم أمكني منه . قال : فبينا عمر ذات يوم جالسًا يغدي الناس إذ جاءه وعليه ثياب وعمامة ، حتى إذا فرغ فقال : يا أمير المؤمنين ﴿ **والذَّاريات ذَرْوًا فالحاملات وِقْرًا** ﴾. فقال عمر رضي الله عنه : أنت هو ؟ فقام إليه ، وحسر عن ذراعيه ، فلم يزل يضربه حتى سقطت عمامته ، فقال : والذي نفس عمر بيده ، لو وجدتك محلوقًا لضربت رأسك ، ألبسوه ثيابه واحملوه على قتبٍ ، ثم أخرجوه ، حتى تقدموا عليه بلاده ، ثم ليقم خطيبًا ، ثم ليقل : إن صبيغًا ابتغى العلم ، فأخطأه ، فلم يزل وضيعًا في عمره حتى هلك[1] .

وأخرج البيهقي بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال على المنبر : « يأيها الناس ، إن الرأي إنما كان من رسول الله ﷺ مصيبًا ؛ لأن الله تعالى كان يريه ، وإنما هو منا الظن والتكلف » .

وأخرج البخاري عن عائشة قالت : لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص١٢٣ ، ١٢٤ تحقيق د . زينب إبراهيم ، دار الكتب العلمية .

مجوس هجر .

وأخرج سعيد بن منصور عن عمران بن حصين أنهم كانوا يتذاكرون الحديث ، فقال رجل : دعونا من هذا وجيئونا بكتاب الله . فقال عمر : إنك أحمق ، أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرة ؟ أتجد في كتاب الله الصيام مفسَّرًا ؟! إن القرآن أَحْكم ذلك والسُّنة تفسره .

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

أخرج البخاري عن مروان بن الحكم قال : « شهدت عليًّا وعثمان بين مكة والمدينة ، وعثمان ينهى عن المتعة ، وأن يجمع بينهما ، فلما رأى ذلك عليٌّ أهلَّ بهما جميعًا فقال : لبيك بحجة وعمرة معًا ، فقال عثمان : تراني أنهى الناس عن شيء وأنت تفعله ! فقال : ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحدٍ من الناس » .

وأخرج البيهقي بسنده عن علي رضي الله عنه قال : « لو كان الدِّين بالرأي لكان باطن الخُفَّيْن أحق بالمسح من ظاهرهما ، ولكن رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهرهما » .

سيد القُرَّاء ، المذرى إذا سما من الشوق والكرب سيد المسلمين أبيّ بن كعب رضي الله عنه :

يقول : « عليكم بالسَّبيل والسنَّة ، فإنه ما على الأرض من عبدٍ على السبيل والسنة ذَكَرَ الله ففاضت عيناه من خشية الله فيعذبه الله أبدًا . وما على الأرض من عبدٍ على السبيل والسنة ذكر الله فاقشعرَّ جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرةٍ قد يبس ورقها ، فهي كذلك ، إذا أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها ، فإن اقتصادًا في سبيل الله وسنةٍ خيرٌ من خلاف سبيل الله وسنة ، وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادًا واقتصادًا أن يكون على منهاج

الأنبياء وسنتهم » .

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :

وفي الصحيح أنه قال : «يا معشر القراء ، اسلكوا الطريق ، فلئن سلكتموها لقد سبقتم سبقًا بعيدًا ، ولئن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا ... » **وفي رواية ابن المبارك : « فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقًا** بعيدًا » .

وعنه رضي الله عنه : « أخوف ما أخاف على الناس اثنتان : أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون ، وأن يضلوا وهم لا يشعرون » .

وعنه : « أنه أخذ حجرين ، ووضع أحدهما على الآخر ، ثم قال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا : يا أبا عبد الله ، ما نرى بينهما من النور إلا قليلًا . قال : والذي نفسي بيده ، لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور ، والله لتفشون البدع حتى إذا ترك منها شيء قالوا : تركت السنة » .

وعنه أنه قال : « أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ، وآخر ما تفقدون الصلاة ، ولتنقضن عرى الإسلام عروة عروة ، وليطأن نساؤكم وهن حيض ، ولتسلكن طريق من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، وحذو النعل بالنعل ، لا تخطئن طريقهم ، ولا تخطىء بكم ، وحتى تبقى فرقتان من فرق كثيرة ، تقول إحداهما : ما بال الصلوات الخمس ، لقد ضل من كان قبلنا ، إنما قال الله : ﴿ **أقمِ الصلاةَ طرفي النَّهار وزُلَفى من الليل** ﴾ لا تصلون إلا ثلاثًا . وتقول الأخرى : إنما المؤمنون بالله كإيمان الملائكة ، ما فيها كافر ولا منافق . حق على الله أن يحشرهما مع الدجال » .

وهذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

روى عنه مسلم أنه قال : « من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ

على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله عز وجل شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم ﷺ لضللتم » .

فتأمل كيف جعل تركها ضلالة ، وفي رواية : « لو تركتم سنة نبيكم ﷺ لكفرتم » .

وعنه رضي الله عنه أنه قال : « اتَّبِعوا آثارنا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم » .

وقال : « عليكم بالعلم قبل أن يقبض ، وقبضه بذهاب أهله ، عليكم بالعلم ، فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده ، وستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله ، وقد نبذوه وراء ظهورهم ؛ فعليكم بالعلم ، وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق ، وعليكم بالعتيق » .

وعنه أيضًا : « ليسْ عام إلا والذي بعده شرٌّ منه ، لا أقول : عامٌ أمطر من عام ، ولا عام أخصب من عام ، ولا أمير خير من أمير ، ولكن ذهاب علمائكم وخياركم ، ثم يحدث قوم يقيسون الأمور بآرائهم ، فيهدم الإسلام ويثلم » .

وقال أيضًا : « كيف أنتم إذا أُلبستم فتنة يهرم فيها الكبير ، وينشأ فيها الصغير ، تجري على الناس يحدثونها سنة ، إذا غيرت قيل : هذا منكر » .

وقال أيضًا : « أيها الناس ، لا تبتدعوا ولا تنطعوا ولا تعمقوا ، وعليكم بالعتيق ، خذوا ما تعرفون ، ودعوا ما تنكرون » .

وعنه أيضًا : « القصد في السنة خيرٌ من الاجتهاد في البدعة » .

وعن علو همته في الاتباع وذمِّ الابتداع :

قال عمرو بن زُرَارة : « وقف عليَّ عبد الله - يعني ابن مسعود - وأنا أقصُّ فقال : يا عمرو ، لقد ابتدعت بدعة ضلالة ، أو إنك لأهدى من محمد وأصحابه !! فلقد رأيتهم تفرقوا عني ، حتى رأيت مكاني ما فيه أحد »(١) .

« وعن يسار أبي الحكم أن عبد الله بن مسعود حدث أن أُناسًا بالكوفة يسبحون بالحصى في المسجد ، فأتاهم وقد كوم كُلُّ رجلٍ منهم بين يديه كومة حصى ، قال : فلم يزل يحصبهم بالحصى حتى أخرجهم من المسجد ، ويقول : « لقد أحدثتم بدعةً ظلمًا ، أو قد فضلتم أصحاب رسول الله ﷺ علمًا ! » .

ومرّ عبدُ الله برجل يقصُّ في المسجد على أصحابه وهو يقول : سبحوا عَشْرًا وهللوا عَشْرًا . فقال عبد الله : « إنكم لأهدى من أصحاب محمدٍ ﷺ أو أضل ، بل هذه ، بل هذه . يعني أضل » .

وعن عبدة بن أبي لبابة أن رجلًا كان يجمع الناس فيقول : رحم الله من قال كذا وكذا مرةً : سبحان الله ، قال : فيقول القوم ، فيقول : رحم الله من قال كذا وكذا مرةً : الحمد لله ، قال : فيقول القوم ، قال : فمر بهم عبد الله بن مسعود فقال : لقد هديتم لما لم يهتد له نبيكم ، أو إنكم لتمسكون بذنب ضلالة .

ومر ابن مسعود بامرأةٍ معها تسبيح تسبح به ، فقطعه وألقاه ، ثم مر برجل يسبح بحصًى فضربه برجله ، ثم قال : لقد سبقتم ، ركبتم بدعة ظلمًا ، أو لقد غلبتم أصحاب محمدٍ ﷺ علمًا .

---

(١) صحيح : رواه الطبراني في الكبير بإسنادين ، أحدهما صحيح كما قال المنذري في الترغيب والترهيب ، وأخرجه بالدارمي بنحوه أتم منه ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٢٧ .

وجاء المسيب بن نجيد إلى عبد الله فقال : إني تركت في المسجد رجالًا يقولون : سبحوا ثلثمائة وستين ، فقال : قم يا علقمة واشغل عني أبصار القوم ، فجاء فقام عليهم فسمعهم يقولون ، فقال : إنكم لتمسكون بأذناب ضلال ، أو إنكم لأهدى من أصحاب محمد ﷺ ، أو نحو هذا »[١] .

نعم يا صاحب سواك رسول الله ﷺ ... هذه آنيةُ محمد ﷺ لم تجفّ ، وثيابه لم تَبْلُ .

عبد الله بن عباس ، ترجمان القرآن رضي الله عنه :

ولقد كان لترجمان القرآن القدح المعلَّى في الاتباع .

« فعن عروة بن الزبير أنه قال لابن عباس : أضللت الناس . قال : وما ذاك يا عرية ؟ قال : تأمر بالعمرة في هؤلاء العشر ، وليست فيهن عمرة . فقال : أولا تسأل أمك عن ذلك ، فقال عروة : فإن أبا بكر وعمر لم يفعلا ذلك . فقال ابن عباس : هذا الذي أهلككم ، والله ما أرى إلا سيعذبكم ، إني أحدثكم عن النبي ﷺ وتجيبون بأبي بكر وعمر »[٢] .

وأخرج الدارمي عن ابن عباس قال : أما تخافون أن تعذبوا ويخسف بكم ؛ أن تقولوا:قال رسول الله ﷺ وقال فلان !.

وعنه أيضًا : أيها الناس ، توشك أن تنزل عليكم حِجَارةٌ من السماء ، أقول لكم : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون:قال أبو بكر وقال عمر !! .

لله درك من « طين عجن بماء الوحي ، وغرس بماء الرسالة ، فهل

---

(١) « البدع والنهي عنها » لابن وضّاح القرطبي ص١٧ – ٢٠ ، طبع دار الصفا .

(٢) رواه أحمد والخطيب في الفقيه والمتفقه بسند صحيح نقله في كتاب « العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون » علي حسن علي عبد الحميد ، طبع مكتبة الغرباء الأثرية .

يفوح منك إلا مسك الهدى وعنبر التقى » ... « أقول لكم : قال رسول الله ، وتقولون : قال أبو بكر وقال عمر ... لله درك ... عالي الهمة ... اللقن المعلم ، والفطن المفهم ، فخر الفخار ، وبدر الأحبار ، وقطب الأفلاك ، وعنصر الأملاك المنافس في نفائس الأخلاق ، البحر الزخار ، والعين الحزار ، مفسر التنزيل ، ومبين التأويل ، المفرس الحساس ، والوضيء اللباس ، مكرم الجلاس ، ومطعم الأناس عبد الله بن عباس » .

قال رضي الله عنه : « عليكم بالاستفاضة والأثر ، وإياكم والبدع » .

وقال : « ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعةً وأماتوا سنة ، حتى تحيا البدع وتموت السنن »[١] .

قال ابن عباس : « إنما هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فمن قال بعد ذلك برأيه فما أدري أفي حسناته أم في سيئاته ؟ » .

حكيم الأمَّة أبو الدَّرْدَاء رضي الله عنه :

أخرج البيهقي عن عطاء بن يسار أن معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهبٍ أو ورقٍ بأكثر من وزنها ، فقال له أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ نهى عن مثل هذا ، إلا مثلًا بمثل ، فقال له معاوية : ما أرى بهذا بأسًا . فقال أبو الدرداء : من يعذرني من معاوية ، أخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه ؟! لا أُساكنك بأرضٍ أنت بها .

أبو سعيد الخدري رضي الله عنه :

أخرج الشافعي عن أبي سعيد الخدري أنه لقي رجلًا فأخبره عن

---

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/٨١ .

رسول الله ﷺ شيئًا فخالفه ، فقال أبو سعيد : والله لا أواني وإياك سقف بيت أبدًا .

عبد الله بنَ مُغَفَّل رضي الله عنه :

وأخرج الشيخان عن عبد الله بن بُريدة أن عبد الله بن مغفل رأى رجلًا يخذف فنهاه ، وقال : إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف ، وقال : « إنه لا يرد الصيد ، ولا ينكأ العدو ، ولكنه يكسر السن ، ويفقأ العين » فرآه بعد ذلك يخذف ، فقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ ثم تخذف ، والله لا أكلمك أبدًا .

عِمرانُ بن حُصين رضي الله عنه :

وأخرج الشيخان عن عمران بن حصين أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الحياءُ خير كله » فقال بشير بن كعب : إنا نجد في بعض الكتاب : أن منه سكينة ووقارًا ، ومنه ضعفًا . فغضب عمران بن حصين حتى احمرت عيناه . وقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه . وفي رواية : « وتحدثني عن صحفك » .

ولفظ ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق : قال بشير بن كعب : إن فيه ضعفًا ، وإن منه لعجزًا . فقال عمران : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتجيء بالمعاريض ، لا أحدثك بحديثٍ ما عرفتك . فقالوا : يا أبا نُجيد : إنه طيب الهوىٰ ... وإنه ... وإنه ، فلم يزالوا به حتى سكن .

أم المؤمنين ، الصِّدِّيقة بنت الصِّديق ، عائشة رضي الله عنها :

عن معاذة العدوية أنها سألت عائشة رضي الله عنها : « ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فقالت عائشة : أحرورية أنت ؟ قالت : لست بحرورية ، ولكني أسأل . فقالت : كان يصيبنا ذلك مع رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة » .

هذا هو الاتباع « نؤمر ، ولا نؤمر » فرضي الله عن أمِّ المؤمنين ، حبيبة رسول الله ﷺ .

الإمام القدوة شيخ الإسلام المُتعبِّد المتهجِّد ، المُتتبِّع للأثر المُتشدِّد أبو عبد الرحمن القرشيّ العدويّ عبد الله بن عمر :

ما ناقةٌ أضلت فصيلها في فلاة من الأرض بأطلب لأثره من ابن عمر لرسول الله ﷺ .

قال نافع مولى ابن عمر : لو نظرت إلى ابن عمر رضي الله عنه إذا اتبع أثر النبي ﷺ ، لقلت هذا مجنون » .

« وعن عاصم الأحول عمن حدثه قال : كان ابن عمر إذا رآه أحدٌ ظن أن به شيئًا من تتبعه آثار النبي ﷺ » .

« وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه : أنه كان في طريق مكة يقول برأس راحلته يثنيها ويقول : لعل خُفًّا يقع على خُفٍّ ؛ يعني خُفّ راحلة النبي ﷺ »[1] .

بأبي وأمي أنت أبا عبد الرحمن .. هذه والله الرجولة .. وهذا والله الاتباع ...

« لعل خفًّا يقع على خفٍّ ».. رحمك الله يا ابن الفاروق .

وهل يُنبِت الخطِّيَّ إلا وَشيجُهُ ويُزرَعُ إلا في منابته النخلُ

وعن زيد بن أسلم قال : رأيت ابن عمر يصلي محلولةً أزراره ، فسألته عن ذلك . فقال : رأيت رسول الله ﷺ يفعله[2].

---

(١) الحلية ٣١٠/١ ، السير ٢٣٧/٣ .

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٢/١ - ٢٣ .

وعن مجاهد قال : « كنا مع ابن عمر رحمه الله في سفر ، فمر بمكان ، فحاد عنه ، فسئل : لم فعلت ذلك ؟ قال : رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ؛ ففعلت »[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : « أنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة فيقيل تحتها ، ويخبر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك »[٢].

وعن أنس بن سيرين قال : « كنت مع ابن عمر رحمه الله بعرفات ، فلما كان حين راح ، رحت معه ، حتى أتى الإمام فصلى معه الأولى والعصر ، ثم وقف وأنا وأصحابٌ لي ، حتى أفاض الإمام ، فأفضنا معه ، حتى انتهى إلى المضيق دون المأزمين ، فأناخ وأنخنا ، ونحن نحسب أنه يريد أن يصلي ، فقال غلامه الذي يمسك راحلته : إنه ليس يريد الصلاة ، ولكنه ذكر أن النبي ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته فهو يحب أن يقضي حاجته »[٣].

روى مسلم عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنَّكم » .

قال سالم بن عبد الله : فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنعهن . قال سالم : فأقبل عليه عبد الله ؛ فسبه سَبًّا سيِّئًا ، ما سمعته سبه مثله ، وقال : أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول : والله لنمنعهن ؟!

(١) رواه أحمد والبزار ، وقال المنذري : إسناده جيد . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٢٣ .
(٢) رواه البزار ، وقال المنذري : إسناده لا بأس به .
(٣) رواه أحمد ، وقال المنذري : رواته محتج بهم في الصحيح . وصححه الألباني في الترغيب والترهيب ١/٢٣ .

سهل بن حُنيف رضي الله عنه :

عن أبي وائل قال : قال سهل بن حنيف : « يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم ، لقد رأيتني يوم أبي جندل ، ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته ، وما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر يفظعنا إلّا أسْهَلْنَ بنا إلى أمرٍ نعرفه غير هذا الأمر » . رواه البخاري .

محمد بن سيرين :

وحدث ابن سيرين رجلًا بحديثٍ عن النبي ﷺ ، فقال له رجل : قال فلان كذا وكذا . فقال ابن سيرين : أحدثك عن النبي ﷺ ، وتقول : قال فلان وفلان ، والله لا أكلمك أبدًا .

نجِيبُ بَني أميّةَ أمير المؤمنين مجدّد الدين عمرُ بنُ عبد العزيز :

قال فيه عروة بن أذينة يرثيه :

وَأحيَيْتَ في الإسلام عِلمًا وسنّةً ولم تبتدعْ حُكمًا من الحُكمْ أسْحَمَا
فَفِي كلِّ يَوْمٍ كنتَ تهدمُ بدعةً وتبني لنا من سُنَّةٍ ما تَهدَّما[1]

ومن كلامه الذي عني به ، ويحفظه العلماء ، وكان يعجب مالكًا جدًّا . قال : « سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا ، الأخذ بها تصديقٌ لكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحدٍ تغييرها ولا تبديلها ، ولا النظر في شيء خالفها ، من عمل بها مهتدٍ ، ومن انتصر بها منصورٌ ، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا »[2] .

ولما بايعه الناس صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها

---

(١) في الأصل : « أضجعا » بدل « أسحما » وهو غلط ظاهر ، وأسحما : أي حالك السَّواد ، وهذا أقربُ لوصفهم البدعة بالسوداء ، والسنة بالبيضاء الغراء .

(٢) الاعتصام ٨٧/١ .

الناس ، إنه ليس بعد نبيكم نبي ، ولا بعد كتابكم كتاب ، ولا بعد سنتكم سنةٌ ، ولا بعد أمتكم أمةٌ ، ألا وإن الحلال - ما أحل الله في كتابه وعلى لسان نبيه - حلالٌ إلى يوم القيامة ، ألا وإن الحرام - ما حرم الله في كتابه على لسان نبيه - حرام إلى يوم القيامة ، ألا وإني لست بمبتدع ، ولكني متبع ، ألا وأني لست بقاضٍ ولكني منفذٌ ، ألا وإني لست بخازنٍ ولكني أضع حيث أمرت ، ألا وأني لست بخيركم ولكني أثقلكم حملًا ، ألا ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ثم نزل .

وعند اللالكائي (٥٦/١) عن أبي المليح قال : « كتب عمر بن عبد العزيز بإحياء السنة وإماتة البدعة » .

وكتب له عدي بن أرطاة يستشيره في بعض القدرية فكتب إليه : « أما بعد ، فإني أُوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره ، واتباع سنة نبيه ﷺ ، وترك ما أحدث المحدثون فيما قد جرت سنته وكفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة ، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق ، فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم ، فإنهم عن علمٍ وقفوا وببصرٍ نافذٍ قد كفوا ، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وبفضل كانوا فيه أحرى ، فلئن قلتم : أمرٌ حدث بعدهم . ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سننهم ، ورغب بنفسه عنهم . إنهم لهم السابقون ، فقد تكلموا منه بما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فما دونهم مُقصرٌ ، وما فوقهم محسر ، لقد قصر عنهم آخرون فقلوا ، وإنهم بين ذلك لعلى هدًى مستقيم »[1].

وقال عمر بن عبد العزيز : لا رأي لأحدٍ في كتاب الله ولا في سنةٍ

---

(١) الاعتصام ٤٩/١ - ٥٠ .

سنها رسول الله ﷺ ، وإنما رأي الأمة فيما لم ينزل فيه كتابٌ ، ولم تمض به سنةٌ عن رسول الله ﷺ .

وأَمَّ عمر بن عبد العزيز أنس بن مالك رضي الله عنه ، فقال أنس : « ما صليت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاةً برسول الله ﷺ من إمامكم هذا »(١)؛ يعني عمر بن عبد العزيز . قال زيد بن أسلم : « فكان عمر يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود »(١) .

وكان عمر رحمه الله يلبس برد رسول الله ﷺ ، ويأخذ قضيبه في يده يوم العيد .

وأوصى رحمه الله عند الموت ، فدعا بشَعْرٍ من شعر النبي ﷺ ، وأظفارٍ من أظفاره ، فقال : اجعلوه في كفني .

ردّتْ صنائعه عليه حياتَه فكأنه من نشْرِها منشورُ

قال رحمه الله لعمته : « يا عمة ، إن رسول الله ﷺ قبض ، وترك الناس على نهر مورود ، فولي ذلك النهر بعده رجلٌ فلم يستخص منه بشيء ، ثم ولي ذلك النهر بعد ذلك رجلٌ آخر فكري منه ساقية ، ثم لم يزل الناس يكرون منه السواقي حتى تركوه يابسًا ليس فيه قطرة ، وأيم الله ، لئن أبقاني الله لأسكرن تلك السواقي حتى أُجريه مجراه الأول »(٢) .

أما علو همته في نقض البدع وذم أهلها : فقد قال رحمه الله : « من جعل دينه عرضا للخصومات أكثر التنقل » .

وقال عمر بن عبد العزيز في أصحاب القدر : يستتابون ، فإن تابوا ، وإلا نفوا من ديار المسلمين .

---

(١) سنده حسن : أخرجه النسائي في الافتتاح : باب تخفيف القيام والقراءة .

(٢) مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص١٣٧ . تحقيق : نعيم زرزور – دار الكتب العلمية .

وقال رحمه الله : « ينبغي لأهل القدر أن يتقدم إليهم فيما أحدثوا من القدر ، فإن كفوا وإلا استلت ألسنتهم من أقفيتهم استلالًا »[١].

وكان عمر بن عبد العزيز يكتب في كتبه : إني أحذركم ما مالت إليه الأهواء والزيغ البعيدة[٢] .

وأفحم عمر بن عبد العزيز غيلان الدمشقي وألقمه حجرًا ، وقال لغيلان : « إنك إن أقررت بالعلم خصمت ، وإن جحدته كفرت ، وإنك إن تقر به فتخصم خير لك من أن تجحد فتكفر » . فلما ولى غيلان قال عمر : « اللهم إن كان كاذبًا بما قال - في ادعائه التوبة - فأذقه حر السلاح » .

وفي رواية:« اللهم إن كان صادقًا فتب عليه ، وإن كان كاذبًا فاجعله آية للمؤمنين » .

وفي رواية : فسلط عليه من يمثل به .

وأظهر غيلان مقالته مرة أخرى بعد موت عمر ، فلما وَلِيَ هشام أرسل إليه ، فقال له : أليس قد كنت عاهدت الله لعمر لا تتكلم في شيء من هذا أبدًا ؟ قال : أقلني فوالله لا أعود . قال : لا أقالني الله إن أقلتك . اذهبا فاقطعا يديه ورجليه ، واضربا عنقه واصلباه .

وكتب رجاء بن حيوة إلى هشام أمير المؤمنين : « بلغني أنه دخلك من قبل غيلان وصالحٍ ، فأقر بالله ، لقتلهما أفضل من قتل ألفين من الترك والديلم » .

وقال إبراهيم بن أبي عبلة : « أصاب والله فيه القضية والسنة ، ولأكتبن إليه فلأحسن له »[٣].

---

(١) مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص٨٣ - ٨٤ .

(٢) الاعتصام ٨٦/١ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٧١٤/٤ - ٧١٧ ، الآجُرّي في الشريعة ص٢٢٩ وابن بطة في الإبانة ٣٣٤/٢ .

سيِّد أهل زمانه علمًا وعملًا : الحسنُ البَصْريُّ :

قال فيه عطاء : ذاك إمام ضخم يُقتدى به .

وكَتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : « أما بعد ؛ فإنك لن تزال تعني إلي رجلًا من المسلمين ، في الحر والصيف يسألني عن السنة ، كأنك إنما تعظمني بذلك ، وأيم الله لحسبك بالحسن . فإذا أتاك كتابي هذا فسل الحسن لي ولك وللمسلمين . فرحم الله الحسن ، فإنه من الإسلام بمنزلٍ ومكان . ولا تقرئنه كتابي هذا »[١] .

وكان الحسن رحمه الله يقول : « يا أهل السنة تفرقوا ، فإنكم أقلُّ الناس » .

وقال رحمه الله : « من وقر صاحب بدعةٍ فقد سعى في هدم الإسلام » .

وقال رحمه الله : « لا تجلس إلى صاحب بدعةٍ ، فإنه يمرض قلبك ويفسد عليك دينك »[٢].

الإمام الجبل سليمان بنُ طَرْخان التَّيميُّ :

ويكفيك في علو منزلته في الاتباع ، وحرصه على نجاة الناس وتخليصهم من أهل الابتداع ، ما قال سفيان الثوري الإمام :

« كانت الخشبية - أي الشيعة - قد أفسدوني حتى استنقذني الله تعالى بأربعةٍ لم أر مثلهم : أيوب ويونس وابن عون وسليمان التيمي ، الذي يرون أنه لا يحسن يعصي الله » .

---

(١) مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص١٢١ .

(٢) الحسن البصري لابن الجوزي ص٤١ هدية مجلة الأزهر لعدد المحرم سنة ١٤٠٨هـ .

وقال سعيد بن عامر : مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاءً شديدًا ، فقيل له : ما يبكيك ، أتجزع من الموت ؟ قال : لا ، ولكن مررت على قدري فسلمت عليه ، فأخاف أن يحاسبني ربي عز وجل عليه .

وعن مهدي بن سليمان قال : أتيت سليمان ، فوجدت عنده حماد ويزيد بن زريع وبشر بن المفضل وأصحابنا البصريين ، فكان لا يحدث أحدًا حتى يمتحنه . فيقول له : الزنا بقدر ؟ فإن قال : نعم ! استحلفه ؛ إن هذا دينك الذي تدين الله به ؟ فإن حلف أن هذا دينه ، حدثه خمسة أحاديث ، وإن لم يحلف لم يحدثه[١] .

وقال معاذ بن معاذٍ : « كان سليمان إذا أتيناه لا يزيد كل واحد منا على خمسة أحاديث ، وكان معنا رجل فجعل يكرر عليه . فقال : نشدتك بالله ، أجهمي أنت ؟ فقال : ما أفطنك ، من أين عرفتني ؟! »[٢] .

شيخُ الإسلام ، حُجَّةُ الأُمَّة ، إمامُ دار الهجرة ، المقدَّمُ من علماء المدينة على الإطلاق ، والذي تُضرب إليه آباطُ الإبل من الآفاق : مالك بن أنس :

تكفيه في علو همته في الاتباع أن قال فيه تلميذ ناصر السنة الشافعي : إذا جاء الأثر **فمالكٌ النجم .**

« وقال له بقيـة : **ما بقي على وجه الأرض أعلم بسنة ماضيةٍ منك يا مالك** »[٣] .

قال الذهبي في السير ٩٣/٨ : « هذا الإمام الذي هو النجم الهادي

---

(١) حلية الأولياء ٢٨/٣ ، ٣٢ .

(٢) الحلية ٣٣/٣ .

(٣) السير ٩٤/٨ .

قد أنصف ، وقال قولًا فصلًا ، حيث يقول : كل أحد يُؤخذ من قوله ويترك ، إلا صاحب هذا القبر - أو هذه الروضة - ﷺ » .

قال مالك رحمه الله : لا تعارضوا السنة وسلموا لها .

انظر إلى علو همته في الاتباع :

« قال إسحاق بن عيسى : قال مالك : أكلما جاءنا رجل أجدل من رجل ، تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله »[١] .

وقال رحمه الله : « سن رسول الله ﷺ ، وولاة الأمر بعده سننًا ، الأخذ بها اتباعٌ لكتاب الله ، واستكمالٌ لطاعة الله ، وقوةٌ على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ، ولا تبديلها ، ولا النظر في شيء خالفها ، من اهتدى بها فهو مهتدٍ ، ومن استنصر بها فهو منصورٌ ، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولّاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا »[٢] .

وأخرج البيهقي عن ابن المبارك ، قال : كنت عند مالك وهو يحدِّث ، فجاءت عقرب فلدغته ست عشرةَ مرةً ، ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ ، فلمّا فرغ من المجلس وتفرق الناس ، قلت له : لقد رأيت منك عجبًا ؟ قال : إنما صبرت إجلالًا لحديث رسول الله ﷺ .

وكان رحمه الله إذا أراد أن يحدِّث توضأ ، وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته ، وتمكن من جلوسه بوقار وهيبة وحدث ، فقيل له في ذلك ، فقال : أُحبُّ أن أُعظِّم حديث رسول الله ﷺ .

وكان يكره أن يحدث في الطريق أو هو قائم أو مستعجل ، ويقول : « أُحبُّ أن أتفهم ما أُحدِّث به عن رسول الله ﷺ » .

---

(١) الحلية ٣٢٤/٦ ، والسير ٩٩/٨ .
(٢) السير ٩٨/٨ ، والحلية ٣٢٤/٦ .

وما ظنك باتباع رجلٍ وعلو همته فيه ، كان لا يركب دابةً بالمدينة ، ويقول : « أوقر أرضًا دفن فيها رسول الله ﷺ » .. فكيف هو في اتباعه ؟! .

يقول النسائي : أمناء الله على علم رسول الله ﷺ ثلاثة : شعبة ، ومالك ، ويحيى القطان .

كان رحمه الله كثيرًا ما ينشد :

وخيْرُ أمورِ الدِّين ما كان سُنَّةً   وشرُّ الأُمورِ المُحْدَثَاتُ البدائِعُ[1]

وقال عبد الرحمن بن مهدي : قد سئل مالك بن أنس عن السنة ، قال : ما لا اسم له غير السنة ، وتلا ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عن سبيله** ﴾ .

وأما ذمه للبدع وأهلها ، فهو الإمام .

« قال ابن وهب : سمعت مالكًا يقول : ما آية في كتاب الله أشدُّ على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية ﴿ **يوم تبيضُّ وجوه** ﴾ إلى قوله : ﴿ **بما كنتم تكفرون** ﴾ قال مالك : فأي كلام أبين من هذا ؟ فرأيته يتأولها لأهل الأهواء . ورواه ابن القاسم وزاد : قال لي مالكٌ : إنما هذه الآية لأهل القبلة »[2].

« قال الشافعي : كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء ، قال : أما إني على بينة من ديني ، وأما أنت ، فشاكٌّ ، اذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه .

وقال يحيى بن خلف الطرسوسي - وكان من ثقات المسلمين -: كنت عند مالك ، فدخل عليه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول فيمن يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال مالك : زنديقٌ ، اقتلوه . فقال : يا أبا عبد الله ،

---

(١) الاعتصام ١/٨٥ .

(٢) الاعتصام ١/٥٦ .

إنما أحكي كلامًا سمعته . قال : إنما سمعته منك ، وعظم هذا القول »[١] .

وقال مالك : القدرية لا تناكحوهم ، ولا تصلوا خلفهم[٢] .

« قال معن : انصرف مالكٌ يومًا ، فلحقه رجل يقال له : أبو الجويرية ، متَّهمٌ بالإرجاء ، فقال : اسمع مني شيئًا أُعلمك به وأحاجك وأخبرك برأيي . قال : احذر أن أشهد عليك . قال : والله ما أُريد إلا الحق ، فإن كان صوابًا . فقل به ، أو فتكلم . قال : فإن غلبتني ؟ قال : اتبعتني . قال : فإن غلبتك ؟ قال : اتبعتك . قال : فإن جاء رجل فكلمنا ، فغلبنا ؟ قال : اتبعناه . فقال مالك : يا هذا ، إن الله بعث محمدًا ﷺ بدين واحد ، وأراك تتنقل »[٣] .

وقال رحمه الله : الجدال في الدين ينشئُ المراء ، ويذهب بنور العلم من القلب ، ويُقسِّي ويورث الضغن .

قال القاضي عياض : « قال أبو طالب المكي : كان مالكٌ رحمه الله أبعد الناس من مذاهب المتكلمين ، وأشد نقضًا للعراقيين . ثم قال القاضي عياض : قال سفيان بن عيينة : سأل رجلٌ مالكًا ، فقال : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ كيف استوى ؟ فسكت مالكٌ حتى علاه الرحضاء ، ثم قال : الاستواء منه معلومٌ ، والكيف منه غير معقولٍ ، والسؤال عن هذا بدعةٌ ، والإيمان به واجبٌ ، وإني لأظنك ضالا . أخرجوه . فناداه الرجل : يا أبا عبد الله ، والله لقد سألت عنها أهل البصرة والكوفة والعراق ، فلم أجد أحدًا وفق لما وفقت له »[٤] .

---

(١) الحلية ٦/٣٢٤ - ٣٢٥ ، والسير ٨/٩٩ .

(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض ١/١٧٦ ، والسير ٨/١٠٢ ، ١٠٣ .

(٣) ترتيب المدارك ١/١٧٠ ، والسير ٨/١٠٦ .

(٤) السير ٨/١٠٦ - ١٠٧ ، وترتيب المدارك ١/١٧٠ - ١٧١ .

جاء رجل إلى مالكٍ فسأله عن مسألةٍ ، فقال له : قال رسول الله ﷺ كذا وكذا . فقال الرجل : أرأيت ؟ فقال مالكٌ : ﴿ **فلْيحذرِ الذين يخالفون عن أمره أنْ تصيبَهم فتنةٌ أوْ يُصيبهم عذابٌ أليمٌ** ﴾ .

الإمامُ الرَّبَّانيُّ : ابْنُ أبي ذِئبٍ :

قال ابن سماك بن الفضل الشهابي : « حدثني ابن أبي ذئبٍ بحديثٍ عن رسول الله ﷺ ، فقلت له : يا أبا الحارث أتأخذ بهذا ؟ فضرب صدري وصاح علي صياحًا كثيرًا ، ونال مني ، وقال : أحدّثُكَ عن رسول الله ﷺ وتقول : تأخذ به ؟! نعم آخذ به ، وذلك الفرض عليّ وعلى من سمعه ، إن الله تبارك وتعالى اختار محمدًا ﷺ من الناس ، فهداهم به وعلى يديه ، واختار لهم ما اختار له على لسانه ؛ فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين ، لا مخرج لمسلم من ذلك . قال : وما سكت حتى تمنيت أن يسكت »[(١)] .

إمام أهل الشام الرَّبّاني عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي :

قال ابن مهدي : ما كان أحد بالشام أعلم بالسنة من الأوزاعي .

وذكر أبو إسحاق الفزاري الأوزاعي فقال : إن ذاك الرجل كان شأنه عجبًا ؛ كان يسأل عن الشيء الذي عندنا فيه الأثر ، فكان والله يرد على الجواب كما هو عندنا في الأثر ، لا يقدم منه ولا يؤخر منه مقدمًا . وقال : كان يسأل عن الشيء الذي عندنا فيه الأثر ، فيقول للسائل : ما عندي فيه شيء ، فيبتلى بلجاجته حتى يرد عليه الجواب ، فلا يعدو الأثر الذي عندنا[(٢)] .

---

(١) الحجة في بيان المحجة لقوام السنة إسماعيل الأصبهاني ١/٢٤٤ - ٢٤٥ تحقيق محمد بن ربيع بن هادي - دار الراية .

(٢) الجرح والتعديل ١/١٨٤ .

الله أكبر .. ينطق بالأثر ولا يعدوه ، وكأن دمه ولحمه سيط به ، أي اتباع وأي همةٍ عاليةٍ كانت عند الأوزاعي « الذي أجاب في سبعين ألف مسألة بالأثر » .

قال موسى بن يسار - وكان صحب مكحولًا أربع عشرة سنة -: « ما رأيت أحدًا أبصر ولا أنفى للغل عن الإسلام أو السنة من الأوزاعي ».

قال الأوزاعي لابنه محمد : إني أُريد أن أُحدثك حديثًا أسرك به ، ولا أفعل حتى تعطيني موثقًا أنك لا تحدث به ما كنت حيًّا ، قال : أفعل يا أبه . قال : إني رأيت كأني وقف بي على بابٍ من أبواب الجنة ، وإذا أحد مصراعي الباب قد زال عن موضعه ، وإذا برسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - يعالجون رده فردوه ، ثم تركوه فزال ، ثم أعادوا ، ثم ثبت في موضعه فزال ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا عبد الرحمن ألا تمسك معنا ؟ ». قال : فأمسكت معهم فثبت[١] . .

قال عبد الرحمن بن مهدي : إذا رأيت الشامي يحب الأوزاعي وأبا إسحاق الفزاري ، فهو صاحب سنة[٢].

« قال إسحاق بن راهويه : إذا اجتمع الثوري والأوزاعي ومالكٌ على أمرٍ ، فهو سُنَّةٌ » .

أي فهو حقٌّ غالبًا ؛ وذلك لمعرفتهم الدقيقة بالسنة .

« قال مالك : الأوزاعي إمام يقتدى به .

قال ابن عيينة : كان الأوزاعي والثوري بمنى ، فقال الأوزاعي للثوري : لم لا ترفع يديك في خفض الركوع ورفعه ؟ فقال : حدثنا يزيد بن أبي زياد .... فقال الأوزاعي : روى لك الزهري عن سالم ، عن أبيه

---

(١) الجرح والتعديل ١/١٨٤ ، ٢٠٩ .

(٢) الجرح والتعديل ١/٢١٧ .

عن النبي ﷺ ، وتعارضني بيزيد رجل ضعيف وحديثه مخالف للسنة . فاحمر وجه سفيان ، فقال الأوزاعي : كأنك كرهت ما قلت ؟ قال : نعم . فقال : قم بنا إلى المقام نلتعن أينا على الحق . قال : فتبسم سفيان لمَّا رآه قد احتد »[١] .

سبحان الله ... بمثل الأوزاعي حفظ الله الأرض ... يحتد من أجل السنة على جبل السنة والاتباع : الثوري .

قال الأوزاعي : عليك بآثار من سلف ، وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال ، وإن زخرفوه لك بالقول ، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم .

وقال : العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ ، وما لم يجيء عنهم فليس بعلم[٢] .

وقال رحمه الله : ما ابتدع رجل بدعة ، إلا سلب الورع[٣] .

قال الوليد بن مسلم : قلت لسعيد بن عبد العزيز : من أدركت من التابعين كان يبكر لصلاة الجمعة ؟ قال : ما رأيت أبا عمرو ؟ قلت : بلى . قال : فإنه قد كفا من قبله ، فاقتد به ، فلنعم المقتدىٰ .

قال عبد الرحمن بن مهدي : إنما الناس في زمانهم أربعة : حماد بن زيد بالبصرة ، والثوري بالكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعي بالشام .

الإمام الرَّشيد ، الآخذ بالأصل الوَكيد ، المتمسك بالمنهج الحميد ، أبو إسماعيل حماد بن زيد :

قال ابن مهدي : لم أر أحدًا قط أعلم بالسنة ، ولا بالحديث الذي يدخل في السنة ، من حماد بن زيد .

---

(١) السير ٧/١١٢ - ١١٣ .

(٢) السير ٧/١٢٠ .

(٣) السير ٧/١٢٥ .

قال ابن المبارك :

أيُّها الطالبُ عِلمًا ايت حماد بن زيدِ
تقتبس حكمًا وعلمًا ثُمَّ قيِّده بقيدِ

وقال عبد الرحمن بن مهدي : إذا رأيت بصريًا يحب حماد بن زيد فهو صاحب سنة[1].

عزٌّ كبير ، ومقام رفيع لأبي إسماعيل أن يصير محنة : يميز به السني من البدعي ، وهذا يدل على علو همته في الاتباع .

بعث حماد بن زيد إلى جرير : بلغني أنك تقول في الإيمان بالزيادة ، وأهل الكوفة يقولون بغير ذلك ، اثبت على ذلك ، ثبتك الله .

قال فطر بن حماد بن واقد : سألت حماد بن زيد ، فقلت : يا أبا إسماعيل ، إمامٌ لنا يقول : القرآن مخلوق ، أصلي خلفه ؟ قال : لا ، ولا كرامة .

وكان يقول : « لا يزال الرجل منكم داحضًا في بوله ، يذكر أهل البدع في مجلس عشيرته حتى يسقط من أعينهم »[2].

وكان يقول : « لئن قلت : إن عليًّا أفضل من عثمان لقد قلت : إن أصحاب رسول الله ﷺ قد خانوا » .

فرحم الله حماد بن زيد ، سيد المسلمين بالبصرة في زمانه .

الإمام الرَّبَّاني سفيان بن سعيد الثَّوري :

أبو عبد الله ، أمير المؤمنين في الحديث ، وسيد العلماء العاملين في زمانه .

قال عبد الرحمن بن مهدي : الناس على وجوهٍ ، فمنهم من هو إمامٌ

---

(١) الجرح والتعديل ١/١٧٩ - ١٨٣ .
(٢) الحلية ٦/٢٥٨ .

في السنة إمام في الحديث ، ومنهم من هو إمامٌ في السنة وليس بإمام في الحديث ، ومنهم من هو إمام في الحديث ليس بإمام في السنة ، فأما من هو إمام في السنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري[١] .

قال المثنى بن الصباح : سفيان عالم الأُمَّة وعابدها .

وقال بشر الحافي : كان الثوري عندنا إمام الناس . وعنه قال : سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما .

وانظر إلى جبل الاتباع سيدنا سفيان ، يقول رحمه الله : « ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديثٌ قط إلا عملت به ، ولو مرة »[٢] .

وقال الأوزاعي : لو قيل لي : اختر لهذه الأمة رجلًا ، يقوم فيها بكتاب الله وسنة نبيه ، لاخترت لهم سفيان الثوري .

وقال ابن إدريس : ما رأيت بالكوفة رجلًا أتبع للسنة ، ولا أود أني في مسلاخه[٣] من سفيان الثوري .

قال سفيان رحمه الله : من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعةٍ وهو يعلم ، خرج من عصمة الله ووكل إلى نفسه . وقال : من سمع ببدعةٍ فلا يحكها لجلسائه ، لا يلقها في قلوبهم .

قال الذهبي في السير (٢٦١/٧) : « قلت : أكثر أئمة السلف على هذا التحذير ؛ يرون أن القلوب ضعيفة ، والشبه خطافة » .

قال الثوري رحمه الله : « استوصوا بأهل السنة خيرًا ؛ فإنهم غرباء » .

قال مؤمل بن إسماعيل : لم يُصَلِّ سفيان على ابن أبي رواد للإرجاء .

عن سفيان قال : « كان رجلٌ له حظ من العقل قال : سبقنا الناس ،

---

(١) الجرح والتعديل ١١٨/١ .

(٢) السير ٢٤٢/٧ .

(٣) أي هَدْيه وسَمْته .

ومضوا أمامنا ، وبقينا على حمر دبرة ، فقال سفيان للرجل : لو كنت على الطريق فشأنك صلح »(١) .

قال رجل لسفيان : رجل يكذب بالقدر ، أأصلّي وراءه ؟ قال : لا تقدموه ، قال : هو إمام القرية ، ليس لهم إمام غيره . قال : لا تقدموه ، لا تقدموه ، وجعل يصيح .

وقال سفيان : « البدعة أَحبُّ إلى إبليس من المعصية ، المعصية يتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها »(٢).

قال بشر بن منصور : سمعت سفيان الثوري يقول ، وسأله رجل فقال : على بابي مسجدٌ ، إمامه صاحب بدعة ؟ قال : لا تصل خلفه . قال : تكون الليلة المطيرة وأنا شيخ كبير ؟ قال : لا تُصَلِّ خلفه .

وقال له رجل : أوصني . قال : إياك والأهواء ، إياك والخصومة ، إياك والسلطان .

قال سفيان رحمه الله : « لا يستقيم قولٌ إلا بعمل ، ولا يستقيم قولٌ وعملٌ إلا بنية ، ولا يستقيم قولٌ وعملٌ ونيةٌ إلا بموافقة السنة »(٣).

قال يوسف بن أسباط : قال سفيان : يا يوسف ، إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة فابعث إليه السلام ، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، فقد قل أهل السنة والجماعة(٤).

---

(١) الحلية ٦/٣٧٩ .

(٢) الحلية ٧/٢٦ .

(٣) الحلية ٧/٣٢ .

(٤) الحلية ٧/٣٤ .

شيخ الإسلام ، عالم زمانه ، وأمير الأتقياء في وقته ، الرَّبَّاني المبارك ، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك :

سيد العلماء ، كما سماه هارون الرشيد .

قال أسود بن سالم : كان ابن المبارك إمامًا يقتدى به ، كان من أثبت الناس في السنة، إذا رأيت الرجل يغمز ابن المبارك فاتهمه على الإسلام[1] .

وقال العمري : ما رأيت في دهرنا هذا من يصلح لهذا الأمر - يعني الإمامة - إلا ابن المبارك .

قال شقيق البلخي : قيل لابن المبارك : إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا ؟ قال : أجلس مع الصحابة والتابعين ، أنظر في كتبهم وآثارهم ، فما أصنع معكم ؟ أنتم تغتابون الناس .

وقال : ليكن عمدتكم الأثر ، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث .

وقال رحمه الله : ليكن مجلسك مع المساكين ، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة[2].

قال نعيم بن حماد : كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته ، فقيل له : ألا تستوحش ؟ قال : كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه .

رحم الله إمام أهل المشرق والمغرب ، لشد ما كان بغضه لأهل البدع ، يقول عن جهم :

عجبتُ لشيطانٍ أتى النَّاس داعيًا إلى النَّار وانشقَّ اسمه مِنْ جَهَنَّمِ

وكان يقول : « إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية »[3].

---

(١) السير ٨/٣٩٥ .

(٢) السير ٨/٣٩٩ .

(٣) السير ٨/٤٠١ .

قال رجل لعبد الله بن المبارك : يا أبا عبد الرحمن ، قد خفت الله تعالى من كثرة ما أدعو على الجهمية . قال : لا تخف ، فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيءٍ .

رحمة الله على ابن المبارك ، أمير المؤمنين في الاتباع والحديث والسنة .

قال أبو حاتم الفربري : « رأيت ابن المبارك واقفًا على باب الجنة بيده مفتاح ، فقلت : ما يوقفك هاهنا ؟ قال : هذا مفتاح الجنة ، دفعه إليَّ رسول الله ﷺ وقال : حتى أزور الرب ، فكن أميني في السماء ، كما كنت أميني في الأرض »[(١)] .

الإمام الرَّبَّاني أبو إسحاق الفَزَاري إبراهيم بن محمد :

قال عبد الرحمن بن مهدي : كان الأوزاعي والفزاري إمامين في السنة[(٢)] .

وقال ابن مهدي رحمه الله : إذا رأيت شاميًّا يحب الأوزاعي وأبا إسحاق الفزاري فهو صاحب سنة .

وقال أبو حاتم : اتفق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمام يقتدى به بلا مدافعة .

وقال أحمد العجلي عن الفزاري : صاحب سنة ، هو الذي أدب أهل الثغر ، وعلمهم السنة ، وكان يأمر وينهى . وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه.

قال أبو مسهر : قدم أبو إسحاق الفزاري دمشق ، فاجتمع الناس ليسمعوا منه ، فقال : اخرج إلى الناس فقل لهم : من كان يرى القدر فلا

---

(١) السير ٨/٤١٩ .

(٢) الجرح والتعديل ١/٢٨٢ .

يحضر مجلسنا ، ومن كان يرى رأْي فلانٍ فلا يحضر مجلسنا ، فخرجت إليهم فأخبرتهم .

قال أبو إسحاق : قال الأوزاعي في الرجل يسأل : أمؤمن أنت حقًّا ؟ قال : إن المسألة عن ذلك بدعة ، والشهادة عليه تعمق لم نكلفه في ديننا ، ولم يشرعه نبينا ﷺ ، القول فيه جدل ، والمنازعة فيه حدث[1] .

لما مات أبو إسحاق قال عطاء : ما دخل على الأمة من موت أحدٍ ما دخل عليهم من موت أبي إسحاق .

وقال ابن عيينة : « ما أعلم أحدًا من أهل الإسلام أجدى وأدفع عن أهل الإسلام من أبي إسحاق الفزاري »[2] .

نعم والله ، فقد « كان الفزاري عظيم الغناء في الإسلام » كما قال أبو حاتم ، وكم ذَبَّ عن السنة .

« يروى أن هارون الرشيد أخذ زنديقًا ليقتله ، فقال الرجل : أين أنت من ألف حديثٍ وضعتها ؟ قال : فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك يتخلالانها ، فيخرجانها حرفًا حرفًا » .

فرحم الله أبا إسحاق جزاء علو همته في اتباع نبيه ، والذبِّ عن سنته .

قال الفضيل : « رأيت النبي ﷺ في النوم ، وإلى جنبه فرجة ، فذهبت لأجلس ، فقال : هذا مجلس أبي إسحاق الفزاري »[3].

السّخْتِياني أيوب بن كَيْسان :

فتى الفتيان ، وسيد العباد والرهبان ، المنور بالاتباع والإيمان . سيد الفتيان ، وسيد شباب أهل البصرة كما قال له الحسن ، وسيد الفقهاء كما قال

---

(١) السير ٥٤٣/٨ .

(٢) الجرح والتعديل ٢٨٣/١ .

(٣) السير ٥٤٢/٨ - ٥٤٣ .

شعبة ، وجهبذ العلماء كما قال أشعث .

قال حماد بن زيد : أيوب عندي أفضل من جالسته ، وأشده اتباعًا للسنة[١] .

قال مالك بن أنس : كنا ندخل على أيوب السختياني ، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه .

قال أيوب : « ليبلغني أن الرجل من أهل السنة مات فكأنما أفقد بعض أعضائي »[٢] .

وكان رحمه الله يبلغه موت الفتى من أصحاب الحديث فيرى ذلك فيه ، ويبلغه موت الرجل يذكر بعبادةٍ فما يرى ذلك فيه .

وقال رحمه الله : إن الذين يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم .

وقال : إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله للعالم بسنة .

وأورد عنه البيهقي بسنده : إذا حدثت الرجل بسنة فقال : دعنا من هذا ، وأنبئنا عن القرآن ، فاعلم أنه ضالٌّ .

قال حماد بن زيد : سمعت أيوب ، وقيل له : ما لك لا تنظر في هذا ؟ يعني الرأي . فقال : قيل للحمار:ألا تجترُّ ؟ فقال : أكره مضغ الباطل »[٣] .

وكان إذا جلس إليه صاحب رأي قال : قوموا بنا ؛ لا يعدينا بجربه .

أما علوّ همته في بغض أهل البدع ومجانبتهم ، فحدث عنه ولا حرج .

---

(١) السير ٦/٢١ .

(٢) الحلية ٣/٣ - ١٢ .

(٣) السير ٦/١٧ ، ٢١ .

« قال سلام بن أبي مطيع : رأى أيوب رجلًا من أصحاب الأهواء فقال : إني لأعرف الذلة في وجهه ، ثم تلا ﴿ **سَيَنالهم غضبٌ من ربِّهم وذلة** ﴾ [الأعراف : ١٥٢] ، ثم قال : هذه لكل مفترٍ . وكان يسمي أصحابَ الأهواء خوارج ، ويقول : إن الخوارج اختلفوا في الاسم ، واجتمعوا على السيف »[١] .

وعن سلام بن أبي مطيع : قال رجل من أهل الأهواء : أُكلمك كلمة . قال : لا ، ولا نصف كلمة .

وفي رواية : يا أبا بكر ، أسألك عن كلمة ؟ فولى وهو يقول : ولا نصف كلمة ، مرتين .

وعن هشام بن حسان : قال أيوب : ما ازداد صاحب بدعةٍ اجتهادًا إلا ازداد من الله بعدًا .

ناصرُ السُّنَّة الإمام المُطّلبيُّ الشَّافِعيُّ :

قال أحمد بن حنبل : ما رأيت أتبع للأثر من الشافعي[٢] .

وذكر أحمد بن حنبل الشافعي فقال : لقد كان يذب عن الآثار .

وقال حرملة بن يحيى عنه : سميت ببغداد « ناصر الحديث » .

وقال الربيع بن سليمان : قال الشافعي : قد أعطيتك جملةً تغنيك إن شاء الله : لا تدع لرسول الله ﷺ حديثًا أبدًا ، إلا أن يأتي عن رسول الله ﷺ خلاف ، فتعمل بما قلت لك في الأحاديث إذا اختلفت .

وقال الشافعي : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ، ودعوا ما قلت .

---

(١) الحلية ٣/٩ ، والسير ٦/٢١ .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ص٤٧١'، تحقيق السيد أحمد صقر ، طبع مكتبة دار التراث ، الحلية ٩/٢٠٢ .

وقال : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، وإذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط[(١)] .

وقال : إذا وجدتم سنة من رسول الله ﷺ خلاف قولي فخذوا بالسنة ، ودعوا قولي ؛ فإني أقول بها .

وقال : كل مسألةٍ تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عند أهل النقل ، بخلاف ما قلت - فأنا راجعٌ عنها في حياتي وبعد موتي .

وقال : كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي ، وإن لم تسمعوه مني[(٢)] .

وقال : كل ما قلت وقال النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح ، فحديث النبي ﷺ أولى ، ولا تقلدوني .

قال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول ، وروى حديثًا ، فقال له الرجل : تأخذ بهذا يا أبا عبد الله ؟ فقال : متى رويتُ عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا فلم آخذ به والجماعة ، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب ، وأشار بيده على رءوسهم .

وقال الحميدي : سأل رجلٌ الشافعي بمصر عن مسألة ، فأفتاه وقال : قال النبي ﷺ كذا . فقال الرجل : أتقول بهذا ؟ قال : أرأيت في وسطي زِنَّارًا ؟ أتراني خرجت من الكنيسة ؟! أقول : قال النبي ﷺ وتقول لي : أتقول بهذا ؟ أروي عن رسول الله ﷺ ولا أقول به !![(٣)] .

وقال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول ، وسأله رجل عن مسألة فقال : روي عن النبي ﷺ أنه قال كذا وكذا . فقال له السائل :

---

(١) السير ٣٥/١٠ .

(٢) السير ٣٥/١٠ ، مناقب الشافعي ص٤٧٣ .

(٣) مناقب الشافعي ص٤٧٤ ، والحلية ١٠٦/٩ ، وتوالي التأسيس ٦٣ .

يا أبا عبد الله ، أتقول بهذا ؟ فارتعد الشافعي واصفر لونه وقال : ويحك ، أي أرضٍ تقلني ، وأي سماء تظلني ، إذا رويت عن رسول الله ﷺ شيئًا فلم أقل به ؟! نعم ، على الرأس والعينين ، على الرأس والعينين[١] .

وقال : كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الجد ، وما سواه هذيان .

وقال : « لا يقال : لم ؟ للأصل ، ولا كيف » ويعني بالأصل : القرآن والسنة .

وقال الشافعي : لم أسمع أحدًا نسبته عامة ، أو نسب نفسه إلى علم - يخالف في أن فرض الله : اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه ؛ فإن الله لم يجعل لأحدٍ بعده إلا اتباعه ، وإنه لا يلزم قول بكل حالٍ إلا بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ، وإن ما سواهما تبع لهما . وإن فرْض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد ، لا يختلف فيه أنه الفرض ، وواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ .

وقال أحمد بن حنبل : إذا صحَّ عندكم الحديث عن النبي ﷺ ، فقولوا حتى أذهب إليه .

قال أحمد : كان أحسن أمر الشافعي أنه كان إذا سمع الخبر لم يكن عنده قال به ، وترك قوله .

وقال يحيى بن منصور القاضي : سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وقلت له : هل تعرف سنة لرسول الله ﷺ في الحلال والحرام لم يودعها الشافعي كتابه ؟ قال : لا .

وقال الشافعي رحمه الله : لولا أصحاب الحديث لكنا بياع الفول[٢].

وقال : لولا أصحاب المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر .

---

(١) مناقب الشافعي ١/٤٧٥ .

(٢) مناقب الشافعي ١/٤٧٧ .

قال الربيع بن سليمان : قال الشافعي : اسقني قائمًا ، فإن النبي ﷺ شرب قائمًا .

قال سالم : قالت عائشة : طيبت رسول الله ﷺ بيدي ، وسنة رسول الله ﷺ أحقُّ أن تُتَّبع .

قال الشافعي : وهكذا ينبغي أن يكون الصالحون من أهل العلم . فأما ما تذهبون إليه من ترك السنة لغيرها ، وترك ذلك الغير لرأي أنفسكم ، فالعلم إذن إليكم ، تأتون منه ما شئتم ، وتدعون منه ما شئتم[1] .

وقال الشافعي رحمه الله : من تبع سنة رسول الله ﷺ وافقته ، ومن غلط فتركها خالفته . صاحبي الذي لا أفارقه اللازم الثابت عن رسول الله ﷺ وإن بعد ، والذي أفارق من لم يقبل سنة رسول الله ﷺ وإن قرب[2] .

قال قتيبة بن سعيد : مات الثوري ومات الورع ، ومات الشافعي وماتت السنن ، ويموت أحمد وتظهر البدع[3] .

ومن علو همّة الشافعي في الاتباع ، كان شديدًا على المبتدعة ، دائب التحذير من البدع : قال يونس بن عبد الله : قلت للشافعي : قال صاحبنا الليث بن سعد : لو رأيت صاحب هوًى يمشي على الماء ما قبلته . فقال الشافعي : أما إنه قصر ، لو رأيته يمشي في الهواء ما قبلته[4] .

وقال : لأن يلقى اللَّهَ العبدُ بكل ذنبٍ ما خلا الشِّرك بالله خير من أن يلقاه بشيءٍ من الأهواء . أي البدع .

---

(١) الأم للشافعي ٧/٢٠٠ ، والمناقب ١/٤٨٤ .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ١/٤٨٥ .

(٣) السير ١٠/٤٦ ، ومناقب الشافعيْ للبيهقي ٢/٢٥٠ .

(٤) مناقب الشافعي ص٤٥٣ .

وقال الشافعي : لقد اطلعت من أهل الكلام على شيءٍ ، والله ما توهمته قط ، ولَأَنْ يبتلى المرء بجميع ما نهى الله عنه ، ما خلا الشرك بالله ، خير من أن يبتليه الله بالكلام .

ودخل حفص الفرد - وكان الشافعي يسميه المنفرد - على الشافعي فكلمه ، ثم خرج فقال : لأن يلقى الله العبد بذنوبٍ مثل جبال تهامة خير له من أن يلقاه باعتقاد حرفٍ مما عليه هذا الرجل وأصحابه ، وكان يقول بخلق القرآن . وكفر الشافعي حفصًا الفرد .

قال الربيع : لقيت حفصًا الفرد فقال : أراد الشافعي قتلي .

وقال الشافعي : ما ارتدى أحدٌ بالكلام فأفلح .

وقال : لو علم الناس ما في الكلام والأهواء ، لفروا منه كما يفرون من الأسد .

وقال : ما شيءٌ أبغض إليّ من الكلام وأهله .

وقال الشافعي : حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ .

وقال الزعفراني : سمعنا الشافعيّ يقول : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الإبل ، ويطاف بهم في العشائر ، ينادى عليهم : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام .

وقال : مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط ، وتشريدهم في البلاد .

قال الذهبي : هذا النفس الزكي متواتر عن الشافعي .

وسئل الشافعي عن شيء من الكلام فغضب وقال : سل عن هذا حفصًا الفرد وأصحابه ، أخزاهم الله .

وقال الشافعي للربيع : يا ربيع ، اقبل مني ثلاثة : لا تخوضن في أصحاب رسول الله ﷺ ، فإن خصمك النبي ﷺ غدًا ، ولا تشتغل بالكلام ، فإني قد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل ، وزاد المزني :

ولا تشتغل بالنجوم .

ودخل الشافعي على المأمون وعنده بشر المريسي ، فقال أمير المؤمنين للشافعي : أتدري من هذا ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين . قال : هذا بشر المرِيسيّ . قال : فقال الشافعي لبشر : أَدخلك اللَّهُ أسفل السافلين ، مع فرعون وهامان وقارون .

قال الربيع : انحدر علينا الشافعي من درجته يومًا وهم يتجادلون في القدر ، فصاح : إما أن تقوموا عنا أو تجاورونا بخير .

ولما نقض إبراهيم بن إسماعيل بن علية كلام الشافعي في « تثبيت خبر الواحد » قال الشافعي : ابن عليّة ضالٌّ ، قد جلس عند باب الضّوال يضل الناس .

وقال المزني : « كنت أنظر في الكلام قبل أن يقدم الشافعي ، فلما قدم أتيته ، فسألته عن مسألة من الكلام ، فقال لي : تدري أين أنت ؟ قلت : نعم ، في مسجد الفسطاط . قال أنت في « تاران » تلطمك أمواجه - وتاران موضعٌ في بحر القَلْزم ، لا تكاد تسلم منه سفينة - ثم ألقى عليّ مسألة في الفقه ، فأجبت ، فأدخل شيئًا أفسد جوابي ، فأجبت بغير ذلك ، فأدخل شيئًا أفسد جوابي ، فجعلت كلما أجبت بشيءٍ أفسده ، ثم قال لي : هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس ، يدخله مثل هذا ، فكيف الكلام في رب العالمين ؟ الذي فيه الزلل كثير ؟! فتركت الكلام وأقبلت على الفقه »[1].

وفي رواية أخرى : قال المزني : « قلت : إن كان أحد يخرج ما في ضميري ، وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي ، فصرت إليه ، وهو في مسجد مصر ، فلما جثوت بين يديه ، قلت : هجس في ضميري

(١) السير ١٠/٢٦ ، ٣١ - ٣٢ .

مسألة في التوحيد ، فعلمت أن أحدًا لا يعلم علمك ، فما الذي عندك ؟ فغضب ، ثم قال : أتدري أين أنت ؟ قلت : نعم ، قال : هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون . أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك ؟ قلت : لا ، قال : هل تكلم فيه الصحابة ؟ قلت : لا ، قال : تدري كم نجمًا في السماء ؟ قلت : لا ، قال : فكوكب منها ؛ تعرف جنسه ، طلوعه ، أفوله ، مِمَّ خُلِق ؟ قلت : لا ، قال : فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه ، تتكلم في علم خالقه ؟! ثم سألني عن مسألة في الوضوء ، فأخطأت فيها ، ففرعها على أربعة أوجه ، فلم أُصب في شيء منه ، فقال : شيءٌ تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه ، وتتكلف علم الخالق ، إذا هجس في ضميرك ذلك ، فارجع إلى الله ، وإلى قوله تعالى : ﴿ **وإلهكم إله واحدٌ لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إنَّ في خلق السمٰوات والأرض** ﴾ الآية [البقرة : ١٦٣ - ١٦٤] . فاستدل بالمخلوق على الخالق ، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك . قال فتبت »[1] .

قال أحمد بن حنبل : إن الله يُقيض للناس في رأس كل مائة من يعلمهم السنن ، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب ، قال : فنظرنا ، فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وفي رأس المائتين الشافعي »[2].

شيخ المُحَدِّثين وقامع البدع : يزيد بن هارون :

انظر إلى قامع البدع الذي يخشاه ويرهبه المأمون . قال ابن الجوزي : « كان هارون الرشيد يقول : بلغني أن بشر بن غياث يقول : القرآن مخلوق ، ولله عليّ إن أظفرني به لأقتلنه قتلةً ما قتلتها أحدًا .

قال أحمد : فكان بشر متواريًا أيام هارون نحوًا من عشرين سنة ، حتى

---

(١) السير ١٠/٢٦ ، ٣١ - ٣٢ .

(٢) السير ١٠/٤٦ .

مات هارون ، فظهر ودعا إلى الضلالة ، وكان من المحنة ما كان .

فلما توفي الرشيد كان الأمر كذلك في زمن الأمين ، فلما ولي المأمون خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن ، وكان يتردد في حمل الناس على ذلك ، ويراقب بقايا الأشياخ ، ثم قوي عزمه على ذلك فحمل الناس عليه .

قال ابن أكثم : قال لنا المأمون لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت أن القرآن مخلوق . فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ، ومن يزيد حتى يتقى ؟ قال : فقال : ويحك . إني أخاف إن أظهرته فيردّ عليّ فيختلف الناس وتكون فتنة ، وأنا أكره الفتنة . قال : فقال الرجل : فأنا أخبر ذلك منه ، فقال له : نعم . فخرج إلى واسط ، فجاء إلى يزيد فدخل عليه المسجد وجلس إليه ، فقال له : يا أبا خالد ، إن أمير المؤمنين يقرئك السّلام ، ويقول لك : إني أُريد أن أظهر أن القرآن مخلوق ، قال : فقال : كذبت على أمير المؤمنين ، لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه ، فإن كنت صادقًا فاقعد إلى المجلس ، فإذا اجتمع الناس فقل . قال : فلما أن كان الغد اجتمع الناس فقام فقال : يا أبا خالد ، رضي الله عنك ، إن أمير المؤمنين يقرئك السّلام ويقول لك : إني أردت أن أُظهر أن القرآن مخلوق ، فما عندك في ذلك.؟ قال : كذبت على أمير المؤمنين ، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه ، وما لم يقل به أحد . قال : فقدم فقال : يا أمير المؤمنين ، كنت أعلم ، كان من القصة كيت وكيت . فقال له : ويحك تلعب بك »[1] .

فانظر إلى الشيخ الأثري الذي يخاف أميرُ المؤمنين جنانه ، ولا يستطيع

---

(١) مناقب الإمام ص٣٨٥ - ٣٨٦ .

إظهار البدعة خوفًا منه ... انظر إليه وهو يتلعَّب بحاشية وخواص أمير المؤمنين ويقمع البدعة على ملأ من الناس .

مُعلِّمُ الخير وإمام أهل السُّنَّة الإمام أحمد بن حنبل :

قال سفيان بن وكيع : أحمد بن حنبل مِحْنةٌ ؛ من عاب عندنا أحمد ابن حنبل فهو فاسق .

إذا مُيزَ الأشياخُ يومًا وحُصِّلوا ... فأحمدُ من بين المشايخ جوهرُ
لَعَمْرِكَ ما يهوىٰ لأحمد نكبة ... من الناس إلا ناقصُ العقل معورُ
هو المحنة اليومَ الذي يُبْتلىٰ به ... فيعتبر السُّنِّي فينا ويُستَرُ
شجًى في حلوقِ الملحدين وقرّة ... لأعينِ أهل النُّسْك عفّ مُشمِّرُ[1]

رحم الله إمام أهل السنة ، علت به همته في الاتباع حتى استحق الرجل السنة بمحبته .

أحمد بن حنبل ... فكم الفرق بين رجل يحب السنة ، ورجل تصير محبته رمزًا لمحبة السنة .

« قال قتيبة بن سعيد : إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة وجماعة .

وقال : إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه على الطريق .

وقال أبو حاتم : إذا رأيتَ الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة .

وقال أبو جعفر محمد بن هارون المخرمي ، المعروف بالفلاس : إذا رأيت الرجل يقع في أحمد بن حنبل فاعلم أنه مبتدع ضال »[2] .

رحم الله ابن حنبل .. ما قام أحدٌ بالسنة وللسنة مثلما قام ، ويكفيه

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص٥١٩ .

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ص٣٠٨ - ٣٠٩ .

شرفًا ثباته ودفاعه عن القرآن وعقيدة أهل السنة .

يقول علي بن المديني : « إن الله عز وجل أعز هذا الدين برجلين ، ليس لهما ثالث إلى يوم القيامة ، بأبي بكر الصديق يوم الردة ، وأحمد ابن حنبل يوم المحنة . وقد كان لأبي بكر الصديق أصحاب وأعوان ، وأحمد ليس له أعوانٌ ولا أصحاب » .

وقال المزني : أحمد بن حنبل يوم المحنة ، وأبو بكر يوم الردة ، وعمر يوم السقيفة ، وعثمان يوم الدار ، وعلي يوم صفين .

فبُورِكَ مولـودًا وبـورك ناشئًا وبُورِك كهلًا من أمينٍ معَـدَّلِ
وبورك مقبوضًا وبورك مُلْحَدًا وبورك مبعوثًا إلى خير منـزلِ
وبَعْدُ فإن السّنة اليوم أصبحتْ مُعزَّزةً حتى كـأنْ لـم تذللِ
تصول وتسطو إذ أقيـم منارها وحُطَّ مَنَارُ الإفك والزُّور من عَلِ
وولى أخو الإبداع في الدّين هاربًا إلى النار يهوي مدبرًا غير مقبلِ

قال أبو عمير الطالقاني : سمعتهم يقولون : أحمد بن حنبل قرة عين الإسلام .

وقال أبو حاتم الرازي : إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل ، فاعلم أنه صاحب سنة . وهو المحنة بيننا وبين أهل البدع .

وقال أبو الحسن الهمداني : « أحمد بن حنبل محنة ، به يعرف المسلم من الزنديق »[1] .

تعالَ يا أخي إلى الإمام الذي لو كان في بني إسرائيل لكان آية ، وإلى تمسكه بالسنة والأثر ، يقول ابن الجوزي :

---

(١) مناقب الإمام أحمد .

« كان رضي الله عنه شديد الاتباع للآثار ؛ حتى إنه بلغنا عن أبي الحسين بن المنادي أنه قال : استأذن أحمد زوجته في أن يتسرَّىٰ طلبًا للاتباع فأذنت له ، فاشترى جاريةً بثمنٍ يسير وسماها ريحانة ، استنانًا برسول الله ﷺ .

وقال الحسن بن أيوب البغدادي : قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل : أحياك الله يا أبا عبد الله على الإسلام . قال : والسنة .

قال عبد الملك الميموني : ما رأت عيني أفضل من أحمد بن حنبل ، وما رأيت أحدًا من المحدثين أشد تعظيمًا لحرمات الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ، إذا صحت عنده ، ولا أشد اتباعًا منه .

قال أبو بكر الأثرم : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : إنما هو السنة والاتباع ، وإنما القياس أن يقيس على أصل ، أما أن تجيء إلى الأصل فتهدمه ثم تقول : هذا قياس ، فعلى أي شيءٍ كان هذا القياس .

قيل لأبي عبد الله : لا ينبغي أن يقيس إلا رجلٌ عالم كبير ، يعرف كيف يشبه الشيء بالشيء ؟ قال : أجل ، لا ينبغي . ورأيت أبا عبد الله فيما سمعنا منه من المسائل ، إذا كان في المسألة عن النبي ﷺ حديث لم يأخذ فيها بقول أحدٍ من الصحابة ولا من بعده خلافه . وإذا كان في المسألة عن أصحاب رسول الله ﷺ قول مختلف تخير من أقاويلهم ، ولم يخرج من أقاويلهم إلى قول من بعدهم . وإذا لم يكن فيها عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه قول ، تخير من أقوال التابعين ، وربما كان الحديث عن النبي ﷺ وفي إسناده شيء فيأخذ به إذا لم يجيء خلافه أثبت منه ، مثل حديث عمرو بن شعيب ، ومثل حديث إبراهيم الهجري ، وربما أخذ بالحديث المرسل .

قال أبو بكر المروذي : خرجت مع أبي عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل إلى المسجد ، فلما دخل قام ليركع ؛ فرأيته وقد أخرج يده من

كمه وقال هكذا - وأومأ بأصبعيه يحركهما - فلما قضى الصلاة قلت : يا أبا عبد الله ، رأيتك تومي بأصبعيك وأنت تصلي ؟ قال : إن الشيطان أتاني فقال : ما غسلت رجليك . قلت : بشاهدين عدلين .

وقال الميموني : قال لي أحمد بن حنبل : يا أبا الحسن ، إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام .

قال عبد الرحمن الطبيب : اعتل أحمد بن حنبل وبشر بن الحارث ، فكنت أدخل على بشر فأقول : كيف تجدك ؟ فيحمد الله ثم يخبرني ، فيقول : أحمد الله إليك ، أجد كذا وكذا . وأدخل على أبي عبد الله أحمد ابن حنبل فأقول : كيف تجدك يا أبا عبد الله ؟ فيقول : بخير . فقلت له يومًا : إن أخاك بشرًا عليل ، وأسـأله عن حاله فيبدأ بحمد الله ثم يخبرني . فقال لي : سله عمن أخذ هذا ؟ فقلت له : إني أهاب أن أسأله . فقال : قل له : قال لك أخوك أبو عبد الله : عمن أخذت هذا ؟ قال : فدخلت عليه فعرفته ما قال ، فقال لي : أبو عبد الله لا يريد الشيء إلا بإسناده ؛ عن ابن عون ، عن ابن سيرين ؛ إذا حمد الله العبدُ قبل الشكوى لم تكن شكوى ، وإنما أقول لك : أجد كذا ، أعرف قدرة الله فيَّ . قال : فخرجت من عنده فمضيت إلى أبي عبد الله فعرفته ما قال ؛ فكنت بعد ذلك إذا دخلت إليه يقول : أحمد الله إليك ، ثم يذكر ما يجده .

وقال المروذي : قال لي أحمد : ما كتبت حديثًا عن النبي ﷺ إلا وقد عملت به ، حتى مرّ بي في الحديث أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا ؛ فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت .

وقال إسحاق بن حبة الأعمش : سمعت أحمد بن حنبل سُئل عن الوساوس والخطرات ، فقال : ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون .

قال أبو بكر المروذي : قلت لأبي عبد الله : من مات على الإسلام

والسنة مات على خير ؟ فقال لي : اسكت ، من مات على الإسلام والسنة مات على الخير كله »[١] .

« قال أبو داود : قلت لأحمد : الأوزاعي هو أتبع أم مالك ؟ قال : لا تقلّد دينك أحدًا من هؤلاء ، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به ، ثم التابعين بعد ، الرجل فيهم مخير .

وقال أبو داود : الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه ، ثم هو من بعد مع التابعين مخيّر . وقال أحمد أيضًا : « لا تقلّدْني ، ولا تقلد مالكًا ، ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا » . وقال : من قلة فقه الرجل أن يقلّد دينه الرجال .

قال ابن القيم : ولأجل هذا لم يؤلف الإمام أحمد كتابًا في الفقه ، وإنما دون أصحابه مذهبه من أقواله وأفعاله وأجوبته وغير ذلك »[٢] .

قال أبو بكر المروذي : رأيت رجلًا خراسانيًا قد جاء إلى أبي عبد الله ، فأعطاه جزءًا ، فنظر فيه أبو عبد الله ، فإذا فيه كلام لأبي عبد الله ، فغضب فرمى الكتاب من يده .

ومن تعظيمه وعلو همته في الاتباع كان الإمام أحمد يعظم أهل السنة والنقل :

قال رحمه الله : « من عظّم أصحاب الحديث تعظّم في عين رسول الله ﷺ ، ومن حقرهم سقط من عين رسول الله ﷺ ؛ لأن أصحاب الحديث أحبار رسول الله ﷺ .

قال الفضل بن أحمد الزبيدي : سمعت أحمد بن حنبل يقول ، وقد أقبل أصحاب الحديث وبأيديهم المحابر ، فأومأ إليها وقال : هذه سرج الإسلام .

---

(١) مناقب الإمام أحمد ٢٢٩ - ٢٣٤ .

(٢) إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار ، لصالح بن محمد الفلّاني ص١١٣ .

وقال أبو عمران المالكي : رأى أحمد بن حنبل أصحاب الحديث وقد خرجوا من عند محدث ، والمحابر بأيديهم ، فقال أحمد : إن لم يكونوا هؤلاء الناس فلا أدري من الناس .

وقال عمر بن بكار القافلاني : سمعت أحمد بن حنبل يقول : إن لم يكن أصحاب الحديث الأبدال فمن يكون .

وقال رحمه الله : من ردَّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة »[1] .

أخي : لقد كان يوم موت أحمد نصرًا لأهل السنة .. فما ظنك برجل نصر السنة حتى في يوم موته .. فكيف نصره للسنة في حياته :

قال عبد الله بن أحمد : « **سمعت أبي يقول : قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم يوم الجنائز** » . ولمَّا مات رحمه الله كانت جنازته أكبر جنازة في تاريخ الإسلام .

قال عبد الوهاب الوراق : « ما بلغنا أن جمعًا كان في الجاهلية والإسلام مثله ، حتى بلغنا أن الموضع مسح وحزر على التصحيح ، فإذا هو نحو من ألف ألف ، وحزرنا على السور نحوًا من ستين ألف امرأةٍ . وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب ، ينادون من أراد الوضوء » .

وقال أبو زرعة : بلغني أن المتوكل أمر أن يُمسح الموضع الذي وقف عليه الناس ، حيث صُلِّي على أحمد بن حنبل ، فبلغ مقام ألف ألفٍ وخمسمائة ألف .

« قال محمد بن إبراهيم البوشنجي : صلوا على أحمد بن حنبل في المصلى ، وظهر اللعن على الكرابيسيّ . فأخبر بذلك المتوكل فقال : من الكرابيسي ؟ فقيل : إنه رجل أحدث قولًا لم يتقدمه أحد ، فأمره بلزوم بيته حتى مات .

---

(١) مناقب الإمام أحمد .

وقال جعفر بن محمد النسوي : شهدت جنازة أحمد بن حنبل وفيها بَشَرٌ كثير ، والكرابيسي يلعن لعنًا كثيرًا بأصوات عالية ، والمريسي أيضًا .

قال عبد الوهاب الوراق : أظهر الناس في جنازة أحمد بن حنبل السنة والطعن على أهل البدع ، فسر الله المسلمين بذلك على ما عندهم من المصيبة ؛ لِمَا رأوْا من العز وعلو الإسلام ، وكبـتَ الله أهل البدع والزيغ والضلالة »[١] .

لله درّك ابن حنبل من إمامٍ لأهل السنة ... بأبي هو وأمي ، ما كان أعمق فهمه لعقيدة أهل السنة ، يقول رحمه الله : « لا يكون صاحب الكلام - إن أصاب بكلامه السنة - من أهل السنة حتى يدع الجدل ويُسَلّم »[٢] .

وهو نفس المحكي عن ابن المديني : « الكلام في القدر وغيره من السنة مكروه ، ولا يكون صاحبه - وإن أصاب السنة بكلامه - من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم ويؤمن بالإيمان » .

نعم ، إن من خاض في شيء من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنة ، وإن أصاب بكلامه السنة ، حتى يدع الجدل ويسلم للنصوص ، فلم يشترطوا موافقة السنة فحسب بل التلقي والاستمداد منها ، فمن تلقى من السنة فهو من أهلها وإن أخطأ ، ومن تلقى من غيرها فقد أخطأ ، وإن وافقها في النتيجة[٣] .

---

(١) مناقب الإمام أحمد ص٥٠٦ - ٥٠٧ .

(٢) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/١٥٧ .

(٣) منهج الأشاعرة في العقيدة ، للدكتور سفر الحوالي ، من بحثٍ له في مجلة البحوث الإسلامية .

انظر رحمك الله إلى شدة اتباع أحمد بن حنبل :

اختفى أحمد أيام الواثق عند إبراهيم بن هانىء . قال إبراهيم : اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاثة أيام ، ثم قال : اطلب لي موضعًا حتى أتحوَّل إليه . قلت : لا آمن عليك يا أبا عبد الله . فقال : افعل ، فإذا فعلت أفدتك ، وطلبت له موضعًا . فلما خرج قال لي : اختفى رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام ثم تحوّل ، وليس ينبغي أن يُتَّبع رسول الله ﷺ في الرخاء ويترك في الشدة[1] .

لله دَرُّك إمام أهل السنة .

ولابن حنبل الصِّدِّيق نورُ هدى حتى القيامة مثل البدر في الغَسَقِ
وفَضْله بين أهل الفضل مُشتهِرٌ وإصبعاه من الزِّنْديق في الحَدَقِ

إعراضه عن أهل البدع :

قال أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل : كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أحمد بن حنبل ، فقال له أحمد بن الحسن : يا أبا عبد الله ، ذكروا لابن أبي قُتَيْلة بمكة أصحاب الحديث فقال : قوم سوء . فقام أحمد وهو ينفض ثوبه فقال : زنديق زنديق زنديق . ودخل بيته .

وقال صالح بن أحمد : جاء الحزامي إلى أبي ، وقد كان ذهب إلى ابن أبي دؤاد ، فلما خرج إليه ورآه أغلق الباب في وجهه ودخل .

وقال أبو داود السجستاني : قلت لأبي عبد الله : أرى رجلًا من السنة مع رجل من أهل البدع ، أترك كلامه ؟ قال : لا ، أو تعلمه أن الذي رأيته معه صاحب بدعة ، فإن ترك كلامه وإلا فألحقْهُ به . قال ابن مسعود: « المرء بخِدْنِه » .

---

(١) مناقب الإمام أحمد ص٤٣٠ .

وقال الحسن بن ثواب : قال لي أحمد بن حنبل : ما أعلم في زمان أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان . قلت : ولم ؟ قال : ظهرت بدعٌ ، فمن لم يكن عنده حديث وقع فيها .

لله دَرُّك يا إمام ، ما أفطنك .

قال حسان بن عطية : ما ابتدع قوم بدعةً في دينهم إلا نَزَع الله من سُنَّتهم مثلها ، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة .

وسئل أحمد بن حنبل عن الوَسَاوس والخطرات ، فقال : ما تكلَّم فيها الصحابة ولا التابعون .

وقال أبو القاسم النصر أباذي : بلغني أن الحارث المحاسبي تكلم في شيء من الكلام فهجره أحمد بن حنبل ، فاختفى في دارٍ ببغداد ومات فيها ، ولم يُصَلِّ عليه إلا أربعة نفرٍ .

أرسل الإمام أحمد إلى المتوكل : « إن أهل البدع والأهواء لا ينبغي أن يستعان بهم في شيءٍ من أمور المسلمين ، فإن في ذلك من أعظم الضرر على الدين ، مع ما عليه رأي أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – من التمسك بالسنة والمخالفة لأهل البدع »[1] .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : قبورُ أهل السنة من الفُسَّاق روضةٌ من رياض الجنة ، وقبورُ أهل البدع من الزُّهاد حفرة من حفر النار »[2] .

الإمام الرباني ، شيخ الإسلام ، السليم الأسلم ، المذكور بالسواد الأعظم الطوسي أبو الحسن محمد بن أسلم :

كان بالآثار مُقتديًا ، وعن الآراء مُنتهيًا .

« قال أبو عبد الله الحاكم : كان من الأبدال المُتتبِّعين للآثار .

---

(١) مناقب الإمام ص٢٣٣ .

(٢) مناقب الإمام ٢٣٦ – ٢٤١ .

وقال قبيصة : كان ابن مسعود أشبه الناس برسول الله ﷺ ، يعني في هَدْيه وسَمْتِه ، وكان علقمه يشبَّه بابن مسعود في ذلك ، ويشبَّه بعلقمة إبراهيم ، وبإبراهيم منصور ، وبمنصور سفيان ، وبسفيان وكيع .

قال الحاكم : قام محمد بن أسلم مقام وكيع ، وأفضل من مقامه ؛ لزهده وورعه وتتبعه للأثر »[١] .

« قال إسحاق بن راهويه : وذكر في حديثٍ رفعه إلى النبي ﷺ ، قال : « إن الله لم يكن ليجمع أُمّة محمدٍ على ضلالة ، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم »[٢]، فقال رجل : يا أبا يعقوب ، من السواد الأعظم ؟ فقال : محمد بن أسلم وأصحابه ومن تبعه . ثم قال : سأل رجلٌ ابن المبارك فقال : يا أبا عبد الرحمن ، من السواد الأعظم ؟ فقال : أبو حمزة السكوني . ثم قال إسحاق:في ذلك الزمان ؛ يعني أبا حمزة ، وفي زماننا محمد ابن أسلم ومن تبعه . ثم قال إسحاق : لو سألت الجهال : من السواد الأعظم ؟ قالوا : جماعة الناس ، ولا يعلمون أن الجماعة عالمٌ متمسِّك بأثر النبي ﷺ وطريقه ، فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة ، ومن خالفه فيه ترك الجماعة . ثم قال إسحاق : لم أسمع عالمًا منذ خمسين سنة كان أشد تمسكًا بأثر النبي ﷺ من محمد بن أسلم »[٣].

---

(١) السير ١٢/١٩٦ .

(٢) أخرجه ابن ماجة ، وإسناده ضعيف ، ورواه أبو يعلى الموصلي ، وأبو داود وأحمد والترمذي وأبو نعيم والحاكم وابن منده والضياء في المختارة عن أنس بن مالك وأبي مالك الأشعري وأبي بصرة وابن عمر وأبي ذر ، وفي كلها نظر كما قاله العراقي . قال شعيب الأرنؤوط . لكن بمجموعها يتقوى الحديث . انظر هامش السير ١٢/١٩٧ .

(٣) السير ١٢/١٩٦ - ١٩٧ ، الحلية ٩/٢٣٨ - ٢٣٩ .

قال محمد بن القاسم خادم محمد بن أسلم : سمعت أبا يعقوب المروزي ببغداد ، وقلت له : قد صحبت محمد بن أسلم ، وصحبت أحمد ابن حنبل ، أي الرجلين كان عندك أرجح أو أكثر أو أبصر بالدين ؟ فقال : يا أبا عبد الله ، لم تقول هذا ؟ إذا ذكرت محمد بن أسلم في أربعة أشياء فلا تقرن معه أحدًا : البصر بالدين ، واتباع أثر النبي ﷺ في الدنيا ، وفصاحة لسانه بالقرآن والنحو . ثم قال لي : نظر أحمد بن حنبل في كتاب الرَّدّ على الجهمية ، الذي وضعه محمد بن أسلم ، فتعجب منه ، ثم قال : يا أبا يعقوب ، رأت عيناك مثل محمدٍ ؟ فقلت : يا أبا عبد الله لا يغلط رأي محمد من أستاذيه ورجاله مثله . فتفكر ساعةً ثم قال : لا ، قد رأيتهم وعرفتهم ، فلم أر فيهم على صفة محمد بن أسلم .

قال أبو عبد الله : وسألت يحيى بن يحيى عن ست مسائل فأفتى فيها ، وقد كنت سمعت محمد بن أسلم أفتى فيها بغير ذلك ، احتج فيها بحديث النبي ﷺ ، فأخبرت يحيى بن يحيى بفتيا محمد بن أسلم فيها ، فقال : يا بني أطيعوا أمره ، وخُذُوا بقوله ، فإنه أبصر منا ؛ ألا ترى أنه يحتج بحديث النبي ﷺ في كل مسألة ، وليس ذاك عندنا .

قال أبو عبد الله : سمعت إسحاق بن راهويه - ذات يومٍ - روى في ترجيع الأذان أحاديث كثيرة ، ثم روى حديث عبد الله بن زيد الأنصاري ، ثم قال : يا قوم قد حدثتكم بهذه الأحاديث في الترجيع ، وليس في غير الترجيع إلَّا حديث واحد ؛ حديث عبد الله بن زيد ، وقد أمر محمد بن أسلم الناس بالترجيع فقلتم : هذا مبتدع ، عامَّةُ أهل بلده بالكُورة غَوْغَاء ، ثم قال : احذروا الغوغاء ، فإن الأنبياء قتلتهم الغوغاء . فلمّا كان الليل دخلت عليه فقلت : يا أبا يعقوب ، حدثت هذه الأحاديث كلها في الترجيع ، فما لك لا تأمر مؤذنك بالترجيع ؟ قال : يا مغفل ، ألم

تسمع ما قلت في الغوغاء ، إنما أخاف الغوغاء ، فأمّا أمر محمدِ بن أسلم ، فإنه سماويّ ، كلّما أخذ في شيءٍ ، تمَّ له ، ونحن عنده عبيد بطوننا ، لا يتم لنا أمْرٌ نأخذ فيه ، نحن عند محمد بن أسلم من السُّرّاق .

لا يعرف قدر الرجال إلا الرجال ، فهذا كلام إسحاق بن راهويه شيخ البخاري .

قال أبو عبد الله : وكتب إليّ أحمد بن نصر : أن اكتب إليَّ بحال محمد بن أسلم ، فإنه ركن من أركان الإسلام .

وقال لخادمه عند موته : « يا أبا عبد الله ؛ أنا معك وقد علمت أن معي في قميصي من يشهد علي ، فكيف ينبغي لي أن آتي الذنوب ، إنما يعمل الذنوب جاهلٌ ينظر فلا يرى أحدًا ، فيقول : ليس يراني أحدٌ ، أذهب فأُذنب . فأما أنا كيف يمكنني ذلك وقد علمت أن داخل قميصي من يشهد علي . ثم قال : يا أبا عبد الله ، ما لي ولهذا الخلق ، كنت في صلب أبي وحدي ، ثم صرت في بطن أمي وحدي ، ثم دخلت الدنيا وحدي ، ثم تقبض روحي وحدي ، وأدخل في قبري وحدي ، ويأتيني منكر ونكير فيسألاني في قبري وحدي ، فإن صرت إلى خيرٍ صرت وحدي ، وإن صُرت إلى شرٍّ كنت وحدي ، ثم أوقف بين يدي الله وحدي ، ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي ، وإن بُعثت إلى الجنة بُعثت وحدي ، وإن بعثت إلى النار بعثت وحدي ، فما لي وللناس . ثم تفكرَ ساعةً فوقعت عليه الرّعدة ، حتى خشيتُ أن يسقط ، ثم رجعت إليه نفسه ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، إن هؤلاء قد كتبوا رأي أبي حنيفة ، وكتبت أنا الأثر ، فأنا عندهم على غير طريقٍ ، وهم عندي على غير طريقٍ . وقال لي : يا أبا عبد الله ، أصل الإسلام في هذه الفرائض ، وهذه الفرائض في حرفين ، ما قال الله ورسوله : افعل . فهو فريضة ينبغي أن يفعل ، وما قال الله ورسوله : لا تفعل . فينبغي أن ينتهى عنه ، فتُركه فريضة ، وهذا في

القرآن ، وفي فريضة النبي ﷺ ، وهم يقرءونه ولكن لا يتفكرون فيه ، قد غلب عليهم حب الدنيا . ثم قال : حديث عبد الله بن مسعود : خطّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا فقال : « هذا سبيل الله » ، ثم خطّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : « هذه سبل ، على كل سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه » ، ثم قرأ : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتَّبعُوه ولا تتَّبعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتَّقون** ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، وحديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ : « إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملَّة ، وأُمَّتي تفترق على ثلاثةٍ وسبعين ، كلها في النار إلّا واحدة » . قالوا : يا رسول الله ﷺ ، من هم ؟ قال : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » فرجع الحديث إلى واحدٍ ، والسبيل الذي قال في حديث عبد الله بن مسعود : « الذي قال ما أنا عليه وأصحابي » فدين الله في سبيلٍ واحدٍ ، فكل عملٍ أوله أعرضه على هذين الحديثين ، فما وافقهما عملته ، وما خالفهما تركته ، ولو أن أهل العلم فعلوا ، لكانوا على أثر النبي ﷺ ، ولكنهم فتنهم حب الدنيا وشهوة المال ، ولو كان في حديث عبد الله ابن عمرو الذي قال : « كلها في النار إلا واحدة » قال : « كلها في الجنة إلا واحدة » لكان ينبغي أن يكون قد تبين علينا في خشوعنا وهمومنا وجميع أمورنا ، خوفًا أن يكون من تلك الواحدة ، فكيف وقد قال : « كلها في النار واحدة »[1] .

وقال أبو عبد الله : « وولد له ابنٌ فدفع إليَّ دراهم وقال : اشتر كبشين عظيمين وغال بهما فإنه كلما كان أعظم كان أفضل . فاشتريت له وأعطاني عشرة دراهم فقال : اشتر به دقيقًا واخبزه . فنخلت الدقيق وخبزته ، ثم جئت به فقال : نخلت هذا ؟ فأعطاني عشرة دراهم أُخَر وقال :

---

(١) الحلية ٩/٢٤١ - ٢٤٤ .

اشتر به دقيقًا ولا تنخله واخبزه . فخبزته وحملته إليه ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، إن العقيقة سنة ، ونخل الدقيق بدعة ، ولا ينبغي أن يكون في السنة بدعة ، فلم أُحب أن يكون ذلك الخبز في بيتي بعد أن يكون بدعة » .

الله أكبر . نخل الدقيق مباح ... ولكنه يريد أن يقتفي أثر الرسول ﷺ الذي ما رأى منخلًا قط منذ أن ابتعثه الله .

فرحم الله شيخ الإسلام الطوسي ، الذي ما علم بسنةٍ إلّا وعملها ، إلّا سنة واحدة أعيته ، وهي أن يطوف بالبيت راكبًا مثلما طاف رسول الله ﷺ بالبيت راكبًا .

سيِّد الحُفّاظ أبو زُرْعَة الرَّازِي عُبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد :

« قال يونس بن عبد الأعلى : أبو زرعة أشهر في الدنيا من الدنيا .

وقال محمد بن يحيى : لا يزال المسلمون بخيرٍ ما أبقى الله لهم مثل أبي زرعة ، يُعلِّم الناس وما كان الله ليترك الأرض إلَّا وفيها مثل أبي زرعة يعلّم الناس ما جهلوه .

وقال محمد بن إسحاق الصاغاني : أبو زرعة يشبه بأحمد بن حنبل »[(١)] .

وتحت باب « ما ذكر من بدو مكاشفة أبي زرعة لأهل الرأي ، وإظهاره السنن ومقاساته أذى القوم » كتب ابن أبي حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » (٣٤٧/١) يقول : « سمعت أبا زرعة يقول : قال لي أبو جعفر الجمال : ما لهم - يعني أصحاب الرأي - سواك » .

وقال أبو زرعة : ما رغبت قط في سكنى الري ، وما كاشفت القوم وأنا أريد مزاحمتهم في دنيا ولا مال ولا في ضيعة ، وقلت في نفسي : أنا لست براغبٍ في شيءٍ من هذا ، فأُقاسي إظهار السنن ، فإن كان كَونٌ ،

---

(١) السير ٧٠/١٣ - ٧٤ .

خرجت وهربت إلى طرسوس .

وقال أبو زرعة : قال لي السّرّي بن معاذ : لو أني قبلت لأُعطيت مائة ألف درهم قبل الليل فيك وفي ابن مسلمٍ ، من غير أن أحبسكم ولا أضربكم أكثر من أن أمنعكم من التحديث .

سبحان الله : هكذا الخوف من إظهار السنن ونشر الاتباع .

« قال الحسن بن أحمد بن الليث : سمعت أحمد بن حنبل ، وسأله رجلٌ فقال : بالري شابٌّ يقال له : أبو زرعة ، فغضب أحمد وقال : تقول : شاب ؟! كالمنكر عليه ، ثم رفع يديه ، وجعل يدعو الله عز وجل لأبي زرعة ويقول : اللهم انصره على من بغى عليه ، اللهم عافه ، اللهم ادفع عنه البلاء ، اللهم ... اللهم ، في دعاء كثير . قال الحسن : فلما قدمت الري حكيت ذلك لأبي زرعة ، وحملت إليه دعاء أحمد بن حنبل له ، وكنت كتبته عنه ، فكتبه أبو زرعة ، وقال لي أبو زرعة : ما وقعت في بلية فذكرت دعاء أحمد ، إلا ظننت أن الله عز وجل يفرج بدعائه عني .

وكتب عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني - المعروف بـ « رُسْتَةَ » - من أصبهان إلى أبي زرعة : اعلم - رحمك الله - أني ما أكاد أنساك في الدعاء لك - ليلي ونهاري - أن يُمتع المسلمون بطول بقائك ، فإنه لا يزال الناس بخيرٍ ما بقي من يعرف العلم وحقه من باطله ، ولولاك لذهب العلم وصار الناس إلى الجهل ، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال : « يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » ، وقد جعلك الله منهم ، فاحمد الله على ذلك ، فقد وجب لله عز وجلّ عليك الشكر في ذلك » .

« وكتب إليه إسحاق بن راهويه : اعلم - أبقاك الله - أني كنت أسمع من إخواننا القادمين علينا ، ومن غيرهم ، حالك وما أنت عليه من

العلم والحفظ ، فأُسرّ بذلك ، وإني أزداد بك كل يومٍ سرورًا ، فالحمد لله الذي جعلك ممن يحفظ سنته ، وهو من أعظم ما يحتاج إليه الطالب اليوم ، وأحمد بن إبراهيم لا يزال في ذكرك الجميل حتى يكاد يفرط حُبًّا لك ، وإن لم يكن فيك - بحمد الله - إفراط »[١] .

قال أبو زرعة : إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة[٢] .

وقال أبو زرعة وأبو حاتم الرازي : مذهبنا واختيارنا وما نعتقده وندين الله به .. ترك النظر في موضع البدع .. وترك رأي الملبِّسين المُموِّهين المُزَخْرفين .. وترك النظر في كتب الكرابيسي ... وترك مجالسة من وضع الكتب بالرأي بلا آثار .

وكانا يقولان : لا يفلح صاحب كلام أبدًا .

وقال أبو زرعة : هؤلاء المتكلمون لا تكن منهم بسبيل ، فإن آخر أمرهم يرجع إلى شيءٍ مكشوف ينكشفون عنه ، وإنما يتموّه أمرهم سنةً أو سنتين ، ثم ينكشف ، فلا أرى لأحدٍ أن يناضل عن أحدٍ من هؤلاء ، فإنهم إن يهتكوا يومًا قيل لهذا المناضل : أنت من أصحابه ، وإن طلب يومًا طلب هذا به . لا ينبغي لمن يعقل أن يمدح هؤلاء[٣].

---

(١) الجرح والتعديل ١/٣٤١ - ٣٤٤ .

(٢) الكفاية للخطيب ص٤٩ .

(٣) الضعفاء للبرذعي ص٥٥٣ ، وتاريخ بغداد ٨/٣٧٣ ، وطبقات الشافعية ٢/ ٢٨٥ .

وسُئل أبو زرعة عن كتب الحارث المحاسبي ، فقال : إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدعٍ وضلالات ، عليك بالأثر ، تجد فيه ما يغني عن هذه الكتب . فقيل له : في هذه الكتب عبرة . فقال : من لم يكن له في كتاب الله عبرة ، فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم أن مالك ابن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين ، صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء ؟! هؤلاء قومٌ خالفوا أهل العلم ، فأَتَوْنا مرةً بالحارث المحاسبي ، ومرة بعبد الرحيم الدبيلي ، ومرة بحاتم الأصم ، ومرة بشقيقٍ البلخي[١]، ما أسرع الناس إلى البدع[٢] .

وقال أبو زرعة : إذا رأيت الكوفي يطعن على سفيان الثوري وزائدة ، فلا تشك أنه رافضيٌّ ، وإذا رأيت الشامي يطعن على مكحولٍ والأوزاعي ، فلا تشك أنه ناصبي ، وإذا رأيت الخراساني يطعن على عبد الله بن المبارك ، فلا تشك في أنه مرجىء ، واعلم أن هذه الطوائف كلها مجمعةٌ على بغض أحمد بن حنبل ؛ لأنه ما منهم أحد إلَّا وفي قلبه منه سهمٌ لا برء له[٣].

وانظر - رحمك الله - إلى حرص أبي زرعة على نشر السنة ، ولو عند الاحتضار :

« قال أحمد بن إسماعيل ؛ ابن عم أبي زرعة : سمعت أبا زرعة يقول في مرضه الذي مات فيه : اللهم إني أشتاق إلى رؤيتك ، فإن قال لي : بأي عمل اشتقت إليّ ؟ قلت : برحمتك يا رب »[٤] .

فبيّن الرؤية والرجاء .

---

(١) حاتم الأصم وشقيق البلخي أثنى عليهما الذهبي وغيره .

(٢) الضعفاء للبرذعي وتاريخ بغداد للخطيب ٢١٥/٨ ، وتلبيس إبليس ص١٦١ .

(٣) طبقات الحنابلة ١٩٩/١ - ٢٠٠ .

(٤) الجرح والتعديل ٣٤٦/١ .

وكان أبو زرعة - رحمه الله تعالى - يجاهر برفع اليدين في الصلاة ، وينكر على أهل الرأي تركهم ذلك . فرُئي بعد موته كأنه يصلي بالملائكة في السماء ، فقيل له : بم أدركت ذلك ؟! قال : برفع اليدين في الصلاة[١] .

وانظر يا أخي إلى فضل الكلام في أهل البدع وكيف يُعلي صاحبه :

قال محمد بن مسلم بن وارة وهو إمام ثقة :

« رأيت أبا زرعة في المنام ، فقلت له : ما حالك يا أبا زرعة ؟ قال : أحمد الله على أحواله كلها ، إني حضرت فوقفت بين يدي الله تعالى ، فقال : يا عبيد الله ،لم تذرعت القول في عبادي ؟ قلت : يا رب ، إنهم حاولوا دينك . قال الله : صدقت . ثم أُتي بطاهر الخلقاني ، فاستعديت عليه إلى ربي تعالى ، فضرب الحد مائةً ، ثم أُمر به إلى الحبس ، ثم قال : ألحقوا عبيد الله بأصحابه : أبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله ؛ سفيان الثوري ، ومالك ابن أنس ، وأحمد بن حنبل »[٢] .

ولقد كان - رحمه الله - شديدًا على أهل الرأي بعد أن أنقذه الله منه ... وكان شديدًا على أبي حنيفة - رحمه الله - لأنه إمام أهل الرأي .

قيل له : إن إبراهيم بن أورمة كان يُعنى بإسناد أبي حنيفة ؟! فقال أبو زرعة : إنا لله وإنا إليه راجعون ، عظمت مصيبتنا في إبراهيم ! يعنى به ! لأي معنى يصدقه ؟! لاتباعه ؟! لإتقانه . ثم قال : رحم الله أحمد بن حنبل ، بلغني أنه كان في قلبه غصص من أحاديث ظهرت عن المعلى بن منصور : كان يحتاج إليها ، وكان المعلى أشبه القوم (أهل الرأي) بالعلم ، وذلك أنه كان طلّابةً للعلم ورحل وعني به ، فصبر أحمد عن تلك الأحاديث ، و لم

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٠/٧٠١/ق .

(٢) الجرح والتعديل ١/٣٤٦ ، سير أعلام النبلاء ١٣/٧٥ - ٧٦ ، ٨٤ - ٨٥ .

يسمع منه حرفًا . وأي شيءٍ يشبه المعلى من أبي حنيفة ؟! المعلى صدوق[١] .

وانظر إلى كلام أبي زرعة في محمد بن مقاتل إمام أهل الرأي بالريّ :

« قال أبو زرعة : قال محمد بن مقاتل لَمَّا قدم الري : رأيت أسباب أبي حنيفة قد ضعفت بالعراق ، فلأنصرنه بغاية النصر . قال أبو زرعة للبرذعي : فسلط عليه منَّا ما قد علمت »[٢] .

وقال البرذعي في كتابه الضعفاء ص٥٦٩ - ٥٧٠ : « سألته (يعني أبا زرعة) عن نصر بن عليّ الجهضمي فقال : اتق الله ذاك زَفَّانٌ يجتمع بالليل مع هؤلاء المغبّرين ، يزفن ويرقص معهم . قال : فضربت على ما كتبت عنه » .

والتغبير : هو الغناء بالأشعار الزهدية والضرب على المخادّ مع ذلك الغناء ، وهذا قال فيه الشافعي : أرى الزنادقة وضعوا هذا التغبير ليصدوا الناس عن ذكر الله .

وانظر - رحمك الله - إلى هذه الحكاية التي تدل على شدة اتباع أبي زرعة ، وهي حكايته مع يحيى بن معاذ الرازي ، وكان سليم الاعتقاد يقصُّ ويعظ ، أثنى عليه الجمع الغفير من العلماء .

قال البرذعي في كتابه الضعفاء ص٥٦٥ : « شهدت أبا زرعة ، وأتاه أبو العباس الهسنجاني ، فكلمه أن يُقيل يحيى بن معاذ . فقال : إنه يقول : أنا على مذهبك ، وأنا رجل نَوَّاحٌ ، أنوح وأنوح . فقال أبو زرعة : إنما النوح لمن يدخل بيته ، ويغلق بابه ، وينوح على ذنوبه ، فأما من يخرج إلى أصبهان وفارس ، ويجول في الأمصار في النوح ، فإنا لا نقبل هذا منه . هذا من فعل المستأكلة ، الذين يطلبون الدراهم والدنانير . ولم يقبله »[٣] .

---

(١) الضعفاء للبرذعي ص٥٧٠ .

(٢) الضعفاء للبرذعي ص٧٥٥ - ٧٥٦ .

(٣) ورواه ابن الجوزي في كتاب القُصَّاص ص١٢٢ .

قال أبو حاتم الرازي :

« علامة أهل البدع : الوقيعة في أهل الأثر . وعلامة الزنادقة : تسميتهم أهل الأثر حشوية ، يريدون إبطال الآثار عن رسول الله ﷺ .

وعلامة الجهمية : تسميتهم أهل السنة مشبهةً ونابتةً .

وعلامة القدرية : أن يسموا أهل السنة : مجبرةً .

وعلامة المرجئة : تسميتهم أهل السنة : مخالفة ونقصانية .

وعلامة الرافضة : تسميتهم أهل السنة : ناصبة .

وكل هذا أم عصبات معصبات . ولا يلحق أهل السنة إلا اسمٌ واحد ، ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء » .

زَيْن الأُمَّة وأمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري :

قال له مسلم : أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك .

أبو عبد الله البخاري إمام أهل خراسان وسيدهم ، كتب إليه أهل بغداد :

المسلمون بخيرٍ ما بقيتَ لهم ... وليس بَعْدَك خيرٌ حينَ تُفْتَقدُ

قال عنه الحسين بن محمد السمرقندي : كان لا يشتغل بأمور الناس ، كل شغله كان في العلم .

كان - رحمه الله - جبلًا في الاتباع ، ومن مثله والناس كلهم محتاجون لعلمه وحديثه .

يقول رحمه الله : لا أعلم شيئًا يحتاج إليه إلَّا وهو في الكتاب والسنة .

فقال له محمد بن أبي حاتم : يمكن معرفة ذلك كله ؟ قال : نعم .

قال محمد بن أبي حاتم : « كنت بنيسابور ، أجلس في الجامع ، فذهب عمرو بن زرارة وإسحاق بن راهويه إلى يعقوب بن عبد الله والي نيسابور ، فأخبروه بمكاني ، فاعتذر إليهم وقال : مذهبنا أنه إذا رفع إلينا

غريبٌ لم نعرفه ، حبسناه حتى يظهر لنا أمره . فقال له بعضهم : بلغني أنه قال لك : لا تُحسن تصلي ، فكيف تجلس ؟ فقال : لو قيل لي شيء من هذا ، ما كنت أقوم من ذلك المجلس حتى أروي عشرة آلاف حديثٍ في الصلاة خاصة »[١].

هذا والله الشرف .

رحم الله البخاري ، فقد كان رأسًا في السنة والأثر ... ومن أراد سبر غور الإمام فلينظر إلى صحيح البخاري ، وخلق أفعال العباد .

« قال محمد بن العباس الفربري : أملى يومًا عليَّ حديثًا كثيرًا فخاف ملالي ، فقال : طب نفسًا ، فإن أهل الملاهي في ملاهيهم ، وأهل الصناعات في صناعاتهم ، والتجار في تجاراتهم ، وأنت مع النبي ﷺ وأصحابه »[٢] .

قال البخاري : نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس ، فما رأيت أحدًا أضل في كفرهم من الجهمية ، وإني لأستجهل من لا يكفرهم .

الإمام بَقِيّ بن مَخْلَد :

كان بقيّ أول من كثر الحديث بالأندلس ونشره ، وهاجم به شيوخ الأندلس ، فثاروا عليه لأنه كان أعلمهم بالمسائل ومذهب مالك ، وكان بقي يفتي بالأثر ، فشذ عنهم شذوذًا عظيمًا ، فعقدوا عليه الشهادات وبدعوه ، ونسبوا إليه الزندقة وأشياء نزهه الله منها . وكان بقي يقول : « لقد غرست لهم بالأندلس غرسًا لا يقلع إلا بخروج الدجال »[٣] .

قال الشاطبي في الاعتصام (٣٤٨/٢) في موقف المقلدة من بقي بن مخلد : « لقد لقي الإمام بقي بن مخلد - حين دخل الأندلس آتيًا من

---

(١) السير ٤١٢/١٢ .
(٢) السير ٤٤٥/١٢ .
(٣) السير ٢٩٠/١٣ - ٢٩١ .

المشرق - من هذا الصنف الأَمَرَّيْن ؛ حتى أصاروه مهجور الفناء ، مُهتَضَم الجانب ، لأنه من العلم بما لا يد لهم به ، إذ لقي بالمشرق الإمام أحمد ابن حنبل ، وأخذ عنه مصنفه ، وتفقه عليه ، ولقي أيضًا غيره ، حتى صنف « المسند المصنف » الذي لم يصنف في الإسلام مثله ، وكان هؤلاء المقلدة قد صمموا على مذهب مالكٍ بحيث أنكروا ما عداه ، وهذا تحكيم الرجال على الحق ، والغلو في محبة المذهب » .

فحكّموا الرجال على الشريعة ، ولم يحكموا الشريعة على الرجال .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « اغْدُ عالمًا أو متعلِّمًا ، ولا تغدُ إمّعَةً فيما بين ذلك » قال ابن وهب : فسألت سفيان عن الإمعة فقال : الإمعة في الجاهلية الذي يُدعى إلى الطعام ، فيذهب معه غيره ، وهو فيكم اليوم المُحقب[1] دينه الرجال .

وهم الذين عناهم عليّ - رضي الله عنه - حين قال لكميل بن زياد : « وهمج رعاع أتباع كلّ ناعِقٍ ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلى رُكنٍ وثيق ... أُفٍّ لحامل حقٍّ لا بصيرةَ له ، ينقدح الشّكُّ في قلبه بأول عارضٍ من شبهة ، لا يدري أين الحق ، إن قال أخطأ ، وإن أخطأ لم يدر ، مشغوفٌ بما لا يدري حقيقته ، فهو فتنةٌ لمن فتن به » .

وعن علي رضي الله عنه : إياكم والاستنان بالرجال ، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، ثم ينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل النار ، فيموت وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، فينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيموت وهو من أهل الجنة ، فإن كنتم لا بُدَّ

---

(١) المحقب : المقلّد التابع لغيره ، من الأحقاب وهو الأرداف وشدّ المتاع وراء ظهر الراكب .

فاعلين ، فبالأموات لا بالأحياء . وأشار إلى رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام .

وفي الصحيح عن أبي وائل قال : جلست إلى شيبة في هذا المسجد قال : جلس إليَّ عمر في مجلسك هذا ، قال : هممتُ أن لا أَدَعَ فيها صفراء ولا بيضاء إلّا قسمتها بين المسلمين . قلت : ما أنت بفاعلٍ . قال : لم ؟ قلت : لم يفعله صاحباك . قال : هما المَرْءَانِ أهتدي بهما . يعني النبي ﷺ وأبا بكرٍ رضي الله عنه .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في حديث عيينة بن حصن ، حين استُؤْذِن له على عمر ، قال فيه : فلما دخل قال : يا ابن الخطاب ! والله ما تعطينا الجزل ، وما تحكم بيننا بالعدل . فغضب عمر حتى همّ بأن يقع فيه ، فقال له الحرُّ بن قيس : يا أمير المؤمنين ؟ إن الله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ **خذ العفو وأمُرْ بالعُرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ [الأعراف : ١٩٩] فوالله ما جاوز عمر حين تلاها عليه ، وكان وقّافًا عند كتاب الله .

الإمام القُدْوَة ، شيخُ أهل السُّنَّة والجماعة في عصره : البَرْبَهارِيّ أبو محمد الحسن بن عليّ بن خَلَف :

قال أبو عبد الله الفقيه : « إذا رأيت البغدادي يحب أبا الحسن بن بشار ، وأبا محمدٍ البربهاريَّ ، فاعلم أنه صاحب سنة »[١] .

وقال أبو يعلى : « شيخ الطائفة في وقته ، ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع ، والمباينة لهم باليد واللسان » .

وقال ابن الجوزي : « جمع العلم ، والزهد ... وكان شديدًا على أهل البدع » .

---

(١) طبقات الحنابلة (٢/٥٨) .

وقال الذهبي في السير (١٥/٩٠ - ٩٢) : « كان قوّالًا بالحقّ ، داعية إلى الأثر ، لا يخاف في الله لومة لائم » .

وقال في العبر : « شيخ الحنابلة بالعراق ، قالا ، وحالًا ، وحلالًا ، وكان له صيتٌ عظيم وحُرْمةٌ تامَّة » .

وقال ابن كثير : « العالم الزاهد ، الفقيه الحنبلي ، الواعظ ... وكان شديدًا على أهل البدع والمعاصي ، وكان كبير القَدْر ، تعظِّمه الخاصة والعامة » .

لقد كان رحمه الله شديدًا على أهل البدع والأهواء ، منابذًا لهم باليد واللسان ، وكان موقفه منهم يدلّ على الصرامة والشدة ، غيرةً منه على السنة ، أن يحاول النيل منها كل بِدْعِيٍّ مارِق ، فموقفه يعد أُنموذجًا رائعًا لمواقف أهل السنة من أهل البدع والضلال .

قال - رحمه الله - في كتابه القيم « شرح السنة » : « اعلموا أن الإسلام هو السنة ، والسنة هي الإسلام ، ولا يقوم أحدهما إلَّا بالآخر » .

وقال : واعلم - رحمك الله - أن الدين إنما جاء من قبل الله تبارك وتعالى ، لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم ، وعلمه عند الله وعند رسوله ، فلا تتبع شيئًا بهواك ، فتمرق من الدين فتخرج من الإسلام ، فإنه لا حجة لك ، فقد بين رسول الله ﷺ لأُمَّته السنة ، وأوضحها لأصحابه ، وهم السواد الأعظم ، والسواد الأعظم : الحق وأهله .

واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعةً قطُّ حتى تركوا من السنة مثلها ، فاحذر المُحدَثات من الأمور ، فإن كلَّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلّ بدعةٍ ضلالة ، والضلالة وأهلها في النار .

واحذر صغار المحدثات من الأمور ، فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيرًا ، وكذلك كل بدعة أُحدِثت في هذه الأمة ، كان أولها صغيرًا

يُشبه الحق ، فاغتر بذلك من دخل فيها ، ثم لم يستطع الخروج منها ، فعظمت وصارت دينًا يدان بها ، فخالف الصراط المستقيم ؛ فخرج من الإسلام .

وقال : انظر - رحمك الله - كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصّةً ، فلا تعجلن ، ولا تدخلن في شيءٍ منه حتى تسأل وتنظر : هل تكلم به أصحاب رسول الله ﷺ ، أو أحدٌ من العلماء ؟ فإن وجدت فيه أثرًا عنهم فتمسك به ، ولا تجاوزه لشيءٍ ولا تَخْتَرْ عليه شيئًا فتسقط في النار .

واعلم أن الخروج من الطريق على وجهين ؛ أمّا أحدهما : فرجلٌ قد زلّ عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير ، فلا يُقتدى بزلته ؛ فإنه هالك . وآخر عاند الحق ، وخالف من كان قبله من المتقين ، فهو ضالٌّ مضلٌّ ، شيطانٌ مريد في هذه الأُمة ، حقيقٌ على من يعرفه أن يحذر الناس منه ، ويبين للناس قصته ، لئلا يقع أحدٌ في بدعته فيهلك .

واعلم - رحمك الله - أنه لا يتم إسلامُ عبدٍ ، حتى يكون مُتَّبِعًا مُصدِّقًا مسلمًا ، فمن زعم أنه قد بقي شيءٌ من أمر الإسلام ، لم يكفوناه أصحاب محمد ﷺ ، فقد كذّبهم ، وكفى به فُرقةً وطَعْنًا عليهم ، وهو مبتدعٌ ضالّ ، محدِثٌ في الإسلام ما ليس فيه .

واعلم - رحمك الله - أنه ليس في السنة قياس ، ولا يضرب لها الأمثال ، ولا تتبع فيها الأهواء ، وإنما هو التصديق بآثار رسول الله ﷺ بلا كيفٍ ، ولا شرحٍ ، لا يقال : لم ؟ وكيف ؟

والكلام والخصومة والجدال والمراء : محدَث ، يقدح الشك في القلب وإن أصاب صاحبه الحق والسنة .

واعلم - رحمك الله - أن الكلام في الرب تعالى محدثٌ ، وهو

بدعة ضلالة ، ولا يتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه في القرآن ، وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه .

وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها ، أو ينكر شيئًا من أخبار رسول الله ﷺ ، فاتّهِمه على الإسلام ؛ فإنه رجلٌ رديء القول والمذهب ، وإنما طعن على رسول الله ﷺ وأصحابه لأنه إنما عرفْنا الله ، وعرفنا رسول الله ﷺ ، وعرفنا القرآن ، وعرفنا الخير والشر ، والدنيا والآخرة ، بالآثار .

واعلم - رحمك الله - أنه ما كانت زندقة قطُّ ولا كفر ، ولا شك ، ولا بدعة ولا ضلالة ، ولا حيرة في الدين ؛ إلَّا من الكلام ، وأهل الكلام ، والجدل والمراء والخصومة . والعجب كيف يجترىء الرجل على المراء والخصومة والجدال ، والله تعالى يقول : ﴿ **ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا** ﴾ [غافر : ٤]. فعليك بالتسليم والرضا بالآثار وأهل الآثار ، والكف والسكوت .

واعلم أنه لم تجىء بدعةٌ قط إلّا من الهمج الرعاع ، أتباع كل ناعقٍ ، يميلون مع كلِّ ريحٍ ، فمن كان هكذا ، فلا دين له ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **فما اختلفوا إلّا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم** ﴾. [الجاثية : ١٧]، وقال تعالى : ﴿ **وما اختلف فيه إلّا الذين أُوتوه من بعد ما جاءتهم البَينات بغيًا بينهم** ﴾ [البقرة : ٢١٣] . وهم علماء السوء وأصحاب الطمع والبدع .

واعلم أنه لا يزال الناس في عصابةٍ من أهل الحقّ والسنة ، يهديهم الله ويهدي بهم غيرهم ، ويحيي بهم السنن ، فهم الذين وصفهم الله تعالى مع قلتهم عند الاختلاف ﴿ **وما اختلف فيه إلا الذين أُوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم** ﴾ فاستثناهم فقال : ﴿ **فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم** ﴾ [البقرة : ٢١٣] ، وقال رسول الله ﷺ : « لا تزال عصابةٌ من أُمتي ظاهرين على

الحق ، لا يضرُّهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون » .

واعلم - رحمك الله - أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب ، إنما العالم من اتبع العلم والسنن ، وإن كان قليل العلم والكتب ، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعةٍ ، وإن كان كثير العلم والكتب .

واعلم - رحمك الله - أنّ من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأويله ، من غير حُجَّةٍ من السنة والجماعة ، فقد قال على الله ما لا يعلم ، ومن قال على الله ما لا يعلم ، فهو من المتكلفين .

ومن اقتصر على سنة رسول الله ﷺ وما كان عليه أصحابه والجماعة ،فَلَجَ[1] على أهل البدع كلهم ، واستراح بدنه ، وسلم له دينه ، إن شاء الله .

ومن عرَف ما ترك أصحاب البدع من السنة ، وما فارقوا فيه ، فتمسك به ، فهو صاحب سُنّةٍ وصاحب جماعةٍ ، وحقيقٌ أن يُتّبَع وأن يُعان وأن يُحفظ ، وهو ممّن أوصى به رسول الله ﷺ .

وإياك والنظر في الكلام والجلوس إلى أصحاب الكلام .

وكل علْمٍ ادَّعاه العباد من علم الباطن ، لم يوجد في الكتاب وفي السنة ، فهو بدعةٌ وضلالة ، ولا ينبغي لأحد أن يعمل له ولا يدعو إليه .

وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ، أو يردّ الآثار ، أو يريد غير الآثار ، فاتِّهمه على الإسلام ولا تشك أنه صاحب هوًى مبتدِع .

وإذا رأيت الرجل جالسًا مع رجلٍ من أهل الأهواء ، فحذِّره وعرِّفه ، فإن جلس معه بعدما علم فاتّقه ، فإنه صاحب هوى .

وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر ، فلا يريده ، ويريد القرآن ، فلا شك أنه رجل قد احتوى على الزندقة .

---

(١) أي ظفر وفاز .

واعلم أنه من تناول أحدًا من أصحاب محمد ﷺ ، فاعلم أنه إنما أراد محمدًا ﷺ وقد آذاه في قبره .

وإذا ظهر لك من إنسانٍ شيءٌ من البدع ، فاحذره ، فإن الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر .

رأى يونس بن عبيد ابنه ، وقد خرج من عند صاحب هوًى ، فقال : يا بني،من أين جئت ؟ قال : من عند فلان . قال : يا بني ، لَأَنْ أراك خرجت من بيت خُنثى ، أحبّ إليَّ من أن أراك تخرج من بيت فلان وفلان ، ولأن تلقى الله يا بُنيَّ زانيًا فاسقًا سارقًا خائنًا ، أحبّ إليَّ من أن تلقاه بقولِ فلانٍ وفلان .

ألا ترى أن يونس بن عبيدٍ قد علم أن الخنثى لا يضل ابنه عن دينه ، وأن صاحب البدعة يضله حتى يكفر .

ولا تطلب من عندك حيلةً تردّ بها على أهل البدع ، فإنك أُمرت بالسكوت عنهم ، ولا تمكنهم من نفسك ، أما علمت أن محمد بن سيرين - في فضله - لم يجب رجلًا من أهل البدع في مسألةٍ واحدةٍ ، ولا سمع منه آيةً من كتاب الله عز وجل ، فقيل له ، فقال : أخاف أن يحرفها ، فيقع في قلبي شيء .

وقال : قال بشر بن الحارث : الإسلام هو السنة ، والسنة هي الإسلام .

وقال الفضيل : إذا رأيت رجلًا من أهل السنة ، فكأنما أرى رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ ، وإذا رأيت رجلًا من أهل البدع ، فكأنما أرى رجلًا من المنافقين .

وكان ابن عون يقول عند الموت : « السُّنَّة السنة ، وإياكم والبدع » . حتى مات .

وقال أحمد بن حنبل : مات رجل من أصحابي ، فرُئِيَ في المنام فقال : قولِوا لأبي عبد الله : عليك بالسنة ، فإنه أول ما سألني الله ، سألني عن السنة .

وقال أبو العالية : من مات على السنة مستورًا ، فهو صدِّيق .

وقال الفضيل بن عياض : من جلس مع صاحب بدعةٍ في طريق ، فجُزْ في طريقٍ غيره .

وقال : من عظّم صاحب بدعةٍ ، فقد أعان على هدْم الإسلام ، ومن تبسّم في وجه مبتدعٍ ، فقد استخفّ بما أنزل الله عز وجل على محمد ﷺ ، ومن زوّج كريمته من مبتدِعٍ ، فقد قطع رحمها ، ومن تبع جنازة مبتدِعٍ ، لم يزل في سخط الله حتى يرجع .

وقال فضيل بن عياض : إذا علم الله من الرجل أنه مُبغضٌ لصاحبِ بدعةٍ ، غفر له وإن قلَّ علمُه ، ولا يكون صاحب سُنةٍ يُمالىء صاحبَ بدعةٍ إلا نفاقًا ، ومن أعرض بوجهٍ عن صاحب بدعةٍ ، ملأ الله قلبه إيمانًا ، ومن انْتَهَرَ صاحب بدعة ، آمنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومن أهان صاحب بدعة ، رفعه الله في الجنة مائة درجةٍ ، فلا تكن صاحب بدعةٍ في الله أبدًا[1] .

وقال البربهاري : « مثل أصحاب البدع مثل العقارب ، يدفنون رؤوسهم وأبدانهم في التراب ، ويُخرجون أذنابهم ، فإذا تمكّنوا لدغوا ، وكذلك أهل البدع ، هم مختفون بين الناس ، فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون »[2] .

---

(١) شرح السنة للبربهاري ، تحقيق : خالد بن قاسم الردادي . طبع مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة .

(٢) طبقات الحنابلة ٢/٤٤ .

ما فتئ أهل الأهواء والبدع المُعادُون له يُؤلِّبون السلطان ، ويغيظون قلبه عليه ، حتى أمر الخليفة القاهر وزيره ابن مقلة في سنة ٣٢١ بالقبض على البربهاري وأصحابه ، فاستتر البربهاريُّ ، وقُبض على جماعةٍ من كبار أصحابه ، وحُملوا إلى البصرة ، وعاقب الله ابن مقلة على فعله هذا ، بأن أسخط القاهر عليه ، وعزل عن الوزارة ، وطرح في داره النار ، وحُبس وخلع وسملت عيناه .

ثم تفضل الله وأعاد البربهاريّ إلى حشمته .

وفي سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاثمائة ازدادت حشمة البربهاري ، وعلت كلمته ، وظهر أصحابه ، وانتشروا في الإنكار على المبتدعة ، حتى إن البربهاري لما اجتاز بالجانب الغربي ، فعطس ، فشمته أصحابه ، فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة وهو في روشنه ، فسأل عن الحال ، فأُخبر بها ، فاستهولها . ولم تزل المبتدعة يثقلون قلب الراضي على البربهاري ، حتى نودي : أن لا يجتمع من أصحاب البربهاري نفسان ، فاستتر البربهاري رحمه الله .

قال ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص٦١٨ - ٦١٩) عن البربهاري : « جمع بين العلم والزهد ، وصحب المروذي ، وسهلًا التستري ، وكان البربهاري شديدًا على أهل البدع ، فما زالوا يثقلون قلب السلطان عليه ، وكان ينزل بباب محول ، فانتقل إلى الجانب الشرقي ، واستتر عند أخت توزون[1]، فبقي نحوًا من شهر ، ثم أخذه قيام الدَّم ، فمات ، فقالت المرأة لخادمها : انظر من يغسله . وأغلقت الأبواب حتى لا يعلم أحدٌ ، فجاء الغاسل فغسله ، ووقف يصلي عليه وحده ، فاطلعت -

(١) أحد القُوّاد الأتراك ، خلع عليه المُتّقي ، وجَعَلَه أمير الأمراء . أخباره في الكامل ٨/٣٣٩ .

من الروشن – فإذا الدار ممتلئة رجالًا بثيابٍ بيضٍ وخُضرٍ ، فاستدعت الخادم وقالت : ما الذي فعلت ؟ فقال : يا سيدتي ، رأيت ما رأيت ؟ قالت : نعم . قال : هذه مفاتيح الباب ، وهو مغلق . فقالت : ادفنوه في بيتي ، وإذا متُّ فادفنوني معه . فدفنوه في دارها ، وماتت بعده فدفنت هناك .

قال ابن الزاغوني : كشف قبر أبي محمدٍ البربهاريِّ ؛ وهو صحيحٌ لم يرم ، وظهر من قبره روائح الطيب حتى ملأت مدينة السلام »[(١)] .

ولا تعجب يا أخي ، فهاك كلام الإمام أحمد إمام أهل السنة :

« قبور أهل السنة من الفساق روضةٌ من رياض الجنة ، وقبور أهل البدع من الزُّهّاد حفرة من حفر النار »[(٢)] .

فكيف بأئمة أهل السنة ممن لهم القدم العالي في الاتباع ، وحمل الناس عليه ، كالبربهاري .

شيخُ الإسلام ابنُ تيميَة :

حاملُ رايةِ الدعوة إلى الكتاب والسنة ، وإرجاع الإسلام إلى منابعه الصحيحة في القرن السابع الهجري .

نصَر السُّنَّة بأوضح حُجَجٍ وأبهر براهين ، وأُوذِيَ في ذات الله من المخالفين ، وأُخِيفَ وسجن في نصر السنة المحمدية ، حتى أعلى الله مناره .

قال الحافظ ابن سيد الناس عنه : « كان يستوعب السنن والآثار حفظًا » .

وقال ابن الزملكاني عنه : « ما رأينا في عصرنا هذا من تُستجلى النبوة

---

(١) مناقب الإمام أحمد ص٦١٨ – ٦١٩ ، السير ١٥/٩٠ – ٩٢ .

(٢) مناقب الإمام أحمد ص٢٣٩ .

المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل ، يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقةً » .

وقال الحافظ المزي : « ما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ، ولا أتبع لهما منه »[1].

دعا شيخ الإسلام إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة في عقائد الدين وأصوله وفروعه .

قال رحمه الله : « وليعلم أنه ليس لأحدٍ من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولًا عامًّا ، يعتمد مخالفة رسول الله ﷺ بشيءٍ من سنته ، لا دقيق ولا جليل ؛ فإنهم متفقون اتفاقًا يقينيًّا على وجوب اتباع الرسول ﷺ ، وعلى أن كلّ أحدٍ من الناس يؤْخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله ﷺ » .

وقال : « وليس لأحدٍ أن يعارض الحديث الصحيح عن النبي ﷺ بقول أحدٍ من الناس ، كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - لرجلٍ سأله عن مسألةٍ ، فأجابه فيها بحديثٍ ، فقال له : قال أبو بكر وعمر ، فقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حِجَارةٌ من السماء ؛ أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر » .

وقال رحمه الله : « قد ذم الله في القرآن من عدل عن اتباع الرسل إلى ما نَشَأَ عليه من دين آبائه ، وهذا هو التقليد الذي حرمه الله ورسوله ، وهو أن يتبع غير الرسولِ فيما خَالفَ فيه الرسولَ . وهذا حرامٌ باتفاق المسلمين على كل أحدٍ ؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، والرسول طاعتُهُ فرض على كل أحدٍ من الخاصة والعامة في كل وقت وكل مكان ، في سرِّه وعلانيته وفي جميع أحواله » .

---

(١) الرَّدُّ الوافر ص١٢٩ .

وقال رحمه الله : « قد أوجب الله طاعة الرسول على جميع الناس في قريبٍ من الأربعين موضعًا من القرآن ، وطاعته طاعة الله » .

وقال : « التقليد المحرم بالنص والإجماع ، أن يعارض قول الله ورسوله بما يخالف ذلك ، كائنًا من كان المخالف لذلك » .

وقال : « إن الله سبحانه لما ذكر حال من يقول على الله بلا علْمٍ بل تقليد السلف ، ذكر حال من يكتم ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتاب ، فقال : ﴿ **إنّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلًا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يُزكيهم ولهم عذابٌ أليمٌ** ﴾ [البقرة : ١٨٤] فهذا حال من كتم علم الرسول ، وذلك حال من عدل عنها إلى خلافها ، والعادل عنها إلى خلافها يدخل فيه من قلد أحدًا من الأولين والآخرين فيما يعلم أنه خلاف قول الرسول ﷺ ، سواءً كان صاحبًا أو تابعًا أو أحد الفقهاء أو غيرهم . ومن ادعى إجماعًا يخالف نصَّ الرسول من غير نصٍّ يكون موافقًا لما يدعيه ، واعتقد جواز مخالفة أهل الإجماع للرسول برأيهم ، وأن الإجماع ينسخ النص – كما تقوله طائفةٌ من أهل الكلام والرأي – فهذا من جنس هؤلاء » .

وقال رحمه الله : « وكثير من الفقهاء المتأخرين ، أو أكثرهم يقولون : إنهم عاجزون عن تلقي جميع الأحكام الشرعية من جهة الرسول ، فيجعلون نصوص أئمتهم بمنزلة نص الرسول ، ويقلدونهم . ولا ريب أن كثيرًا من الناس يحتاج إلى تقليد العلماء في الأمور العارضة التي لا يستقل هو بمعرفتها . ومن سالكي طريق الإرادة والعبادة والفقر والتصوف من يجعل شيخه كذلك ، بل قد يجعله كالمعصوم !! ولا يتلقى سلوكه إلا عنه ، ولا يتلقى عن الرسول سلوكه ، مع أن تلقي السلوك عن الرسول أسهل من تلقي

الفروع المُتنازَع فيها ، فإن السلوك هو الطريق التي أمر الله بها ورسوله من الاعتقادات والعبادات والأخلاق ، وهذا كله مبين في الكتاب والسنة ؛ فإن هذا بمنزلة الغذاء الذي لا بد للمؤمن منه ، ولهذا جميع الصحابة يعلمون السلوك بدلالة الكتاب والسنة والتبليغ عن الرسول ، ولا يحتاجون في ذلك إلى فقهاء الصحابة ... » إلى أن قال : « ولكن كثيرًا من أهل العبادة والزهادة أعرض عن طلب العلم النبوي الذي يعرف به طريق الله ورسوله ، فاحتاج لذلك إلى تقليد شيخٍ ، وفي السلوك مسائل تنازع فيها الشيوخ ، لكن يوجد في الكتاب والسنة من النصوص الدالة على الصواب في ذلك ما يفهمه غالب السالكين ، فمسائل السلوك من جنس مسائل العقائد ، كلها منصوصة في الكتاب والسنة ؛ وإنما اختلف أهل الكلام لمّا أعرضوا عن الكتاب والسنة ، فلما دخلوا في البدع وقع الاختلاف ، وهكذا طريق العبادة،عامَّةُ ما يقع فيه من الاختلاف إنما هو بسبب الإعراض عن الطريق المشروع ، فيقعون في البدع ، فيقع فيهم الخلاف ، وهكذا الفقه إنما وقع فيه الاختلاف لما خفي عليهم بيان صاحب الشرع » .

محاربته للبدع والعقائد المخالفة للكتاب والسنة :

يقول ابن تيمية في الحموية : « من المحال أن يكون الرسول ﷺ قد علم أمته كل شيءٍ حتى الخراءة ، وقال : « تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » . وقال فيما صح عنه أيضًا : « ما بعث الله من نبي إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم » .

وقال أبو ذرٍّ : لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « قام فينا رسول الله ﷺ

مَقَامًا ، فذكر بدء الخلق ، حتى دخل أهل الجنة منازلهم ، وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه » رواه البخاري .

مُحالٌ مع هذا ، ومع تعليمهم كل شيءٍ لهم فيه منفعةٌ في الدين ، وإن دق - أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ، ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم ، رب العالمين » .

وقال: «إن هؤلاء المبتدعة الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة- ومن حذا حذوهم - على طريق السلف ، إنما أتوا من حيث إن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقهٍ لذلك ، بمنزلة الأُميين الذين قال الله فيهم : ﴿ **ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني** ﴾ »[1].

يقول أبو حفص البزار تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية عن محاربته للبدع : « وأما ما خصه الله تعالى به من معارضة أهل البدع في بدعتهم ، وأهل الأهواء في أهوائهم ، وما ألفه في ذلك من دحض أقوالهم ، وتزييف أمثالهم وأشكالهم ، وإظهار عوارهم وانتحالهم ، وتبديد شملهم ، وقطع أوصالهم ، وأجوبته عن شبههم الشيطانية ، ومعارضتهم النفسانية للشريعة الحنيفية المحمدية ، بما منحه الله تعالى من البصائر الرحمانية ، والدلائل النقلية والتوضيحات العقلية ، حتى انكشف قناع الحق ، وبان فيما جمعه في ذلك وألفه : الكذبُ من الصدق ، حتى لو أن أصحابها أحياء ووفِّقوا لغير الشقاء ، لأذعنوا له بالتصديق ودخلوا في الدين العتيق » .

وقال ابن فضل الله العمري : « أخمل من القرناء كل عظم ، وأخمد من أهل البدع كل حديثٍ وقديم ، ولم يكن فيهم إلا من يجفل عنه إجفال الظليم ، ويتضاءل لديه تضاؤل الغريم »[2].

---

(١) العقود الدرية ص٧٦ .

(٢) الرد الوافر ص٩٦ .

لقد تصدى ابن تيمية للفرق المنحرفة عن الكتاب والسنة القائمة في عصره :

فدحض مناهج الفلاسفة والمتكلمين ، وبين أنهم أبعد الناس عن معرفة الأمور الإلهية .

ورد على الأشاعرة وتأويلهم ، وكان لهم منه أوفر نصيبٍ ، ورد على القدرية والشيعة ، وأفحم النصارى في كتاب « الجواب الصحيْح لمن بدل دين المسيح » .

وهاجم ضلال الصوفية والاتحادية وأصحاب وحدة الوجود ... رد على ابن الفارض وابن عربي والعفيف التلمساني والصدر القونوي وابن سبعين ، وألف « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » .

وتصدى للأحمدية والرفاعية .

وقام شيخ الإسلام بتحدي هؤلاء الصوفية ، الذين يزعمون الدخول في النيران ، وضربهم أنفسهم بالسيوف والسهام ، وحملهم الحيات والثعابين ، وغيرها من أنواع المخاريق .

• تحداهم أنه يدخل معهم النار التي يزعمون دخولهم فيها ، وأنها تحرقهم إن شاء الله ، ولا تحرقه ، شريطة أن يغسلوا أنفسهم أوّلًا بالخلّ ، وذلك لإزالة دهن الضفادع الذي يدهنون به أنفسهم حتى لا تؤثر فيهم النار ، فلما كشف حيلهم وتحداهم ، وكان ذلك بمحضر السلطان ، تراجعوا من ذلك ، وظهر كذبهم ومخاريقهم .

وقد كان للشيخ استقلاله في أخذ الفقه من الكتاب والسنة .. واختار ما ترجح بالكتاب والسنة ، وجهر به ، من دون أن يبالي بالذي قال خلافه من الأئمة السابقين ، فهو تابع للدليل ، يدور معه حيث دار .

يقول تلميذه أبو حفص البزار : « كان لا يذكر رسول الله ﷺ إلّا

ويصلي ويسلم ، ولا والله ما رأيت أحدًا أشد تعظيمًا لرسول الله ﷺ ، ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه ، حتى إذا أورد شيئًا من حديثه في مسألةٍ ، ويرى أنه لم ينسخه شيءٌ غيره من حديثٍ ، يعمل به ويقضي بمقتضاه ، ولا يلتفت إلى قول غيره من المخلوقين ، كائنًا من كان . وقالَ رضي الله عنه : « كلُّ قائلٍ إنما يحتج لقوله ، لا به ، إلا الله ورسوله »[١] .

وقال ابن الوردي : « له باعٌ طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين ، قل أن يتكلم في مسالةٍ إلّا ويذكر فيها مذاهب الأربعة . وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة ، وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة » . ثم قال : « وبقي سنين لا يفتي بمذهبٍ معين ، بل بما قام الدليل عليه عنده . ولقد نصر السنة المحضة واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها »[٢] .

وقبل أن نذكر طيب قول الشيخ عماد الدين الواسطي في شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ، نذكر ما قاله ابن كثير ، من أن الواسطي كان في أول الأمر من الفقهاء المتكلمين ، وكان يغلب عليه الجدل والكلام والرأي ، فلما انتقل من مصر إلى بغداد ، والتقى بأهلها وعلمائها ، وتوسعت مداركه وحاسب نفسه ، وجدها فارغة من الطمأنينة ، فترك سبيل الفقهاء والمتكلمين ، واتجه إلى التصوف واقترب من المتصوفة ، فلما رأى ما رأى عندهم من الغرائب ، تكدر طبعه ، وقرر السفر إلى دمشق ، وحضر مجلس شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكان الدرس الأول عن المتكلمين والفلاسفة وعن فقدهم طمأنينة القلب ، وأن مشاهيرهم اعترفوا بهذا ، وشهدوا على أنفسهم بالاضطراب

---

(١) الأعلام العلية ص٢٩ .

(٢) تاريخ ابن الوردي ٢/٤٠٦ ، ٤١٣ .

والحيرة اللذين سببهما الكلام والفلاسفة .

يقول الشيخ عماد الدين ما معناه : إن شيخ الإسلام استمر في كلامه ، وأوضح أن الدواء الناجع لأمراض القلب ، والسبيل الوحيد لنيل طُمأنينته ، هو التمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فانقشع الظلام ، وزالت الحيرة ووجدت نور الحقيقة الذي كنت حيران من أجله . قال : فلما اطلع شيخ الإسلام على أحوالي ، أوصاني بقراءة السيرة النبوية ؛ فإنها الوصفة الكافية الشافية من جميع أمراض القلوب .

ولقد كتب الشيخ عماد الدين الواسطي في الثناء على ابن تيمية - ووصى تلامذته به - رسالةً سمَّاها « التذكرة والاعتبار ، والانتصار للأبرار » وسمى فيها بعض تلامذة ابن تيمية : عمر بن عبد الله بن شقير ، ومحمد ابن عبد الأحد ، ومحمد بن المنجى ، ومحمد بن محمد بن الصائغ ؛ وغيرهم من اللائذين بحضرة شيخهم وشيخنا السيد الإمام ، الأُمَّة الهمام ، محيي السنة ، وقامع البدعة ، ناصر الحديث ، مفتي الفرق ، الفائق عن الحقائق ، وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الذائق ، الجامع بين الظاهر والباطن ، فهو يقضي بالحق ظاهرًا وقلبه في العلى قاطن ، أنموذج الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، الذين غابت عن القلوب سيرهم ، ونسيت الأُمَّة حذوهم وسبلهم ، فذكرهم بها الشيخ ؛ فكان في دارس نهجهم سالكًا ، ولموات حذوهم محييا . ولأعنة قواعدهم مالكا : الشيخ الإمام تقي الدين أبو العباس ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، أعاد الله علينا بركته ، ورفع إلى مدارج العُلى درجته ، وأدام توفيق السادة المبدوّ بذكرهم وتسديدهم ، وأجزل لهم حظهم ، ومزيدهم .

السلام عليكم - معشر الإخوان - ورحمة الله وبركاته ، جعلنا الله وإياكم ممن ثبت على قرع نوائب الحق جأشه ، واحتسب لله ما بذله من

نفسه في إقامة دينه ، وما احْتَوَشَتْه من ذلك وحاشة ، واحتذى حذو السبق الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، والذين لم تأخذهم في الله لومة لائم .

ويوصي إخوانه من تلامذة الشيخ بالمواظبة على الاتباع ونبذ الابتداع ، ويثني عليهم بدعوتهم ودعوة شيخهم ابن تيمية إلى السنة فيقول :

« وبعد ذلك الحظوة في هذه الدار بلقاء رسول الله ﷺ ، غيبًا في غيب ، وسرًّا في سر ، بالعكوف على معرفة أيامه وسننه واتباعها . فتبقى البصيرة شاخصةً إليه ، تراه عيانًا في الغيب ، كأنها معه ﷺ ، وفي أيامه . فيجاهد على دينه ، ويبذل ما استطاع من نفسه في نصرته .

واعلموا - أيَّدكم الله - أنه يجب عليكم أن تشكروا ربكم تعالى في هذا العصر ، حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء في الحيوان الأسود . لكن من لم يسافر إلى الأقطار ، ولم يتعرف أحوال الناس ، لا يدري قدر ما هو فيه من العافية . فأنتم - إن شاء الله تعالى - في حق هذه الأُمّة الأُولى ، كما قال تعالى : ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ للناس تأمُرون بالمعروف وتَنْهَوْنَ عن المنكرِ وتؤمنون بالله** ﴾ . [آل عمران : ١١٠] وكما قال تعالى : ﴿ **الذِينَ إنْ مَكَّنَّاهُمْ في الأرض أقاموا الصَّلاة وَآتَوُا الزَّكَاةَ وأَمَرُوا بالْمَعْرُوفِ وَنَهوا عن المنكر ولله عاقبة الأُمور** ﴾. [الحج : ٤١] .

أصبحتم إخواني تحت سَنْجقِ[1] رسول الله ﷺ ، إن شاء الله تعالى ، مع شيخكم وإمامكم ، وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره رضي الله عنه . قد تميزتم عن جميع أهل الأرض - فقهائها وفقرائها ، وصوفيتها ، وعوامِّها - بالدين الصحيح .

وقد عرفتم ما أحدث الناس من الأحداث ، في الفقهاء والفقراء

---

(١) أي تحت لوائه ورايته .

والصوفية والعوام . فأنتم اليوم في مقابلة الجهمية من الفقهاء ، نصرتم الله ورسوله في حفظ ما أضاعوه من دين الله ، تصلحون ما أفسدوه من تعطيل صفات الله .

وأنتم أيضًا في مقابلة من لم ينفذ في علمه من الفقهاء إلى رسول الله ﷺ ، وجمد على مجرد تقليد الأئمة ، فإنكم قد نصرتم الله ورسوله في تنفيذ العلم إلى أُصُوله من الكتاب والسنة ، واتخاذ أقوال الأئمة ، تأسيًّا بهم ، لا تقليدًا لهم .

وأنتم أيضًا في مقابلة ما أحدثته أنواع الفقراء من الأحمدية والحريرية من إظهار شعار المكاء والتصدية ، ومؤاخاة النساء والصبيان ، والإعراض عن دين الله إلى خرافاتٍ مكذوبة عن مشايخهم ، واستنادهم إلى شيوخهم وتقليدهم في صائب حركاتهم وخَطَائها ، وإعراضهم عن دين الله الذي أنزله من السماء . فأنتم بحمد الله تجاهدون هذا الصنف - أيضًا - كما تجاهدون من سبق . حفظتم من دين الله ما أضاعوه ، وعرفتم ما جهلوه ، تقومون من الدين ما عوجوه ، وتصلحون منه ما أفسدوه .

وأنتم أيضًا في مقابلة رسمية الصوفية والفقهاء ، وما أحدثوه من الرسوم الوضعية، والآصار الابتداعية، من التصنع باللباس، والإطراق والسجادة؛ لنيل الرزق من المعلوم ، ولبس البقيار ، والأكمام الواسعة في حضرة الدرس ، وتنميق الكلام ، والعدو بين يدي المدرس راكعين ، حفظًا للمناصب ، واستجلابًا للرزق والإدرار .

فخلط هؤلاء في عبادة الله غيره ، وتألهوا سواه ، ففسدت قلوبهم من حيث لا يشعرون . يجتمعون لغير الله ، بل للمعلوم ، ويلبسون للمعلوم ، وكذلك في أغلب حركاتهم يراعون ولاة المعلوم ، فضيعوا كثيرًا من دين الله وأماتوه . وحفظتم أنتم ما ضيعوه ، وقوّمتم ما عوجوه .

وكذلك أنتم في مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقراء والصوفية من قولهم بالحلول والاتحاد، وتأله المخلوقات؛ كاليونسية، والعربية، والصدرية، والسبعينية ، والتلمسانية ، فكل هؤلاء بدلوا دين الله تعالى وقلبوه ، وأعرضوا عن شريعة رسول الله ﷺ .

فاليونسية يتألهون شيخهم ، ويجعلونه مظهرًا للحق ، ويستهينون بالعبادات ، ويظهرون بالفرعنة والصولة ، والسفاهة والمحالات ، لما وقر في بواطنهم من الخيالات الفاسدة ، وقبلتهم الشيخ يونس ، ورسول الله ﷺ والقرآن المجيد عنهم بمعزل ، يؤمنون به بألسنتهم ، ويكفرون به بأفعالهم.

وكذلك الاتحادية ، يجعلون الوجود مظهرًا للحق ، باعتبار أن لا متحرك في الكون سواه ، ولا ناطق في الأشخاص غيره . وفيهم من لا يفرق بين الظاهر والمظهر ، فيجعل الأمر كموج البحر ، فلا يفرق بين عين الموجة وبين عين البحر ، حتى إن أحدهم يتوهم أنه الله ، فينطق على لسانه ، ثم يفعل ما أراد من الفواحش والمعاصي ، لأنه يعتقد ارتفاع الثنوية : فمن العابد ومن المعبود ؟ صار الكل واحدًا .

اجتمعنا بهذا الصنف في الرُّبُط والزَّوايا .

فأنتم بحمد الله قائمون في وجه هؤلاء أيضًا ، تنصرون الله ورسوله ، وتذبون عن دينه ، وتعملون على إصلاح ما أفسدوا ، وعلى تقويم ما عوجوا ، فإن هؤلاء محوا رسم الدين ، وقلعوا أثره . فلا يقال : أفسدوا ولا عوجوا ، بل بالغوا في هدم الدين ومحوا أثره ، ولا قربة أفضل عند الله من القيام بجهاد هؤلاء بما أمكن ، وتبيين مذاهبهم للخاصّ والعامّ . وكذلك جهاد كل من ألحد في دين الله ، وزاغ عن حدوده وشريعته ، كائنًا في ذلك ما كان من فتنةٍ وقول ، كما قيل :

إذا رَضي الحبيبُ فلا أُبالي أقام الحيُّ أم جَدَّ الرَّحيلُ

وبالله المستعان .

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون بجهاد الأمراء والأجناد ، تصلحون ما أفسدوا من المظالم والإجحافات ، وسوء السيرة الناشئة عن الجهل بدين الله ، بما أمكن ، وذلك لبعد العهد عن رسول الله ﷺ ، لأن اليوم له سبعمائة سنة ، فأنتم بحمد الله تجدِّدون ما دَثَرَ من ذلك ودُثر .

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون في وجوه العامة ، ممّا أحدثوا من تعظيم الميلادة، والقَلَنْدس، وخميس البيض، والشَّعانين ، وتقبيل القبور والأحجار ، والتوسل عندها . ومعلوم أن ذلك كله من شعائر النصارى والجاهلية ، وإنما بُعث رسول الله ﷺ ليُوحَّد الله ويعبد وحده ، ولا يُؤَلَّه معه شيء من مخلوقاته . بعثه الله تعالى ناسخًا لجميع الشرائع والأديان والأعياد . فأنتم بحمد الله قائمون بإصلاح ما أفسد الناس من ذلك .

وقائمون في وجوه من ينصر هذه البدع من مارقي الفقهاء ، أهل الكيد والضرار لأولياء الله ، أهل المقاصد الفاسدة ، والقلوب التي هي عن نصر الحق حائدة .

وإنما أعرض هذا الضعيف عن ذكر قيامكم في وجوه التتر والنصارى ، واليهود ، والرافضة ، والمعتزلة ، والقدرية ، وأصناف أهل البدع والضلالات ؛ لأن الناس متفقون على ذمهم . يزعمون أنهم قائمون برد بدعتهم ، ولا يقومون بتوفية حق الرد عليهم كما تقومون ، بل يعلمون ويجبنون عن اللقاء ، فلا يجاهدون وتأخذهم في الله اللائمة ؛ لحفظ مناصبهم ، وإبقاء على أعراضهم .

سافرنا البلاد فلم نر من يقوم بدين الله في وجوه مثل هؤلاء - حق القيام - سواكم ، فأنتم القائمون في وجوه هؤلاء - إن شاء الله - بقيامكم بنصرة شيخكم وشيخنا - أيده الله - حق القيام ، بخلاف من ادعى من الناس أنهم يقومون بذلك .

ثم اعرفوا إخواني حقَّ ما أنعم الله عليكم من قيامكم بذلك . واعرفوا طريقكم إلى ذلك ، واشكروا الله تعالى عليها . وهو أن أقام لكم ولنا - في هذا العصر - مثل سيدنا الشيخ ، الذي فتح الله به أقفال القلوب ، وكشف به عن البصائر عمى الشبهات وحيرة الضلالات ، حيث تاه العقل بين هذه الفرق ، ولم يهتدِ إلى حقيقة دين الرسول ﷺ .

ومن العجب أن كُلًّا منهم يدعي أنه على دين الرسول ، حتى كشف الله لنا ولكم - بواسطة هذا الرجل - عن حقيقة دينه الذي أنزله من السماء وارتضاه لعباده .

واعلموا أن في آفاق الدنيا أقوامًا يعيشون أعمارهم بين هذه الفرق ، يعتقدون أن تلك البدع حقيقة الإسلام ، فلا يعرفون الإسلام إلا هكذا .

فاشكروا الله الذي أقام لكم في رأس السبعمائة من الهجرة ، مَنْ بيَّن لكم أعلام دينكم ، وهداكم الله به وإيانا إلى نهج شريعته ، وبين لكم بهذا النور المحمدي ، ضلالات العباد وانحرافاتهم ، فصرتم تعرفون الزائغ من المستقيم ، والصحيح من السقيم . وأرجو أن تكونوا أنتم الطائفة المنصورة ، الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، وهم بالشأم إن شاء الله تعالى .

ثم إذا علمتم ذلك ، فاعرفوا حق هذا الرجل - الذي هو بين أظهركم - وقدره ، ولا يعرف حقه وقدره إلا من عرف دين الرسول ﷺ وحقه وقدره ، فمن وقع دين الرسول ﷺ من قبله بموقعٍ يستحقه ، عرف حق ما قام به هذا الرجل بين أظهر عباد الله ، يقوم معوجهم ، ويصلح فسادهم ، ويلمّ شعثهم ، جهد إمكانه ، في الزمان المظلم ، الذي انحرف فيه الدين ، وجهلت السنن ، وعهدت البدع ، وصار المعروف منكرًا ، والمنكر معروفًا ، والقابض على دينه ، كالقابض على الجمر ، فإن أجر

من قام بإظهار هذا النور - في هذه الظلمات - لا يوصف ، وخطره لا يعرف . هذا إذا عرفتموه أنتم من حيثية الأمر الشرعي الظاهر ، فهنا قوم عرفوه من حيثيةٍ أخرى من الأمر الباطن . ومن يقوده إلى معرفة أسماء الله تعالى وصفاته ، وعظمة ذاته ، واتصال قلبه بأشعة أنوارها ، والاحتظاء من خصائصها وأعلى أذواقها ، ونفوذه من الظاهر إلى الباطن ، ومن الشهادة إلى الغيب ، ومن الغيب إلى الشهادة ، ومن عالم الخلق إلى عالم الأمر ، وغير ذلك مما لا يمكن شرحُه في كتاب .

فشيخكم - أيّدكم الله تعالى - عارفٌ بذلك ، عارف بأحكام الله الشرعية ، عارف بأحكامه القدرية ، عارف بأحكام أسمائه وصفاته الذاتية ، ومثل هذا العارف قد يبصر ببصيرته تنزُّل الأمر بين طبقات السماء والأرض ، كما قال تعالى : ﴿ **الله الذي خلق سبْع سموات ومن الأرض مِثلهُنَّ يَتنزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لتعْلمُوا أنَّ الله على كل شيءٍ قدير وأنَّ الله قد أَحاطَ بكُلِّ شيءٍ عِلْمًا** ﴾. [الطلاق : ١٢] .

فالناس يحسون بما يجري في عالم الشهادة ، وهؤلاء بصائرهم شاخِصةٌ إلى الغيب ، ينتظرون ما تجري به الأقدار ، يشعرون بها أحيانًا عند تنزلها . فلا تهونوا أمر مثل هؤلاء في انبساطهم مع الخلق ؛ واشتغال أوقاتهم بهم ، فإنهم كما حكي عن الجنيد - رحمه الله - أنه قيل له : « كم تنادي على الله تعالى بين الخلق ؟ فقال : أنا أنادي على الخلق بين يدي الله » .

فالله الله في حفظ الأدب معه ، والانفعال لأوامره ، وحفظ حرماته في الغيب والشهادة ، وحب من أحبه ، ومجانبة مَنْ أبغضه وتنقّصه ، ورَدِّ غيبته ، والانتصار له في الحق .

واعلموا - رحمكم الله - أن هنا من سافر إلى الأقاليم ، وعرف الناس وأذواقهم ، وأشرف على غالب أحوالهم ، فوالله ، ثم والله ، ثم والله ، لم ير تحت أديمِ السماء مثل شيخكم : علمًا ، وعملًا ، وحالًا ، وخلقًا ،

واتباعًا ، وكرمًا وحلمًا ؛ في حق نفسه ، وقيامًا في حق الله عند انتهاك حرماته . أصدق الناس عقدًا ، وأصحهم علمًا وعزمًا ، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همَّةً ، وأسخاهم كفًّا ، وأكملهم اتباعًا لنبيه محمدٍ ﷺ .

ما رأينا - في عصرنا هذا - من تُستجلى النبوة المحمدية وسنتها من أقواله وأفعاله إلّا هذا الرجل ، بحيث يشهد القلب الصحيح ، أن هذا هو الاتباع حقيقةً .

وتكلم عمن يطعن في الشيخ ابن تيمية :

يا سبحان الله العظيم ، أين عقول هؤلاء ؟ أعميت أبصارهم وبصائرهم ؟! أفلا يرون ما الناس فيه من العمى والحيرة في الزمان المظلم المدلهم ، الذي قد ملكت فيه الكفار معظم الدنيا ؟! وقد بقيت هذه الخطة الضيقة ، يشم المؤمنون فيها رائحة الإسلام ، وفي هذه الخطة الضيقة من الظلمات من علماء السوء والدعاة إلى الباطل وإقامته ، ودحض الحق وأهله ، ما لا يحصر في كتاب . ثم إن الله تعالى قد رحم هذه الأمة بإقامة رجلٍ قوي الهمة ، ضعيف التركيب ، قد فرق نفسه وهمه في مصالح العالم ، وإصلاح فسادهم ، والقيام بمهماتهم ، وحوائجهم ، ضمن ما هو قائم بصدد البدع والضلالات ، وتحصيل مواد العلم النبوي الذي يصلح به فساد العالم ، ويردهم إلى الدين الأول العتيق جهد إمكانه ، وإلا فأين حقيقة الدين العتيق ؟!

فهو مع هذا كله قائمٌ بجملة ذلك وحده ، وهو منفردٌ بين أهل زمانه ، قليلٌ ناصره ، كثيرٌ خاذله ، وحاسده ، والشامت فيه !!

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في جمعه لعقيدة السلف الصالح :

« ما جمعت إلّا عقيدة السلف الصالح جميعهم ، ليس للإمام أحمد اختصاصٌ

بهذا . والإمام أحمد إنما هو مبلِّغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ ، ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجيء به الرسول ﷺ ، لم نقبله . وهذه عقيدة محمدٍ ﷺ » .

وقال أيضًا : « الإمام أحمد رضي الله عنه ، لمَّا انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره ، وابتلي بالمحنة والرد على أهل البدع أكثر من غيره ، كان كلامه وعمله في هذا الباب أكثر من غيره ، فصار إمامًا في السنة أظهر من غيره ، وإلّا فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة العلماء الصلحاء ، قال : المذهب لمالكٍ والشافعي ، والظهور لأحمد بن حنبل . يعني أن الذي كان عليه أحمد ، عليه جميع أئمة الإسلام ، وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان وإظهار الحق ودفع الباطل ، ما ليس لبعضٍ » .

ولله درّ شيخ الإسلام ابن تيمية ، العلم في الاتباع ، حين يدافع عن عقيدته ؛ عقيدة السلف : « قلت مرات : قد أمهلت كل من خالفني في شيءٍ منها ثلاث سنين ، فإن جاء بحرفٍ واحد عن القرون الثلاثة ، التي أثنى عليها النبي ﷺ - حيث قال : « خير الناس القرن الذي بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » - يخالف ما ذكرته ، فأنا راجعٌ عن ذلك . وعليَّ أن آتي بنقولِ جميع الطوائف من القرون الثلاثة توافق ما ذكرته » .

وما ذاك إلّا أنه لنبيّه نبيّ الهُدى في كل شيءٍ متابعُ

ويقول آخر :

منه حُبُّ الكتابِ والسُّنّة الـ ـمُثْلَى جرى في عُرُوقه والعظامِ

ويقول الشيخ المتيم عبد الله بن خضر الرومي تلميذ شيخ الإسلام ، في الثناء على شيخه ابن تيمية ورثائه :

ملأتُ النواحي من نُواحي ، وكيفَ لا أنوح على قومٍ هُم خير جيرتي

ومن عجبٍ أني أحِنُّ إليهمُ ... وقد سكنوا قلبي وروحي ومهجتي
ذكرتُ فلم أنس زمان وصالهم ... أأنسى ليالٍ بالعُذيْب تقضَّتِ
منازلُ أحبابي مواطن سادتي ... مطالع أقماري شروق أهلَّتي
معاهد أفراحي ديار سعادتي ... مواسم أرباحي أُويقات لَذَّتي
وحاشايَ أن أسْلُو هواهم وحُبَّهم ... يُذكّرني حِفْظ العهود القديمةِ
فهم سرُّ أسراري ونور مناظري ... ورُوحي وريحاني وأُنسي وبهجتي
وهم عينُ أعياني وقلبي وقالبي ... وهم منتهى قصدي ومشهد رؤيتي
وهم في معانيهم حياتي حقيقةً ... وهم في مغانيهم أُهَيْلُ مودّتي
وهم في تجلّيهم شموسٌ إذا بَدَوْا ... وهم في تجنِّيهم رياضي ونزهتي
وهم أينما كانوا نهاية مقصدي ... وهم أينما حلُّوا مرادي وبُغيتي
وقد آن أنْ أُبدي خفايا صبابتي ... وأُظهر للعُذّال أصل رَزيَّتي
وأبكي على مَن كان يجمعُ شملنا ... على طاعة الرحمن في كلِّ لمحةِ
وأندب أحزاني بما قد أصابني ... وأنثُر أشجاني بنظْم قصيدتي
فقدتُ إمامًا كان أوْحَدَ عصرِهِ ... وقد فُجعتْ فيه جميعُ البَرِيّةِ
فقدتُ إمامًا لم يَزَلْ متوكِّلًا ... على الله لا يُصغي إلى غير سُنَّةِ
فقدتُ إمامًا كان بالعلم عاملًا ... وكان حقيقًا قامعًا كلَّ بدعةِ
أتى بكتاب الله والسُّنّة التي ... علَتْ وارتقتْ حقًّا على كلِّ ملَّةِ
أتى بأحاديث الرسول وشرحها ... وعمّنْ رواها بالمتون الصحيحةِ
أتانا بأحوال الرسول حقيقة ... وسيرته تسمو على كل سيرةِ
أتانا بأحوال الصحابة كلِّهم ... والتَّابعين المِلَّة المستقيمةِ
أتانا بوصف الصالحين وحالهم ... وما هم عليه من جميل العقيدةِ
وعلَّمنا شرعَ الرسول ودينَهُ ... بأفصح ألفاظٍ وأصدق لهجةِ
وأعْلَمَنا أن النجاة من الهوى ... تمسُّكنا بالسُّنّة النّبويّةِ

وحذّرنا من كل زيغٍ وبدعةٍ ... وعن كل طاغٍ خارجٍ عن مَحَجَّةِ

وناظَرَ أربابَ العقائد كلّهم ... وبيّن مَنْ قد ضلَّ من كلِّ فرقةِ

وردَّ علىَ أهل الضلال جميعهم ... بأوضح برهانٍ وأبْلَغِ حُجّةِ

وبيّن تكذيب اليهود وخُبْثهم ... وما بدّلوا في الملَّةِ المُوسوِيَّةِ

وأخبرهم عن سرِّ أسباب كفرهم ... فتعْسًا لهم من أُمَّةٍ غَضَبِيَّةِ

وأظهر أيضًا للنصارى ضلالهم ... وما أحدثوا في الملَّةِ العِيسويَّةِ

وباحَثَهم حتى تبيَّن أنّهم ... سُكارى حَيارى بالطِّباع الخبيثةِ

وردَّ على كُتُب الفلاسفة الأُلى ... بمنقولِ أحكامٍ ومعقولِ حِكْمةِ

وقَرَّر إثبات النُّبوات عندهم ... وجال عليهم كَرَّةً بعدَ كَرَّةِ

وردّ على جَهْمٍ وجَعْدِ بن دِرْهمٍ ... وبشرِ المَرِيسي عُمْدة الجَهْمِيَّةِ

زنادِقةٌ كم أهلكوا من عوالمٍ ... بُسوءِ اعتقاداتِ النُّفوسِ السَّقيمةِ

وجُادَلَ أهلَ الاعتزال جميعهم ... وسلَّ عليهم سيفَه بالأدلَّةِ

وباحَثَ أشياخَ الرَّوافِض وانثنى ... يُقاتلهم بالدِّرَّةِ العُمَرِيَّةِ

وردَّ على قومٍ تربَّتْ نُفُوسهم ... على النَّفْي والتعطيل من غير حُجَّةِ

وردَّ على قومٍ وشتَّتَ شملَهم ... وهم أهلُ تشبيه أتوْا بكبيرةِ

وردَّ على أهل التَّناسُخ عندما ... تَجَرَّوْا وخاضُوا في أمورٍ عظيمةِ

وردّ على أهل الحُلُولِ فإنَّهم ... يروْن تجلِّي الحقِّ في كلِّ صورةِ

وقد زعموا أن التَّجلِّي ظاهِرٌ ... ولا سيَّما في صورةٍ أمْرَدِيَّةِ

فمن أجْلِ هذا يرقصون ديانةً ... وفي رقصهم جاءوا بكُلِّ قبيحةِ

يروْن شهودَ المُرْدِ والرَّقص قُربةً ... فيا وَيْلهم من خِزْي يومِ الفضيحةِ

وردَّ على أتْباعِ إبليسَ عندما ... رآهم وقد مالوا إلى الجَبْرِيَّةِ

وكم قد طوى في عِلْمه من طوائف ... حَرُورِيَّةٍ منهم على حَشَوِيَّةِ

مطايا بُنَيَّات الطريق سرتْ بهم ... إلى أن أناخُوا في عِراصِ القطيعةِ

وفي بحر آراء العقائد أغرقوا رمتْهم خيالاتُ العقول السخيفةِ
وكم قدْ أراهم كلّهم سُبُل الهُدى وكم قد نهاهم مرَّةً بعد مرّةِ
فمن كان قطب الكون في حال عصره سـواه ومنْ قـد فـاز بالبَدَليَّـةِ
شجاعٌ هُمامٌ بارعٌ في صفاته يروم مرامًا في المراقي العَلِيَّةِ
هو الحَبْر والقُطب الذي شاع ذكْرُه وفـاح شـذاه كالعبيـر المُفَتَّـتِ
ألا يا تقيَّ الدين ، يا فردَ عَصْرِه بُروقُك قد لاحتْ كشمسٍ مضيئةِ
وبانتْ لكلِّ الناس أوصافُك التي برزتَ بها مِثْلَ العيون الغزيرةِ
ظهرتَ بأنواع العلوم وجنسها وسارت بها الرُّكْبانُ في كلِّ بلدةِ
لقد كُنتَ رُوحًا للقلوب وراحةً وقُوتًا وأُنسًا للنفـوس النفيسةِ
تمسَّكت بالدين الحنيفيّ والهُدى وبالعُروة الوثقى وأصل الشريعةِ
وجُدتَ بكأس الفضل منك تكرُّمًا على تابِعِين السُّنّة المحمــديّةِ
لقد عشتَ محبوبًا ومتَّ مكرَّمًا عليك من الرحمن أزْكَى تحيَّةِ[1]

حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، الإمام ابن قيم الجوزية :

لقد كان هذا الإمامُ العظيمُ إمامًا في السنة والاتباع ، ثائرًا على التقليد « يندد بالمقلدة ويَنْعَى عليهم حظهم من العلم ، ويعقد مجالس المناظرة بين المقلد وصاحب الحجة – في كتبه – ويصفه بأنه بدعة ، وأنه من المحدثات بعد خير القرون ، وقد عالج هذه القضية في كتبه في مناسبات كثيرة ، وقد بسط الحديث عن أحكام الاجتهاد والتقليد في كتابه (إعلام الموقِّعين) في أكثر من مائة صحيفة .

وابن القيم – رحمه الله – لم يصل في هذا إلى حظيرة المتهورين الذين

---

(١) العقود الدُّرِّيّة في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي ص٤٦٥ – ٤٧٢ .

أزروا بالأئمة الأربعة وأصحابهم ، كمتطرفي الظاهرية ومن نحا نحوهم ، فردوا بدعة التقليد ببدعة الإزراء بالسلف واقتراف إثمه وجرمه . ولم يكن أيضًا من أولئك الذين أشقاهم التعصب ، وأصمهم وأعمى أبصارهم عن نور الوحيين : الكتاب والسنة ، حتى بلغ بهم الهوس . ردَّ المذهب بمذهبٍ آخر ، وأبدوا من غرائب المواقف والتراشق ، ما يكون سُبَّةً وعارًا في تاريخ المسلمين ، ولكنه - رحمه الله - أخذ بالطريق الأوسط ، وهو بعبارةٍ مختصرة : (مُناشدة الدليل مع احترام الأئمة) .

يقول في إعلام الموقعين (٤/١٧٧) : « كثيرًا ما ترد المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب ، فلا يسعنا أن نفتي بخلاف ما نعتقده ، فنحكي المذهب الراجح ونرجحه » .

فمعرفة المذهب شيءٌ ، والتقليد له شيءٌ آخر . فالمعرفة مع الانقياد للدليل ، هو منهج أصحاب الأئمة ، وهو مقام مدحٍ لا مقام ذمٍّ ، بخلاف التقليد بلا دليل »[١] .

وقد أُوذي ابن القيم بسبب مجاهدته لنشر عقيدة السلف ، ومحاولة ردّ الخلف إلى طريق السلف ، فحُبس مدةً لإنكاره شدّ الرِّحال إلى قبر الخليل ، وسجن بسبب فتاويه القائمة على الدليل ، كمسألة الطلاق الثلاث بلفظٍ واحد ، فقد تصدى للفتوى بهذه المسألة على وفق اختيار شيخه ابن تيمية ، وعامة أهل الأرض مطبقون على أن طلاق الثلاث بلفظ واحدٍ ، يعتبر ثلاثًا لا واحدةً .

فرحم الله من سجن لكسر سلطان التقليد ، وانتصر للدليل ردًّا للأُمّة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

---

(١) ابن قيم الجوزية ، حياته وآثاره . لبكر بن عبد الله أبو زيد ص٤٤ - ٤٥ .

وابن القيم - رحمه الله تعالى - في فاتحة كتابه (إعلام الموقعين) يذكر انعقاد الإجماع - خلفًا وسلفًا - على وجوب الرد إلى الله ورسوله ، وأن التقليد مع ظهور الدليل ، حكمه التحريم ، والمقلد الأعمى خارجٌ عن زمرة العلماء ، وينعى حال عصره ، وما ينال من قام بهذا الشأن من الكيد والأذى ، فيقول بعد امتداحه لحال الصحابة رضي الله عنهم : « ثم خلف من بعدهم خلوفٌ فرقوا دينهم وكانوا شيعًا ، كلّ حزبٍ بما لديهم فرحون ، وتقطعوا أمرهم بينهم زبرًا ، وكل إلينا راجعون ، جعلوا التعصُّب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون ، ورؤوس أموالهم التي بها يتّجرون ، وآخرون منهم قنعوا بمحض التقليد وقالوا : إنا وجدنا آباءنا على أُمَّةٍ وإنا على آثارهم مقتدون .

والفريقان بمعزل عما ينبغي اتباعه من الصواب ، ولسان الحق يتلو عليهم : ﴿ **ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب** ﴾ [النساء : ١٢٣] .

قال أبو عمر وغيره من العلماء : « أجمع الناس على أن المقلّد ليس معدودًا من أهل العلم ، وأنّ العلم معرفة الحق بدليله » . وهذا كما قال أبو عمر رحمه الله تعالى ؛ فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل ، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد . فقد تضمن هذان الإجماعان : إخراج المتعصب بالهوى والمقلد الأعمى عن زمرة العلماء ، وسقوطهما باستكمال من فوقهما وراثة الأنبياء ، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء ، فإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر ، وكيف يكون من ورثة الرسول من يجهد ويكدح في رد ما جاء به إلى قول مقلده ومتبوعه ، ويضيع ساعات عمره في التعصب والهوى،ولا يشعر بتضييعه ؟! .

تالله ، إنها فتنة عمت فأعمت ، ورمت القلوب فأصمت ، ربا عليها الصغير ، وهرم فيها الكبير ، واتخذ لأجلها القرآن مهجورًا ، وكان ذلك

بقضاء الله وقدره في الكتاب مسطورًا ، ولمّا عمت بها البلية ، وعظمت بسببها الرزية ، بحيث لا يعرف أكثر الناس سواها ، ولا يعيرون العلم إلا إياها ، فطالب الحق من مظانه لديهم مفتون ، ومؤثره على ما سواه عندهم مغبون ، نصبوا لمن خالفهم في طريقتهم الحبائل ، وبغوا له الغوائل ، ورموه عن قوس الجهل والبغي والعناد ، وقالوا لإخوانهم : إنا نخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد .

فحقيقٌ بمن لنفسه عنده قدر وقيمة ، ألّا يلتفت إلى هؤلاء ، ولا يرضى لهم بما لديهم ، وإذا رفع لهم علم السنة المحمدية شمر إليه ولم يحبس نفسه عليهم . فما هي إلا ساعة حتى يبعثر ما في القبور ، ويحصل ما في الصدور ، وتتساوى أقدام الخلائق في القيام لله ، وينظر كل عبدٍ ما قدمت يداه ، ويقع التمييز بين المحقين والمبطلين ، ويعلم المعرضون عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ، أنهم كانوا كاذبين » .

فرحم الله ابن القيم ، لقد كان - مع ما ناله في هذا السبيل - رابط الجأش ، ثابت الجنان كالجبل الأشم ، لا تؤثر فيه العوامل من الرياح والأمطار والمناخ ، ولا تثنيه عن مسلك الحق وقولة الحق ، ويرى أن هذا كله طيش وسفه ، لا يلبث أن يذوب ويتفرق شأن الباطل ، ولا يؤثر إلا على من في عقله ضعف وفي دينه ذلة . وفي ذلك يقول[1]: « من في عقله ضعف : تؤثر فيه البداءات ، ويستفز بأوائل الأمور ، بخلاف الثابت التام العاقل ؛ فإنه لا تستفزه البداءات ، ولا تزعجه ولا تقلقه ، فإن الباطل له دهشة وروعة في أوله ، فإذا ثبت له القلب ، رده على عقبيه . والله يحب من عنده العلم والأناة ، فلا يعجل ، بل يثبت حتى يعلم ويستيقن ما ورد عليه ، ولا يعجل بأمرٍ فيه استحكامه ، فالعجلة والطيش من الشيطان ، فمن

---

(١) مفتاح دار السعادة ص١٥٤ .

ثبت عند صدمة البداءات ، استقبل أمره بعلمٍ وحزمٍ ، ومن لم يثبت لها ، استقبله بعجلةٍ وطيشٍ وعاقبته الندامة ، وعاقبة الأول حمد أمره ، ولكن للأول آفة متى قرنت بالحزم والعزم نجا منها ، وهي الفوت ؛ فإنه لا يخاف من التثبيت إلا الفوت ، فإذا اقترن به العزم والحزم ، تم أمره » .

ولقد تم الأمر - ولله الحمد - للشيخ ابن القيم رحمه الله تعالى ، فقد أرسى سفينة النجاة على شاطىء السلامة ، تحمل النور والهدى ، وكسر المقلدة المتعصبة ، ومن نحا نحوهم ، فذابت العصبية المذهبية في الطريقة الأثرية ؛ فصححت المفاهيم ، وأخذ يدبّ في الناس روح الأخذ بالدليل ، مع احترام الأئمة السالفين ، بل هو مسلكهم وكريم منهجهم ، وما زال هذا يدب في كل عهدٍ ومهدٍ حتى أيامنا هذه ، بل في هذه الأيام والأزمان الحاضرة ، لم يجد الناس بدًّا من ذلك المنهج السوي والمشرع الروي ؛ لأنه هو الذي يتمشى ووقائع العصر ونوازله ، فعاد أعداء المدرسة الأثرية لها أصدقاء ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

ولقد كان الاعتماد على الأدلة من الكتاب والسنة ، أبرز خصائص المدرسة السلفية التي قام بنشرها ابن القيم - رحمه الله تعالى - على أنقاض الرد إلى محض الآراء ومستبعد الأقيسة وفاسد التأويل .

فابن القيم - رحمه الله تعالى - يبرز الأدلة من الكتاب والسنة ، ويستنبط الأحكام الشرعية منها بأسلوبٍ سهل مبسط ، خالٍ من التعقيد بنوعيه اللفظي والمعنوي ، متطلّبًا نشر التشريع وبث التوجيه ردًّا إلى الله ورسوله ، وإلى أن يرد الناس منابع الشريعة الأولى خاليةً من كل وَضَرٍ ، خالصةً من كلِّ شائبةٍ .

وهذا منهجٌ أصيل في عامَّة كتبه ومباحثه ، لا أراني مضطرًّا إلى سياق مواضع من كلامه للتدليل عليه .

لكنني أراني مضطرًّا إلى نقل طائفةٍ من كلامه في احترام الأدلة من

الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة ، والتنديد بمن أعرض عن هذا وخالفه ، لمخالفته أمر الله ورسوله ﷺ ، لأن هذا هو الذي يشكل التقعيد والتأصيل لمنهج ابن القيم رائد المدرسة السلفية . ومن ذلك ما يلي :

قال في مقام الأدب مع النبي ﷺ : « ومن الأدب معه ﷺ أن لا يستشكل قوله ، بل يستشكل الآراء لقوله ، ولا يعارض نصه بقياسٍ ، بل تهدر الأقيسة وتلغى لنصوصه ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيالٍ يسميه أصحابه معقولًا ، نعم هو مجهول وعن الصواب معزول ، ولا يوقف قبول ما جاء به ﷺ على موافقة أحدٍ ، فكل هذا من قلة الأدب معه ﷺ ، وهو عين الجرأة » .

ويقرر ابن القيم في (مدارج السالكين) بحثًا ممتعًا لطيفًا ، في وجوب إذعان المسلم وتواضعه للدليل ، وحرمة المعارضة والمخالفة ، أسوقه بطوله لنفاسته ، فيقول - رحمه الله تعالى -: « التواضع للدين هو الانقياد لِمَا جاء به الرسول ﷺ والاستسلام له والإذعان ، وذلك بثلاثة أشياء :

الأول : أن لا يعارض شيئًا مما جاء به ، بشيءٍ من المعارضات الأربعة السارية في العالم ، المسماة : بالمعقول ، والقياس ، والذوق ، والسياسة . فالأول : للمنحرفين أهل الكبر من المتكلمين ، الذين عارضوا نصوص الوحي بمعقولاتهم الفاسدة ، وقالوا : إذا تعارض العقل والنقل ، قدمنا العقل وعزلنا النقل ، إما عزل تأويلٍ وإما عزل تفويض . والثاني : للمتكبرين من المنتسبين إلى الفقه ، قالوا : إذا تعارض القياسُ والرأْي والنصوصُ ، قدمنا القياس على النص ، ولم نلتفت إليه . والثالث : للمتكبرين المنحرفين من المنتسبين إلى التصوف والزهد ، فإذا تعارض عندهم الذوق والأمر ، قدموا الذوق والحال ، ولم يعبئوا بالأمر . والرابع : للمتكبرين المنحرفين من الولاة والأُمراء الجائرين ، إذا تعارضت عندهم الشريعة

والسياسة ، قدموا السياسة ، ولم يلتفتوا إلى حكم الشريعة .

فهؤلاء الأربعة هم أهل الكبر . والتواضع : التخلص من ذلك كله .

الثاني : أن لا يتَّهِم دليلًا من أدلة الدين ، بحيث يظنه فاسد الدلالة ، أو ناقص الدلالة ، أو قاصرها ، أو أن غيره كان أولى منه . ومتى عرض له شيءٌ من ذلك ، فليتهم فهمه ، وليعلم أن الآفة منه ، والبلية فيه ، كما قيل :

وكم من عائبٍ قولًا صحيحًا وآفَتُهُ مِن الفَهْمِ السَّقِيمِ
ولكنْ تأخُذُ الأذهانُ منه على قَدْرِ القَرائِحِ والفُهُومِ

وهكذا في الواقع حقيقةً : أنه ما اتهم أحدٌ دليلًا للدين ، إلا وكان المتهم هو الفاسد للذهن ، المأفون في عقله وذهنه ، فالآفة من الذهن العليل ، لا في نفس الدليل . وإذا رأيت من أدلة الدين ما يشكل عليك ، وينبو فهمك عنه ، فاعلم أنه لعظمته وشرفه استعصى عليك ، وأن تحته كنزًا من كنوز العلم . ولم تؤت مفتاحه بعد هذا في حق نفسك ، وأما بالنسبة إلى غيرك : فاتهم آراء الرجال على نصوص الوحي ، وليكن ردها أيسر شيءٍ عليك للنصوص ، فما لم تفعل ذلك ، فلست على شيءٍ ولو .... ولو .... وهذا لا خلاف فيه بين العلماء .

قال الشافعي - قدّس الله روحه -: (أجمع المسلمون على أن مَنِ استبانت له سنة رسول الله ﷺ ، لم يحل له أن يدعها لقول أحدٍ) .

الثالث : أن لا يجد إلى خلاف النص سبيلًا ألبتة ، لا بباطنه ولا بلسانه ، ولا بفعله ولا بحاله ، بل إذا أحسَّ بشيءٍ من الخلاف ، فهو كخلاف المقدم على الزنا ، وشرب الخمر ، وقتل النفس . بل هذا الخلاف أعظم عند الله من ذلك ، وهو داعٍ إلى النفاق ، وهو الذي خافه الكبار والأئمة على نفوسهم .

واعلم أن المخالف للنص ؛ لقول متبوعه وشيخه ومقلده ، أو لرأيه

ومعقوله وذوقه وسياسته : إن كان عند الله معذورًا - ولا والله ما هو بمعذورٍ - فالمخالف لقوله ؛ لنصوص الوحي ، أولى بالعذر عند الله ورسوله وملائكته والمؤمنين من عباده .

فواعجبا إذا اتسع بطلان المخالفين للنصوص لعذر من خالفها تقليدًا أو تأويلًا أو لغير ذلك ، فكيف ضاق عن عذر من خالف أقوالهم وأقوال شيوخهم ؛ لأجل موافقة النصوص ؟! وكيف نصبوا له الحبائل ، وبغوه الغوائل ، ورموه بالعظائم ، وجعلوه أسوأ حالًا من أرباب الجرائم ؟! فرموه بدائهم وانسلوا منه لواذًا ، وقذفوه بمصابهم وجعلوا تعظيم المتبوعين ملاذًا لهم ومعاذًا . والله أعلم » .

نهج ابن القيم - رحمه الله تعالى - في مسائل العلم منهج الاسترواح والتطلب من كتاب الله تعالى ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن سنة رسوله ﷺ ، الذي لا ينطق عن الهوى ، فإن لم يجد ، أخذ بأزمة أقوال الصحابة رضي الله عنهم ؛ لأنهم أبر الأُمّة قلوبًا وأعمقها دينًا وأصحها فهومًا .

وهذه صفة بارزة وسمة ظاهرة في جميع مباحثه في العقائد والأحكام .

ولهذا أفاض - رحمه الله تعالى - بالاستدلال لهذا الأصل ، ووجوب الأخذ به ، والعمل بموجبه ، من ستةٍ وأربعين وجهًا ، بسطها في كتابه (إعلام الموقعين)[1].

مدى تأثُّره بابن تيمية :

إن المدرسة السلفية التي جدد بناءها شيخ الإسلام ابن تيمية ، بما ملأ الأسماع ، وصار حديث أهل الإسلام في شتى الأقطار ، وبما آتاه الله من

---

(١) إعلام الموقعين ٤/١٢٣ - ١٥٦ .

المواهب النادرة ، والتفنن في علوم الإسلام ، وابن القيم يسمع ويرى ، ويعايش هذا الاتجاه الفكري الانقلابي على التقليد والطائفية والمذاهب الكلامية ، والتخبطات العقائدية ، رجوعًا بالأُمّة إلى ما كان عليه السلف الصالح ، وردًّا لكل نزاعٍ في ذلك إلى الله والرسول . كل ذلك لا بد أن يكون له في نفوس المتعلمين الأثر الكبير ، وابن القيم يعيش في مرحلة الطلب ، ولديه من الهمة والعلم والذكاء والألمعية ، ما يسيره إلى الطريق السوي والمَشْرع الروي ، بعد حلول العناية الربانية في أعطاف ما أعطاه الله من المواهب ، فما كان لابن القيم إذن أن ينفلت من ذلك التأثير ، فاتصل بشيخ الإسلام عام قدومه ، وثنى ركبتيه في حلقات درسه ، لينهل من معارفه وعلومه ، وصحبه في ذلك ستة عشر عامًا وهو يقرأ عليه فنون العلم .

فصار لهذه الصحبة والملازمة الطويلة ، الأثر البالغ على ابن القيم في تكوين اتجاهه ، وتغذية مواهبه ، وإشباع نهمته بعلوم الكتاب والسنة والرد إلى الله والرسول ، حتى صار أبرع تلاميذه ، وألمعهم نجمًا ، وأجلاهم اسمًا ، فلا يكاد يذكر الشيخ ابن تيمية ، إلَّا ويذكر معه تلميذه ابن قيم الجوزية ، وسرى نور هذين العلمين في آفاق المعمورة ، بسعة العلم ، وأصالة الفكر ، والتجديد في دعوة الناس إلى صراط الله المستقيم .

وقد اتفقت كلمة النقلة ، على أن تاريخ اللقاء بينهما كان منذ سنة ٧١٢هـ ، واستقر إلى أن مات - رحمه الله تعالى - سنة ٧٢٨هـ .

وقد بقي ابن القيم - رحمه الله تعالى - ملازمًا له طيلة هذه المدة ؛ أي طوال ستة عشر عامًا ، فأخذ عنه علمًا جمًّا ، وتلقى فنونًا كثيرة .

ومن مآثر شيخ الإسلام ابن تيمية وأياديه البيضاء : توبة ابن القيم على

يديه بعد اتصاله به ، وتأثره به في النهج السلفي في الاعتقاد والاتباع .

ذكر ابن القيم – رحمه الله تعالى – في النونية بعض ما يقوله الأشاعرةُ وغيرهم ، في الصِّفات من التأويلات . وبعض ما في كتب النُّفاة من الطّامّات ، وبيَّن ضررهم على الدين ، ومناهضتهم لنصوص الكتاب والسنة . ثم عقد فصلًا أعلن فيه أنه قد وقع في بعض تلك المهالك ، حتى أتاح له الإلهُ مَنْ أزال عنه تلك الأوهام ، وأخذ بيده إلى طريق الحق والسلامة ، وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

وفي إعلانه لتوبته على يديه يقول :

يا قوم واللّهِ العظيمِ نصيحةٌ	مِن مُشفِقٍ وأخٍ لكم مِعْوانِ
جرَّبتُ هذا كلَّه ووقعتُ في	تلك الشِّباكِ وكنت ذا طَيَرانِ
حتى أتاح لِيَ الإلهُ بفَضلِهِ	مَن ليس تجزيه يدي ولساني
فتًى أتى من أرض حَرّانَ فيا	أهلًا بمن قد جاء مِنْ حرّانِ
فاللّهُ يجزِيهِ الذي هو أهْلُه	من جنَّةِ المأوى مَعَ الرِّضوانِ
أخذتْ يداه يدي وسار فلم يَرُمْ	حتى أراني مَطْلَعَ الإيمانِ
ورأيتُ أعلامَ المدينةِ حولها	نُزُلُ الهُدى وعساكُرُ القرآنِ
ورأيت آثارًا عظيمًا شأنُها	محجوبةً عن زُمرةِ العمْيانِ
ووردتُ كأس الماء أبيضَ صافيًا	حَصْباؤُه كلآلىء التِّيجانِ
ورأيتُ أكوابًا هناك كثيرة	مِثْل النُّجُوم لواردٍ ظمآنِ
ورأيتُ حَوْضَ الكَوْثَر الصافي الذي	لا زال يَشخُبُ فيه مِيزابانِ
ميزاب سُنَّته وقول إلهِهِ	وهما مدى الأيام لا يَنِيانِ
والناس لا يَرِدُونهُ إلَّا مِن الـ	آلاف أفرادٌ ذوو إيمانِ
وَرَدُوا عِذابَ مَناهِلٍ أكْرِمْ بها	ووَرَدْتُمُ أنتم عَذابَ هَوانِ

ثم إن ابن القيم – رحمه الله تعالى – أعاد الكرة بذكر هذه النعمة ،

فبين أنه طاف المذاهب يبتغي الهدى والنور ، فما زاده ذلك التطواف إلّا ظلمةً وحرقةً ، حتى هداه الله تعالى وتداركه بلطفه ، فأخذ بزمام الكتاب والسنة ، واستعصم بهما عن المذاهب الكلامية والمناهج الفلسفية ، وفي ذلك يقول :

يا طالبَ الحقِّ المُبينِ ومُؤْثِرًا ... علْمَ اليقينِ وحُجَّةَ الإيمانِ

اسمعْ مقالةَ ناصحٍ خَبَرَ الذي ... عند الوَرَى قد شبَّ حتى الآنِ

ما زال مُذ عقدتْ يداه إزارَهُ ... قد شدَّ مِئْزَرَهُ إلى الرحمنِ

وتَخَلُّلُ الفَتَرَاتِ للعَزَماتِ أمْـ ... ـرٌ لازِمٌ لطبيعة الإنسانِ

وَتولُّد النُّقْصانِ مِن فَتَرَاتِهِ ... أو ليس سَائِرُنا بَني النقصانِ

طاف المذاهبَ يبتغي نورًا ليَهْـ ... ـدِيَهُ وينجيه من النيرانِ

وكأنَّه قد طاف يبغي ظلمة اللَّـ ... ـيْلِ البهيمِ ومذهبَ الحَيْرانِ

واللَّيْلُ لا يزدادُ إلَّا قوةً ... والصُّبْحُ مقهورًا بذا السُّلْطانِ

حتى بدتْ في سيْره نارٌ على ... طور المدينةِ مَطْلَع الإيمانِ

فأتى ليَقْبِسَها فلم يُمكنه معْ ... تلك القُيُودِ مَنَالَها بأمانِ

لولا تَدَارَكَهُ الإلهُ بلُطْفِه ... ولَّى على العَقِبيْن ذا نُكصانِ

لكن توقَّف خاضعًا مُتذلِّلا ... مُسْتَشْعِرَ الإفلاس مِن أثمانِ

فأتاه جندٌ حلَّ عنه قيودَهُ ... فامتدَّ حينئذٍ له الباعانِ

واللهِ لولا أن تُحلّ قيودُه ... وتَزُول عنهُ رِبْقَةُ الشَّيطانِ

كان الرُّقِيُّ إلى الثُّريَّا مصعدًا ... مِن دون تلك النارِ في الإمكانِ

فرأى بتلك النار آطامَ المديـ ... ـنة كالخيامِ تَشُوفُها العينانِ

ورأى هُنالك كلَّ هادٍ مهتدٍ ... يدعو إلى الإيمان والإيقانِ

فهناك هنَّا نَفْسَه متذكِّرًا ... ما قاله المشتاقُ منذ زمانِ

والمُسْتَهَام على المحبّةِ لم يَزَل ... حَاشَا لذكْركُمُ من النسيانِ

لو قيل ما تهوى لقال مبادِرًا ... أهوى زيارتكُم على الأجفانِ
تالله إن سمح الزمانُ بقُرْبكم ... وحللتُ منكم بالمحلِّ الدّاني
لأعفِّرنَّ الخَدَّ شُكرًا في الثّرى ... وأُكحِّلَنَّ بتُرْبكم أجفاني
إنْ رُمتَ تُبصِر ما ذكرتُ فغُضَّ طر ... فًا عن سوى الآثارِ والقرآنِ
واترُكْ رسوم الخلق لا تعبأْ بها ... في السَّعْد ما يُغنيك عن دَبَرانِ
حدِّقْ لقلبك في النصوص كمثل ما ... قد حدّقوا في الرّأي طُول زمانِ
واكْحَلْ جفونَ القلب بالوحْيَيْنِ واحْـ ... ـذَرْ كُحْلهم يا كثرة العُمْيَانِ
فاللَّهُ بيَّن فيهما طرق الهُدى ... لعبادِهِ في أحسن التِّبيانِ
لم يُحوِج اللهُ الخلائقَ معْهما ... لخيالِ فَلْتانٍ ورأي فُلانِ
فالوحي كافٍ للّذي يُعْنَى به ... شافٍ لداءِ جهالة الإنسانِ
والعلم أقسامٌ ثلاثٌ ما لها ... من رابعٍ والحقّ ذو تِبيان
علمٌ بأوصاف الإلهِ وفِعْلِه ... وكذلك الأسماء للرحمنِ
والأمر والنهي الذي هو دينُهُ ... وجزاؤه يوم المعادِ الثاني
والكلُّ في القرآن والسُّنَنِ التي ... جاءت عن المبعوثِ بالقرآنِ

يرحم الله ابن القيم، فقد امتحن وأُوذي من أجل مناصرته لشيخه في ذات الله، ومن أجل نصرة السنة والدليل.

يقول ابن رجب: «وقد امتحن وأُوذي مراتٍ، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفردًا عنه، ولم يفرج عنه إلَّا بعد موت الشيخ»[1].

ويقول ابن حجر: «إنه اعتقل مع ابن تيمية بالقلعة، بعد أن أُهين وطيف به على جملٍ مضروبًا بالدرة، فلما مات، أُفرج عنه»[2].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٤٨.

(٢) الدرر الكامنة ٤/٢١.

وكما احتفى بشيخه وعلومه حال حياته ، وأخلص في محبته وولائه ، فقد كان خليفته الراشد بعد وفاته ، فتلقف راية التجديد ، وثبت على جادة التوحيد : بنشر العلم ، وبرد الخلف إلى مذهب السلف .

فاتسعت به دائرة المَدرسة السلفية ، وانتشر روادها في كل ناحية وصقع . وكان من حفاوته بشيخه (شيخ الإسلام) أن دون في ثنايا كتبه جُمَلًا من مواقفه ، وسؤالاته له ، وأسئلة غيره له ، وطائفة من أحواله ومرائيه واختياراته ، مما لو استل من مؤلفات ابن القيم ، لظهر في مجلدة لطيفة ، ترفل بعزيز الفوائد ولطائف العلم . والله أعلم .

يقول الشوكاني في « البدر الطالع » (٢/١٤٤ - ١٤٥) عن ابن القيم : « ليس له على غير الدليل معول .. وبالجملة فهو أحد من قام بنشر السنة ، وجعل بينها وبين الآراء المحدثة أعظم جنة ، فرحمه الله وجزاه عن المسلمين خيرًا » .

ويقول العلَّامة صديق حسن خان عن ابن القيم:« كان يتقيد بالأدلة الصحيحة ، معجبًا بالعمل بها ، غير مصرٍّ على الرأي » .

يقول الشيخ بكر أبو زيد : « وهذه أرضى العبارات وأسعدها بالقبول ، لمطابقتها عين الواقع لمن كانت له دربة تامة على مؤلفات ابن القيم ، ودرى ما فيها من العلم والفقه » .

يقول ابن القيم مبيِّنًا أن اتباع السنة والقرآن طريق النجاة من النيران :

يا مَن يُريد نجاتَهُ يوم الحسا ... بِ من الجحيم ومُوقد النِّيرانِ
اتْبَعْ رسول الله في الأقوال والـ ... أعمالِ لا تَخْرُج عن القرآنِ
قَدِّرْ رسول الله عندك وَحْدَهُ ... والقولُ منه إليك ذو تِبيانِ
ماذا ترى فرضًا عليك مُعَيَّنًا ... إن كُنت ذا عقلٍ وذا إيمانِ

عَرْض الذي قالـوا على أقواله ... أو عَكْس ذاك فذانِكَ الأمـرانِ
هي مَفْرقُ الطرقات بَيْنَ طريقنا ... وطريق أهل الزَّيْغِ والعُـدوانِ
قدِّرْ مقالاتِ العبادِ جميعهـم ... عَدَمًا وراجع مَطْلَع الإيمـانِ
واجعلْ جُلُوسَك بين صَحْب محمدٍ ... وتَلَقَّ معْهم عنه بالإحسـانِ
وتَلَقَّ عنهـم ما تلقَّوْه هُـمُ ... عنه من الإيمـان والعِرْفـانِ
أفليس في هذا بلاغُ مُسافرٍ ... يبغي الإلَـهَ وجنـة الحيـوانِ
فلأيِّ شيءٍ يَعْدِلُ الباغي الهُدى ... عن قوله لولا عَمَى الخُذْلانِ
فالنَّقْل عنه مُصَدَّقٌ والقولُ مِن ... ذي عصمةٍ ما عندنا قوْلانِ
والعَكسُ عند سواه في الأمرين يا ... مَن يهتدي هل يستوي النَّقْلانِ
تاللَّهِ قد لاح الصَّباحُ لمن له ... عينان نحو الفجر ناظِرتـانِ
وأخو العَمَاية في عَمَايَتِهِ يقـو ... ل اللَّيْل بعدُ أيستوي الرَّجُـلان
تاللَّهِ قد رُفِعتُ لك الأعلامُ إنْ ... كنتَ المُشَمِّر نلتَ دارَ أمـانِ

ويقول ابن القيم ناصحًا باتباع السنة في نونيته :

يا مَنْ تعزُّ عليهـمُ أرواحُهُـمْ ... ويَـرَوْن غَبْنًا بَيْعها بهــوانِ
ويَرَوْن خسرانًا مُبينًا بَيْعهـا ... في إثْر كلِّ قبيحةٍ ومهــانِ
ويروْن مَيْدان التَّسابُق بارِزًا ... فيتاركـون تَقَحُّـم الميــدانِ
ويرون أنفـاسَ العبادِ عليهـمُ ... قد أُحصيـتْ بالعَدّ والحسبـانِ
ويرون أن أمامهم يوم اللِّقا ... لله مسألتــان شاملتـــانِ
ماذا عبدتم ثُمَّ ماذا قد أجَبْـ ... ـتُم مَن أتى بالحقِّ والبرهـانِ
هاتوا جوابًا للسُّؤال وهيئُوا ... أيضًا صـوابًا للجـواب يداني
وتيقَّنُوا أن ليس يُنجيكم سـوى ... تجريدكـم لحقائق الإيمـانِ
تجريدُكـم توحيـده سبحانه ... عن شركةِ الشيطـان والأوثـانِ
وكذاك تجريد اتِّباع رسولـه ... عـن هـذه الآراء والهَذَيـانِ

والله ما يُنجي الفتى من ربه شيءٌ سوى هذا بلا رَوَغَانِ

ما من عمل إلا وينشر له ديوانان يوم القيامة : لمن ؟ وكيف ؟

لمن : سؤالِ عن الإخلاص . وكيف : سؤال عن المتابعة .

قال تعالى : ﴿ **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عملًا** ﴾ [الملك : ٢] .

قال الفضيل بن عياض : هو أَخْلصُه وأصوبه . قالوا : يا أبا عليّ ، ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا ، لم يقبل ، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا ، لم يقبل ، حتى يكون خالصًا صوابًا ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربِّه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا** ﴾ [الكهف : ١١٠] .

ويتكلم ابن القيم - رحمه الله - عن الفرق بين أهل السنة وغيرهم ، فيقول في النونية لخصوم أهل السنة :

والفَرْق بَيْنَكمُ وبين خصومكم من كلِّ وجهٍ ثابتٌ ببيانِ

ما أنْتُم مُنهم ولا هم منكمُ شَتَّان بين السَّعْدِ والدَّبَران

فإذا دَعَوْنا للقُرانِ دعوتمُ للرَّأْي أين الرأيُ من قرآنِ

وإذا دعونا للحديث دعوتمُ أنتم إلى تقليدِ قولِ فُلانِ

وكذا تلقّينا نصوص نبيِّنا بقَبُولِها بالحقِّ والإذعـان

من غير تحريفٍ ولا جَحْدٍ ولا تفويضِ ذي جهلٍ بلا عِرفانِ

لكنْ بإعراضٍ وتجهيلٍ وتأ ويلٍ تلقَّيْتُم مع النُّكرانِ

أنكرتموها جُهْدَكم فإذا أتى ما لا سبيل له إلى نكرانِ

أعرضتمُ عنه ولم تستنبطُوا منه هُدًى لحقائق الإيمانِ

فإذا ابتُلِيتم مُكْرَهِين بسَمْعِها فوَّضتُمُوها لا على العرفانِ

لكنْ بجهلٍ للذي سِيقَتْ له تفويض إعراضٍ وجهلِ معانِ

فإذا ابتُليتم باحتجاجِ خُصُومِكم أوْلَيْتُموها دَفْعَ ذي صَوَلانِ
فالجَحْد والإعراض والتأويل والتَّجهيل حظُّ النصِّ عند الجاني
لكنْ لدَيْنا حظُّه التَّسْليم مَعْ حُسْن القَبُول وفَهْم ذي الإحسانِ
ولنا الحقيقةُ من كلام إلهنا ونَصيبُكم منه المجاز الثاني
وقواطِعُ الوحْيَيْن شاهدةٌ لنا وعليكم هل يستوي الأمرانِ
وجنودُنا مَنْ قد تقدَّم ذِكْرُهم وجُنُودُكُم فعساكِرُ الشيطانِ
وخيامُنا مضروبةٌ بمشاعر الْـ وحْيَيْنِ من خَبَرٍ ومِن قرآنِ
وخيامُكم مضروبةٌ بالتِّيه فالـسُّكَّان كلُّ مُلَدَّدٍ حَيْرَانِ
ولنا المسانِدُ والصِّحاحُ وهذه الـسُّنَنُ التي نابتْ عن القرآنِ
ولكم تصانيفُ الكلام وهذه الْـ آراءُ وهْي كثيرةُ الهَذَيانِ
شُبهٌ يُكَسِّرُ بعضُها بعضًا كبَيْـتٍ من زُجاج خرَّ للأركانِ
هل ثَمَّ شيءٌ غيرَ رأيٍ أو كلا مٍ باطلٍ أو منطقِ اليونانِ
ونقول قال الله قال رسوله في كلِّ تصنيفٍ وكلِّ مكانِ
لكن تقولوا قال آرسطو وقا ل ابنُ الخطيب وقال ذو العرفانِ
شيخٌ لكم يُدعَى ابن سينا لم يكن متقيِّدًا بالدين والإيمانِ
وخيارُ ما تأتُون قال الأشعريُّ وتشهدون عليه بالبُهتانِ
هذا ونحن فتاركوا الآراء للنَّقْل الصحيح ومُحْكَم الفرقانِ
وعرضتمُ قول الرسول على الذي قال الشيوخُ ومحكم الفرقانِ
فالمحكم النَّصُّ الموافِقُ قولهم لا يَقْبَلُ التأويلَ في الأذهانِ
لكنَّما النَّصّ المخالف قولهم لا يقبل التأويل في الأذهانِ
لكن عرضنا نحنُ أقوال الشيو خِ على الذي جاءتْ به الوَحْيَانِ
ما خالف النَّصَّيْن لم نعبأْ به شيئًا وقُلنا حَسْبُنا النَّصَّانِ
والمُشْكِل القول المخالف عندنا في غاية الإشكال لا التِّبيانِ

هذي سبيلُكمُ وتلك سبيلُنا ... والموعدُ الرحمنُ بعد زمانِ

وهناك يُعْلَمُ أيّ حزبَيْنا على الْـ ... ـحقِّ الصريح وفِطْرةِ الدَّيّانِ

فاصبِرْ قليلًا إنّما هي ساعةٌ ... فإذا أُصِبْتَ ففي رضا الرحمنِ

فالقومُ مِثْلك يَأْلُمون ويصبرو ... نَ وصبرُهم في طاعة الشيطانِ

ويقول - رحمه الله - في كفاية النصين وجناية أعداء السنة عليهما :

وكفايةُ النَّصَّيْن مشروطٌ بتَجْـ ... ـريد التَّلَقِّي عنهما لِمَعَانِ

وكذاك مشروطٌ بخلْع قيودهم ... فقيودهم غُلٌّ إلى الأذقانِ

وكذاك مشروط بهدم قواعد ... ما أنزلت ببيانها الوحيانِ

وكذاك مشروطٌ بإقدامٍ على الْـ ... آراء إن عَرِيَتْ عن البُرهانِ

بالرَّدِّ والإبطال لا تعبأ بها ... شيئًا إذا ما فاتها النَّصَّانِ

لولا القواعد والقيود وهذه الْـ ... آراء لاتَّسعَتْ عُرى الإيمانِ

لكنَّها والله ضيِّقة العُرى ... فاحتاجتِ الأيدي لذاك توانِ

وتعطَّلتْ من أجلها والله أعْـ ... ـدادٌ من النَّصَّيْن ذات بيانِ

وتضمَّنتْ تقييدَ مُطْلَقِها وإطْـ ... ـلاق المقيَّدِ وهْو ذو ميزانِ

وتضمَّنتْ تخصيصَ ما عمَّتْه والتَّـ ... ـعميم للمخصوص بالأعيانِ

وتضمَّنتْ تفريقَ ما جَمَعَتْ وجَمْـ ... ـعًا للَّذي وسَمَتْهُ بالفُرقانِ

وتضمّنتْ تحليل ما قدْ حرَّمَتْـ ... ـهُ وعَكْسه فلتنظُرِ العينانِ

سكتتْ وكان سكوتُها عَفْوًافلم ... تعْفُ القواعدُ باتِّساع بطانِ

وتضمَّنتْ إهدارَ ما اعتبرتْ كذا ... بالعكس والأمران محذورانِ

وتضمَّنتْ أيضًا شُرُوطًا لم تكن ... مشروطةً شَرْعًا بلا بُرهانِ

وتضمّنتْ أيضًا موانع لم تكُنْ ... ممنوعةً شرعًا بلا تِبيانِ

إلَّا بأقْيسة وآراءٍ وتقْـ ... ـليدٍ بلا علمٍ أو استِحْسَانِ

عمَّنْ أتت هذي القواعدُ مِنْ جميـ ... ـعِ الصَّحْبِ والأتباع بالإحسانِ

ما أسَّسُوا إلَّا اتِّبـاعَ نبيِّهـم ... لا عَقْلَ فلْتانٍ ورأيَ فُـلانِ
بل أنكروا الآراء نُصحًا منهُمُ ... لله والـدَّاعـي وللقـرآنِ
أوَ ليس في خُلْفٍ بها وتناقُضٍ ... ما دَلَّ ذا لُـبٍّ وذا عِرفـانِ
واللهِ لو كانت من الرحمن ما اخْـ ... ـتَلَفَتْ ولا انْتَقَضَتْ مَدَى الأزمانِ
شُبَهٌ تهافَتُ كالزُّجاجِ تَخَالها ... حَقًّا وقد سقطتْ على صَفْوَانِ
واللَّهِ لا يَرْضَى بها ذو همَّةٍ ... عليـاءَ طالبة لهـذا الشَّـانِ

ثم يقول عن خصوم السنة ممن ناصبوه وناصبوا السنة العداء:

هذا وإني بَعْدُ ممْتَحَنٌ بـأر ... بعةٍ وكلُّهـمُ ذوو أضْغـانِ
فَظٌّ غليـظٌ جاهلٌ مُتَمَعْلِـمٌ ... ضخـمُ العِمامـةِ واسعُ الأَرْدَانِ
مُتَفَيْهِقٌ مُتضلِّعٌ بالجهـل ذو ... صَلَعٍ وذو جَلَحٍ من العِرفـانِ
مُزْجَى البضاعةِ في العلوم وإنَّه ... زاجٍ من الإيهـانِ والهَذَيـانِ
أو حاسِدٌ قد باتَ يغلي صدرُهُ ... بعَدَاوَتي كالمِرْجَلِ المـلآنِ
لو قلتُ هذا البَحْرُ قال مكذِّبًا ... هذا السَّرابُ يكون بالقِيعـانِ
أو قلتُ هذي الشمسُ قال مُباهِتًا ... الشمسُ لم تَطْلُع إلى ذا الآنِ
أو قلتُ قال اللَّهُ قال رسولُه ... غَضِبَ الخبيثُ وجاء بالكِتمانِ
أوْ حرَّف القرآنَ عن موضوعِهِ ... تحريفَ كذَّابٍ على القـرآنِ
والثالث الأعمى المقلِّد ذَيْنِكَ الـ ... ـرَّجُلَيْنِ قائِدُ زُمْـرَةِ العميـانِ
هذا ورابعُهُم وليس بكَلْبِهـم ... حاشا الكلابَ الآكلي الأنتـانِ
خِنْزيرُ طبْعٍ في خَلِيقَةِ ناطِقٍ ... مُتَسَوِّف بالكذبِ والبُهتـانِ
كالكلبِ يَتْبَعُهُم يُمَشْمِشُ أعْظُمًا ... يَرْمُونهـا والقـوم لِلَّحْمـانِ
هو فَضْلَةٌ في الناس لا عِلْمٌ ولا ... دينٌ ولا تمكينُ ذي سُلطـانِ
فبقاؤه في الناس أعْظَمُ مِحْنَة ... من عسكر يُعْزَى إلى غـازانِ
هذي بضاعةُ ضاربٍ في الأرض يَبْـ ... ـغي تاجرًا يَبْتَـاعُ بالأثمـانِ

وَجَدَ التُّجَار جميعهم قد سافروا ... عن هذه البُلْـدانِ والأوطـانِ
إلا الصَّعَافِقَةَ الذين تكلَّفُـوا ... أن يَتْجَرُوا فينا بـلا أثمـانِ
فَهُمُ الزُّبُونُ لها فباللَّهِ ارحموا ... مِنْ بَيْعةٍ من مفلس مِدْيَـانِ
يا رَبِّ فارزُقْها بحقِّك تاجرًا ... قد طاف بالآفاقِ والبلـدانِ
ما كلّ مَنْقُوشٍ لديه أصفـرٍ ... ذَهَبًا يـراه خالصَ العِقْيَـانِ
وكذا الزُّجاجُ ودُرَّةُ الغوَّاصِ في ... تمييـزه ما إن هُمَا مِثْـلانِ

ويقول عمّن يُبْغِض أهل الحديث وهم أنصار هذا الدين :

يا مُبغِضًا أهْلَ الحديث وشاتِمًا ... أبشِرْ بعَقْدِ ولايةِ الشيطـانِ
أوَ مَا علمتَ بأنَّهم أنصارُ دِيـ ... ـنِ الله والإيمـانِ والقـرآن
أوَ ما علمتَ بأن أنصار الرَّسُو ... لِ هُمُ بلا شـكٍّ ولا نُكـرانِ
هل يُبْغض الأنصارَ عبدٌ مؤمنٌ ... أو مُدْرِكٌ لروائـحِ الإيمـانِ
شهد الرسولُ بذاكِ وَهْي شهادةٌ ... من أصدقِ الثقلَيْنِ بالبُرهـانِ
أوَ ما علمتَ بأن خَزْرَجَ دِينِهِ ... والأوسَ هُمْ أبدًا بكُلِّ زمـانِ
ما ذنبُهم إذ خالفـوك لقوله ... ما خالفوه لأجْلِ قـولِ فُلانِ
لمّا تحيَّزتم إلى الأشياخِ وانْـ ... ـحَازُوا إلى المبعـوثِ بالقـرآنِ
نُسِبُوا إليه دُونَ كلِّ مقالـةٍ ... أو حالـةٍ أو قائلٍ ومكـانِ
والله ما يُنْجِيكَ من سجن الجحيـ ... ـم سوى الحديثِ ومُحكمِ القرآنِ
والله ليـس الناسُ إلَّا أهْلَـهُ ... وسواهُمُ من جُملةِ الحيـوانِ

ويقول رحمه الله :

والله ما خَوْفِي الذنوبَ فإنها ... لَعَلَى طريقِ العَفْوِ والغُفـرانِ
لكنَّما أخشى انسِلاخ القلبِ مِنْ ... تحكيمِ هذا الوَحْي والقـرآنِ
ورضًا بآراء الرجال وخَرْصِها ... لا كان ذاك بمِنَّةِ الرحمـنِ
فبأيِّ وَجْـهٍ أَلْتَقِي ربـي إذا ... أعرضتُ عن ذا الوحي طولَ زمانِ
وعـزلتُه عمَّا أُريـدَ لأجلِـهِ ... عَزْلًا حقيقيًّا بـلا كتمـانِ

يقول ابن القيم في تعين الهجرتين إلى الله ورسوله :

يا قومُ فرْضُ الهجرتَيْنِ بحالِهِ والله لم يُنسخ إلى ذا الآنِ
فالهجرةُ الأُولى إلى الرحمن بالْـ إخلاص في سِرٍّ وفي إعلانِ
والهجرةُ الأُخرى إلى المبعوث بالْـ إسلام والإيمان والإحسانِ
أتَرَوْنَ هَذِي هجرةَ الأبدانِ لا والله بل هِيَ هجرةُ الإيمانِ
قَطْعُ المسافةِ بالقلوبِ إليه في دَرْكِ الأُصُولِ مع الفروعِ وَذَانِ
أبـدًا إليه حُكْمُها لا غَيْرُهُ فالحُكْم ما حَكَمَتْ به النَّصَّانِ
يا هجرةً طالتْ مسافَتُها على مَنْ خُصَّ بالحِرْمانِ والخِذْلانِ
يا هجرةً طالتْ مسافتها على كَسْلانَ مَنْخُوبِ الفُؤادِ جبانِ
يا هجرةً والعَبْدُ فوقَ فِراشِهِ سَبَقَ السُّعاةَ لمنزلِ الرِّضْوانِ
رُفِعتْ له أعلامُ هاتِيكَ النُّصُو صِ رُؤوسُها شَابَتْ من النِّيرانِ
نارٌ هي النُورُ المُبِينُ ولم يكُن ليـرَاهُ إلّا مَنْ له عينـانِ
مكحولتان بمِرْوَدِ الوَحْيَيْنِ لا بمَـرَاوِدِ الآراءِ والهَذَيـانِ
فَلِذَاكَ شَمَّرَ نحوها لم يلتفِتْ لا عن شَمَـائِلِهِ ولا أيمـانِ
يا قومُ لو هاجرتم لرأيتمُ أعـلامَ طَيْبَةَ رُؤْيَةً بعِيـانِ
ورأيتُمْ ذاكَ اللِّواءَ وتحتَهُ الـرُّسـلُ الكرامُ وعَسْكَرُ القـرآنِ
وكذا المُهاجِرَةُ الألى سبقوا كذا الْـ أنْصارُ أهْلُ الـدَّارِ والإيمـانِ
والتابِعونَ لهم بإحسانٍ وَسَـا لِكُ هَدْيِهم أبدًا بكلِّ زمـانِ
لكنْ رَضِيتُم بالأماني وابْتُلِيـ ـتُمْ بالحُظُوظ ونُصرة الإخوانِ
ونَبَذْتُمُ غَسْلَ النُّصُوصِ وراءكم وقَنَعْتُـمُ بِقُطـارَةِ الأذهـانِ
وتركتمُ الوَحْيَيْنِ زُهدًا فيهما ورَغِبْتُمُ في رَأْيِ كلِّ فـلانِ
وعزلتـمُ النَّصَّيْنِ عَمَّـا وُلِّيَا للحُكْم فيه عَزْلَ ذي عُدوانِ

وزعمتمُ أن ليس يحكُمُ بيننا إلَّا العقولُ ومنطقُ اليُونـانِ
فهما بحُكْم الحقِّ أوْلَى منهما سُبحانك اللَّهمَّ ذا السُّبْحَانِ
حتّى إذا انكشَفَ الغِطاءُ وُحصِّلَتْ أعمال هذا الخلْقِ في الميزانِ
وبَدَتْ على تلك الوجوهِ سِماتُهَا وَسْمَ المليك القادِرِ الدَّيّانِ
مُبْيَضَّـةً مِثْلَ الرِّياضِ بجَنَّـةٍ والسُّودُ مثْلَ الفَحْمِ للنِّيـرانِ
فهناك يعلمُ راكِبٌ ما تَحْتَهُ وهناك يَقْرَعُ ناجذَ النَّدْمـانِ
وهناك يعلم مُؤْثِرُ الآراء والـشَّـطَحَاتِ والهَذَيانِ والبُطـلانِ
أيَّ البضائعِ قد أضاع وما الذي منها تَعَوَّضَ في الزمانِ الفاني

يقول ابن القيم فيما أعد الله للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ

هذا وللمُتَمَسِّكِينَ بُسنَّةِ الْـ ـمُخْتارِ عِنْدَ فَسَادِ ذِي الأزمانِ
أجْرٌ عظيمٌ ليس يَقْدِرُ قَدْرَهُ إلَّا الذي أعطـاهُ للإنسـانِ
فرَوَى أبو داوُدَ في سُنَنٍ له ورواهُ أيضًا أحمدُ الشَّيْبـاني
أثَرًا تَضَمَّنَ أجْرَ خمسين امْرَأ مِنْ صَحْبِ أحْمَدَ خِيرةِ الرحمنِ
إسنادُهُ حَسَنٌ ومصـداقٌ له في مُسلمٍ فافْهَمْهُ بالإحسانِ
إنَّ العبادَةَ وَقْتَ هَرْجٍ هِجْرَةٌ حقًّا إلَيَّ وذاك ذو بُرهـانِ
هذا فكَمْ مِنْ هجرةٍ لك أيُّها الـسُّـنِّيُّ بالتَّحْقِيقِ لا بأمـانِ
هذا وكَمْ من هجرةٍ لهمُ بما قال الرسولُ وجاء في القرآنِ
وَلقَدَ أتى مِصداقُهُ في الترمـذي لمن لَهُ أُذُنـان واعِيَتـانِ
في أجْر مُحْيِي سُنَّةٍ ماتت فَذَا كَ مَعَ الرسولِ رفيقُهُ بجِنانِ[1]
هذا ومِصـداقٌ له أيضًا أتـى في التِّرمِـذِيِّ لمن له عينـانِ
تشبيـهُ أُمَّتِـهِ بغَيْـثٍ أوَّلٌ منـه وآخِـرُهُ فمُشْتَبَهَـانِ
فلذاك لا يُدْرَى الذي هو منهما قد خُصَّ بالتَّفْضِيلِ والرُّجْحانِ

---

(١) الحديث ضعيف .

ولقد أتى في الوَحْيِ مِصداقٌ له ... في الثُّلَّتَيْنِ وذاك في القـرآنِ
أَهْلُ اليمينِ فَثُلَّةٌ مَعْ مِثْلِهَا ... والسَّابِقُونَ أَقَلُّ في الحُسْبانِ
ما ذاك إلّا أن تابِعَهُمْ هُمُ الْـ ... ـغُرَباءُ ليستْ غُربَةَ الأوطانِ
لكنَّها واللَّهِ غُربةُ قائِـمٍ ... بالدِّينِ بين عساكِرِ الشيطانِ
فانظُرْ إلى تفسيرِهِ الغُرَباءَ بِالْـ ... ـمُـحْيِينَ سُنَّتَهُ بكلِّ زمـانِ
طُوبَى لهم والشَّوْقُ يَحْدُوهُم إلى ... أَخْذِ الحديثِ ومُحكَمِ القرآنِ
طوبى لهم لم يَعْبَئُوا بِنُحاتَةِ الْـ ... أفكـارِ أو بزبالةِ الأذهـانِ
طوبى لهم رَكِبُوا على مَتْنِ العَزا ... ئِمِ قاصدِينَ لمَطْلَعِ الإيمانِ
طوبى لهم لم يَعْبَئُوا شيئًا بذي الْـ ... آراءِ إذْ أغناهُـمُ الوَحْيَـانِ
طوبى لهم وإمامُهُمْ دُونَ الوَرَى ... مَنْ جاءَ بالإيمانِ والفُرقـانِ
والله ما ائتَمُّوا بشخصٍ دُونَهُ ... إلَّا إذا ما دَلَّهُـمْ بِبَيـانِ
هذا وقد بَعُدَ المَدَى وتَطَاوَلَ الْـ ... ـعَهْدُ الذي هو مُوجِبُ الإحسانِ
ولذاك كان كقابِضٍ جَمْرًا فَسَلْ ... أحشاءَهُ عن حَرِّ ذي النِّيرانِ
واللَّهُ أَعْلَمُ بالـذي في قَلْبِـهِ ... يكفيهِ عِلْمُ الواحِدِ المَنَّـانِ
بِرٌّ وتوحيدٌ وصَبْرٌ مَعْ رِضًا ... والشُّكْرُ والتَّحكيمُ للقـرآنِ

يقول ابن القيم في عهده مع ربه ، وعهد الرجال الجبال يبين عن علو همتهم :

يا ناصرَ الإسلام والسُّنَن التي ... جاءتْ عن المبعوث بالقرآنِ
اشرحْ لدينك صدْرَ كلِّ مُوحِّدٍ ... شرحًا ينال به ذُرَا الإيمانِ
واجْعَلْهُ مُؤتَما بوَحْيِكَ لا بما ... قد قالَهُ ذُو الإفْكِ والبُهتـانِ
وانْعِشْ به مَنْ قصْدُهُ إحياؤه ... واعصمْهُ من كَيْد امْرِىءٍ فتَّانِ
فَوَحَقِّ نعمتِـك التي أوليتَنِي ... وجعلت قلبي واعِيَ القـرآنِ
وكتبتَ في قلبي مُتابَعَةَ الهُدى ... فقرأتُ فيه أسْطُـرَ القـرآنِ

ونشلْتَنِي من حُبِّ أصحاب الهَوَى ... بحبائلٍ من مُحكَمِ القــرآنِ
وجعلتَ شِرْبي المَنْهَلَ العَذْبَ الذي ... هُوَ رأسُ ماءِ الوارِدِ الظَّمآنِ
وعصمتَني من شِرْبِ سِفْلِ الماء تَحْـ ... ـتَ نجاسةِ الآراءِ والأذهانِ
وحَفِظْتَنِي ممَّا ابتليتَ به الأُلى ... حكموا عليك بشِرْعَةِ البُهتانِ
نَبَذُوا كتابَكَ مِنْ وراءِ ظُهُورهم ... وتمسَّكُوا بزَخارِفِ الهَذَيانِ
وأريتَني البدَعَ المُضِلَّةَ كيف يُلْـ ... ـقِيهَا مُزَخْرَفَةً إلى الإنسانِ
شيطانُهُ فَيظَلّ يَنْقُشُهَا لَـهُ ... نَقْشَ المُشَبِّهِ صُورةً بِدِهَانِ
فَيَظُنّها المغرورُ حقًّا وَهْيَ في التَّـحْقِيقِ مِثْلُ اللَّالِ في العِقيانِ
لأُجَاهِدَنَّ عِدَاكَ ما أَبْقَيْتَنِي ... ولأجعلنَّ قتالَهُمْ دَيْدَاني
ولأفْضَحَنَّهُمُ على رُوس المَلا ... ولأفْرِيَنَّ أدِيمَهُمْ بلساني
ولأكْشِفَنَّ سَرَائِرًا خَفِيَتْ على ... ضُعَفاءِ خَلْقِكَ منهُمُ ببَيَانِ
ولأتْبَعَنَّهُمُ إلى حيث انْتَهَوْا ... حتّى يُقالَ أبْعَدُ عَبَّادان
ولأرْجُمَنَّهُمُ بأعلامِ الهُدى ... رَجْمَ المَرِيدِ بثاقِبِ الشُّهْبَانِ
ولأقْعُدَنَّ لهم مَرَاصِدَ كَيْدِهم ... ولأحْصُرَنَّهُمُ بكُلِّ مكانِ
ولأجْعَلَنَّ لحُومَهم ودماءَهم ... في يومِ نَصْرِكَ أعْظَمَ القُربانِ
ولأَحْمِلَنَّ عليهمُ بعَسَاكِرٍ ... ليستْ تَفِرُّ إذا الْتَقَى الزَّحْفانِ
بعَسَاكِرِ الوَحْيَيْنِ والفِطَرَاتِ بالْـ ... ـمعْقُولِ والمنقُولِ بالإحسانِ
حتَّى يَبِينَ لمن له عَقْلٌ مَنِ الْـ ... أوْلَى بحُكْمِ العَقْلِ والبُرهانِ
ولأنْصَحَنَّ اللَّهَ ثُمَّ رسولَهُ ... وكتابَهُ وشرائِعَ الإيمانِ
إن شاءَ رَبِّي ذا يكُونُ بحَوْلِهِ ... إن لم يَشَأْ فالأمْرُ للرحمنِ

ولقد صدق ابن القيم في عهده مع ربه أيما صدقٍ ، ووفَّى أعظم توفيةٍ ، لله درُّه .

* * *

□ كلماتٌ طَيِّبة في الدَّعْوة إلى السُّنَّة □

عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هُدًى ، كان له من الأجر مثل أُجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أُجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالةٍ ، كان له من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا » . أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة .

وقال ابن عباس : النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة ، عبادةٌ[1] .

وعن الزهري : الاعتصام بالسنة نجاةٌ .

وقال أبو العالية : « تعلموا الإسلام ، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه ، وعليكم بالصراط المستقيم ، فإنه الإسلام ، ولا تحرفوا الإسلام يمينًا ولا شمالًا ، وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه ، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء » . وصدق ونصح كما قال الحسن وابن سيرين .

وعن الحسن قال : يا أهل السنة ترفقوا - رحكم الله - فإنكم من أقل الناس .

وعن سعيد بن جبير : لا يقبل قولٌ إلَّا بعمل ، ولا يقبل عملٌ إلا بقولٍ ، ولا يقبل قولٌ وعملٌ إلا بنيَّةٍ ، ولا يقبل قولٌ وعملٌ ونيّةٌ إلَّا بنيّةٍ مُوافِقةٍ للسنة .

وقال يونس بن عبيد : أصبح مَن إذا عُرِّف السُّنّة عرفها ، غريبًا ، وأغْرَب منه من يُعرِّفها .

وقال يونس : إن الذي يعرض عليه السنة لغريب ، وأغرب منه من يعرفها .

وقال : ليس شيءٌ أغرب من السنة ، وأغرب منها من يعرفها .

---

(١) شرح أصول الاعتقاد ١/٥٥ .

قال أيوب السختياني : إن من سعادة الحدث والأعجمي ، أن يوفقهما الله لعالِمٍ من أهل السنة .

وعن ابن شوذب : إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك ، أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها .

وقال أيوب لعمارة بن زاذان : يا عمارة ، إذا كان الرجل صاحب سنة وجماعة ، فلا تسأل عن أي حال كان فيه .

وقال حماد بن زيد : حضرت أيوب السختياني وهو يغسّل شعيب ابن الحبحاب ، وهو يقول : إن الذين يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وقال ابن عون : ثلاث أُحِبُّهن لنفسي ولأصحابي . فذكروا قراءة القرآن والسنة ، والثالثة : أقبل رجلٌ على نفسه ولها من الناس ، إلا من خَيْرٍ .

وقال الأوزاعي : ندور مع السنة حيث دارت .

وقال : كان يقال : خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسانٍ : لزوم الجماعة ، واتباع السنة ، وعمارة المساجد ، وتلاوة القرآن ، والجهاد في سبيل الله .

وأخرج ابن أبي حاتمٍ عن ابن مسعود : ما من شيءٍ إلا بُيِّن لنا في القرآن ، ولكن فهمنا يقصر عن إدراكه ، فلذلك قال تعالى : ﴿ **ولتُبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم** ﴾ [النحل : ٤٤] .

لله ما أروع هذا الكلام !

وقال رجل عن مطرف بن عبد الله : لا تحدثونا إلا بما في القرآن . فقال مطرف : إنّا والله ما نريد بالقرآن بدلًا ، ولكنا نريد من هو أعلم بالقرآن منا .

وأخرج الدارمي عن سعيد بن جبير ، أنه حدث يومًا بحديثٍ عن النبي ﷺ فقال له رجل : في كتاب الله ما يخالف هذا . فقال : لا أراني أُحدِّثك عن رسول الله ﷺ وتعرض فيه بكتاب الله ، كان رسول الله ﷺ أعلم بكتاب الله منك .

وأخرج البيهقي عن أيوب السختياني قوله : إذا حدثت الرجل بُسنّةٍ ، فقال : دعنا من هذا وأنبئا عن القرآن ، فاعلم أنه ضالٌّ .

وكتب عمر بن عبد العزيز : لا رَأْيَ لأحدٍ في كتاب الله ولا في سُنّةٍ سنَّها رسول الله ﷺ ، وإنما رأيُ الأمة فيما لم ينزل فيه كتاب ، ولم تَمْضِ به سُنّةٌ عن رسول الله ﷺ .

وقال الأوزاعي : إن السنة جاءت قاضيةً على الكتاب ، ولم يجيء الكتاب قاضيًا على السنة . وكذا قال يحيى بن أبي كثير .

وقال مكحول : القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن .

قال البيهقي : ومعنى ذلك أن السنة مع الكتاب أُقيمت مقام البيان عن الله ، كما قال الله ﴿ **وأنزلنا إليك الذِّكْر لتبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم** ﴾ [النحل : ٤٤].

وقال السيوطي : والحاصل أن معنى احتياج القرآن إلى السنة ؛ أنها مبينة له ومفصلة لمجملاته ؛ لأن فيه كنوزًا تحتاج إلى من يعرف خفايا خباياها ، فيبرزها ، وذلك هو المنزل عليه ﷺ .

وهذا هو معنى كون السنة قاضيةً عليه ، وليس القرآن مبينًا للسنة ولا قاضيًا عليها ؛ لأنها بَيِّنَةٌ بنفسها .

« كان إبراهيم التيمي يقول : اللهم اعصمني بدينك وبسنة نبيك من الاختلاف في الحق ، ومن اتباع الهوى ، ومن سبل الضلالة ، ومن شبهات الأمور ، ومن الزيغ والخصومات .

وقال ابن المبارك : اعلم - أي أخي - أن الموت كرامةٌ لكل مسلمٍ لقي الله على السنة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فإلى الله نشكو وحشتنا وذهاب الإخوان وقلة الأعوان ، وظهور البدع ، وإلى الله نشكو عظيم ما حلَّ بهذه الأُمّة من ذهاب العلماء وأهل السنة وظهور البدع »[١] .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : والمتبع للسنة كالقابض على الجمر ، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله عز وجل .

قال الألباني : هذا في زمانه ، فماذا يقال في زماننا ؟! .

قال ابن عمر : لا يزالون على الطريق ما اتبعوا الأثر .

قال وكيع : لو أن الرجل لم يصب في الحديث شيئًا إلَّا أن يمنعه من الهوى ، كان قد أصاب فيه .

وقال سفيان : الملائكة حراس السماء ، وأصحاب الحديث حراس الأرض .

وقال سفيان : استوصوا بأهل السنة خيرًا ؛ فإنهم غرباء[٢] .

وقال فضيل بن عياض : إن لله عبادًا يحيي بهم البلاد ، وهم أصحاب السنة ، ومن كان يعقل ما يدخل جوفه من حله ، كان من حزب الله .

وقال أبو بكر بن عيّاش : السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان .

وقال ابن المبارك : ما رأيت أحدًا شرح السُّنة من أبي بكر بن عياش .

وعن عون قال : من مات على الإسلام والسنة ، فله بشيرٌ بكل خيرٍ .

وقال معتمر بن سليمان : دخلت على أبي وأنا منكسر ، فقال : ما لك ؟ قلت : مات صديقٌ لي . قال : مات على السنة ؟ قلت : نعم . قال :

---

(١) الاعتصام للشاطبي ١/٨٦ .

(٢) شرح أصول الاعتقاد ١/٦٣ .

فلا تخف عليه .

وقال معافى بن عمران : لا تحمدن رجلًا إلا عند الموت : إما يموت علىَ السنة أو يموت على بدعة .

وقال شاذ بن يحيى : ليس طريقٌ أقصد إلى الجنة من طريق من سلك الآثار .

دِينُ النبيِّ محمدٍ أخبارُ ... نِعْمِ المَطِيَّةُ للفتى آثارُ
لا تَعْدِلَنَّ عن الحديث وأهْلِهِ ... فالرَّأْيُ ليلٌ والحديثُ نهارُ
ولرُبَّما غَلِطَ الفتى أثَرَ الهُدى ... والشمسُ بازِغَة لها أنوارُ

وقال ابن خزيمة : ليس لأحدٍ قولٌ مع رسول الله ﷺ إذا صحّ الخبر .

وقال يحيى بن آدم : لا يحتاج مع قول النبي ﷺ إلى قولِ أحدٍ ، إنما كان يقال : سنة النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ؛ ليعلم أن النبي ﷺ مات وهو عليها .

وقال مجاهد : ليس أحدٌ إلا يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلّا النبي ﷺ .

وقال أبو حنيفة : إذا جاء عن النبي ﷺ ، فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن أصحابه ، نختار من أقوالهم ، وإذا جاء عن التابعين ، زاحمناهم .

وقال عروة بن الزبير : اتباع السنن قوام الدين .

وقال ابن سيرين : كانوا يقولون : ما دام على الأثر ، فهو على الطريق .

وقال الأوزاعي : إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديثٌ ، فإياك أن تقول بغيره ، فإن رسول الله ﷺ كان مبلغًا عن الله .

وقال الثوري : إنما العلم كله العلم بالآثار .

وقال كهمس : من لم يتحقق أن أهل السنة حفظة الدين ، فإنه يعد في ضعفاء المساكين ، الذين لا يدينون لله بدين ، يقول الله لنبيه ﷺ : ﴿ **الله نَزَّل أحْسَنَ الحديث** ﴾ [الزمر : ٢٣] ويقول رسول الله ﷺ : « حدثني جبريل عن الله » .

قال أبو إلياس الألباني : ثلاث لو كتبن في ظفر لوسعهن ، وفيهن خير الدنيا والآخرة : اتبع ولا تبتدع ، اتضع ولا ترتفع ، ومن ورع لا يتسع .

* * *

□ كلمات في الاتِّباع وذَمّ البدع لأهل الزُّهْد وأصحاب السلوك □

قيل لإبراهيم بن أدهم : إن الله يقول في كتابه : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ [غافر : ٦٠] ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا ؟! فقال : ماتت قلوبكم في عشرة أشياء : أولها : عرفتم الله فلم تؤدُّوا حقه . والثاني : قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به . والثالث : ادعيتم حب رسول الله ﷺ وتركتم سنته ... إلى آخر الحكاية .

وقال ذو النون : من علامة حب الله متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأمره وسنته .

وقال : إنما فسد الخلق من ستة أشياء : الأول : ضعف النية بعمل الآخرة . والثاني : صارت أبدانهم مُهَيَّأَةً لشهواتهم . والثالث : غلبهم طول الأمل مع قصر الأجل . والرابع : آثروا رضاء المخلوقين على رضاء الله . والخامس : اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم ﷺ . والسادس : جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم ، ودفنوا أكثر مناقبهم .

وقال لرجلٍ أوصاه : « ليكن آثر الأشياء عندك وأحبها إليك ، إحكام ما افترض الله عليك ، واتقاء ما نهاك عنه ؛ فإنّ ما تعبَّدك الله به ، خيرٌ لك مما تختاره لنفسك من أعمال البر وأنت ترى أنها أبلغ لك فيما تريد ، كالذي يؤدب نفسه بالفقر والتقلل ، وما أشبه ذلك ، وإنما للعبد أن يراعي أبدًا ما وجب عليه من فرضٍ يحكمه على تمام حدوده ، وينظر إلى ما نهي عنه ، فيتقيه على إحكام ما ينبغي ، فإن الذي قطع العباد عن ربهم ، وقطعهم عن أن يذوقوا حلاوة الإيمان ، وأن يبلغوا حقائق الصدق ، وحجب قلوبهم عن النظر إلى الآخرة - تهاونهم بأحكام ما فرض عليهم ؛ في قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وبطونهم وفروجهم ، ولو وقفوا على

هذه الأشياء وأحكموها ، لأُدخل عليهم البر إدخالًا تعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما رزقهم الله من حسن معونته ، وفوائد كرامته ، ولكن أكثر القراء والنساك حقروا محقرات الذنوب ، وتهاونوا بالقليل مما هم فيه من العيوب ، فحرموا ثواب لذة الصادقين في العاجل » .

وقال بشر الحافي : رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي : يا بشر ، أتدري لم رفعك الله بين أقرانك ؟ قلت : لا يارسول الله . قال : لاتباعك سنتي وحرمتك للصالحين ، ونصيحتك لإخوانك ، ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي ، هو الذي بلغك منازل الأبرار .

وقال يحيى بن معاذ الرازي : اختلاف الناس كلهم يرجع إلى ثلاثة أصول ، فلكل واحد منها ضد ، فمن سقط عنه وقع في ضده : التوحيد وضده الشرك ، والسنة وضدها البدعة ، والطاعة وضدها المعصية .

وقال أبو بكر الترمذي : لم يجد أحد تمام الهمة بأوصافها إلا أهل المحبة ، وإنما أخذوا ذلك باتباع السنة ومجانبة البدعة ، فإن محمدا ﷺ كان أعلى الخلق كلهم همة وأقربهم زلفى .

وقال أبو عليّ الحسن بن علي الجوزجاني : من علامات السعادة على العبد تيسير الطاعة عليه ، وموافقة السنة في أفعاله ، وصحبته لأهل الصلاح ، وحسن أخلاقه مع الإخوان ، وبذل معروفه للخلق ، واهتمامه للمسلمين ، ومراعاته لأوقاته .

وسئل : كيف الطريق إلى الله ؟ فقال : الطرق إلى الله كثيرة ، وأوضح الطرق وأبعدها عن الشبه : اتباع السنة قولًا وفعلًا وعزمًا وعقدًا ونِيَّةً ؛ لأن الله يقول : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾ [النور : ٥٤]. فقيل له : كيف الطريق إلى السنة ؟ فقال : مجانبة البدع ، واتباع ما أجمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام ، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله ، ولزوم طريقة

الاقتداء ، وبذلك أُمِر النبي ﷺ بقوله تعالى : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم** ﴾ [النحل : ١٢٣] .

وقال أبو الحسن الورّاق : لا يصل العبد إلى الله إلّا بالله وبموافقة حبيبه ﷺ في شرائعه ، ومن جَعَلَ الطريق إلى الوصول في غير الاقتداء ، يضلُّ من حيث إنه مُهتدٍ .

وقال : الصدق استقامة الطريق في الدين ، واتباع السنة في الشرع .

وقال : علامة محبة الله متابعة حبيبه ﷺ .

وقال إبراهيم القمار : علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه ﷺ .

وقال أبو محمد بن عبد الوهاب الثقفي : لا يقبل الله من الأعمال إلَّا ما كان صوابًا ، ومن صوابها إلّا ما كان خالصًا ، ومن خالصها إلَّا ما وافق السنة .

وقد كان إبراهيم بن شيبان القرميسيني - الذي صاحب إبراهيم الخواص - شديدًا على أهل البدع ، متمسكا بالكتاب والسنة ، لازمًا لطريق المشايخ والأئمة ، حتى قال فيه عبد الله بن منازل : إبراهيم بن شيبان حجة الله على الفقراء وأهل الآداب والمعاملات .

وقال أبو بكر بن سعدان - وهو من أصحاب الجنيد -: الاعتصام بالله هو الامتناع من الغفلة والمعاصي والبدع والضلالات .

وقال أبو عمر الزجاجي - وهو من أصحاب الجنيد والثوري -: كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم ، فجاء النبي ﷺ فردهم إلى الشريعة والاتباع ، فالعقل الصحيح الذي يستحسن ما يستحسنه الشرع ، ويستقبح ما يستقبحه .

وقيل لإسماعيل بن محمد السلمي جد أبي عبد الرحمن السلمي - ولقي الجنيد -: ما الذي لا بد للعبد منه ؟ فقال : ملازمة العبودية على السنة ،

ودوام المراقبة .

وقال أبو عثمان المغربي التونسي : هو الوقوف مع الحدود لا يقصر فيها ولا يتعداها ، قال الله تعالى : ﴿ **ومن يَتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه** ﴾ [الطلاق : ١] .

وقال بندار بن الحسين : صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق .

وقال أبو بكر الطمستاني : الطريق واضح ، والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا ، وفضل الصحابة معلومٌ لسبقهم إلى الهجرة ولصحبتهم ، فمن صحب منا الكتاب والسنة ، وتغرب عن نفسه والخلق ، وهاجر بقلبه إلى الله ، فهو الصادق المصيب .

وقال أبو يزيد البسطامي[(١)]: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة ، فما وجدت شيئًا أشد من العلم ومتابعته ، ومتابعة العلم هي متابعة السنة لا غيرها .

وروي عنه أنه قال : قم بنا ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية . وكان رجلًا مقصودًا مشهورًا بالزهد ، قال الراوي : فمضينا ، فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة ، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه ، وقال : هذا غير مأمونٍ على أدبٍ من آداب رسول الله ﷺ ، فكيف يكون مأمونًا على ما يدعيه ؟! .

قال الشاطبي في « الاعتصام » (١/ ٩٤) : « وهذا أصل أصَّله أبو يزيد - رحمه الله - للقوم : وهو أن الولاية لا تحصل لتارك السنة ، وإن كان ذلك جهلًا منه ، فما ظنك إذا كان عاملًا بالبدعة كفاحًا ؟! » .

---

(١) له كلامٌ طيِّبٌ ، وله شطحات ، عفا الله عنه ، فنأخذ منه كلامه الطيب ، ولنا سلفٌ في ذلك : شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم .

وقال : هممت أن أسأل الله أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء ، ثم قلت : كيف يجوز أن أسأل الله هذا ، ولم يسأله رسول الله ﷺ ؟! فلم أسأله ، ثم إن الله سبحانه كفاني مؤنة النساء ، حتى لا أبالي أستقبلتني امرأة أم حائط .

وقال : لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات ، حتى يرتقي في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود وآداب الشريعة .

وقال سهل التستري : كل فعل يفعله العبد بغير اقتداءٍ ، طاعةً كان أو معصية ، فهو عيش النفس - يعني اتباع الهوى - وكل فعلٍ يفعله العبد بالاقتداء فهو عتابٌ على النفس ، واتباع الهوى هو المذموم ، ومقصود القوم تركه ألبتة .

وقال : أصولنا سبعة أشياء : التمسك بكتاب الله ، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق .

وقال : قد أيس الخلق من هذه الخصال الثلاث : ملازمة التوبة ، ومتابعة السنة ، وترك أذى الخلق . وسئل عن الفتوة فقال : اتباع السنة .

وقال أبو سليمان الداراني : ربما تقع في قلبي النكتة من نكتة القوم أيامًا ، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة .

وقال أحمد بن أبي الحواري : من عمل عملًا بلا اتباع سنةٍ ، فباطلٌ عمله .

وقال أبو حفص الحداد : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقتٍ بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خواطره ، فلا تعده في ديوان الرجال.

وسئل عن البدعة ، فقال : التعدي في الأحكام ، والتهاون في

السنن ، واتباع الآراء والأهواء ، وترك الاتباع والاقتداء .

قال : وما ظهرت حالةٌ عاليةٌ إلّا من ملازمة أمرٍ صحيح .

وسئل حمدون القصار : متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس ؟ فقال : إذا تعين عليه أداء فرضٍ من فرائض الله في علمه ، أو خاف هلاك إنسانٍ في بدعةٍ ، يرجو أن ينجيه الله منها .

وقال : من نظر في سير السلف ، عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال .

قال الشاطبي في « الاعتصام » (١/٩٥) : « وهذه - والله أعلم - إشارةٌ إلى المثابرة على الاقتداء بهم ، فإنهم أهل السنة » .

وقال أبو عثمان الحيري : الصحبة مع الله تعالى : بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة ، والصحبة مع رسول الله ﷺ : باتباع سنته ، ولزوم ظاهر العلم .

ولما تغير عليه الحال ، مزق ابنه أبو بكرٍ قميصًا على نفسه ، ففتح أبو عثمان عينيه وقال : خلاف السنة - يا بني - في الظاهر ؛ علامة رياءٍ في الباطن .

وقال : مَن أمّر السنة على نفسه قولًا وفعلًا ، نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولًا وفعلًا ، نطق بالبدعة ؛ قال الله تعالى : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾ [النور : ٥٤] .

وقال محمد بن الفضل البلخي : ذهاب الإسلام من أربعة : لا يعملون بما يعلمون ، ويعملون بما لا يعلمون ، ولا يتعلمون ما لا يعلمون ، ويمنعون الناس من التعلم .

وقال : أعرفهم بالله أَشَدُّهم مجاهدةً في أوامره ، وأتبعهم لسنة نبيه ﷺ .

وقال شاه الكرماني : من غضَّ بصره عن المحارم ، وأمسك نفسه عن الشبهات ، وعمّر باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره باتباع السنة،وعوّد نفسه أكل الحلال ، لم تخطىءْ له فِرَاسَةٌ .

وقال أبو العباس بن عطاء ، وهو من أقران الجنيد : من ألزم نفسه آداب الله ، نور الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ في أوامره وأفعاله وأخلاقه .

وقال إبراهيم الخوّاص : ليس العلم بكثرة الرواية ، وإنما العالم من اتبع العلم واستعمله ، واقتدى بالسنن ، وإن كان قليل العلم .

وسئل عن العافية فقال : العافية أربعة أشياء : دينٌ بلا بدعةٍ ، وعملٌ بلا آفةٍ ، وقلبٌ بلا شغلٍ ، ونفسٌ بلا شهوةٍ .

وقال : الصبر : الثبات على أحكام الكتاب والسنة .

وقال أبو حمزة البغدادي : من علم طريق الحق ، سهل عليه سلوكه ، ولا دليل على الطريق إلى الله إلَّا متابعة سنة الرسول ﷺ في أحواله وأفعاله وأقواله .

وسُئل أبو علي الرّوزباري عمّن يسمع الملاهي ويقول : « هي لي حلال ، لأني قد وصلت إلى درجةٍ لا يؤثر في اختلاف الأحوال » . فقال : نعم قد وصل ، ولكن إلى سقر .

وقال أبو محمد عبد الله بن منازل : لم يضيع أحدٌ فريضةً من الفرائض ، إلا ابتلاه الله بتضييع السنن ، ولم يبتل بتضييع السنن أحدٌ ، إلَّا يوشك أن يُبتلى بالبدع .

وقال سيد الطائفة وشيخهم الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلَّا من اقتفى آثار الرسول ﷺ .

وقال : من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث ، لا يقتدى به في هذا

الأمر ؛ لأن علمنا هذا مقيَّدٌ بالكتاب والسنة . وقال : هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ .

هذا قول سيد من سادات العابدين العاملين ، فلم ينه عن العلم إلا قطاع الطريق من الصوفية ، ونواب إبليس وشرطه .

وقال الجنيد : الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبي ﷺ ، فإن الله عز وجل يقول : وعزتي وجلالي ، لو أتوْني من كل طريقٍ ، واستفتحوا من كل بابٍ ، لما فتحت لهم ، حتى يدخلوا خلفك(١) .

وقال رجل له : أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله . فقال الجنيد : إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، ولو بقيت ألف عام ، لم أنقص من أعمال البر ذرَّةً ، إلا أن يحال بي دونها .

« فهذا كلام أهل الحقائق والمواجد والأذواق والأحوال والأسرار التوحيدية ، فهم الحجة لنا على كل من ينتسب إلى طريقهم ولا يجري على منهاجهم ، بل يأتي ببدعٍ محدثات ، وأهواء متبعات »(٢) .

فالسابقون مَضَوْا وما خدعوا الوَرَى ... بالتُّرَّهَاتِ لأنّهم أُمَناءُ
واللّاحِقون مضوْا على أهوائهم ... أرأيتَ ما فعلتْ بنا الأهواءُ
بدع بها جمعوا من الأموال ما ... جمعوا ومجموعُ الهباءِ هباءُ
في ذمة العُلماءِ هذا كُلُّه ... إن كان فيما بيننا علماءُ

* * *

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص٧ .
(٢) الاعتصام للشاطبي بتصرف ١/٩٠ - ٩٨ .

☐ ذم الابتـــداع ☐

قال العلامة ابن بطة العكبري : « يا إخواني ، عصمنا الله وإياكم من غلبة الأهواء ومشاحنة الآراء ، وأعاذنا وإياكم من نصرة الخطاء وشماتة الأعداء ، وأجارنا وإياكم من غِيَر الزمان وزخاريف الشيطان ، فقد كثر المغترون بتمويهاتها ، وتباهى الزائغون والجاهلون بلبس حلتها ، فأصبحنا وقد أصابنا ما أصاب الأُمَمَ قبلنا ، وحل الذي حذرناه نبينا ﷺ من الفرقة والاختلاف ، وترك الجماعة والائتلاف ، وواقع أكثرنا الذي عنه نهينا ، وترك الجمهور منا ما به أُمرنا ، فخُلعتْ لبسة الإسلام ، ونزعت حلة الإيمان ، وانكشف الغطا ، وبرح الخفا ، فعُبدتِ الأهواء ، واستُعملتْ الآراء ، وقامت سوق الفتنة ، وانتشرت أعلامها ، وظهرت الردة ، وانكشف قناعها ، وقُدحتْ زناد الزندقة ، فأُضرمت نيرانها ، وخلف محمد ﷺ في أُمَّته بأقبح الخلف ، وعظمتْ البليَّة ، واشتدت الرزيَّة ، وظهر المبتدعون ، وتنطّع المتنطعون ، وانتشرت البدع ، ومات الورع ، وهتكت سجف المشاينة ، وشهر سيف المحاشة ، بعد أن كان أمرهم هينا ، وحدهم لينا ، وذاك حين كان أمر الأُمّة مجتمعا ، والقلوب متآلفة ، والأئمة عادلة ، والسلطان قاهرا ، والحق ظاهرا ، فانقلبت الأعيان ، وانعكس الزمان ، وانفرد كلُّ قومٍ ببدعتهم ، وحُزِّبَ الأحزاب ، وخولف الكتاب ، واتخذ أهل الإلحاد رؤوسًا وأربابا ، وتحولت البدعة إلى أهل الاتفاق ، وتهوك في العسرة العامة وأهل الأسواق ، ونعق إبليس بأوليائه نَعْقةً فاستجابوا له من كل ناحية ، وأقبلوا نحوه مسرعين من كل قاصية ، فأُلْبِسوا شيعا ، ومُيِّزوا قِطَعا ، وشمتت بهم أهل الأديان السالفة والمذاهب المخالفة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وما ذاك إلّا عقوبة أصابت القوم عند تركهم أمر الله ، وصدفهم عن الحق ، وميلهم إلى الباطل ، وإيثارهم أهواءهم ، ولله عز وجل عقوبات في خلقه عند ترك أمره ومخالفة رُسُله ، فأشعلتْ نيران البدع في الدين ،

وصاروا إلى سبيل المخالفين ، فأصابهم ما أصاب من قبلهم من الأمم الماضين »[١] .

قالَ الشاطبي في الاعتصام (٣٨/١) : « هذا تمام الحكاية ، فكأنه – رحمه الله – تكلم على لسان الجميع » .

ولقد وردت عن سيد البرية ﷺ أحاديث عطرة في ذم البدع والتنفير من أهلها :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه ، فهو رد » . متفق عليه .

ولفظ مسلم : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ » .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أبغض الناس إلى الله ثلاثة : مُلحدٌ في الحرم ، ومُبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطَّلِب دم امرىء بغير حقٍّ ليهريق دمه » . رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل أُمتي يدخلون الجنة إلَّا مَنْ أبى » . قيل : ومَنْ أَبَى ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى »[٢] .

وفي حديث أنس : « فمن رغب عن سنتي ، فليس مني » . متفق عليه .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات** ﴾ وقرأ إلى : ﴿ **وما يذَّكَّر إلّا أُولو الألباب** ﴾ [آل عمران : ٧] قالت : قال رسول الله ﷺ : « فإذا

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية .٠ لابن بطة ١٦٣/١ – ١٦٥ .

(٢) رواه البخاري .

رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه ؛ فأولئك الذين سماهم الله ؛ فاحذروهم ». متفق عليه . وعند مسلم : « فإذا رأيتم » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون في آخر الزمان دجالون ، كذّابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم » . رواه مسلم .

وعن عبد الله بن عمرو قال : هجرت إلى رسول الله ﷺ يومًا ، قال : فسمع أصوات رَجُلين اختلفا في آية ، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب ، فقال : « إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب » . رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، و ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا** ... ﴾ » الآية [البقرة : ١٣٦] . رواه البخاري .

وعن خبّاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ بني إسرائيل لمّا هلكوا قَصُّوا »[(١)] .

أي لما هلكوا بترك العمل ، أخلدوا إلى القصص ، وعولوا عليها واكتفوا بها . قاله المناوي .

وحال كثير من المؤمنين اليوم يشبه حالهم ، فقد أعرضوا عن العلم النافع والعمل الصالح .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والضياء في المختارة ، وأبو نعيم في الحلية ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٠٤١) والصحيحة رقم (١٦٨١) .

وقال ﷺ : « لتتَّبِعنّ سُنن الذين من قبلكم ، شبرًا بشبرٍ ، أو ذراعًا بذراعٍ ، حتى لو سلكوا جحر ضَبٍّ لسلكتموه » . قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ! »[(١)] .

وقال ﷺ : « لتركبن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبرٍ ، وذراعًا بذراعٍ ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضَبٍّ لدخلتم ، وحتى لو أن أحدهم جامع أُمّه بالطريق لفعلتموه »[(٢)] .

وقال ﷺ : « ليس منا من عمل بسنة غيرنا »[(٣)] .

وقال ﷺ : « من صنع أمرًا على غير أمرنا ، فهو رَدٌّ »[(٤)] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تأخذ أُمَّتي أخذ القرون قبلها ، شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ » . قيل : يا رسول الله ، كفارس والروم ؟ قال : « ومن الناس إلّا أولئك »[(٥)] .

وقال رسول الله ﷺ : « ليأتينَّ على أُمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملَّة ، وتفترق أُمّتي على ثلاثٍ وسبعين ملّة ، كلهم في النار ، إلّا ملّة واحدة ؛ ما أنا عليه وأصحابي »[(٦)] .

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجة عن أبي سعيد ، والحاكم عن أبي هريرة .

(٢) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٩٤٣) .

(٣) حسن : رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٤٣٩) .

(٤) صحيح : رواه أبو داود عن عائشة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٦٩) .

(٥) رواه البخاري عن أبي هريرة .

(٦) حسن : رواه الترمذي عن ابن عمرو ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٣٤٣) .

وقال ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة ، وسبعون في النار ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمدٍ بيده ، لتفترقن أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة ، واثنتان وسبعون في النار »[(١)] .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون في آخر الزمان دجّالون كذّابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإيّاكم وإيّاهم ، لا يُضلّونكم ولا يفتنونكم » .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا ، ثم قال : « هذا سبيل الله » . ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله ، وقال : « هذه سُبُلٌ على كلِّ سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه » . وقرأ : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتَّبِعُوه ولا تتَّبِعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتَّقون** ﴾. [الأنعام : ٦٣][(٢)].

وعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملّة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة ، وإنه سيخرج من أُمّتي أقوام تَجَارَى بهم تلك الأهواءُ كما يَتَجَارَى الكَلَبُ بصاحبه ، لا يبقى منه عِرق ولا مَفْصِل إلّا دَخَلَه »[(٣)].

---

(١) صحيح : رواه ابن ماجة عن عوف بن مالك ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٨٢) .

(٢) إسناده حسن . رواه أحمد والنسائي والدارمي والحاكم وصححه . وحسّن إسناده الألباني في التعليق على المشكاة ١/٥٩ .

(٣) إسناده صحيح . رواه أحمد وأبو داود . وقال الألباني : وسندهما صحيح .

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ضلّ قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه ، إلّا أُوتوا الجدل » . ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **ما ضربوه لك إلّا جدلًا بل هم قوم خصِمُون** ﴾[١] [الزخرف : ٥٨].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أبْغَضُ الرِّجال إلى الله الألَدُّ الخَصِم »[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المدينة حرام ، ما بين عَيْر إلى ثور ، فمن أحْدَثَ فيها حَدَثًا ، أو آوى محدثًا ، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صَرْفًا ولا عَدْلًا »[٣] .

هذا في المحدث المبتدع ، والذي يأويه لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وقال رسول الله ﷺ : « المِراءُ في القرآن كفر »[٤].

وعن أبي برزة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إنما أخشى عليكم شهوات الغيّ في بطونكم وفروجكم ، ومُضِلّات الهوى »[٥] .

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجة . وقال الألباني : سنده صحيح . انظر مشكاة المصابيح ١/٦٤ .

(٢) رواه البخاري وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي .

(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن علي ، ومسلم عن أبي هريرة ، ونحوه عن أنس رواه أحمد والبخاري ومسلم . ورواه الطيالسي وأبو نعيم والبيهقي في السنن .

(٤) صحيح . رواه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة ، وصححه الحاكم والألباني في صحيح الجامع رقم (٦٥٦٣) .

(٥) صحيح . رواه أحمد والطبراني في معاجمه الثلاثة . وقال المنذري : وبعض أسانيدهم رواته ثقات ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١/٢٥ .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وأما المُهلِكات ؛ فُشحٌّ مُطاع ، وهَوًى مُتَّبَعٌ ، وإعجاب المرء بنَفْسِه »(١) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله حَجَبَ التوبة عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ حتى يَدَعَ بدعته »(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أبى الله أن يقبل عَمَلَ صاحبِ بدعةٍ حتى يَدَع بدعته »(٣) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لكلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ ، ولكل شِرّةٍ فَتَرَةٌ ، فمن كانت فترتُه إلى سُنَّتي ، فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك ، فقد هلك »(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل عملٍ شِرَّة(٥)، ولكل شرّةٍ فَتْرةٌ ، فإن كان صاحبها سَدَّدَ أو قارَبَ فارْجُوهُ ، وإن أشِيرَ إليه بالأصابع ، فلا تعُدُّوه »(٦).

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ

---

(١) حسن . رواه البزار والبيهقي ، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب ١/٢٥ .

(٢) صحيح . رواه البـزار وقال المنذري : إسناده حسن . وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١/٢٥ .

(٣) صحيح . رواه ابن ماجة وابن أبي عاصم في « السنة » . وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١/٢٦ .

(٤) صحيح . رواه أحمد والطحاوي ، وابن حبان وابن أبي عاصم. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٢٦ .

(٥) الشِّرَّة : النشاط والهمّة .

(٦) صحيح . رواه الترمذي والطحاوي وابن حبان في صحيحه . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١/٢٦ .

يقول : « لقد تركتُكم على مثل البيضاءِ ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك »[١]. قال أبو عمران الجوني : ليت شعري ، أيّ شيءٍ علم ربنا من أهل الأهواء حين أوجب لهم النار .

من سار على المحجة البيضاء في الدنيا ، يسير على المرمرة البيضاء أرض الجنة في الآخرة ... واحدة بواحدة .

أنت القتيلُ بكُلِّ من أحْبَبْتَهُ فاخْتَرْ لنَفْسِكَ في الهوى مَنْ تَصْطَفِي

وعن أبي الدرداء قال : خرج رسول الله ﷺ علينا فقال : « وأيم الله لأتركنكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها سواء » . فقال أبو الدرداء : صدق الله ورسوله ، فقد تركنا على مثل البيضاء[٢].

وعن العرباض قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والبدع »[٣].

وعن العرباض رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ : « إياكم والمحدثات ؛ فإن كل محدثةٍ ضلالةٌ »[٤] .

وفي رواية : « إياكم ومحدثات الأمور ، فإنها ضلالة » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من الناس ناسًا مفاتيح للخير مغاليق للشر ، ومن الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفتاح الخير على يديه ، وويلٌ لمن جُعل مفتاح

---

(١) صحيح . رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وابن أبي عاصم . وقال المنذري : رواه ابن أبي عاصم بإسناد حسن . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٧/١ .

(٢) صحيح . أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » ٢٦/١ وصححه الألباني .

(٣) حديث حسن . رواه ابن أبي عاصم في « السنة » ٢٠/١ وحسَّنه الألباني .

(٤) حديث صحيح . رواه ابن أبي عاصم – واللفظ له – وابن حبان وابن ماجه ، وصححه الألباني في التعليق على « السنة » لابن أبي عاصم ١٧/١ .

الشر على يديه »[١] .

عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : والله ما أظن على ظهر الأرضَ اليوم أحدًا أحب إلى الشيطان هلاكًا مني . فقيل : وكيف ؟ فقال : والله إنه ليحدث البدعة في مشرقٍ أو مغربٍ ، فيحملها الرجل إليّ ، فإذا انتهت إليَّ قمعتها بالسنة ، فترد عليه كما أخرجه[٢] .

عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة عاقٌّ ولا مُكذِّبٌ بقَدَرٍ ولا مُدمِنُ خمرٍ »[٣] .

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صرفًا ولا عدلًا : عاقٌّ ، ومَنَّانٌ ومُكذِّبٌ بالقَدَر »[٤] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله تعالى إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم ، وإن ماتوا فلا تصلوا عليهم »[٥] .

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « القدرية مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم »[٦] .

---

(١) حديث حسن . رواه ابن أبي عاصم في « السنة » (١٢٧/١ - ١٢٨) وحسَّنه الألباني .

(٢) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ٥٥/١ .

(٣) حديث حسن . رواه ابن أبي عاصم واللفظ له ، وأحمد والبزار والطبراني وحسنه الألباني في التعليق على « السنة » لابن أبي عاصم ١٤١/١ .

(٤) إسناده حسن . رواه ابن أبي عاصم في « السنة » ١٤٢/١ وحسن إسناده الألباني .

(٥) حديث حسن . رواه ابن أبي عاصم في « السنة » واللفظ له ، وابن ماجه ، والطبراني في الصغير ، والآجري في الشريعة ، وحسنه الألباني .

(٦) حديث حسن . رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٥٠/١) وحسَّنه الألباني .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكلِّ أُمَّة مجوسًا ، وإن مجوس هذه الأمة القدرية ، فلا تعودوهم إذا مرضوا ، ولا تصلوا على جنائزهم إذا ماتوا »[١] .

وقال رسول الله ﷺ : « الخوارج كلابُ النار »[٢].

وقال ﷺ : « إن من ضئضىء هذا قومًا يقرءون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عادٍ »[٣] .

وقال ﷺ : « سيخرج في آخر الزمان قومٌ أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير البرية ، يقرءون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة »[٤] .

وقال ﷺ : « سيكون بعدي من أُمَّتي قومٌ يقرءون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم ، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق والخليقة سيماهم التحليق »[٥] .

* * *

---

(١) حديث صحيح . رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/١٥١) واللفظ له ، والآجري في الشريعة ، والدولابي في « الكنى » وصححه الألباني .

(٢) صحيح : رواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن ابن أبي أوفى ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٣٤٧) .

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد .

(٤) رواه البخاري ومسلم عن علي .

(٥) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه عن أبي ذر ورافع بن عمرو الغفاري .

□ نماذج من علوّ هِمَمِهم في اجتناب البدع وذَمّ أهلها والتحذير منها □

قال ابن الماجشون : سمعت مالكًا يقول : « من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنةً ، فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : ﴿ **اليوم أكملتُ لكم دِينَكُمْ** ﴾ [المائدة : ٣] فما لم يكن يومئذٍ دينا ، فلا يكون اليوم دينا » .

نعم ... لئن لم يسعنا ما وسع القوم ، فلا وسعتنا رحمة الله .

وعن حميد بن مهران قال : سألت الحسن : كيف يصنع أهل هذه الأهواء الخبيثة بهذه الآية في آل عمران ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيِّنات** ﴾ [آل عمران : ١٠٥] قال : نبذوها وربِّ الكعبة وراء ظهورهم .

وعن قتادة في قوله تعالى : ﴿ **كالذين تفرقوا واختلفوا** ﴾ يعني أهل البدع .

وعن ابن عباس في قوله : ﴿ **يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ** ﴾ [آل عمران : ١٠٦] قال : تبيض وجوه أهل السنة ، وتسود وجوه أهل البدعة .

قال تعالى : ﴿ **وأنَّ هذا صراطي مستقيمًا فاتَّبعوه ولا تتَّبِعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عن سبيله** ﴾ الآية [الأنعام : ١٥٣] .

قال بكر بن العلاء : أحسبه أراد شيطانًا من الإنس وهي البدع ، والله أعلم .

وعن مجاهد ، في قوله : ﴿ **ولا تتَّبعوا السُّبُل** ﴾ قال : البدع والشهوات .

وقال تعالى : ﴿ **وعلى الله قَصْدُ السبيل ومنها جائِرٌ ولو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ [النحل : ٩] .

قال التستري : ﴿ **قصد السبيل** ﴾ طريق السنة ، ﴿ **ومنها جائر** ﴾ يعني إلى النار ، وذلك الملل والبدع .

وجاء عن سفيان بن عيينة وأبي قلابة وغيرهما ، أنهم قالوا : كل صاحب بدعةٍ أو فريةٍ ذليلٌ . واستدلوا بقول الله تعالى : ﴿ **إن الذين اتَّخذوا العجل سينالهم غضبٌ من ربِّهم وذِلَّةٌ في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين** ﴾ [الأعراف : ١٥٢].

قال أبو الجوزاء – وذكر أصحاب الأهواء فقال –: والذي نفس أبي الجوزاء بيده ، لأن تمتلىء داري قردةً وخنازير ، أحب إليَّ من أن يجاورني رجلٌ منهم ، ولقد دخلوا في هذه الآية : ﴿ **ها أنتم أُولاءِ تُحبُّونهم ولا يُحبُّونكم وتُؤمنون بالكتاب كُلِّه** ﴾ الآية [آل عمران : ١١٩] .

وقال الحسن : « صاحب البدعة لا يزداد اجتهادًا ؛ صيامًا وصلاة ، إلا ازداد من الله بعدًا » .

وعن أبي إدريس الخولاني أنه قال : لأن أرى في المسجد نارًا لا أستطيع إطفاءها ، أحبُّ إليَّ من أن أرى فيه بدعةً لا أستطيع تغييرها .

وقال الفضيل بن عياض : اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين .

وقال الحسن : لا تجالس صاحب هوى ؛ فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك ، أو تخالفه فيمرض قلبك .

وعن أبي قلابة : « لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ، ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون » . قال أيوب : وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب .

وعنه أيضًا ، أنه كان يقول : « إن أهل الأهواء أهل ضلالةٍ ، ولا أرى مصيرهم إلَّا إلى النار » . وعنه : « ما ابتدع رجلٌ بدعةً إلا استحل السيف » .

وعن أيوب السختياني : ما ازداد صاحب بدعةٍ اجتهادًا ، إلا ازداد من الله بعدًا .

وعن سفيان قال : كان رجل فقيه يقول : ما أُحبّ أني هديت الناس كلهم وأضللت رجلًا واحدًا .

وكان ابن سيرين يرى أسرع الناس ردة أهل الأهواء .

وعن إبراهيم : لا تكلموهم ؛ إني أخاف أن ترتد قلوبكم .

وعن هشام بن حسان قال : لا يقبل الله من صاحب بدعةٍ صيامًا ولا صلاةً ، ولا حجًّا ولا جهادًا ولا عمرةً ، ولا صدقةً ولا عتقًا ، ولا صرفًا ولا عدلًا ، وليأتين على الناس زمانٌ يشتبه فيه الحق والباطل ، فإذا كان ذلك ، لم ينفع فيه دعاء إلا كدعاء الغرق .

وقال يحيى بن أبي كثير : إذا لقيت صاحب بدعةٍ في طريقٍ ، فخذ في طريق آخر .

وعن بعض السلف : من جالس صاحب بدعةٍ ، نزعت منه العصمة ، ووكل إلى نفسه .

وعن العوام بن حوشب ، أنه كان يقول لابنه : يا عيسى ، أصلح قلبك ، وأقلل مالك . وكان يقول : والله لأن أرى عيسى في مجالس أصحاب البرابط[1] والأشربة والباطل ، أحب إليَّ من أن أراه يجالس أصحاب الخصومات . قال ابن وضاح : يعني أهل البدع .

وقال يحيى بن أبي عمر الشيباني : كان يقال : يأبى الله لصاحبِ بدعةٍ توبةً ، وما انتقل صاحب بدعةٍ إلّا إلى شرٍّ منها .

وقال أبو العالية : إياكم وهذه الأهواء ، التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء . فحُدث الحسن بذلك فقال : رحمه الله ، صدق ونصح .

---

(١) البرابط : جمع بربط ، والبربط هو المزهر والعود ، وهو فارسيٌّ معرب .

وقال آخر : « أهل هذه الأهواء آفة أُمَّة محمد ﷺ ، إنهم يذكرون النبي ﷺ وأهل بيته ، فيتصيدون بهذا الذكر الحسن عند الجهال من الناس ، فيقذفون بهم في المهالك ، فما أشبههم بمن يسقي الصبر باسم العسل ! ومن يسقي السم القاتل باسم الترياق ! فأبصرهم ، فإنك إن لا تكن أصبحت في بحر الماء ، فقد أصبحت في بحر الأهواء ، الذي هو أعمق غورًا وأشد اضطرابًا ، وأكثر صواعق ، وأبعد مذهبًا من البحر وما فيه ، فَفُلك مطيتك التي تقطع بها سفر الضلال: اتباع السنة »(١) .

وقال ابن شبرمة :

إذا قلتُ جدُّوا في العبادة واصبروا ... أصرُّوا وقالوا لا الخصومةُ أفْضَلُ
خلافًا لأصحاب النبي وبدعةً ... وهُمْ لسبيل الحقِّ أعْمَى وأجْهَلُ

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير : لو كانت هذه الأهواء كلها هوًى واحدًا ، لقال القائل : الحق فيه . فلما تشعبت واختلفت ،عرف كل ذي عقلٍ أن الحق لا يتفرق .

وقال مالك بن أنس : الكلام في الدين كله أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه ، القدر ورأي جهمٍ وكل ما أشبه ، ولا أحب الكلام إلا فيما كان تحته عَمَلٌ ، فأما الكلام في الله ، فالسكوت عنه ؛ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلّا ما كان تحته عملٌ .

وقال مالك : مهما تلاعبت به من أمر شيء ، فلا تلاعبن بأمر دينك .

وقال الأوزاعي : إذا أراد الله بقومٍ شرًّا ، ألزمهم الجدل ، ومنعهم العمل .

---

(١) الاعتصام ١/٨٢ - ٨٦ .

وقال عبد الله بن المبارك : صاحب البدعة على وجهه الظلمة ، وإن ادَّهَنَ كل يومٍ ثلاثين مرَّةً .

وقال عطاء الخراساني : ما يكادَ الله أن يأذن لصاحب بدعةٍ بتوبةٍ .

وقال الحسن بن أبي الحسن : أبى الله تبارك وتعالى أن يأذن لصاحب هوًى بتوبةٍ .

وقال الحسن : ليس لصاحب بدعةٍ ولا لفاسقٍ يعلن بفسقه ، غيبةٌ .

وعن كثير بن أبي سهل : يقال : أهل الأهواء لا حرمة لهم[1].

« وقال الفضيل بن عياض : المؤمن يقف عند الشبهة ، ومن دخل على صاحب بدعةٍ فليست له حرمة ، وإذا أحب الله عبدًا ، وفقه لعملٍ صالحٍ ، فتقربوا إلى الله بحب المساكين .

وقال ابن المبارك : لم أر مالًا أحمق من مال صاحب بدعةٍ .

وقال : اللهم لا تجعل لصاحب بدعةٍ عندي يدًا ، فيحبه قلبي .

وقال ابن المبارك : يكون مجلسك مع المساكين ، وإياك أن تجالس صاحب بدعةٍ .

وقال الفضيل : من أتاه رجلٌ فشاوره ، فدله على مبتدعٍ ، فقد غش الإسلام ، واحذروا الدخول على أصحاب البدع ؛ فإنهم يصدون عن الحق .

وقال – رحمه الله –: لا تجلس مع صاحب بدعةٍ ، فإني أخاف أن ينزل عليك اللعنة .

وقال : لا تجلس مع صاحب بدعةٍ أحبط الله عمله ، وأخرج نور الإسلام من قلبه .

وقال : صاحب البدعة لا تأْمَنْه على دينك ، ولا تشاوره في أمرك ، ولا تجلس إليه ، فمن جلس إلى صاحب بدعةٍ ، ورَّثه الله العمى .

---

(١) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/١٤٠ - ١٥٠ .

وقال : إن لله ملائكةً يطلبون حلق الذكر ، فانظر مع من يكون مجلسك ؛ لا يكون مع صاحب بدعةٍ ؛ فإن الله لا ينظر إليهم ، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعةٍ .

وقال : الأرواح جنودٌ مجندةٌ ، ولا يمكن أن يكون صاحب سنةٍ يمالىء صاحب بدعةٍ إلا من النفاق .

وقال : أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنةٍ ، وينهون عن أصحاب البدع .

وقال : لا يرفع لصاحب بدعةٍ إلى الله عملٌ .

وقال عبد الله بن عمر السرخسي - عالم الخرز -: أكلت عند صاحب بدعةٍ أكلة ، فبلغ ذلك ابن المبارك فقال : لا كلمته ثلاثين يومًا .

وقال إبراهيم بن ميسرة : من وقر صاحب بدعةٍ ، فقد أعان على هدم الإسلام .

وقال يونس بن عبيد : لا تجالس سلطانًا ولا صاحب بدعة .

وقال محمد بن النضر الحارثي : من أصغى سمعه إلى صاحب بدعةٍ ، وهو يعلم أنه صاحب بدعة ، نزعت منه العصمة ، ووكل إلى نفسه .

وقال الثوري : إياك والأهواء والخصومة ، وإياك والسلطان .

وقال : المسلمون كلهم عندنا على حالةٍ حسنةٍ إلا رجلين : صاحب بدعة ، أو صاحب سلطان .

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيءٍ دون العامة ، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة »[١].

---

(١) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/١٣٥ - ١٤١ .

« قال معمر : كان ابن طاوس جالسًا ، فجاء رجلٌ من المعتزلة ، فجعل يتكلم . قال : فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أُذُنَيْه وقال لابنه : أي بني ، أدخل إصبعيك في أُذنيك ، واشدد ، لا تسمع من كلامه شيئًا . قال معمر : يعني أن القلب ضعيف »[١] .

وقال عبد الرزاق : قال لي إبراهيم بن أبي يحيى : إني أرى المعتزلة عندكم كثيرًا ! قلت : نعم ، وهم يزعمون أنك منهم . قال : أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أُكلِّمك ؟ قلت : لا . قال : ولم ؟ قلت : لأن القلب ضعيف ، وإن الدين ليس لمن غلب[٢] .

وقال الثوري : من سمع بدعةً فلا يحكها لجلسائه ، لا يلقيها في قلوبهم[٣] .

وقال أيوب : لست ترد عليهم بشيءٍ أشد من السكوت[٤] .

وقال عبد الله بن السري : ليس السنة عندنا أن يرد على أهل الأهواء ، ولكن السنة عندنا أن لا نكلم أحدًا منهم .

« وروي عن حنبل بن إسحاق بن حنبل ، أنه قال : كتب رجلٌ إلى أبي عبد الله - رحمه الله - كتابًا يستأذن فيه أن يضع كتابًا ، يشرح فيه الرد على أهل البدع ، وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم . فكتب إليه أبو عبد الله كتابًا فيه : الذي كنا نسمع ، وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم ، أنهم كانوا يكرهون الكلام ، والجلوس مع أهل الزيغ ، وإنما الأمر في التسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله أو سنة

---

(١) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني رقم ٢٠٠٩٩ .

(٢) الإبانة لابن بطة .

(٣) شرح السنة للبغوي ١/٢٢٧ .

(٤) الإبانة لابن بطة ٢/٣٦٥ - ٣٦٦ .

رسول الله ﷺ ، لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم ، فإنهم يلبسون عليك ، وهم لا يرجعون ، فالسلامة - إن شاء الله - في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم »[١] .

وعن إسماعيل بن خارجة قال : دخل رجلان من أهل الأهواء على محمد بن سيرين ، فقالا : يا أبا بكر ، نحدثك بحديثٍ ؟ قال : لا . قالا : فنقرأ عليك آيةً من كتاب الله ؟ قال : لا . قال : تقومان عني وإلّا قمت . فقام الرجلان فخرجا ، فقال بعض القوم : ما كان عليك أن يقرأا آية ؟ قال : إني كرهت أن يقرأا آية فيحرفانها ، فيقر ذلك في قلبي[٢] .

وقال الحسن البصري : أهل الهوى بمنزلة اليهود والنصارى .

وقال محمد بن سيرين : لو خرج الدجال لرأيت أنه سيتبعه أهل الأهواء .

وعن إبراهيم قال : إذا امتنع الإنسان من الشيطان ، قال : من أين آتيه ؟ قال : ثم قال : بلى آتيه من قبل الأهواء .

وعن الشعبي قال : إنما سميت الأهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار .

وقال أبو العالية : ما أدري أي الغنمين علي أعظم : إذا أخرجني الله من الشرك إلى الإسلام ، أو عصمني في الإسلام أن يكون لي فيه هوًى !! .

وعن الحسن ، أن رجلًا أتاه فقال : يا أبا سعيد ، إني أريد أن أخاصمك . فقال الحسن : إليك عني ، فإني قد عرفت ديني ، وإنما يخاصمك الشاك في دينه[٣] .

---

(١) الإبانة لابن بطة .

(٢) الشريعة للآجري ١/٥٧ .

(٣) رواه الآجري في الشريعة ص٥٧ ، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/١٢٩ .

وقال جعفر الباقر : إياكم والخصومات في الدين ؛ فإنها تشغل القلب وتورث النفاق .

وقال الأحنف بن قيس : كثرة الخصومة تنبت النفاق في القلب .

وقال معاوية بن قرة : إياكم وهذه الخصومات ؛ فإنها تحبط الأعمال .

وقال هرم بن حيان : صاحب الكلام على إحدى المنزلتين : إن قصر فيه خُصم ، وإن أعرق فيه أثم .

وقال الفضيل بن عياض : لا تجادلوا أهل الخصومات ؛ فإنهم يخوضون في آيات الله .

عن مجاهدٍ قال : قيل لابن عمر : إن نجدة[1] يقول كذا وكذا . فجعل لا يسمع منه كراهية أن يقع في قلبه منه شيءٌ .

وعن عبد الله بن خباب بن الأرت قال : بينما نحن في المسجد ، ونحن جلوسٌ مع قوم نقرأ السجدة ونبكي ، فأرسل إليَّ أبي ، فوجدته قد أحضر معه هراوة له ، فأقبل عليَّ ، فقلت : يا أبه،مالي مالي ؟ قال : ألم أرك جالسًا مع العمالقة[2]. ثم قال : هذا قرن خارجٌ الآن .

وعن عبد الله بن أبي الهذيل العنبري قال : كنا جلوسًا مع عبد الله ابن خباب بن الأرت ، وهو يقول : سبحوا كذا وكذا ، واحمدوا كذا وكذا ، وكبروا كذا وكذا . قال : فمر خبابٌ فنظر إليه ، ثم أرسل إليه فدعاه ، فأخذ السوط ، فجعل يضرب رأسه به ، وهو يقول : يا أبتاه ، فيم تضربني ؟! فقال : مع العمالقة ؟! هذا قرن الشيطان قد طلع أو قد

---

(١) هو نجدة بن عامر الحروري الخارجي .

(٢) العمالقة : يقال لمن يخدع الناس ويخلبهم عملاق ، والعملقة : التعمق في الكلام .

بزغ[١] .

وعن الضحاك قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يسجن القُصَّاصَ ومن يجلس إليهم .

وقال عمر بن العلاء اليماني لسفيان الثوري : يا أبا عبد الله ، أستقبل القاصّ ؟ فقال : وَلُّوا البدع ظهوركم[١].

« عن حميد الأعرج : قدم غيلان مكة يجاور بها ، فأتى غيلانُ مجاهدًا فقال : يا أبا الحجاج ، بلغني أنك تنهى عني وتذكرني ، بلغك عني شيءٌ لا أقوله ؟ إنما أقول كذا . فجاء بشيءٍ لا ينكر ، فلما قام قال مجاهد : لا تجالسوه ؛ فإنه قَدَرِيٌّ . قال حميد : فإنه يومًا في الطواف ، لحقني غيلان من خلفي يجذب ردائي ، فالتفت ، فقال : كيف يقول مجاهدٌ حرف كذا ؟ فأخبرته ، فمشى معي ، فبصر بي مجاهد معه ، فأتيته فجعلت أُكلمه ، فلا يرد علي ، وأسأله فلا يجيبني . قال : فغدوت إليه ، فوجدته على تلك الحال ، فقلت : يا أبا الحجاج ، أبلغك عني شيء ؟! ما أحدثت حدثًا ، ما لي ؟! قال : ألم أرك مع غيلان ، وقد نهيتكم أن تكلموه أو تجالسوه ؟! قال : قلت : يا أبا الحجاج ، ما أنكرت قولك ، وما بدأته ، هو بدأني . قال : والله يا حميد ، لولا أنك عندي مصدق ، ما نظرت لي في وجهٍ منبسطٍ ما عشت ، ولئن عدت ، لا تنظر لي في وجه منبسط ما عشت .

وعن أيوب : كنت يومًا عند محمد بن سيرين ، إذ جاء عمرو بن عبيد فدخل ، فلمّا جلس ، وضع محمدٌ يده في بطنه وقام ، فقلت لعمرو : انطلق بنا . قال : فخرجنا ، فلما مضى عمرو رجعت ، فقلت : يا أبا بكر ، قد فطنت إلى ما صنعت . قال : أقد فطنت ؟ قلت : نعم . قال : أما إنه

---

(١) البدع والنهي عنها لابن وضّاح القرطبي ص٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ .

لم يكن ليضمني معه سقف بيتٍ .

وعن أيوب : دخل رجلٌ على ابن سيرين ، فقال : يا أبا بكر ، أقرأ عليك آيةً من كتاب الله ، لا أزيد أن أقرأها ثم أخرج ؟ فوضع إصبعيه في أُذُنَيْه ثم قال : أعزم عليك ، إن كنت مسلمًا إلّا خرجت من بيتي . قال : فقال : يا أبا بكر ، لا أزيد على أن أقرأ الآية ، ثم أخرج . فقام لإزاره يشده ، وتهيأ للقيام ، فأقبلنا على الرجل ، فقلنا : قد عزم عليك إلَّا خرجت ، أفيحلُّ لك أن تخرج رجلًا من بيته ؟ قال : فخرج ، فقلنا : يا أبا بكر ، ما عليك لو قرأ آيةً ثم خرج ؟! قال : إني والله لو ظننت أن قلبي ثبت على ما هو عليه ، ما جاليت أن يقرأ ، ولكن خفت أن يلقي في قلبي شيئًا ، أجهد في إخراجه من قلبي فلا أستطيع .

روي عن ابن مسعود أنه قال : من أحب أنْ يكرم دينه ، فليعتزل مخالطة الشيطان ومجالسة أصحاب الأهواء ؛ فإن مجالستهم ألصق من الجرب .

وعن بعضهم قال : كنت أمشي مع عمرو بن عبيد ، فرآني ابن عونٍ ، فأعرض عني . وقيل : إنه دخل دار ابن عونٍ ، فسكت ابن عون لَمَّا رآه ، وسكت عمروٌ عنه فلم يسأله عن شيء ، فمكث هنيهةً ، ثم قال ابن عون : بم استحل أن دخل داري بغير إذني ؟! مرارًا يردِدها .

وعن مؤمّل بن إسماعيل قال : قال بعض أصحابنا لحماد بن زيد : ما لك لم ترو عن عبد الكريم إلَّا حديثًا واحدًا ؟ قال : ما أتيته إلّا مرة واحدة لمساقه في هذا الحديث ، وما أُحبُّ أن أيوبَ علم بإتياني له ، وأنّ لي كذا وكذا ، وإني لأظنه لو علم ، لكانت الفصيلة بيني وبينه .

وعن إبراهيم أنه قال لمحمد بن السائب : لا تقربنا ما دمت على رأيك هذا . وكان مرجِئًا .

وعن حماد بن زيد قال : لقيني سعيد بن جبير فقال : ألم أرك مع طلق ؟ قلت : بلى ، فما له ؟ قال : لا تجالسه ، فإنه مرجيء .

وعن محمد بن واسع قال : رأيت صفوان بن محرز وقريبٌ منه شيبةُ ، فرآهما يتجادلان ، فرأيته قائمًا ينفض ثيابه ، ويقول : إنما أنتم جُرب .

وعن الأوزاعي : لا تكلموا صاحب بدعةٍ من جدلٍ ، فيورث قلوبكم من فتنته »[١] .

وقال أبو يوسف لبشر المريسي : يا بشر ، إما أن تتوب أو تفسد علينا خشبة .

وروى مسلم « عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين ، فقلنا : لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر،فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي ، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرءون القرآن ويتقفرون العلم . وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف . قال : فإذا لقيت أولئك ، فأخبرهم أني بريءٌ منهم ، وأنهم براء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر ، لو أن لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهبًا فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر »[٢] .

وانظر إلى جعد بن درهـم ، وهو أول من تفوه بكلمةٍ خبيثةٍ في

---

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/٢٧٦ - ٢٧٨ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، أول حديث في صحيح مسلم .

الاعتقاد ، ونفى صفات الله ، وقال بخلق القرآن ، وأنكر أن يكون الله قد تكلم به ، وقال : إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا . فذبحه خالد بن عبد الله القسري أميرَ العراق بواسط ، في يوم الأضحى حيث قال : « أيها الناس ، اذهبوا إلى أضاحيكم ، يتقبل الله منكم ، فإنِّي مضحٍّ بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ، ولا كلم موسى تكليمًا » . ثم نزل فذبحه ، وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من التابعين ، فشكر له صنيعه أهل السنة والجماعة .

شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صاحِبِ سُنَّةٍ ... للهِ دَرُّك مِنْ أخي قُرْبانِ

وانظر إلى أُسِّ الضلالة ورأس الجهمية : جهم بن صفوان ، الذي تبنى آراء الجعد ، وزاد عليها بدعًا أُخرى :

قال عنه إبراهيم بن طهمان : ما ذكرته ، ولا ذكر عندي إلّا دعوت الله عليه ، ما أعظم ما أورث أهل القبلة من منطقه العظيم .

لما أسر الجهم وأوقف بين يدي سلم بن أحوز ، فأمر بقتله ؛ لإنكاره أن الله كلم موسى ، فقال : إن لي أمانًا من أبيك . فقال : ما كان له أن يؤمنك ، ولو فعل ما أمنتك ، ولو ملأت هذه الملاءة كواكب ، ما نجوت ، والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك . وأمر ابن ميسر فقتله . وفي رواية ابن جرير : وأبرأك إلَيَّ عيسى بن مريم ، ما نجوت[1] .

وأحمد بن أبي دؤاد الإيادي ، الذي جر البلاد إلى محنة خلق القرآن ، وأهان علماء الأُمَّة ، وتكلم في عقيدة أهل السنة ، دعا عليه الإمام أحمد ، فحبسه الله في جسده ، فدخل عليه عبد العزيز الكناني وقال له : لم آتك عائدًا ، بل لأحمد الله أن سجنك في جلدك[2].

---

(١) البداية والنهاية (٢٨/١٠) ، تاريخ الطبري ٢٩٥/٤ ، سير أعلام النبلاء ٢٧/٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧٠/١١ - ١٧١ .

قال الخطيب البغدادي : « لما مات بشر بن غياث المريسي ، لم يشهد جنازته من أهل العلم والسنة أحد إلَّا عبيد الشونيزي ، فلما رجع من جنازته ، أقبل عليه أهل السنة والجماعة ، وقالوا له : يا عدو الله ، تنتحل السنة ، وتشهد جنازة المريسي ؟! فقال : أنظروني حتى أُخبركم ، ما شهدت جنازةً رجوت بها من الأجر ، ما رجوت في شهود جنازته ؛ لما وضع في موضع الجنائز ، قمت في الصف فقلت : اللهم إن عبدك هذا كان لا يؤمن برؤيتك في الآخرة ، اللهم فاحجبه عن النظر إلى وجهك يوم ينظر المؤمنون إليك ، اللهم عبدك هذا كان لا يؤمن بعذاب القبر ، اللهم فعذبه اليوم في قبره عذابًا لم تعذبه أحدًا من العالمين ، اللهم عبدك هذا كان ينكر الميزان ، اللهم فخفف ميزانه يوم القيامة ، اللهم عبدك هذا كان ينكر الشفاعة ، اللهم فلا تشفع فيه أحدًا من خلقك يوم القيامة . قال فسكتوا عنه وضحكوا »(١) .

ذَمُّ الرَّأْيِ :

وهو الرأي المذموم غير المبني على أُسٍّ من كتاب ولا سُنَّةٍ .

قال ﷺ : « إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالمًا ، اتخذ الناس رؤساء جهالًا ، فسئلوا فأفتوا بغير علمٍ ، فضلوا وأضلوا »(٢) .

وعند ابن عبد البر في التمهيد : « فيبقى ناسٌ جهالٌ يُستفتون ، فيفتون برأيهم فيضلون ويُضلون » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينزع العلم منكم بعدما أعطاكموه انتزاعًا ، ولكن يقبض العلماء بعلمهم ،

---

(١) تاريخ بغداد ٦٦/٧ .

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن عمرو .

ويبقى جهالٌ ، فيسألون فيفتون ، فيضلون ويُضلون »[١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : من أحدث رأيًا ليس في كتاب الله ، ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ ، لم يدر ما هو عليه إذا لقي الله عز وجل .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه : قراؤكم يذهبون ، ويتخذ الناس رؤساء جهالًا يقيسون الأمور برأيهم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : السنة ما سنه الله ورسوله ، لا تجعلوا حظ الرأي سنة للأمة .

وعن عروة بن الزبير : لم يزل أمر بني إسرائيل مستقيمًا حتى أدرك فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم ، فأخذوا بالرأي ، فأضلوا بني إسرائيل .

وعن الشعبي : إنما هلكتم حين تركتم الآثار وأخذتم بالمقاييس .

وعن الحسن : إنما هلك من كان قبلكم حين شعبت بهم السبل ، وحادوا عن الطريق ، فتركوا الآثار ، وقالوا في الدين برأيهم ، فضلوا وأضلوا .

وعن دراج بن السهم بن أسمح : يأتي على الناس زمانٌ يسمن الرجل راحلته حتى تعقد شحمًا ، ثم يسير عليها في الأمصار حتى تعود نقضًا ، يلتمس من يفتيه بسنةٍ قد عمل بها ، فلا يجد إلا من يفتيه بالظن .

وقال أبو بكر بن أبي داود : أهل الرأي هم أهل البدع . وقال :

وَدَعْ عنك آراءَ الرِّجالِ وقَوْلَهُم ... فقَوْلُ رسول الله أزْكَى وأشْرَحُ

وقال مسروق : من رغب برأيه عن أمر الله يضل .

وقال الشافعي : « من استحسن فقد شرع » .

---

(١) حسن . رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٥٧) .

والرأي المذموم يشمل البدع المحدثة في الاعتقاد ، ويشمل أيضًا العمليات ... وإعمال النظر العقلي مع طرح السنن : إما قصدًا أو غلطًا وجهلًا .

قال أبو الزناد : « وأيم الله إن كنا لنلتقط السنن من أهل الفقه والثقة ، ونتعلمها شبيهًا بتعلمنا آي القرآن ، وما برح من أدركنا من أهل الفقه والفضل من خيار أولية الناس ، يعيبون أهل الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي ، وينهون عن لقائهم ومجالستهم ، ويحذروننا مقاربتهم أشد التحْذير ، ويخبرون أنهم أهل ضلالٍ وتحريفٍ لتأويل كتاب الله وسنن رسوله ، وما توفي رسول الله ﷺ حتى كره المسائل وناحية التنقيب والبحث ، وزجر عن ذلك ، وحذره المسلمين في غير موطنٍ ، حتى كان من قوله كراهية لذلك : « ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيءٍ فخذوا منه ما استطعتم » .

فعليكم بالسنن والآثار .. وترك ومجانبة أهل البدع الأشرار ، وعليكم بطريق الصحابة الأبرار .

قال ابن مسعود : من كان منكم متأسّيًا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، وأقومها هديًا ، وأحسنها خلالًا ، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم » .

وأخيـــرًا :

يا قومنا أجيبوا داعي الله .

قال ابن القيم : « أسمع - والله - لو صادف آذانًا واعية ، وبصّر لو

صادف قلوبًا من الفساد خالية . لكن عصفت على القلوب هذه الأهواء ، فأطفأت مصابيحها ، وتمكنت منها آراء الرجال ، فأغلقت أبوابها وأضاعت مفاتيحها ، وران عليها كسبها فلم تجد حقائق القرآن إليها منفذًا ، وتحكمت فيها أسقام الجهل ، فلم تنتفع معها بصالح العمل .

واعجبًا لها ! كيف جعلت غذاءها من هذه الآراء التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، ولم تقبل الاغتذاء بكلام رب العالمين ، ونصوص حديث نبيه المرفوع ؟! أم كيف اهتدت في ظلَم الآراء إلى التمييز بين الخطأ والصواب ، وخفي عليها ذلك في مطالع الأنوار من السنة والكتاب ؟! .

واعجبا ! كيف ميزت بين صحيح الآراء وسقيمها ، ومقبولها ومردودها ، وراجحها ومرجوحها ، وأقرت على أنفسها بالعجز عن تلقي الهدى والعلم من كلام من كلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو الكفيل بإيضاح الحق مع غاية البيان ، وكلام من أُوتي جوامع الكلم ، واستولى كلامه على الأقصى من البيان ؟!.

كلا ، بل هي والله فتنة أعمت القلوب عن مواقع رشدها ، وحيرت العقول عن طرائق قصدها ، يربى فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير .

وظنت خفافيش البصائر أنها الغاية التي يتسابق إليها المتسابقون ، والنهاية التي تنافس فيها المنافسون ، وتزاحموا عليها ، وهيهات ، أين السهى من شمس الضحى ؟! وأين الثرى من كواكب الجوزاء ؟! وأين الكلام الذي لم تضمن لنا عصمة قائله بدليلٍ معلومٍ ، من النقل المصدق عن القائل المعصوم ؟! وأين الأقوال التي أعلا درجاتها : أن تكون سائغة الاتباع ، من النصوص الواجب على كل مسلمٍ تقديمها وتحكيمها والتحاكم إليها في محل النزاع ؟! وأين الآراء التي نهى قائلها عن تقليده فيها وحذر ، من النصوص التي فرض على كل عبدٍ أن يهتدي بها

ويتبصر ؟! وأين المذاهب التي إذا مات أريها فهي من جملة الأموات ، من النصوص التي لا تزول إذا زالت الأرض والسموات ؟! .

سبحان الله ! ماذا حرم المعرضون عن نصوص الوحي واقتباس العلم من مشكاته - من كنوز الذخائر ؟! وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر ؟! قنعوا بأقوال استنبطتها معاول الآراء فكرا ، وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زبرا ، وأوحى بعضهم إلى بعضٍ زخرف القول غرورًا ، فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجورًا .

درست معالم القرآن في قلوبهم ، فليسوا يعرفونها . ودثرت معاهده عندهم ، فليسوا يعمرونها . ووقعت ألويته وأعلامه من أيديهم ، فليسوا يرفعونها . وأفلت كواكبه النيرة من آفاق نفوسهم ، فلذلك لا يحبونها . وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وعقدها ، فليسوا يبصرونها .

خلعوا نصوص الوحي عن سلطان الحقيقة ، وعزلوها عن ولاية اليقين . وشنوا عليها غارات التأويلات الباطلة ، فلا يزال يخرج عليها من جيوشهم كمينٌ بعد كمين ، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لئام ، فعاملوها بغير ما يليق بها من الإجلال والإكرام ، وتلقوها من بعيد ، ولكن بالدفع في صدورها والأعجاز . وقالوا : ما لك عندنا من عبور ، وإن كان ولا بد ، فعلى سبيل الاجتياز . أنزلوا النصوص منزلة الخليفة في هذا الزمان ؛ له السّكة والخطبة ، وما له حكم نافذ ولا سلطان . المتمسك عندهم بالكتاب والسنة صاحب ظواهر ، مبخوس حظه من المعقول . والمقلد للآراء المتناقضة المتعارضة ، والأفكار المتهافتة لديهم هو الفاضل المقبول . وأهل الكتاب والسنة ، المقدمون لنصوصها على غيرها ، جهال لديهم منقوصون . ﴿ **وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناسُ قالوا أنؤمنُ كما آمنَ السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** ﴾ [البقرة : ١٣].

حرموا - والله - الوصول ، بعدولهم عن منهج الوحي ، وتضييعهم الأصول . وتمسكوا بأعجاز لا صدور لها ، فخانتهم أحرص ما كانوا عليها ، وتقطعت بهم أسبابها أحوج ما كانوا إليها ، حتى إذا بعثر ما في القبور ، وحصل ما في الصدور ، وتميز لكل قومٍ حاصلهم الذي حصلوه ، وانكشفت لهم حقيقة ما اعتقدوه ، وقدموا على ما قدموه ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾ [الزمر : ٤٧] وسقط في أيديهم عند الحصاد لَمَّا عاينوا غلة ما بذروه .

فيا شدة الحسرة عندما يعاين المبطل سعيه وكده هباءً منثورًا ، ويا عظم المصيبة عندما يتبين بوارق أمانيه خلبًا ، وآماله كاذبة غرورًا . فما ظن من انطوت سريرته على البدعة والهوى ، والتعصب للآراء ، بربه يوم تبلى السرائر ؟ وما عذر من نبذ الوحيين وراء ظهره في يوم لا تنفع الظالمين فيه المعاذر ؟ .

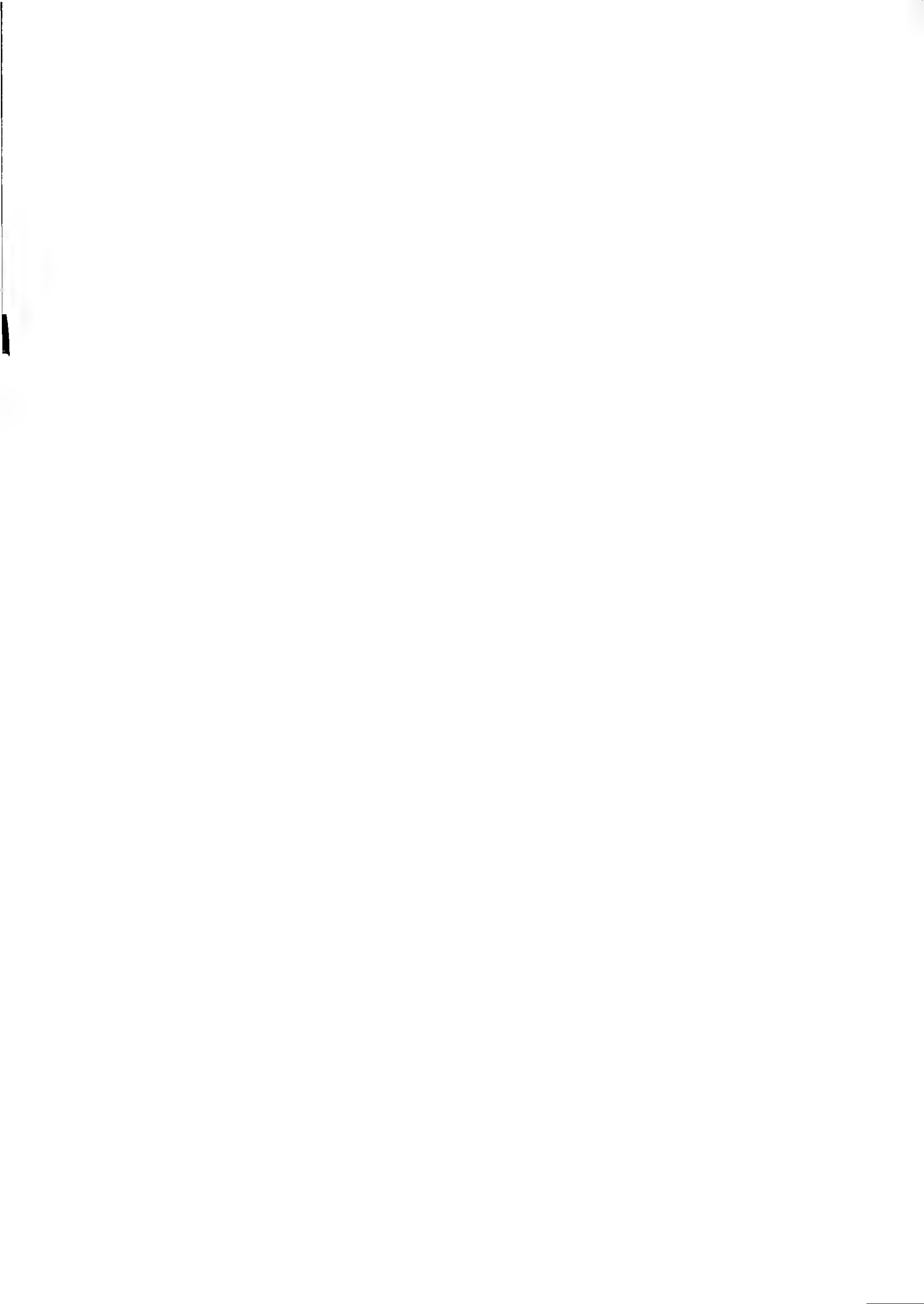
أفيظن المعرض عن كتاب ربه وسنة رسوله ، أن ينجو من ربه بآراءِ الرجال ؟! أو يتخلص من بأس الله بكثرة البحوث والجدال ، وضروب الأقيسة وتنوع الأشكال ؟! أو بالإشارات والشطحات ، وأنواع الخيال ؟! .

هيهات والله ، لقد ظن أكذب الظن ، ومنّته نفسه أبين المحال . وإنما ضمنت النجاة لمن حكّم هدي الله على غيره ، وتزود التقوى وائتمَّ بالدليل ، وسلك الصراط المستقيم ، واستمسك من الوحي بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، والله سميع عليم .

* * *

الفصْلُ الثَّالث

عُلُوّ الهمة في الصَّلاة



□ عُلُوّ الهمّة في الصَّلاة □

العبادة على رؤوس العباد أحلى من التيجان على رؤوس الملوك ... وإذا سئم البطالون من بطالتهم ، فلن يسأم العباد من عبادة ربهم ومناجاتهم ... فهي دواء الجنون ، كما قال أبو مسلم الخولاني لرجلٍ لما رآه كثير الذكر ، فقال له الرجل : أمجنون أنت ؟ فقال أبو مسلم : هذا دواء الجنون .

فرحم الله رجالًا نصبوا أبدانهم لخدمة مولاهم ... وكابدوا العبادة حتى استمتعوا بها .

يقول ثابت البناني وعتبة الغلام : كابدت الصلاة عشرين سنةً واستمتعت بها عشرين سنة .

إذا أقبل وقت الطاعة اشتاقوا إليها ... وحنت أرواحهم للقيام بها ، ورأوا الفوائد تأتي فيها كما قال السري : « رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل » فسبحان من أعانهم ووفقهم ، وعلَّى هممهم حتى حطت فوق الشمس ، وكم اشتاق الناس إلى سماع سيرهم وأخبارهم .

تتنوع بساتين عباداتهم من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وذكرٍ وتصدقٍ ، وتعرف البشرية وتشرف وتتعطر صفحاتها بذكر قمم العبادة ، وسادات العباد من الصحابة فمن بعدهم .. وبذكرهم تطيب المجالس : عمر بن الخطاب وابنه وعثمان وعبد الله بن عمرو وتميم الداري ، وأُويس القرني وأبو مسلم الخولاني وسليمان التيمي ومسلم بن يسار ومنصور بن المعتمر ووكيع وشعبة والأوزاعي وابن حنبل وبشر بن الحارث وعبد الله بن وهب والجنيد والثوري والنووي وابن قيم الجوزية وغيرهم وغيرهم .

ولو أردنا أن نذكر أخبار العباد وعباداتهم ، لاستغرق ذلك المجلدات ، ولكننا نشير إلى قممهم ممن علت هممهم ، ونقطف من بستان كلٍّ منهم زهرة ، نستنشق عبيرها .. فتنقلنا بعيدًا بعيدًا عن هجير دنيانا الكالح .. أين

منا صوام النهار ورجال الليل .. أين ابن أدهم والفضيل .. ذهب الأبطال وبقي كل بطال .. ذهب السادة وبقي قرناء الحشاء والوسادة .

نَزَلُوا بمكةَ في قبائلِ هاشمٍ   ونزلتُ بالبيداءِ أبْعَد منزِلِ

* * *

□ فـائـــدةٌ هامَّــة □

سنَسرد بعد قليلٍ أخبار جملةٍ من الصحابة والتابعين وتبعهم من الفقهاء والمحدثين والأئمة المجتهدين ، قد جاهدوا في العبادة حق الجهاد ، واجتهدوا في التعبد غاية الاجتهاد ، ففازوا بأعلى النصيب أيّ نصيبٍ ، وصاروا بحيث تنزل بذكرهم الرحمة ، وتندفع بسماع أخبارهم الزحمة .

وقد طالعت كتب التاريخ والتراجم لأئمة هذا الفن ، ونقلنا عنهم ، والذاكرون لهذه المناقب ليسوا ممن لا يعتمد عليه ، أو ممن لا يكون حجة في النقل ، بل هم أئمة الإسلام وعمد الأنام ، الذين يرجع إلى أقوالهم في المهمات ؛ كأبي نعيم وابن كثير والسمعاني وابن حجر العسقلاني والسيوطي والنووي وإمام الجرح والتعديل شيخ الإسلام الذهبي ، ومن يحذو حذوهم ، وهم أهل الحيطة والنقد . ويكفي الذهبي .

وإن قال قائل : بعض المجاهدات مما لا يعقل وقوعها . فأقول : إن صح السند ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .. ومدمن القرع للأبواب سيلج .

ومثل هذه الاجتهادات ليست ببدعةٍ وضلالة ؛ لوجوه :

الأول : أنه قد وجد الاجتهاد في العبادة حسب الطاقة من الصحابة وتبع التابعين من غير إنكار أحدٍ منهم ؛ ولا يصح أن تنسب إليهم البدعة المنكرة .

الثاني : بعض الخلفاء الراشدين فعل بعض هذه الاجتهادات ، وهذا دليل أنه سنة .

الثالث : صدور مثل هذه الاجتهادات من المجتهدين ، ولا ينسبون إلى الضلالة بالإجمال .

الرابع : أن أجلة المؤرخين ، الذين هم المعتمد عليهم بين المسلمين ،

وقد اشتهر ورعهم في الدين ، وتحرزهم عن الابتداع في الدين ، **قد** أوردوا في تصانيفهم في تراجم العلماء ذكر اجتهادهم في العبادة ، وأدرجوا ذلك مدرج المدح والجلالة ، وهذا أدل دليل على أنه ليس ببدعةٍ عندهم ، فإن المدح بما هو بدعةٌ ليس من شأن العلماء .

الوجه الخامس : ثبوت الاجتهاد في العبادة عنه ﷺ .. بل هو سيد المجتهدين علىٰ الإطلاق وزينهم وفخرهم « وأيهم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق » . ولو لم يكن إلّا قيامه ﷺ الليل حتى ترم قدماه وتزلع ، لكان كافيًا .

قال ابن بطال : في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة ، وإن أضر ذلك ببدنه ؛ لأنه ﷺ إذا فعل ذلك ، مع علمه بما سبق له ، فكيف بمن لم يعلم ذلك ؟ فضلًا عمن لم يأمن أنه استحق النار .

ومحله - كما قال الحافظ ابن حجر - ما لم يفض إلى الملال ؛ لأن النبي ﷺ كان أكمل الأحوال ، فكان لا يمل من عبادة ربه ، وإن أضر ذلك ببدنه .

وقد ثبت إحياء الليل من النبي ﷺ،وهو سهر الليل كله للعبادة .

قال النووي : أي استغرقه بالسهر بالصلاة وغيرها .

فنفي عائشة قيام الليل كله « لا أعلم نبي الله قرأ القرآن كله في ليلة ، ولا صلى ليلةً إلى الصبح » محمولٌ على غالب أوقاته ﷺ . وكذلك خبر الزيادة على إحدى عشرة ركعة ، محمول على ما هو الأغلب ، وإلَّا فقد ثبت بروايات متعددةٍ الزيادة على ذلك . ورضي الله عن عائشة القائلة : « وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع ؟ » .

السادس : أنه قد أجاز النبي ﷺ العبادة على حسب الطاقة .

فقال ﷺ : « اكلفوا من العمل ما تطيقون ؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا »[1] .

---

(١) صحيح . رواه أبو داود ، ورواه مسلم بنحو هذا اللفظ .

وأخرج البخاري عن عائشة مرفوعًا : « عليكم ما تطيقون من الأعمال ، فإن الله لا يملّ حتى تملّوا » .

والنفوس مختلفة في الطاقة ، فمن أطاق كثرة العبادة من دون حصول مَلَلٍ ، يجوز له ذلك ، والله تعالى خلق بعض النفوس ذوَّاقةً شوَّاقةً ، لها تشبُّهٌ بالملائكة الذين لا يفترون عن العبادة ، فمن حصل لنفسه التذاذٌ بشيءٍ ، لم يحصل له بكثرته ملالٌ أصلًا ، ومن لم يلتذ بشيءٍ ، حصل له بكثرته ملالٌ .

فالحاصل أن السلف الماضين اختاروا العزائم في أنفسهم ؛ لأنهم أهل الهمم والعزائم ، وكانوا معترفين بصحة الرخص الشرعية ، يفتون بها للعامة ، ويحرضونهم على فعلها .

« فالاجتهاد في العبادة جائزٌ بعشرة شروط :

الأول : أن لا يحصل له مللٌ يفقده لذة العبادة ؛ بدليل : « ليصل أحدكم نشاطه » .

الثاني : أن يكثر حسب طاقته ، ودليله : « عليكم من الأعمال ما تطيقون » .

الثالث : أن لا يفوت ما هو أهم ، ويدل عليه قول عمر رضي الله عنه : « لأن أشهد الصبح في جماعةٍ ، أحبُّ إليَّ من أن أقوم ليلةً » .

الرابع : أن لا يضيع حقًّا شرعيًّا ، كما حصل لابن عمرو وأبي الدرداء .

الخامس : أن لا يبطل رخصةً شرعية ، كما ظن الرهط الذين تقالّوا عمل النبي ﷺ في بيته .

السادس : أن لا يوجب ما ليس بواجبٍ شرعيٍّ ، كما أوجب ابن مظعون على نفسه .

السابع : أن يأتي بالعبادة المجتهد فيها بتمامها ، بدليل : « لا يفقه من

قرأ القرآن في أقل من ثلاثٍ » .

الثامن : أن يداوم على ما يختاره من العبادة ؛ بدليل : « أحب الأعمال إلى الله أدومها » .

التاسع : أن لا يجتهد بحيث يورث الملل لغيره ، أخذًا بحديث : « إذا صلى أحدكم فليخفف » .

العاشر : أن لا يعتقد أنه أفضل عملًا مما كان عليه ﷺ من تقليل العمل تشريعًا لأمته حتى لا يفرض عليهم »[1] .

ثم نختم بكلامٍ نفيسٍ للشاطبي ، وبعده نشرع في عبادة ومناقب أرباب الكمال ، واللطائف الشريفة والشرائف اللطيفة.. نصرة لعلاة الهمم من العابدين ، ودفعًا لطعن الخامدين .. ومن ذاق عرف .

إن الصلاة عماد الدين ، وعصام اليقين ، ورأس القربات ، وغرة الطاعات ، عمر الله بأنوارها قلوب العباد ، بفتح الباب ، ورفع الحجاب ، ورخص للعباد في المناجاة بالصلوات ، كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات .

هي المعين الذي لا ينضب ، والزاد الذي يزود القلب ، إنها مفتاح الكنز الذي يغني ويقني ويفيض ، إنها الروح والندى والظلال في الهاجرة ، إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود ، إنها زاد الطريق ، ومدد الروح وجلاء القلب ، إنها العبادة التي تفتح القلب ، وتوثق الصلة ، وتيسر الأمر ، وتشرق بالنور ، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان .

حين تستشعر القلوب رهبة الموقف في الصلاة بين يدي الله ، فتسكن وتخشع ، ويسري الخشوع منها إلى الجوارح والملامح والحركات ، ويغشى

---

(١) انظر « إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة » للكنوي تحقيق أبي غدة – نشر مكتب المطبوعات الإسلامية – الطبعة الثانية .

الأرواح أنوار الجلال في حضرة الله ، وتختفي من الأذهان جميع الشواغل ، فلا تشتغل بغير ربها ، وتستغرق في الشعور به ، وتشغل بنجواه - يتوارى عن الحسِّ كل ما حوله وكل ما به ، فلا يتذوق العبد إلا معنى الوقوف في تلك الحضرة القدسية ، ومناجاة الذات العلية ، فتجد الروح طريقها ، ويعرف القلب الموحش مثواه .

بدأت صفات المؤمنين بالصلاة وختمت بالصلاة ؛ لعظيم مكانها في بناء الإيمان ، بوصفها أكمل صورةٍ من صور العبادة .

قال ﷺ : « الصلاة خير موضوعٍ ، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر »[(١)] .

« لأن بها تبدو قوة الإيمان في شهود ملازمة خدمة الأركان ، ومن كان أقواهم إيمانًا كان أكثرهم وأطولهم صلاةً وقنوتًا وإيقانًا »[(٢)].

« وأي دعوة تريد أن تستقيم إلى الله فعليها أن تدلف من باب الاستقامة ، وبابها المحراب »[(٣)].

« وسجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة : سيماء يحتكرها المؤمنون .. ولئن توهم الدنيوي جناته في الدينار ، والنساء ، والقصر المنيف ، فإن جنة المؤمن في محرابه »[(٤)]. في خلوته بربه .

« يصلي ما كتب الله له صلاة محبٍّ ناصح لمحبوبه ، متذلل منكسر

---

(١) حسن . رواه أحمد وابن حبان والحاكم في صحيحه عن أبي ذر . ورواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ، وحسن الحديث الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٦٤) .

(٢) المناوي في فيض القدير ٤/٢٤٧ .

(٣) الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص١٥ .

(٤) الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص٢٧ .

بين يديه ، لا صلاة مدلٍّ بها عليه ، يرى من أعظم نعم محبوبه عليه أن استزاره وطرد غيره ، وأهَّله وحَرَم غيره ، فهو يزداد بذلك محبةً إلى محبته ، ويرى أن قرة عينه وحياة قلبه ، وجنة روحه ، ونعيمه ولذته وسروره ، في تلك الصلاة ، فهو يتمنى طولها ، ويهتم بفراقها ، كما يتمنى المحب الفائز بوصول محبوبه ذلك ، فهو كما قيل :

يَوَدُّ أنَّ ظلامَ الليلِ دَامَ لـه وزِيدَ فيه سَوَادُ القلبِ والبَصَرِ

فهو يتملق فيها مولاه تملق المحب لمحبوبه العزيز الرحيم ، ويناجيه بكلامه ، معطيًا لكل آية حظها من العبودية ، فتجذب قلبه وروحه إليه آيات المحبة والوداد ، والآيات التي فيها الأسماء والصفات ، والآيات التي تعرف بها إلى عباده بآلائه وإنعامه عليهم وإحسانه إليهم ، وتطيب له السير آيات الرجاء والرحمة وسعة البر والمغفرة ، فتكون له بمنزلة الحادي الذي يطيب له السير ويهونه ، وتقلقه آيات الخوف والعدل والانتقام وإحلال غضبه بالمعرضين عنه ، العادلين به غيره ، المائلين إلى سواه ، فيجمعه عليه ويمنعه أن يشرد قلبه عنه .

وبالجملة فيشاهد المتكلم سبحانه وقد تجلى في كلامه ، ويعطي كل آية حظها من عبودية قلبه الخاصة الزائدة على مجرد تلاوتها والتصديق بأنها كلام الله ، بل الزائدة على نفس فهمها ومعرفة المراد منها . ثم شأنٌ آخر ، لو فطن له العبد لعلم أنه كان قبل يلعب ، كما قيل :

وكنتُ أري أن قد تَنَاهى بَي الهَوَى إلى غايةٍ ما بَعْـدَهَا لي مَذْهَـبُ
فلمَّا تـلاقَيْنَـا وعاينـتُ حُسْنَهَـا تَيَقَّنْتُ أني إنَّمـا كُنـتُ ألْعَـبُ

فواأسفاه وواحسرتاه ، كيف ينقضي الزمان وينفد العمر والقلب محجوبٌ ، ما شم لهذا رائحةً ، وخرج من الدنيا كما دخل إليها ، وما ذاق أطيب ما فيها ، بل عاش فيها عيش البهائم ، وانتقل منها انتقال

المفاليس . فكانت حياته عجزًا ، وموته كمدًا ، ومعاده حسرةً وأسفًا »[١] .

يا ابن آدم ، أي شيءٍ يعزُّ عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك .. الصلاة مكيال ... وقد علمت ما قال الله في المطففين . إن كان الله قد توعد المطففين في مكيال الدنيا بالويل .... فما ظنكم بالمطففين في مكيال الدين ... ألا بعدًا لمدين كما بعدت ثمود .

قال رسول الله ﷺ : « أسرق الناس الذي يسرق صلاته ، لا يتم ركوعها ولا سجودها ، وأبخل الناس من بخل بالسلام » .

وهذه أحاديث ساقها الحبيب البشير النذير ﷺ ، تعلو بها الهمم في الصلاة والمحافظة عليها والخشوع فيها والإتيان بالنوافل .

ومن علوّ الهمّة : التَّسوُّك وإسْباغُ الوضوء ، ومُشابَهَة وضوء النبي ﷺ :

قال ﷺ : « استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلَّا مؤمن »[٢] .

وقال ﷺ : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخُطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط »[٣] .

وقال ﷺ : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء »[٤] .

وقال ﷺ : « ما من مسلمٍ يتوضأ ، فيحسن وضوءه ، ثم يقوم فيصلي ركعتين ؛ يقبل عليهما بقلبه ووجهه ، إلَّا وجبت له الجنة »[٥] .

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص٢٠٥ .

(٢) صحيح : رواه أحمد وابن ماجة ، والبيهقي والطبراني في الكبير عن ثوبان وابن عمرو وسلمة .

(٣) رواه مسلم ومالك وأحمد والترمذي والنسائي عن أبي هريرة .

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة .

(٥) رواه مسلم وأبو داود عن عقبة بن عامر .

وقال ﷺ : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلى ركعتين ، لا يسهو فيهما ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه »[١] .

وقال ﷺ : « من توضأ مثل وضوئي هذا ، ثم قام فصلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه بشيءٍ ، غفر له ما تقدم من ذنبه »[٢].

وقال ﷺ : « إذا قام الرجل يتوضأ ليلًا أو نهارًا ، فأحسن الوضوء واستن[٣]، ثم قام فصلى ، أطاف به الملك ، ودنا منه ، حتى يضع فاه على فِيهِ ، فما يقرأ إلَّا في فيه ، وإذا لم يستن أطاف به ، ولا يضع فاه على فيه »[٤] .

ومن علو الهمة : المحافظة على الصلاة في أوَّل وقتها :

وقال ﷺ : « اتَّقوا الله في الصلاة ، وما ملكت أيمانُكم »[٥].

وقال ﷺ : « خمس صلواتٍ افترضهن الله عز وجل ، من أحسن وضوءهن وصلاتهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن وخشوعهن ، كان له على الله عهدٌ أن يغفر له ، ومن لم يفعل ، فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه »[٦].

وقال ﷺ : « أكثرْ من السجود ، فإنه ليس من مسلمٍ يسجد لله تعالى سجدةً ، إلَّا رفعه الله بها درجةً في الجنة ، وحط عنه بها خطيئةً »[٧] .

---

(١) حسن : رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن زيد بن خالد ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

(٢) صحيح : رواه النسائي عن عثمان وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦١٧٥) .

(٣) استنّ : استاك .

(٤) صحيح : رواه محمد بن نصر في الصلاة ، والبيهقي في سننه والضياء عن علي .

(٥) صحيح : رواه الخطيب في التاريخ عن أم سلمة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٥) .

(٦) صحيح : رواه أبو داود ، والبيهقي في سننه عن عبادة بن الصامت وصححه الألباني في صحيح الجامع .

(٧) رواه أحمد وابن سعد عن أبي فاطمة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٢٠٤).

وقال ﷺ : « إن العبد إذا قام يصلي ، أُتي بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه ، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه »[١] .

وقال ﷺ : « حبب إلَيَّ من دنياكم : النساء والطيب . وجعلت قرة عيني في الصلاة »[٢].

وقال ﷺ : « صلاةٌ في إثر صلاةٍ لا لغو بينهما كتابٌ في عليين »[٣].

وقال ﷺ : « أفضل الأعمال الصلاة في أول وقتها »[٤] .

وقال ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها ، ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد في سبيل الله »[٥].

وقال ﷺ : « أفضل العمل الصلاة لوقتها ، والجهاد في سبيل الله »[٦].

وقال ﷺ : « إذا سمعت النداء فأجب داعي الله »[٧].

وقال ﷺ : « يا بلال،أقم الصلاة أرحنا بها »[٨].

ومن علوّ الهمَّة : المَشْيُ إلى المساجد مُتوضِّئًا :

فأجر الخارج إلى صلاة مكتوبة متطهِّرًا كأجر الحاج المحرم :

---

(١) صحيح : رواه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم ، والبيهقي في سننه عن ابن عمر وصححه الألباني .

(٢) صحيح : رواه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي في سننه عن أنس ، وصححه الألباني .

(٣) حسن : رواه أبو داود وأحمد عن أبي أمامة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٨٣٧) .

(٤) حسن . رواه أحمد في مسنده ، وأبو داود ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/١١١ .

(٥) أهمية صلاة الجماعة في ضوء النصوص وسير الصالحين ، للدكتور فضل إلهي ص١٥ . الناشر : إدارة ترجمان الإسلام بباكستان .

(٦) صحيح : رواه البيهقي في الشعب عن ابن مسعود .

(٧) صحيح : رواه الطبراني في الكبير عن كعب بن عجرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

(٨) صحيخ : رواه أحمد ، وأبو داود عن رجل ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من خرج من بيته متطهِّرًا إلى صلاةٍ مكتوبةٍ ، فأجره كأجر الحاج المحرم »[١].

قال زين العرب في شرح قوله ﷺ : « كأجر الحاج المحرم » : « أي كامل أجره » .

« الله أكبر ! ما أعظم أجر الخارج إلى المسجد ! يدرك المرءُ المسلم يوميًّا بخروجه للصلوات الخمس أجر من خرج للحج خمس مراتٍ ، وإذا كان هذا الأجر العظيم على الخروج لأداء الصلاة في جماعةٍ فحسب ، فكيف يكون الأجر على أداء الصلاة في جماعة »[٢].

وقال ﷺ : « من خرج من بيته متطهّرًا إلى صلاةٍ مكتوبة ، فأجره كأجر الحاج المحرم ، ومن خرج إلى تسبيح الضحى ، لا يَنصِبه إلَّا إياه ، فأجره كأجر المعتمر ، وصلاةٌ على أثر صلاة لا لغو بينهما ، كتابٌ في عليين »[٣] .

وقال ﷺ : « من مشى إلى صلاةٍ مكتوبة في الجماعة ، فهي كحجة ، ومن مشى إلى تطوعٍ فهي كعمرةٍ نافلةٍ »[٤].

وقال ﷺ : « يا بني سلمة ، دياركم تكتب آثاركم »[٥].

وقال ﷺ : « أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها مَمْشًى ، فأبعدهم . والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام ، أعظم أجرًا من الذي يصليها ثم ينام »[٦].

والمشي إلى المساجد للجماعة ثوابه عظيمٌ ، ومنه :

---

(١) حسن : ويأتي برقم (٣) كاملًا .

(٢) أهمية صلاة الجماعة .

(٣) حسن: رواه أبو داود عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٢٢٨).

(٤) حسن : رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة ، ورواه أحمد وابن عدي والبيهقي في سننه وابن عساكر .

(٥) رواه مسلم وأحمد عن جابر .

(٦) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى ، وابن ماجه عن أبي هريرة .

اختصام الملأ الأعلى في كتابتها .

والمشي إلى الجماعات من أسباب العيش بخير والموت بخير .

والمشي إلى الجماعات من أسباب محو الخطايا ورفع الدرجات .

والخارج إلى الصلاة ضامِنٌ على الله .

والخارج إلى الصلاة في صلاةٍ حتى يرجع إلى بيته .

والله تعالى بكرمه ومَنِّه يُعِدُّ نُزُلًا من الجنة لمن غدا إلى المسجد أو راح .

قال ﷺ : « بشر المشّائين في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة »[(١)].

ومن علو الهمّة الحِرْص على صلاة الجماعة والتكبيرة الأولى :

لعلو همـة من يحرص عليها ... فما ظنك بالسَّبّاقين إليها ، الحريصين على تكبيرة الإحرام .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى لله أربعين يومًا في جماعةٍ ، يدرك التكبيرة الأُولى ، كتب له براءتان : براءةٌ من النار ، وبراءةٌ من النفاق »[(٢)].

فما أحلى وأعطر وأطيب البراءتين جزاءً لعلو الهمة .

وما ظنك بعملٍ يعجب منه مولى الورى رب السموات السبع والأرضين السبع .

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله ليعجب من الصلاة في الجميع »[(٣)].

---

(١) صحيح : رواه أبو داود والترمذي عن بريدة ، وابن ماجة والحاكم عن أنس وسهل ابن سعد .

(٢) حسن : رواه الترمذي عن أنس ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٦٥) .

(٣) رواه أحمد في مسنده ، وقال الشيخ أحمد شاكر ١٢٠/٧ : إسناده حسن ، وقال الهيثمي في المجمع ٣٩/٢ : رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن . وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٦٥٢) .

ومن علت همته وحرص على الجماعة ، فرح الله بقدومه إلى المسجد ... وأي شيءٍ أعلى من عملك عملًا يفرح به الودود المجيد .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه ويسبغه ، ثم يأتي المسجد لا يريد إلّا الصلاة فيه ، إلا تبشبش الله إليه كما يتبشبش[1] أهل الغائب بطلعته »[2].

وقد بوب الإمام ابن خزيمة على هذا الحديث بقوله : « باب ذكر فرح الرب تعالى بمشي عبده متوضيًا » .

عالي الهمّة مُعلَّق القلب في المسجد ، يكون في ظِلِّ الله تعالى يوم القيامة :

روى الشيخان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلّا ظله : الإمام العادل ، وشابٌّ نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأةٌ ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله . ورجل تصدق ، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه » .

قال النووي : « ورجلٌ قلبه معلقٌ في المساجد » معناه : شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها .

وقال ابن حجر في الفتح ٢/١٤٥ : ظاهره أنه من التعليق ، كأنه شبهه بالشيء المعلق في المسجد ، كالقنديل مثلًا ، إشارةً إلى طول الملازمة بقلبه ، وإن كان جسده خارجًا عنه . ويدل عليه رواية الجوزقي : « كأنما

---

(١) البَشُّ : فرح الصديق بالصديق ، واللُّطْف في المسألة والإقبال عليه وبرُّه وإكرامه .

(٢) صحيح . رواه ابن خزيمة في صحيحه ، كتاب الإمامة في الصلاة رقم (١٤٩١) ٢/٣٧٤ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/١٩٤ - ١٩٥ .

قلبه في المسجد » . ويحتمل أن يكون من العلاقة وهي شدة الحب ، ويدل عليه رواية أحمد : « معلقٌ بالمساجد » . وكذا رواية سلمان : « من حبها » .

ومن علو الهمّة الحرص على الصلاة الوسطى في جماعة ، وهي صلاة العصر :

قال تعالى : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾.

وقال ﷺ : « إن هذه الصلاة - يعني العصر - عرضت على من كان قبلكم فضيعوها ، فمن حافظ منكم اليوم عليها ، كان له أجره مرتين ، ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد »[١] .

وقال ﷺ : « الذي تفوته صلاة العصر كأنما وُتِر أهلَه ومالَه »[٢] .

ومن علوّ الهمّة المُحافظة على صلاة العشاء والصبح في جماعةٍ ، والجلوس في المسجد للذِّكْر حتى تطلُع الشمس ، ثم صلاة ركعتين :

قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة »[٣] .

وقال ﷺ : « من صلى العشاء في جماعةٍ ، فكأنما قام نصف ليلة ، ومن صلى الصبح في جماعة ، فكأنما صلى الليل كله »[٤] .

وقال ﷺ : « من صلى العشاء في جماعةٍ ، كان كقيام نصف ليلةٍ ،

---

(١) النجم .
(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر .
(٣) صحيح : رواه أبو نعيم ، والبيهقي في الشعب عن ابن عمر ، وصححه الألباني .
(٤) رواه أحمد ومسلم عن عثمان .

ومن صلى العشاء والفجر في جماعة ، كان كقيام ليلةٍ »[١].

وقال ﷺ : « لو يعلم الناس ما في صلاة العشاء وصلاة الفجر ، لأتوهما ولو حبوًا »[٢].

وقال ﷺ : « ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها »[٣].

وعالي الهمّة أول من يغدو إلى المسجد للفجر يُرافقُه مَلَك :

عن مِيثم رضي الله عنه - رجل من أصحاب النبي ﷺ - قال : بلغني « أن الملك يغدو برايته مع أول من يغدو إلى المسجد ، فلا يزال بها معه ، حتى يرجع فيدخل بها منزله ، وأن الشيطان يغدو برايته إلى السوق مع أول من يغدو ، فلا يزال معه حتى يرجع فيدخلها منزله »[٣].

لله ما أعظم هذا الشرف لعالي الهمة ! أول الذاهبين إلى المسجد لصلاة الفجر في جماعة .

وهذا الأثر وإن كان موقوفًا ، لكنه مرفوعٌ حقيقةً ، فقد قال النووي : « إذا قيل في الحديث عند ذكر الصحابي : يرفعه ، أو ينميه ، أو يبلُغ به ، أو رواية ، فكل هذا وشبهه مرفوعٌ عند أهل العلم »[٤].

---

(١) صحيح . رواه أبو داود والترمذي وابن المنذر عن عثمان بن عفان ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/١١١ ، وصحيح سنن الترمذي ١/٧١ .

(٢) صحيح : رواه ابن ماجه عن عائشة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٣٤٠).

(٣) رواه ابن أبي عاصم ، وأبو نعيم ، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/٢٧١ ، وقال ابن حجر : وهذا موقوف صحيح السند (الإصابة في تمييز الصحابة) ٦/١٤٨ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٤) تدريب الراوي للسيوطي ١/١٩١ - ١٩٢ ، واختصار علوم الحديث لابن كثير ص٤٥ ، ونزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر ٧٨ ، وفتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي ١/١٢٥ .

ولعالي الهمَّة نقول :

كِتابةُ صلاةِ الفجر مع الجماعة في صلاة الأبرار ، ومُصلّيها في وَفْدِ الرحمن :

عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ ثم أتى المسجد ، فصلى ركعتين قبل الفجر ، ثم جلس حتى يصلي الفجر ، كُتبت صلاته يومئذٍ في صلاة الأبرار ، وكُتب في وفد الرحمن »[١] .

لله ما أعظم هذا الشرف ، ولا يحرص عليه إلَّا من علت همته ، وعلم معنى أن يكون من وفد الرحمن ، وأن تكتب صلاته في صلاة الأبرار .

ومُصلِّي الفجر في جماعةٍ في ذمَّة الله :

وهل هناك أعلى وأشرف وأوثق وأجل من ضمان العزيز الملك ، وعهده وأمانه في الدنيا والآخرة .

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى الصبح في جماعةٍ ، فهو في ذمَّة الله ، فمن أخفر ذمة الله ، كبّه الله في النار لوجهه »[٢].

وقال ﷺ : « من صلى الصبح ، فهو في ذمة الله ، فلا يتبعنكم الله بشيءٍ من ذمته »[٣].

وقال ﷺ : « من صلى البَرْدَيْن دخل الجنة »[٤]. أي صلاة العصر والصبح .

مُصلِّي الفجر في جماعةٍ له أجْرُ حجَّةٍ وعُمرةٍ إذا قَعَدَ يذكر الله حتى تطلع الشمسُ ثم صلَّى ركعتين :

عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى

---

(١) حسن . رواه الطبراني ، وعنه المنذري ؛ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٤١/١ - ٢٤٢ .

(٢) صحيح . رواه الطبراني في الكبير .

(٣) صحيح: رواه الترمذي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٣٨).

(٤) رواه مسلم عن أبي موسى .

صلاة الغداة في جماعة ، ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم قام فصلى ركعتين ، انقلب بأجر حجَّةٍ وعُمرةٍ »[١].

وقال ﷺ : « من صلى الفجر في جماعةٍ ، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين ، كانت له كأجر حجّةٍ وعُمرةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ » .

فيا عالي الهمة .. هذا نبيك ﷺ يشحذ همتك لمتابعة سنته .

فرسولنا ﷺ : « كان إذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس ».

ومن علوّ الهمَّة انتظارُ الصلاة :

فهي الرباط كما قال رسولنا ﷺ : « فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » .

وقال رسول الله ﷺ : « المرء في صلاةٍ ما انتظرها »[٢].

وقال رسول الله ﷺ : « القاعد على الصلاة كالقانت ، ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع إلى بيته »[٣].

وقال ﷺ : « الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ، ما لم يُحدث أو يقم : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه »[٤].

ومن علو الهمّة الصلاة في الصفوف المُقدَّمة :

قال رسول الله ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول »[٥].

---

(١) حسن . رواه الطبراني وقال المنذري والهيثمي : إسناده جيد ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٢٦١ .

(٢) صحيح: رواه عبد بن حميد عن جابر، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٦٨٨).

(٣) صحيح : رواه ابن حبان عن عقبة بن عامر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٤٣٧) .

(٤) صحيح : رواه أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة ، وصححه الألباني .

(٥) صحيح : رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن البراء ، وابن ماجة عن عبد الرحمن بن عوف والطبراني في الكبير عن بشير ، والبزار عن جابر .

وقال ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على الصفوف المقدمة »[١] .

وقال رسول الله ﷺ : « وإن الصف الأول على مثل صف الملائكة ، ولو علمتم ما فضيلته ، لابتدرتموه »[٢] .

قال الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا في شرح قوله ﷺ : « مثل صف الملائكة » : « أي في القرب من الله عز وجل ، ونزول الرحمة ، وإتمامه واعتداله » .

وانظر إلى صلاة النبي الكريم ﷺ على الصف الأول والثاني :

روى النسائي ، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه كان يصلي على الصف الأول ثلاثًا ، وعلى الثاني واحدةً[٣] .

ومعنى صلاة النبي ﷺ - كما يقول العلامة السندي -: يدعو لهم بالرحمة ويستغفر لهم ثلاث مراتٍ .

وقد جاء « أن رسول الله ﷺ كان يستغفر للصف المقدم ثلاثًا ، وللثاني مرةً »[٤] .

ولو لم يكن في علو همة رجال الصف الأول ، إلَّا استغفار الرسول ﷺ ثلاثًا ، لكفى .

---

(١) صحيح : رواه النسائي ، وأحمد وأبو داود والدارمي وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم ، وصححه الألباني .

(٢) صحيح . جزء من حديث صحيح ، رواه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب في فضل صلاة الجماعة ، جزء من رقم الحديث (٥٥٠) ٢/٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٣) صحيح . سنن النسائي ، كتاب الإمامة ، فضل الصف الأول على الثاني . وصححه الشيخ الألباني ، انظر صحيح سنن النسائي ١/١٧٦ - ١٧٧ .

(٤) صحيح . رواه ابن ماجة والحاكم ، وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١/١٦٤ .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يزال قومٌ يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار »[١].

وقال ﷺ : « لو تعلمون ما في الصف الأول ، لكانت قرعة » . رواه ابن ماجه .

وقال ﷺ : « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ، ثم لم يجدوا إلَّا أن يستهموا عليه ، لاستهمُوا ، ولو يعلمون ما في التهجير ، لاستبقُوا إليه ، ولو يعلمون ما في العَتَمَة والصبح ، لأتَوْهما ولو حَبْوًا »[٢].

ومن عُلُوّ الهمّةِ الصلاةُ في ميامِنِ الصفوف :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف »[٣].

ومن علوّ الهمّةِ صِلَة الصفوف ولِينُ المناكِب :

قال رسول الله ﷺ : « إن الله وملائكته يصلّون على الذين يَصِلون الصفوف ، ومن سدّ فُرجةً ، رفعه الله بها درجةً »[٤].

وقال ﷺ : « خيارُكم ألينُكم مناكب في الصلاة » .

ومن علوّ الهمَّةِ غُسْلُ الجمعةِ والتبكير إليها :

قال رسول الله ﷺ : « من غسل يوم الجمعة واغتسل ، ثم بكر وابتكر ، ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام واستمع ، وأنصت ولم يلغ ،

---

(١) رواه مسلم والنسائي وابن ماجه وأحمد .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

(٣) حسن . رواه أبو داود وابن ماجه ، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب ١/٣٢٠ ، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢/٢١٣ .

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب إقامة الصفوف. وأحمد في المسند: ٦/٨٩.

كان له بكل خطوةٍ يخطوها من بيته إلى المسجد ، عمل سنةٍ ؛ أجر صيامها وقيامها »[١] .

وقال ﷺ : « احضروا الجمعة وادنوا من الإمام ، فإن الرجل لا يزال يتباعد حتى يؤخر في الجنة وإن دخلها »[٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « تقعد الملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة ، فيكتبون الأول والثاني والثالث ، حتى إذا خرج الإمام رفعت الصحف »[٣] .

ومن عُلُوّ الهمَّةِ ، الحِرْصُ على السُّنَن الرَّواتِب وأدائها في البيوت ، والحِرْصُ على صلاةِ الضُّحى ، وصلاة التسبيح :

قال ﷺ : « من صلى في اليوم والليلة اثنتي عشرة ركعةً تطوعًا ، بنى الله له بيتًا في الجنة » .

وقال ﷺ : « من صلى في يومٍ وليلةٍ ثنتي عشرة ركعةً بُني له بيتٌ في الجنة ؛ أربعًا قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الغداة » .

وقال ﷺ : « من صلى قبل الظهر أربعًا وبعدها أربعًا حرمه الله على النار » .

وأوصى رسول الله ﷺ باستحباب صلاة النافلة في البيوت ، فقال ﷺ : « فضل صلاة الرجل في بيته على صلاته حيث يراه الناس ، كفضل المكتوبة على النافلة » .

---

(١) صحيح : رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان والحاكم عن أوس بن أوس ، وصححه الألباني .

(٢) صحيح : رواه أحمد وأبو داود والبيهقي في سننه ، والحاكم عن سمرة ، وصححه الألباني .

(٣) حسن: رواه أحمد عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٩٨٣).

وقال ﷺ : « لا يحافظ على صلاة الضحى إلَّا أوَّابٌ ، وهي صلاة الأوّابِينَ » .

وأفضل أوقاتها كما قال ﷺ : « صلاة الأوّابين حين تَرْمَضُ الفِصالُ » .

وقال ﷺ : « صلاة الضحى صلاة الأوّابين » .

وقال ﷺ : « يا عباس ، يا عماه ، ألا أُعطيك ، ألا أمنحك ، ألا أحبوك ، ألا أفعل بك عشر خصالٍ ، إذا أنت فعلت ذلك ، غفر الله ذنبك أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطأه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلانيته ، عشر خصال : أن تصلي أربع ركعاتٍ ، تقرأ في كل ركعةٍ فاتحة الكتاب وسورةً ، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم ، قلت : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، خمس عشرة مرةً ، ثم تركع فتقولها وأنت راكعٌ عشرًا ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرًا ، ثم تهوي ساجدًا ، فتقولها وأنت ساجدٌ عشرًا ، ثم ترفع رأسك من السجود ، فتقولها عشرًا ، ثم تسجد ، فتقولها عشرًا ، ثم ترفع رأسك ، فتقولها عشرًا ، فذلك خمسٌ وسبعون في كل ركعة ؛ تفعل ذلك في أربع ركعات ، فلو كانت ذنوبك مثل زبد البحر أو رمل عالج(١)، غفرها الله لك ، إن استطعت أن تصليها في كل يومٍ مرةً ، فافعل ، فإن لم تفعل ففي كل جمعةٍ مرةً ، فإن لم تفعل ، ففي كل شهرٍ مرةً ، فإن لم تفعل ، ففي كل سنةٍ مرةً ، فإن لم تفعل ، ففي عمرك مرةً »(٢).

ومن علوّ الهمَّةِ الخشوعُ في الصلاة :

قال ﷺ : « إذا قمت في صلاتك ، فصل صلاة مودّعٍ ، ولا تكلّم

---

(١) متراكم . وهو موقع قرب مكة أيضًا .

(٢) صحيح : رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم عن ابن عباس ، وصححه جمع غفير من الحفاظ .

بكلامٍ تعتذر منه ، وأجمع الإياس مما في أيدي الناس »[١].

وقال ﷺ : « اذكر الموت في صلاتك ، فإن الرجل إذا ذكر الموتَ في صلاته لحري أن يحسن صلاته ، فصل صلاة رجلٍ لا يظن أنه يصلي صلاةً غيرها ، وإياك وكل أمر يعتذر منه »[٢].

وقال ﷺ : « أفضل الصلاة طول القنوت »[٣].

وقال ﷺ : « إن أحدكم إذا قام يصلي إنما يناجي ربه ، فلينظر كيف يناجيه »[٤].

وقال ﷺ : « صل صلاة مودعٍ كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنه يراك »[٥].

ومِن عُلوّ الهمَّةِ في الصلاة مراعاةُ المعاني الباطِنة التي تتمّ بها حياةُ الصلاة :

ويجمعها ستُّ جُمَلٍ، وهي: حضور القلب، والتَّفهُّم، والتعظيم، والهيبة، والرجاء ، والحياء .

« **أما حضور القلب** : فسببه الهمة ، فإن قلبك تابع لهمتك ، فلا يحضر إلا فيما يهمك ، ومهما أهمك أمرٌ ، حضر القلب فيه شاء أم أبى ، فهو مجبولٌ على ذلك ومسخر فيه ، فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة ، والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوطٌ بها ، وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خيرٌ وأبقى ، وأن الصلاة وسيلةٌ إليها ، فإذا أُضيف إلى هذا حقيقة العلم بحقارة الدنيا

---

(١) صحيح : رواه أحمد وابن ماجه عن أبي أيوب ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٤٢) .

(٢) حسن : رواه الديلمي في مسند الفردوس ، وحسنه ابن حجر والألباني في صحيح الجامع رقم (٨٤٩) .

(٣) رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجة عن جابر ، والطبراني في الكبير عن أبي موسى .

(٤) صحيح : رواه الحاكم عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٥٣٨) .

(٥) حسن : رواه أبو محمد الإبراهيمي في الصلاة وابن النجار عن ابن عمر ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

ومهماتها ، حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة . وبمثل هذه العلة ، يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ، ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك ، فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك ، الذي بيده الملك والملكوت ، فلا تظنن أن له سببًا سوى ضعف الإيمان .

وأمَّا التَّفهم : فهو اشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ ، وهذا مقامٌ يتفاوت الناس فيه ، إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات ، وكم من معانٍ لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ، ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ، فيقبل الإنسان على الفكر في المعاني ، ويتشمر لدفع الخواطر .

والتعظيم : يتولد من : معرفة جلال الله عز وجل وعظمته ، ومعرفة حقارة النفس وخستها ، وكونها عبدًا مربوبًا مسخرًا ، فيتولد من المعرفتين : الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه .

وأما الهيبة : فخوف مصدره الإجلال والتعظيم . وتتولد من المعرفة بقدرة الله ونفوذ مشيئته .

وأمّا الرجاء : فسببه معرفة لطف الله عز وجل ، وكرمه وعميم إنعامه ، ولطائف صنعه ، ومعرفة صدقه في وعده بالجنة بالصلاة .

وأمّا الحياء : فباستشعاره التقصير في العبادة ، وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ، ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها ، وقلة إخلاصها وخبث دخلتها ، وميلها إلى الحظ العاجل ، مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل ، وأنه مطلعٌ على السر وخطرات القلب .

وبقدر الإيمان واليقين بهذه المعاني يخشع القلب »[1].

---

(١) ملخصًا من إحياء علوم الدين ، للغزالي ١/١٩١ - ١٩٢ .

قال ابن القيم : « كان بعض السلف يصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة ، ثم يقبض على لحيته ويهزها ، ويقول لنفسه : يا مأوى كل سوءٍ ؛ وهل رضيتك لله طرفة عينٍ ... وقال بعضهم : إني لأُصلي ركعتين ، فأقوم عنهما بمنزلة السارق أو الزاني الذي يراه الناس ، حياءً من الله عز وجل »(١) .

وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب ، انقسم الناس إلى غافلٍ يتمم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظةٍ منها ، وإلى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظةٍ ، ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الأُسْطُوانَة في المسجد واجتماع الناس عليها . وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم . وكل ذلك غير مستبعدٍ ، فإن أضعافه مشاهدٌ في همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا ، مع عجزهم وضعفهم ، وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم ، حتى يدخل الواحد على ملكٍ أو وزيرٍ ويحدثه بمهمته ثم يخرج ، ولو سئل عمن حواليه ، أو عن ثوب الملك ، لكان لا يقدر على الإخبار عنه ؛ لاشتغال همه به ، عن ثوبه وعن الحاضرين إليه ، فحظ كل واحدٍ من صلاته ، بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه ، فإن موقع نظر الله - سبحانه - القلوب دون ظاهر الحركات .

صلاة عالي الهِمَّة وحضور قلبه عند كلِّ رُكنٍ وشرطٍ :

أخي : إن كنت من المريدين للآخرة ، فلا تغفل عن الدقائق الفقهية ، ومتابعة السنة في شروط الصلاة وأركانها ، حتى تمتثل أمر رسول الله ﷺ : « صلوا كما رأيتموني أُصلي » ... وتستحضر المعاني في شروط الصلاة من الأذان ، والطهارة، وستر العورة ، واستقبال القبلة والانتصاب قائمًا ، والنية ...

---

(١) مدارج السالكين ٢/٩٤ - ٩٥ .

أخي : إن علت همتك صوت بك حادي الخاشعين ، فسرت معهم ، وإن رمت جوارهم حملوك إلى ديارهم .

عند سماع الأذان : إذا سمعت نداء المؤذِّن ، فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة ، وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة ، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر ، فاعرض قلبك على هذا النداء ، فإن وجدته مملوءًا بالفرح والاستبشار ، مشحونًا بالرغبة إلى الابتدار ، فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ؛ ولذلك قال ﷺ : « أرحنا بها يا بلال » .

قال أحد العباد : ما سمعت النداء ، إلَّا تذكرت هول النداء بالعرض على الله يوم القيامة ... ﴿ **يومئذٍ تُعرضُون لا تخفى منكم خافية** ﴾ [الحاقة : ١٨] .

وأمّا الطهارة : فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد ، ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ، ثم في بشرتك وهي قشرك الأدنى ، فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك ، فاجتهد له تطهيرًا بالتوبة والندم على ما فرطت ، وتصميم العزم على الترك في المستقبل ، فطهر بها باطنك ، فإنها موضع نظر معبودك .

وأمّا ستْر العورة : فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق ، فإن ظاهر بدنك موقعٌ لنظر الخلق ، فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك ، التي لا يطلع عليها إلَّا ربك عز وجل ؟! فأحضر تلك القبائح ببالك ، وطالب نفسك بسترها ، وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر ، وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف ، فتستفيد - بإحضارها في قلبك - انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما ، فتذل بها بنفسك ، ويستكين تحت الخجلة قلبك ، وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق ، الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكِسًا رأسه من الحياء والخوف .

وأمّا استقبال القبلة : فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى ، أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى الله عز وجل ، ليس مطلوبًا منك ؟! هيهات فلا مطلوب سواه . وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن ، وضبط للجوارح ، وتسكينٌ لها بالإثبات في جهةٍ واحدة ، حتى لا تبغي على القلب ، فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها ، استتبعت القلب ، وانقلبت به عن وجه الله عز وجل ، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك ، فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت ، إلّا بالانصراف عن غيرها ، فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل ، إلّا بالتفرغ عما سواه .

« سئل النبي ﷺ عن التفات الرجل في صلاته ؟ فقال : « هو اختلاسٌ يختلسه الشيطان من صلاة العبد » . فإذا كان هذا التفات طرفه أو لحظه ، فكيف التفات قلبه إلى ما سوى الله ؟ هذا أعظم نصيب الشيطان من العبودية .

وقال ابن مسعود : « لا يجعل أحدكم للشيطان حظًّا من صلاته ، يرى أن حقًّا عليه : أن لا ينصرف إلا عن يمينه ». فجعل هذا القدر اليسير النزر حظًّا ونصيبًا للشيطان من صلاة العبد . فما الظن بما فوقه ؟ »[1].

وأمّا الاعتدال قائمًا : فإنما هو مُثُولٌ بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل ، فليكن رأسك – الذي هو أرفع أعضائك – مطرقًا مطأطئًا متنكِّسًا ، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه ، تنبيها على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر ، وليكن على ذكرك هاهنا ، خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال ، واعلم في الحال أنك قائمٌ بين يدي الله عز وجل وهو مطلعٌ عليك ، فقم بين يديه قيامك

(١) مدارج السالكين ٢/٩٤ .

بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله ، بل قدر في دوام قيامك في صلاتك ، أنك ملحوظٌ ومرقوبٌ بعينٍ كالئةٍ من رجلٍ صالح من أهلك ، أو ممن ترغب أن يعرفك بالصلاح ، فإنه تهدأ وتخشع أطرافك عند ذلك ، خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع ، وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبدٍ مسكينٍ ، فعاتب نفسك وقل لها : إنك تدعين معرفة الله وحبه ، أفلا تستحين من استجرائك عليه ، مع توقيرك عبدًا من عباده ؟! أو تخشين الناس ولا تخشينه ، وهو أحق أن يخشى ؟! فلم جعلته أهون الناظرين إليك ؟ أفكان الله عز وجل أهون عليك من بعض خلقه ؟! .

قال رسول الله ﷺ للرجل الذي استوصاه : « أُوصيك أن تستحيي من الله كما تستحيي من الرجل الصالح من قومك »[1].

وأمّا النية : فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة ، وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها ، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه ، رجاءً لثوابه وخوفًا من عقابه وطلبًا للقربة منه ، متقلدًا للمنة منه ؛ بإذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك ، وعظم في نفسك قدر مناجاته ، وانظر من تناجي ، وكيف تناجي ، وبماذا تناجي ، وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل ، وترتعد فرائصك من الهيبة ، ويصفر وجهك من الخوف ، كما قال ذو النون المصري - رحمه الله - في ذكره لأعلام الإيمان : « وارتعاش القلب عند الفرائض حتى يؤديها » . « لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته ، فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده ،

---

(١) إسناده جيد . رواه أحمد في الزهد ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » من حديث سعيد بن يزيد بن الأزور ، وقال الألباني : إسناده جيد ، رجاله كلهم ثقات . انظر الصحيحة رقم (٧٤١) .

خطر على قلبه أن ذلك المقام هو الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين ، فانخلع قلبه وذهل عقله » .

وأما التكبير : فإذا نطق به لسانك ، فينبغي أن لا يكذبه قلبك ، فإن كان في قلبك شيءٌ هو أكبر من الله سبحانه ، فالله يشهد إنك لكاذبٌ وإن كان الكلام صدقًا ، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل ، فأنت أطوع له منك لله تعالى ، فقد اتخذته إلهك وكبرته ، فيوشك أن يكون قولك : « الله أكبر » كلامًا باللسان المجرد ، وما أعظم الخطر في ذلك ، لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه .

وأما دعاء الاستفتاح : فأول كلماته قولك : « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض » .

فتوجه بقلبك إلى فاطر السموات ، ولا تتوجه به إلى أمانيك وهمك في البيت والسوق ولا تتبع الشهوات . وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ، فاجتهد - في الحال - في صرف القلب إلى الله ، وإن عجزت عنه على الدوام ، فليكن قولك في الحال صادقًا .

وإذا قلت : « محياي ومماتي لله » فاعلم أن هذا حال عبدٍ مفقود لنفسه ، موجود لسيده .

وإذا تعوذت بالله من الشيطان الرجيم ، فاعلم أنه عدوك ومترصدٌ لصرف قلبك عن الله عز وجل ، حسدًا لك على مناجاتك مع الله عز وجل ، وسجودك له ، مع أنه لعن بسبب سجدةٍ واحدةٍ تركها ، وأن استعاذتك بالله سبحانه : بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل ، لا بمجرد قولك ، فإن من قصده سبعٌ ليفترسه ، فقال : أعوذ منك بذلك الحصن الحصين ، وهو ثابتٌ على مكانه ، فإن ذلك لا ينفعه ، بل لا يعيذه إلَّا تبديل المكان ؛ فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن ، فلا

يغنيه مجرد القول ، فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان .

فإذا قرأ الفاتحة ، فليتدبر أنها كما قال رسول الله ﷺ : « أُمّ القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم »[١] و « السبع المثاني فاتحة الكتاب »[٢] وأن « ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ أُمُّ القرآن ، وأُم الكتاب ، والسبع المثاني »[٣] وأن « أفضل القرآن : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ »[٤]. وأنها أخير سورة في القرآن الكريم ؛ قال ﷺ : « والذي نفسي بيده ، ما أُنزل في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في الفرقان مثلها - يعني أم القرآن - وإنها لسَبْعٌ من المثاني والقرآن العظيم الذي أُعطيته »[٥]. وقال ﷺ : « ما أنزل الله في التوراة ، ولا في الإنجيل ، مثل أُمِّ القرآن ، وهي السبع المثاني ، قال الله تعالى : وهي مقسومةٌ بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل »[٦] .

وأي فخر للعبد فوق هذا إذا تدبره ، وتدبر أن هذه السورة نزل بها بفضلها ملكٌ لم ينزل إلى الأرض قبلها قطُّ ، وقال لرسولنا ﷺ : « أبشر بنورين أُوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة » .

لو لم يكن لك من صلاتك حظٌّ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته ، فناهيك بذلك غنيمة ، فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله ؟!

---

(١) رواه البخاري عن أبي بكر .
(٢) صحيح : رواه أحمد وأبو داود والترمذي والطحاوي عن أبي هريرة وصححه الألباني .
(٣) صحيح : رواه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .
(٤) صحيح : رواه الحاكم والبيهقي في الشعب عن أنس ، وصححه الألباني .
(٥) صحيح : رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة ، وصححه الألباني .
(٦) صحيح : رواه الترمذي والنسائي عن أبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٥٦٠) .

وكيف بالتأمين الذي تحسدنا عليه يهود .

انظر إلى الزاهد في السراري ، النّابذ للجواري ، العابد في القفار والبراري : أبي الحسن أحمد بن أبي الحواري :

« يقول محمد بن عوف الحمصي : رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس[(١)] ، فلما صلى العتمة قام يصلي ، فاستفتح بـ ﴿ **الحمد لله** ﴾ إلى ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ فطفت الحائط كله ، ثم رجعت ، فإذا هو لا يجاوزها ، ثم نمت ، ومررت في السحر ، وهو يقرأ : ﴿ **إياك نعبد** ﴾ فلم يزل يرددها إلى الصبح »[(٢)] .

وينبغي أن تحرص على تدبر ما تقرؤه من السور ، فهذا زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ **فإذا نُقِر في الناقور** ﴾ [المدثر : ٨] خرَّ ميتًا وكان يصلي الصبح ، وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى : ﴿ **إذا السماء انشقَّتْ** ﴾ [الانشقاق : ١] اضطرب حتى تضطرب أوصاله ، وحق له أنْ يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده ، فإنه عبد ذليل بين يدي جبّارٍ قاهِر ، وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ، ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ، ودرجات ذلك لا تنحصر ، والصلاة مفتاح القلوب ، فيها تنكشف أسرار الكلمات ، فهذا حق القراءة ، وهو حق الأذكار والتسبيحات .

والناس في القراءة ثلاثة : رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ، ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان ، فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره ، ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولًا ، ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه ، ففرْقٌ

---

(١) بلدة من سواحل بحر الشام .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/٨٥ - ٩٤ .

بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب ، والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب .

وأما دوام القيام ، فإنه تنبيهٌ على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعتٍ واحد من الحضور ، فإن الله يقبل على المصلي ما لم يلتفت ، وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات ، فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة ، فإذا التفت إلى غيره ، فذكِّره باطلاع الله عليه ، وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجي ؛ ليعود إليه ، وخشوع القلب يثمر خشوع الجوارح فإن الرعية بحكم الراعي .

قال عكرمة في قوله عز وجل : ﴿ **الذي يراك حين تقوم وتقلُّبك في الساجدين** ﴾ [الشعراء : ٢١٨ - ٢١٩] : يرى قيامه وركوعه وسجوده ، في الصلاة يراك وحدك ويراك في الجمع .

وأمّا الركوع والسجود : فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه ، وترفع يديك مستجيرًا بعفو الله عز وجل من عقابه ، بتجديد نِيَّةٍ ، متبعًا سنة نبيه ﷺ ، ثم تستأنف له ذُلًّا وتواضُعًا بركوعك ، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك ، وتستشعر ذلك ، وعزَّ مولاك واتضاعك وعلوَّ ربِّك ، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك ، فتسبِّح ربَّك وتشهد له بالعظمة ، وأنه أعظم من كل عظيم ، وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ، ثم ترتفع من ركوعك راجيًا أنه راحم لك ، ومؤكِّدًا للرجاء في نفسك بقولك : « سمع الله لمن حمده » ، ثم تُردِف ذلك الشكر المتقاضي للمزيد فتقول : « ربنا لك الحمد » ، وتكثر الحمد بقولك : « ملء السموات وملء الأرض » . ثم تهوي إلى السجود ، وهو أعلى درجات الاستكانة ، فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه ، من أذل الأشياء وهو التراب ، وإن أمكنك ألَّا تجعل بينهما حائلًا فتسجد على الأرض ، فافعل ؛

فإنه أجلب للخشوع وأدل على الذل . وإذا وضعت نفسك موضع الذل ، فاعلم أنك وضعتها موضعها ، ورددت الفرع إلى أصله ، فإنك من التراب خلقت وإليه تعود ، فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل : « سبحان ربي الأعلى » ، وأكده بالتكرار ، فإن الكرَّة الواحدة ضعيفة الأثر ، فإذا رق قلبك وظهر ذلك ، فلتصدق رجاءك في رحمة الله ، فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل ، فارفع رأسك مكبِّرًا وسائلًا حاجتك ، وقائلًا : « ربِّ اغفر وارحم ، وتجاوز عمّا تعلم » . ثم أكد التواضع بالتكرار ، فعد إلى السجود ثانيًا .

وأمّا التَّشهُّد : فإذا جلست له ، فاجلس متأدِّبًا ، وصرِّح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات الطيبات ، أي من الصفات الطاهرة لله ، وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات ، وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم ، وقل : « السلام على النبي ورحمة الله وبركاته » ، وليصدق أملك في أنه يبلغه ، ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ، ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلامًا وافيًا بعدد عباده الصالحين ، ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ، ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة ، مجدِّدًا عهد الله سبحانه بإعادة كلمتي الشهادة ، ومستأنفًا للتحصن بها ، ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور ، مع التواضع والخشوع ، والضراعة والابتهال ، وصدق الرجاء بالإجابة ، وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين ، واقصد - عند التسليم - السلام على الملائكة والحاضرين ، وانو ختم الصلاة به ، ونِعِمَّا به من ختم تحسدنا عليه يهود .

واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة ، وتوهم أنك مودّع بصلاتك هذه ، وأنك ربما لا تعيش لمثلها ، وقال ﷺ للذي أوصاه : « صلِّ صلاةَ مودِّع » .

ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة ، وخف ألَّا تقبل صلاتك ، وأن تكون ممقوتًا بذنبٍ ظاهرٍ أو باطن ، فتُردّ صلاتك في وجهك ، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله .

« **كان يحيى بن وثاب** ، وهو أقرأ من بال على تراب ، إذا قضى صلاته مكث مليًّا تعرف فيه كآبة الصلاة » . كما قال الأعمش . وقال أيضًا : « كنت إذا رأيته قد جثا ، قلت : هذا وقف للحساب فيقول : أي رب ، أذنبت كذا فعفوت عني ، فلا أعود ، وأذنبت كذا فعفوت عني ، فلا أعود »[١] .

وكان إبراهيم يمكث بعد الصلاة ساعةً كأنه مريض .

وهذ حاتم الأصم : لما سئل عن صلاته ، قال : أقوم إلى صلاتي ، وأجعل الكعبة بين حاجبي ، والصراط تحت قدمي ، والجنة عن يميني ، والنار عن شمالي ، وملك الموت ورائي ، أظنها آخر صلاتي .

فهذا تفصيل عالي الهمة من الخاشعين ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، والذين هم على صلاتهم دائمون ، فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة ، فبالقدْر الذي يُسّر له منه ، ينبغي أن يفرح ، وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسَّر ، وفي مداراة ذلك ينبغي أن يجتهد[٢] .

* * *

---

(١) السير ٤/٣٧٩ - ٣٨٢ .

(٢) ملخصًا من إحياء علوم الدين ١/١٩١ - ٢٠٠ .

☐ عُلُوّ همّة سيِّد العابِدِين ﷺ ☐

بأبي وأمي سيّد ولد آدم ﷺ ، من كانت الصلاة أُنسَهُ وميدانه ، وروحه وريحانه ، ونزهته وبستانه ، ونعيمه وعنوانه .

بأبي وأمي ﷺ ... من قال لبلال : « يا بلال ، أقم الصلاة أرحنا بها »[١] .

بأبي وأمي سيّد العابدين ﷺ « كان إذا حَزَبَهُ[٢] أمْرٌ صَلّى »[٣] .

وبأبي وأمي ﷺ ، من قال : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » .

فإذا سألت عن صلاة الليل وهديه فيها ، فهو سيد المتهجدين ، كما قالت أم المؤمنين رضي الله عنها : « وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق » .

وكما قال ابن مسعود رضي الله عنه : « صليت مع رسول الله ﷺ فأطال ، حتى هممت بأمر سوءٍ . قال : قيل : وما هممت به ؟ قال : هممت أن أجلس وأدَعَهُ » . رواه البخاري ومسلم وابن ماجة .

وعن أنس رضي الله عنه قال : وجد رسول الله ﷺ ذات ليلةٍ شيئًا فلما أصبح قيل : يا رسول الله ، إن أثر الوجع عليك لبيِّنٌ . قال : « إني على ما ترون – بحمد الله – قد قرأت السبع الطوال »[٤] .

---

(١) صحيح . رواه أحمد في مسنده وأبو داود عن رجل من خزاعة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٦٦٩) ومشكاة المصابيح رقم (١٢٥٣) .

(٢) أي أصابته شدة .

(٣) حسن : رواه أحمد وأبو داود عن حذيفة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٧٠٣) .

(٤) صحيح . أخرجه أبو يعلى والحاكم في كتاب صلاة التطوع ، وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

أما بكاؤه وخشوعه ﷺ :

فعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : « أتيتُ رسول الله ﷺ وهو يصلي وفي صدره أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء »[١].

وعن عطاء قال : دخلت أنا وعبد الله بن عمير على عائشة – رضي الله عنها – فقال عبد الله بن عمير : حدثينا بأعجب شيءٍ رأيتيه من رسول الله ﷺ . فبكت وقالت : قام ليلةً من الليالي فقال : « يا عائشة ، ذريني أتعبد لربي . قالت : قلت : والله إني لأُحبُّ قربك ، وأُحب ما يسرك . قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلي ، فلم يزل يبكي حتى بَّل حجره ، ثم بكى ، فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض ، وجاء بلال يؤذن للصلاة ، فلما رآه يبكي ، قال : يا رسول الله ، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا . لقد نزلت عليَّ الليلة آياتٌ ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض** .... ﴾ الآية [آل عمران : ١٩٠] »[٢].

وربما قام الليل كله بآيةٍ حتى الصباح :

وعند ابن ماجة وابن خزيمة : « قام النبي ﷺ بآيةٍ حتى أصبح يرددها والآية : ﴿ **إن تعذِّبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ [المائدة : ١١٨] »[٣].

بأبي وأمي سيد المتهجدين ﷺ .

عن المغيرة بن شعبة : أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه ، فقيل

---

(١) صحيح . رواه أبو داود والترمذي في الشمائل ، وصححه النووي والألباني .

(٢) إسناده جيد . رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي ﷺ » ، وابن حبان في صحيحه ، وصححه الألباني .

(٣) حديث صحيح .

له : أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر ؟ فقال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا »[١].

وعند البخاري : « إن كان النبي ﷺ ليقوم - أو ليصلي - حتى ترم قدماه - أو ساقاه - فيقول : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » .

وعند مسلم : حتى ورمت قدماه . وعند مسلم : حتى تفطر رجلاه .

وعند النسائي : حتى تزلع ؛ يعني تشقق قدماه .

بأبي وأمي رسول الله ﷺ ، من كان له القدح المعلَّى ، ومن قالت في طول اجتهاده أم المؤمنين رضي الله عنها : « ما لكم وصلاته ﷺ » .

قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في رسولنا ﷺ :

يَبيتُ يُجافي جَنْبَهُ عن فراشِهِ إذا استثقلتْ بالمشركين المضاجِعُ

وقال شوقي رحمه الله :

مُحْيِي الليل صلاةً لا يُقَطِّعُها إلّا بِدَمْعٍ من الإشفاق مُنْسَجِمِ
مُسَبِّحًا لك جُنْحَ الليلِ محتمِلًا ضرًّا من السُّهْد أو ضُرًّا من الوَرَمِ
رضيَّةٌ نَفْسه لا تشتكي سَأَمًا وما على الحُبّ إن أخلصتَ مِنْ سَأم[٢]

وهديه ﷺ في التهجد وقيام الليل ، أفردنا له بابًا كاملًا في كتابي السابق « رهبان الليل » ، وهو إن شاء الله كافٍ في صلاة رسولنا ﷺ ليلًا .

علوّ همّة رسولنا ﷺ وحرصه على صلاة الجماعة :

كان صلوات ربي وسلامه عليه أشد الناس اهتمامًا بها ، حتى في أشد الأحوال وأصعبها .

---

(١) رواه البخاري ومسلم - واللفظ له - والترمذي والنسائي .

(٢) الشوقيات لأمير الشعراء ١/٢٠٧ طبع المكتبة التجارية الكبرى .

قيامه ﷺ بأداء الصلاة مع الجماعة في شدَّة المعركة :

روى الإمام مسلم ، عن جابر رضي الله عنه قال : « غزونا مع رسول الله ﷺ قوما من جُهينة ، فقاتلونا قتالًا شديدًا ، فلمّا صلينا الظهر قال المشركون : لو ملنا عليهم ميلةً واحدة لاقتطعناهم . فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك ، فذكر ذلك لنا رسول الله ﷺ . قال : وقالوا : إنهم ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد . فلما حضرت العصر ، قال : صفّنا صفّين ، والمشركون بيننا وبين القبلة . قال : فكبر رسول الله ﷺ وكبرنا ، وركع فركعنا ، ثم سجد وسجد معه الصف الأول ، فلما قاموا ، سجد الصف الثاني ، ثم تأخّر الصف الأول ، وتقدم الصف الثاني فقاموا مقام الأول ، فكبّر رسول الله ﷺ وكبّرنا ، وركع فركعنا ، ثم سجد وسجد معه الصف الأول ، وقام الثاني ، فلما سجد الصف الثاني ، ثم جلسوا جميعًا سلم عليهم رسول الله ﷺ » .

« ويتجلى في هذا الحديث اهتمام الرسول الكريم ﷺ بصلاة الجماعة من عدة وجوهٍ ، منها :

أولًا : أدى رسول الله ﷺ صلاة الظهر مع الجماعة أثناء قتالٍ مع قوم من جهينة ، وكانوا قد قاتلوا المسلمين قتالًا شديدًا .

ثانيًا : أن الاطلاع على قرار المشركين بالإغارة على المسلمين دفعة واحدة ، أثناء تأديتهم صلاة العصر مع الجماعة ، لم يقلل من اهتمامه ﷺ بأدائها في الجماعة .

هذا ولا يظنن أحد أن النبي الكريم ﷺ صلى مع الجماعة أثناء المعركة ، في يوم واحد فقط ، بل إنه عليه الصلاة والسلام صلّاها في أيام مختلفة ، ومواطن عدة .

يقول الخطابي : « صلاة الخوف أنواع ، وقد صلّاها رسول الله ﷺ

في أيام مختلفة وعلى أشكال متباينة »[١].

« كما ذكر ابن القصار المالكي أن النبي ﷺ صلّاها في عشرة مواطن ».

وذكر الإمام أبو بكر ابن العربي أنه ثبت عن النبي ﷺ ، أنه صلّى صلاة الخوف مرارًا عدة بهيئاتٍ مختلفة ، فقيل في مجموعها : إنها أربع وعشرون صفة ، ثبت فيها ست عشرة صفة »[٢][٣].

علوّ همّته في الخروج إلى صلاة الجماعة مع شدة مرضه :

روى البخاري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : قال : دخلت على عائشة – رضي الله عنها – فقلت : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ ؟ قالت : بلى ، ثقل النبيُّ ﷺ فقال : « أصلَّى الناس ؟ » قلنا : لا ، هم ينتظرونك . قال : « ضعوا لي ماءً في المِخْضب »[٤]. قالت : ففعلنا ، فاغتسل فذهب لِيَنُوءَ[٥] فأُغمي عليه ، ثم أفاق ﷺ فقال : « أصلى الناس ؟ » . قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . قال : « ضعوا لي ماء في المخضب » . قالت : فقعد فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه ، ثم أفاق فقال : « أصلّى الناس ؟ » . قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . فقال ﷺ : « ضعوا لي ماء في المخضب » . فقعد فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه ثم أفاق ، فقال : « أصلّى الناس ؟ » فقلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . والناس عكوف في المسجد ، ينتظرون النبي ﷺ لصلاة العشاء الآخرة ، فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر – رضي الله عنه – بأن يصلي بالناس . فأتاه

(١) معالم السنن ١/٢٦٩ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١/٤٩١ .

(٣) أهمية صلاة الجماعة ، للدكتور فضل إلهي ص٦٦ – ٦٧ .

(٤) المِخْضَب أي الإجانة .

(٥) ليقوم لفظا ومعنى .

الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس . فقال أبو بكر رضي الله عنه- وكان رجلًا رقيقًا-: يا عمر ، صلِّ بالناس . فقال له عمر- رضي الله عنه -: أنت أحقُّ بذلك . فصلى أبو بكر تلك الأيام ... الحديث[١] .

الله أكبر ... كم كان صلوات ربي وسلامه عليه حريصًا على حضور صلاة الجماعة ، يشتد مرضه فيغتسل ، ثم يُغمى عليه فيفيق ، فيغتسل للمرة الثانية ، ثم يُغمى عليه فيفيق ، فيغتسل للمرة الثالثة ، كل ذلك لعله ﷺ يكسب نشاطًا يمكنه - بفضل الله تعالى - من حضور صلاة الجماعة في المسجد ، ثم يُغمى عليه فيفيق ، فيجد نفسه غير قادرٍ على الذهاب إلى المسجد ، فيرسل إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - كي يصلي بالناس ... وليس هذا فحسب ، بل نجده ﷺ يخرج إلى صلاة الجماعة في المسجد ، حينما وجد من نفسه خفَّةً .

فكيف كانت الخفّة ، وكيف كان خروجه عليه الصلاة والسلام ، كي نتصور ذلك ، فلنقرأ ما رواه الإمام البخاري ، عن عائشة رضي الله عنها : « فوجد النبي ﷺ من نفسه خفّة ، فخرج يُهادَى[٢] بين رجُلَيْن ، كأني أنظر رجليه تخطان[٣] من الوجع .... »[٤]. الحديث .

سبحان الله ... لم يكن ﷺ يتمكن من المشي إلّا اعتمادًا على رجُلَيْن ، وحتى بعد ذلك ، لم يكن يقدر على تمكين رجليه على الأرض ؛

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب : إنما جعل الإمام ليؤتم به .
(٢) أي يعتمد على الرجلين متمايلًا في مشيه من شدة الضعف .
(٣) لم يكن يقدر على رفعهما من الأرض .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب : حد المريض أن يشهد الجماعة .

نظرًا لشدة ضعفه ، لكنه مع هذا كله خرج إلى صلاة الجماعة في المسجد[١] .

* * *

(١) أهمية صلاة الجماعة ، للدكتور فضل إلهي ص٦٨ - ٦٩ .

□ علوّ همَّة السلف وعنايتهم بصلاة الجماعة [١] □

لسلف الأمة من الصحابة ومن بعدهم - رضي الله عنهم - مواقف تدل على علو هممهم وعنايتهم بصلاة الجماعة ، وحرصهم على دعوة الآخرين لأدائها ، ويتجلى ذلك في :

ا - اختيار مكان بعيد من المسجد كي يكثر الثواب .
ب - المسارعة إلى صلاة الجماعة .
جـ - المداومة على حضور صلاة الجماعة .
د - حضور صلاة الفجر ليلة الزواج .
هـ - تَرْك العلاج حرصًا على جماعة العشاء والفجر .
و - حضور المرضى صلاة الجماعة .
ز - الذهاب إلى المسجد في أصعب الظروف .
ح - الحرص على الموت في انتظار صلاة الجماعة .
ط - الذهاب إلى مسجد آخر عند فوات جماعة في مسجد .
ى - حثّ الابن على ملازمة المسجد .
ك - مساءلة الابن عن حضور صلاة الجماعة .
ل - تأديب الابن على التّأخُّر عن صلاة الجماعة .
م - الدعوة إلى المحافظة على صلاة العشاء والفجر في جماعة في المرض الأخير .
ن - اهتمام وليّ أمر المسلمين بصلاة الجماعة .

اختيار مكانٍ بعيد من المسجد كي يكثُر ثوابُه :

روى الإمام مسلم ، عن أبيّ بن كعب - رضي الله عنه - قال :

---

(١) للدكتور فضل إلهي في كتابه « أهمية صلاة الجماعة » فصلٌ طيب ، أتينا بالكثير منه تحت هذا العنوان ، والله يُثيبه خيرًا على جمعه .

كان رجل من الأنصار بيته أقصى بيتٍ في المدينة ، فكان لا تخطئه الصلاة مع رسول الله ﷺ . قال : فتوجعنا له ، فقلت له : يا فلان ، لو أنك اشتريت حمارًا يقيك من الرمضاء ويقيك من هوام الأرض . قال : أما والله ، ما أُحبّ أن بيتي مُطَنَّبٌ[1] ببيت محمدٍ ﷺ . قال : فحملت به حملًا ، حتى أتيت نبي الله ﷺ فأخبرته . قال : فدعاه فقال له مثل ذلك ، وذكر له أنه يرجو في أثره الأجر ، فقال له النبي ﷺ : « إن لك ما احتسبت » .

وفي رواية أخرى أنه قال : ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد ، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي . فقال رسول الله ﷺ : « قد جمع الله لك ذلك كله » .

وفي رواية ابن حبان : « أعطاك الله ذلك أجمع . أنطاك[2] الله ما احتسبت أجمع »[3].

ما أطيبها وأزكاها ، وأجل همته وأعلاها .

ب - المسارعة إلى صلاة الجماعة :

انظر إلى علو همة عمر بن عبد العزيز في المسارعة إلى صلاة الجماعة .

روى ابن سعد في الطبقات ، عن سليمان بن موسى قال : « رأيت مؤذّن عمر بن عبد العزيز وهو خليفة بخناصرة[4] يسلم على بابه : السلام

---

(١) مطنّب : مشدود بالأطناب وهي الحبال إلى بيت النبي ﷺ ، بل أُحِبّ أن يكون بعيدًا منه لتكثير ثوابي وخطاي إليه . شرح النووي ١٦٨/٥ .

(٢) أنطاك الله معناه : أعطاك الله . وهو لغة أهل اليمن ، كما جاء في النهاية لابن الأثير ٧٦/٥ .

(٣) رواه ابن حبان رقم (٢٠٤١) . وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٤) خُناصرة : بليدة من أعمال حلب نحو البادية .

عليك أمير المؤمنين ، ورحمة الله . فما يقضي حتى يخرج إلى الصلاة »[١] .

ج - المداومة على حضور الجماعة :

سيمر بك ذلك عند ذكر سعيد بن المسيب وربيعة بن يزيد والأعمش .

د - حضور صلاة الفجر ليلة الزواج :

انظر إلى علو همة الصحابي الحارث بن الحسان ، تزوج في ليلة من الليالي ، فحضر صلاة الفجر مع الجماعة .

روى الإمام الطبراني ، عن عنبسة بن الأزهر قال : « تزوج الحارث ابن حسان وكان له صحبة ، فقيل له : أتخرج وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة ؟ فقال : والله ! إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جمعٍ لامرأةُ سوءٍ »[٢] .

هـ - تَرْك العلاج حرصًا على جماعة العشاء والفجر :

كما سيأتي في خبر ابن المسيب لما اشتكى عينه ... وكيف أنه تحمل مرض العين ، وما تحمل تفويت صلاتي العشاء والفجر في جماعة .

لا تقعُدَنَّ لِذِكْرِنا في ذِكْرِهم ليس الصحيحُ إذا مَشَى كالمُقْعَدِ

و - حضور المرضى صلاة الجماعة :

لله دَرُّهم من مرضى .... لا ، بل والله نحن المرضى ... مرضى القلوب .

روى مسلم عن عبد الله بن مسعود : « ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها

---

(١) الطبقات الكبرى ٥/٣٥٩ .

(٢) قال الهيثمي في المجمع ٢/٤١ : رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن .

إلَّا منافقٌ معلومُ النفاقِ . ولقد كان الرجل يؤتى به يتهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف » .

وروى الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه ١/٣٥٠ : « عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، أنه كان يُحمل وهو مريض إلى المسجد » .

لله در مقرئ الكوفة ، الإمام العلم عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبي عبد الرحمن السلمي .

وليس هذا فحسب ، بل كان يأمر بحمله في اليوم المطير إلى المسجد ، حيث كانت تجتمع له رخصتان للتخلف عن المسجد ، وهما : المرض والمطر .

فقد أخرج الإمام ابن المبارك في الزهد : « عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، أنه كان يأمرهم أن يحملوه في الطين والمطر إلى المسجد وهو مريض »[(١)] .

ز - الذهاب إلى المسجد في أصعب الظروف :

« قيل لسعيد بن المسيب : إن طارقًا يريد قتلك ؛ فتغيب . فقال : أبحيث لا يقدر الله عليّ ؟ فقيل له : اجلس في بيتك . فقال : أسمع : حي على الفلاح ، ولا أجيب ؟! »[(٢)] .

ح - الحرْص على الموت في حالة انتظار الجماعة :

وانظر إلى حرص أبي عبد الرحمن السلمي ، أن يأتيه الموت وهو في انتظار الصلاة في المسجد ، ولذا رفض الانتقال من المسجد إلى فراشه لما حضرته المنية .

---

(١) الزهد لابن المبارك ص١٤١ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٦/١٧٢ .

(٢) تفسير القرطبي ١٨/٢٥١ .

عن عطاء بن السائب قال : دخلنا على أبي عبد الرحمن السلمي وهـو يُقضي - أين ينزع - في المسجـد ، فقلنا له : لو تحولت إلى الفراش ، فإنه أوثر - قال الحسين ، أحد الرواة : أوثر : أوطأ - قال : حدثني فلانٌ أن النبي ﷺ قال : « لا يزال أحدكم في صلاةٍ ما دام في مصلّاه ينتظر الصلاة »[(١)] .

وفي رواية ابن سعد : « والملائكة تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه » . قال أبو عبد الرحمن السلمي : « فأريد أن أموت وأنا في مسجدي »[(٢)] .

ط - الذهاب إلى مسجدٍ آخر عند فوات جماعة في مسجد :

نقل البخاري عن الأسود ، أنه إذا فاتته الجماعة ذهب إلى مسجدٍ آخر[(٣)] .

ى - حَثّ الابن على ملازمة المسجد :

قال أبو الدرداء لابنه : يا بني ، ليكن المسجد بيتك ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن المساجد بيوت المتقين ، فمن كانت المساجد بيوته ، ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة »[(٤)] .

ك - مُساءَلَة الابن عن حضور صلاة الجماعة :

روى عبد الرزاق ، عن مجاهد قال : « سمعت رجلًا من أصحاب النبي

---

(١) الزهد لابن المبارك ص١٤١ - ١٤٢ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٧٤/٦ - ١٧٥ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب : فضل صلاة الجماعة ١٣١/٢ . ووصله ابن أبي شيبة في المصنف ، وقال ابن حجر ١٣١/٢ . إسناده صحيح .

(٤) الزهد لهنّاد ٣٦٢/٢ . وقال محقق الكتاب ، الشيخ محمد أبو الليث الخير آبادي : إسناده صحيح .

ﷺ - قال : لا أعلمه إلَّا من شهد بدرًا - قال لابنه : أدركت الصلاة معنا ؟ قال : أدركت التكبيرة الأُولى ؟ قال : لا . قال : لَمَا فاتك منها خيرٌ من مائة ناقةٍ ، كلها سود العين »[(١)].

ل - تأديب الابن على التأخُّر عن صلاة الجماعة :

ذكر الذهبي في السير (٥/١١٦) : « عن يعقوب عن أبيه ، أن عبد العزيز بن مروان بعث ابنه عمر إلى المدينة ، يتأدّب بها ، وكتب إلى صالح بن كيسان يتعاهده ، وكان يلزمه الصلوات ، فأبطأ يومًا عن الصلاة ، فقال : ما حبسك ؟ قال : كانت مُرجِّلَتي تُسَكِّن شَعري . فقال : بلغ من تسكين شعرك ، أن تؤثره على الصلاة . وكتب بذلك إلى والده ، فبعث عبد العزيز رسولًا إليه ، فما كلمه حتى حلق شعره » .

م - الدعوة إلى المحافظة على صلاة الفجر والعشاء في جماعةٍ في المرض الأخير :

روى ابن أبي شيبة عن ابن أبي ليلى ، عن أبي الدرداء « أنه قال في مرضه الذي مات فيه : ألا احملوني . فحملوه ، فأخرجوه ، فقال : اسمعوا وبلِّغوا من خلفكم : حافظوا على هاتين الصلاتين العشاء والصبح ، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموها ولو حبوًا على مرافقكم وركبكم »[(٢)].

ن - اهتمام وليّ الأمر بصلاة الجماعة :

قال ثابت بن الحجاج : « خرج عمر بن الخطاب إلى الصلاة ، فاستقبل الناس ، فأمر المؤذن فقام وقال : والله ، لا ننتظر لصلاتنا أحدًا .

---

(١) المصنف لعبد الرزاق ، كتاب الصلاة ، باب : فضل الصلاة في جماعة ١/ ٥٢٨ - ٥٢٩ .

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ، كتاب الصلوات ، في التخلف في العشاء والفجر وفضل حضورهما .

فلما قضى صلاته ، أقبل على الناس ثم قال : ما بال أقوامٍ يتخلفون ، يتخلف بتخلفهم آخرون ، والله لقد هممت أن أُرسل إليهم ، فيجأ في أعناقهم[١]، ثم يقال : اشهدوا الصلاة »[٢] .

وكان الفاروق يتفقد الناس في صلاة الجماعة ، فقد روى مالك ، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة « أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح ، وأن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق ، ومسكن سليمان بين السوق والمسجد النبوي ، فمر على الشفاءِ أُمِّ سليمان ، فقال لها : لم أر سليمان في الصبح . فقالت : إنه بات يصلي ، فغلبته عيناه . فقال عمر : لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة ، أحبُّ إليّ من أن أقوم ليلةً »[٣] .

وروى ابن أبي شيبة ، عن هشيم عن أبيه ، قال : « فقد عمر - رضي الله عنه - رجلًا في صلاة الصبح ، فأرسل إليه فجاء ، فقال : أين كنت ؟ فقال : كنت مريضًا ، ولولا أن رسولك أتاني لَمَا خرجت . فقال عمر : فإن كنت خارجًا إلى أحدٍ ، فاخرج للصلاة »[٤].

وانظر إلى علوِّ همة الفاروق ، وإعانته الناس على صلاة الجماعة .

فقد روى ابن سعد ، عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، قال : « جاء عمر - رضي الله عنه - إلى سعيد بن يربوع ؛ إلى منزله ، فعزّاه بذهاب بصره ، وقال : لا تدع الجمعة ولا الصلاة في مسجد رسول الله

---

(١) فيجأ في أعناقهم : أي يضرب في أعناقهم . (الصحاح ١/٨٠) .
(٢) كنز العمال : ٨/٢٥٢ كتاب الصلاة من قسم الأفعال ، الباب الخامس : في الجماعة وفضلها ، فصل في فضلها .
(٣) الموطأ ، كتاب صلاة الجماعة ، باب : ما جاء في العتمة والصبح ١/١٣١ .
(٤) المصنف لابن أبي شيبة ، كتاب الصلوات ، من قال : إذا سمع المنادي فليجب .

ﷺ . قال : ليس لي قائد . قال : فنحن نبعث إليك بقائد . فبعث إليه بغلامٍ من السبي » .

وانظر إلى علوّ همة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه كان يمرّ في الطريق مناديًا : « الصلاة ، الصلاة » يوقظ الناس لصلاة الفجر ، وكان رضي الله عنه يفعل ذلك كل يومٍ .

فقد روى ابن سعد في طبقاته (٣/٣٦ – ٣٧) عن الحسن رضي الله عنه ، يحدث عن خروج عليٍّ اليوم الذي طعن فيه من بيته ، حيث يقول : « فلمّا خرج من الباب نادى : أيها الناس ، الصلاة الصلاة . كذلك كان يفعل في كل يومٍ ، ومعه دِرَّته يوقِظ الناس » .

وكان أمير مكة من قبل النبي ﷺ ، وهو عتّاب بن أُسَيد الأموي – رضي الله عنه – يهدّد بضرب عنق من تخلف عن الصلاة في المسجد في الجماعة .

فقد ذكر الإمام ابن القيم أنه خطب أهل مكة وقال : « يا أهل مكة ، والله ، لا يبلُغُني أن أحدًا منكم تخلّف عن الصلاة في المسجد في الجماعة ، إلّا ضربتُ عنقه »[١]. يقول الإمام ابن القيم : « وشكر له أصحابُ رسول الله ﷺ هذا الصنيع ، وزاده رفعة في أعينهم » . فأين نحن من هؤلاء .

السَّيِّدُ المتعبِّدُ المتجرد السّابِق الـوامِق ، سيّد المؤذِّنين وخازِن الرسـول الأمين ، بلالُ بن رَبَاحٍ رضي الله عنه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال لبلال ، عند صلاة الفجر : « يا بلال ، حدثني بأرجى عملٍ عملته في الإسلام ؛ فإني سمعت

---

(١) كتاب الصلاة ص٨١ . وهذه أيام الردة بعد وفاة النبي ﷺ .

دف نعليك بين يدي في الجنة » . قال : ما عملت عملًا أرجى عندي أني لم أتطهر طهورًا ، في ساعة ليلٍ أو نهارٍ ، إلّا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أُصلي .

رواه البخاري ومسلم وأحمد .

ودف نعليك ؛ قال البخاري : يعني تحريك نعليك .

وعند أحمد : ما أحدثت إلَّا توضأت وصليت ركعتين .

وهذه منقبةٌ عظيمة لبلال من إدامته الوضوء والصلاة عند كل وضوء ... وقرب منزلته من رسول الله ﷺ .. فلله درُّه من سيدٍ يبيت طاهرًا ، وتعرج روحه فتسجد تحت العرش . فرضي الله عنه .. ورضي الله عن عمر الذي يعرف قدر الرجال بقوله : « أبو بكرٍ سيِّدُنا ، وأعْتَقَ سيِّدَنا » . يعني بلالًا .

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

« قيل لنافع : ما كان يصنع ابن عمر في منزله ؟ قال : لا تطيقونه ، الوضوء لكل صلاةٍ ، والمصحف فيما بينهما »[1] .

وعن نافع : أن ابن عمر كان إذا فاتته العشاء في جماعةٍ ، أحيا بقية ليلته[2] .

وعن محمد بن زيد : أن ابن عمر كان له مهراس فيه ماء ، فيصلي فيه ما قدر له ، ثم يصير إلى الفراش ، فيغفي إغفاءة الطائر ، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ، يفعل ذلك في الليل أربع مراتٍ أو خمسة[3] .

---

(١) أخرجه ابن سعد ١٧٠/٤ . ورجاله ثقات .

(٢) الحلية ٣٠٣/١ . ورجاله ثقات .

(٣) رجاله ثقات . سير أعلام النبلاء ٢١٥/٣ ، والمهراس : صخرة منقورة تسع كثيرًا من الماء ، وقد يُعمل منها حياض للماء .

« قال طاووس : ما رأيت مصلّيًا مثل ابن عمر أشد استقبالًا للقبلة بوجهه وكفيه وقدميه .

وروى نافع : أن ابن عمر كان يحيي بين الظهر إلى العصر .

وعن عبد الله بن واقد : رأيت ابن عمر يصلي ؛ فلو رأيته ، رأيته مُقْلَوْليًا »[1][2].

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب رضي الله عنه :

« عن سعيد بن المسيب : أن أبا سفيان بن الحارث كان يصلي في الصيف نصف النهار ، حتى تُكره الصلاة ، ثم يصلي من الظهر إلى العصر »[3].

عَدِيّ بن حاتم الطائيّ رضي الله عنه :

الأمير الشريف ، أبو وهب وأبو طريف الطائي رضي الله عنه ، صاحب النبي ﷺ .

قال ابن عيينة : حُدِّثتُ عن الشعبي ، عن عدي ، قال : ما دخل وقت صلاةٍ حتى أشتاق إليها .

وعنه : ما أُقيمت الصلاة منذ أسلمت ، إلّا وأنا على وضوءٍ[4].

هذا شوق الصحابة للعبادة .

ومِنْ عَجَبٍ أنّي أحِنُّ إليهمُ ... وأسأَلُ شوقًا عنهمُ وهُمُ معي

وتبكيهمُ عيني وهُمْ في سَوَادِها ... ويشكو النَّوى قلبي وهمْ بَيْنَ أضْلعي

---

(١) مقلوليًا : المتجافي المستوفز . وفلان يتقلّى على فراشه : يتململ ولا يستقر .

(٢) السير ٣/٢٢٣ - ٢٣٥ .

(٣) طبقات ابن سعد ٤/٣٦١ ، سير أعلام النبلاء ١/٢٠٥ .

(٤) السير ٣/١٦٤ .

تَمِيم الدَّارِيّ أبو رُقَيَّة رضي الله عنه :

عن محمد بن سيرين : « أن تميمًا الداري كان يقرأ القرآن في ركعةٍ »[١] .

وعن مسروق : قال لي رجلٌ من أهل مكة : هذا مقام أخيك تميم الداري ، صلى ليلةً حتى أصبح أو كاد ؛ يقرأ آيةً يرددها ويبكي : ﴿ **أم حَسِبَ الذين اجترحوا السيئاتِ أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** ﴾[٢] [الجاثية : ٢١] .

وعن المنكدر بن محمد ، عن أبيه : « أن تميما الداري نام ليلةً لم يقم يتهجد ، فقام سنةً لم ينم فيها ، عقوبة للذي صنع »[٣] .

أبو رفاعة العدوي رضي الله عنه :

عن حميد بن هلال قال : كان أبو رفاعة العدوي يقول : « ما عزبت عني سورة البقرة منذ علمنيها رسول الله ﷺ ، أخذت معها ما أخذت من القرآن ، وما وجع ظهري من قيام الليل قطُّ »[٤] .

قال الذهبي في السير (٣/ ١٥) : « كان أبو رفاعة ذا تعبُّد وتهجد .

قال حميد بن هلال : خرج أبو رفاعة في جيشٍ عليهم عبد الرحمن ابن سمرة ، فبات تحت حصنٍ يصلي ليله ، ثم توسد ترسه فنام ، وركب أصحابه وتركوه نائمًا ، فبصر به العدو ، فنزل ثلاثة أعلاجٍ فذبحوه ،

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٣/٣٥٩ .

(٢) رجاله ثقات . أخرجه الطبراني برقم (١٢٥٠) . ونسبه في الإصابة إلى البغوي في الجعديات .

(٣) تهذيب ابن عساكر ٣/٣٥٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢/٤٤٥ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/٦٩ . ورجاله ثقات .

رضي الله عنه »[١].

عبدُ الله بنُ الزبير بن العوَّام حمامُ المسجد رضي الله عنه :

قال مجاهد : كان ابن الزبير إذا قام إلى الصلاة كأنه عود ، وحدث أن أبا بكر رضي الله عنه كان كذلك .

قال ثابت البناني : « كنت أمر بابن الزبير وهو خلف المقام يصلي ، كأنه خشبة منصوبة لا تتحرك » .

« وروى يوسف بن الماجشون ، عن الثقة يُسنده قال : قسم ابن الزبير الدهر على ثلاثة ليالٍ : فليلة هو قائم حتى الصباح ، وليلة هو راكع حتى الصباح ، وليلة هو ساجد حتى الصباح »[٢] .

وعن مسلم بن يناق قال : « ركع ابن الزبير يومًا ركعة ، فقرأْنا بالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة ، وما رفع رأْسَهُ »[٣].

وعن عمرو بن دينار قال : كان ابن الزبير يصلي في الحجر والمنجنيق يصب توبه[٤] فما يتلفت .

وعن ابن المنكدر قال : لو رأيت ابن الزبير يصلي كأنه غصن تصفقه الريح ، وحجر المنجنيق يقع هاهنا[٥].

« وعن عمر بن قيس ، عن أُمه : أنها دخلت على ابن الزبير بيته ، فإذا هو يصلي ، فسقطت حَيَّةٌ على ابنه هاشم ، فصاحوا : الحية الحية ، ثم

---

(١) طبقات ابن سعد ٦٩/٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٥/٣ . ورجاله ثقات .
(٢) تهذيب ابن عساكر ٤٠٠/٧ .
(٣) ابن عساكر ٤٠٠/٧ ، وسير أعلام النبلاء ٣٦٩/٣ .
(٤) حجر المنجنيق .
(٥) حلية الأولياء ٣٣٥/١ .

رموها ، فما قطع صلاته »[(١)] .

وعن مجاهد : ما كان بابٌ من العبادة يعجز عنه الناس إلا تكلفه ابن الزبير ، ولقد جاء سيلٌ طبق البيت ، فطاف سباحةً[(٢)] .

وعن عثمان بن طلحة قال : كان ابن الزبير لا ينازع في ثلاثة : شجاعة ، ولا عبادة ، ولا بلاغة[(٣)] .

سُهيلُ بنُ عمرو خطيبُ قريشٍ رضي الله عنه :

« لما أسلم كان كثير الصلاة والصوم والصدقة ، وخرج بجماعته إلى الشام مجاهدًا ، ويقال : إنه صام وتهجد حتى شحب لونه وتغير ، وكان كثير البكا إذا سمع القرآن »[(٤)] .

سيِّدُ العُبّاد ، وعَلَمُ الأصفياءِ من الزُّهّاد ، وسيّدُ التّابِعين ، التَّقِيُّ أُوَيْسُ ابنُ عامرٍ القَرَنيُّ :

سماه الشاطبي (سيد العباد بعد الصحابة) لما عرف عنه من كثرة العبادة .

عن الربيع بن خثيم أنه قال : أتيت أُويسًا القرني ، فوجدته قد صلى الصبح وقعد ، فقلت : لا أشغله عن التسبيح ، فلما كان وقت الصلاة قام فصلى إلى الظهر ، فلما صلى الظهر صلى إلى العصر ، فلما صلى العصر قعد يذكر الله إلى المغرب ، فلما صلى المغرب صلى إلى العشاء ، فلما صلى العشاء ، صلى إلى الصبح ، فلما صلى الصبح جلس ، فأخذته عينه ، ثم انتبه فسمعته يقول : « اللهم إني أعوذ بك من عينٍ نوامة ، وبطن لا

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٧/٤٠١ .
(٢) تهذيب ابن عساكر ٧/٤٠١ .
(٣) السير ٣/٣٧٠ .
(٤) السير ١/١٩٤ - ١٩٥ .

تشبع »[(١)] .

رحم الله سيد التابعين أبا عمرو أويسًا . لله ما أعلى همته ، يعاتب نفسه على إغفاءةٍ خاطفة . « ولهذا يعده الشاطبي ممن يأخذ بما هو شاقٌّ على الدوام ، ومع هذا لا يعتبر مخالفًا للسنة ، بل إنه من السابقين الأولين ، ألم يكن الرسول ﷺ يقوم الليل حتى تتورم قدماه » .

« عن أصبغ بن زيد قال : كان أُويس إذا أمسى يقول : هذه ليلة الركوع . فيركع حتى يصبح ، وكان إذا أمسى يقول : هذه ليلة السجود . فيسجد حتى يصبح »[(٢)] .

وكان - رحمه الله - يقول : « لأعبدن الله في الأرض كما تعبده الملائكة في السماء » .

سيِّدُ التّابِعِين سعيدُ بن المسيِّب :

سيد في العلم والعمل . كان كاسمه بالطاعات سعيدًا ، ومن المعاصي والجهالات بعيدا ، متمكن من الخدمة ، حافظ للحرمة .

« عن أبي حرملة ، عن ابن المسيب قال : ما فاتتني الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة .

وقال : ما فاتتني التكبيرة الأُولى منذ خمسين ، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة »[(٣)] .

وعن عثمان بن حكيم : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلّا وأنا في المسجد[(٣)] .

---

(١) الزُّهّاد الأوائل لمصطفى حلمي ٨٤ - ٨٩ ، والاعتصام ٣٠٩/١ ، وتنبيه المغترين ص١١٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٠/٤ .

(٣) الحلية ١٦٢/٢ ، ١٦٣ .

قال الذهبي : إسناده ثابت .

« وعن ابن شهاب : قلت لسعيد بن المسيب : لو تبديت . وذكرت له البادية وعيشها والغنم ، فقال : كيف بشهود العتمة ؟! »[١] .

وعن بشر بن عاصم قال : قلت لسعيد بن المسيب : يا عم ، ألا تخرج فتأكل اليوم مع قومك ؟ قال : معاذ الله يا ابن أخي ، أدع خمسًا وعشرين صلاة خمس صلوات ؟!.

« وعن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب أنه اشتكى عينه ، فقالوا : لو خرجت إلى العقيق فنظرت إلى الخضرة ، لوجدت لذلك خفة . قال : فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح »[٢] .

وعن ابن حرملة : قلت لبرد مولى ابن المسيب : ما صلاة ابن المسيب في بيته ؟ قال : ما أدري،إنه ليصلي صلاة كثيرة ، إلا أنه يقرأ بـ ﴿ **ص والقرآن ذي الذِّكْر** ﴾[٣] [صٓ : ١].

وعن برد مولى ابن المسيب قال : ما نودي للصلاة منذ أربعين سنة إلَّا وسعيد في المسجد .

قال الأوزاعي : كانت لسعيد بن المسيب فضيلةٌ لا نعلمها كانت لأحدٍ من التابعين ، لم تفته الصلاة في جماعةٍ أربعين سنة ، عشرين منها لم ينظر في أقفية الناس .

قال سعيد : ما نظرت في أقفاء قومٍ سبقوني بالصلاة منذ عشرين سنة .

---

(١) ابن سعد ١٣١/٥ .

(٢) ابن سعد ١٣٢/٥ ، والحلية ١٧٣/٢ .

والعقيق : موضع ناحية المدينة فيه عيون ونخل .

(٣) طبقات ابن سعد ١٣٢/٥ .

قال سعيد بن المسيب : من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادةً .

وقال رحمه الله : ما دخل عليَّ وقت صلاة إلّا وقد أخذت أُهبتها ، ولا دخل عليّ فضاء فرض إلّا وأنا إليه مشتاق[(١)].

أبو عائشة مسروق بن عبد الرحمن الهمداني الكوفي :

العالم بربه ... الهائم بحبه ، الذاكر لذنبه ، في العلم معروق ، وبالضمان موثوق ، ولعباد الله معشوق ، المشمر للورود واللحوق ، والمتبصر في الوجود والطروق الإمام القدوة العلم مسروق .

عن أبي إسحاق قال : حج مسروق فما بات إلَّا ساجدًا .

وقال العلاء بن هارون : حج مسروق فما افترش إلا جبهته حتى انصرف .

قال سعيد بن جبير : لقيني مسروق فقال : يا سعيد ، ما بقي شيءٌ يرغب فيه إلّا أن نعفر وجوهنا في التراب ، وما آسى على شيءٍ إلا السجود لله تعالى .

وعن أبي الضحى : كان مسروق يقوم فيصلي كأنه راهب ، وكان يقول لأهله : هاتوا كل حاجةٍ لكم ، فاذكروها لي قبل أن أقوم إلى الصلاة .

وعن إبراهيم بن محمد بن المنتشر : كان مسروق يرخي الستر بينه وبين أهله ، ويقبل على صلاته ويخليهم ودنياهم[(٢)] .

كانت امرأة مسروق تقول : والله ما كان مسروق يصبح ليلةً من الليالي إلَّا وساقاه منتفختان من طول القيام ، وكنت أجلس خلفه فأبكي رحمةً له ، وكان رحمه الله إذا طال عليه الليل وتعب ، صلّى جالسًا ولا يترك

---

(١) الحلية ٢/١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) الحلية ٢/٩٥ - ٩٦ .

الصلاة ، وكان إذا فرغ من صلاته يزحف كما يزحف البعير من الضعف[١] .

رحمك الله أبا عائشة ، تبكي زوجك خلفك وأنت تتهجد رحمةً لك ... لسان حالكم يقول :

أُمسي وأُصبحُ مِنْ تذكاركم قَلقًا　　يرثى لي المُشفقان الأهلُ والولدُ
قد خدَّدَ الدمعُ خدّي من تَذَكُّرِكم　　واعتادني المُضنيانِ الشَّوقُ والكَمَدُ
وغاب عن مُقْلَتي عيني ونافِرُها　　وخانني المُسعِدان الصَّبْرُ والجَلَدُ

تزحف كما يزحف البعير من التعب :

لا غَرْوَ للدَّمْعِ أن تجري غَوارِبُه　　وتحتَهُ الخافقانِ القلبُ والكَبِدُ
لم يبقَ إلَّا خفيّ الرُّوحِ من جسدي　　فداؤك الباقيانِ الرُّوحُ والجَسَدُ[٢]

أبو مسلم الخولاني المُتَسلِّي بالأوراد والنوب ، الخولانيُّ عبدُ الله بن ثوب ، حكيم الأُمّة ومُمثِّلها ، ومُديم الخِدمة ومُحَرِّرُها :

عن شرحبيل ، أن رجلين أتيا أبا مسلمٍ فلم يجداه في منزله ، فأتيا المسجد فوجداه يركع فانتظراه ، فأحصى أحدهما أنه ركع ثلاثمائة ركعة ، والآخر أربعمائة ركعة ، قبل أن ينصرف ، فقال له : يا أبا مسلم ، كنا قاعدين خلفك ننتظرك . فقال : إني لو عرفت مكانكما ، لا نصرفت إليكما أن تحفظا عليّ صلاتي ، وأقسم لكما بالله ، إن خير كثرة السجود ليوم القيامة[٣] .

وعن عثمان بن أبي العاتكة : علق أبو مسلم سوطًا في المسجد ، فكان يقول : أنا أولى بالسوط من البهائم ، فإذا فتر مشق[٤] ساقيه سوطًا أو

---

(١) تنبيه المغترين .

(٢) المدهش .

(٣) تاريخ ابن عساكر ١٧/٩ .

(٤) أي ضربها بسرعة .

سوطين . قال : وكان يقول : لو رأيت الجنة عيانًا أو النار عيانًا ، ما كان عندي مستزاد[١] .

وقال رحمه الله : لو قيل لي : إن جهنم تسعر ، ما استطعت أن أزيد في عملي .

رحم الله أبا مسلم حكيم هذه الأمة ، القائل : « أيظن أصحاب محمدٍ ﷺ أن يسبقونا عليه ، والله لأزاحمهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالًا » .

عامر بن عبد قيس :

راهب هذه الأمة كما قاله كعب الأحبار .

عن الحسن ، أن عامرًا كان يقول : من أُقرىء ؟ فيأتيه ناس فيقرئهم القرآن ثم يقوم فيصلي إلى الظهر ، ثم يصلي إلى العصر ، ثم يقرىء الناس إلى المغرب ، ثم يصلي ما بين العشاءين ، ثم ينصرف إلى منزله فيأكل رغيفًا ، وينام نومةً خفيفةً ، ثم يقوم لصلاته ، ثم يتسحر رغيفًا ويخرج[٢] .

وعن أبي الحسين المجاشعي قال : قيل لعامر بن عبد قيس : أَتُحَدِّث نفسك في الصلاة ؟ قال : أُحدّثها بالوقوف بين يدي الله ومنصرفي[٣] .

قال الذهبي في السير (١٨/٤) : « قيل : كان عامر لا يزال يصلي من طلوع الشمس إلى العصر ، فينصرف وقد انتفخت ساقاه فيقول : يا أمّارة بالسوء ، إنما خلقت للعبادة »[٤] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٩/٤ .

(٢) تاريخ الإسلام ٢٦/٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٧/٤ .

(٤) تاريخ ابن عساكر ص٣٤٠ ، وتاريخ الإسلام ٢٧/٣ .

« هبط عامر واديًا به عابدٌ حبشي ، فانفرد يصلي في ناحيةٍ ، والحبشي في ناحيةٍ أربعين يومًا ، لا يجتمعان إلَّا في فريضة »[١].

« قيل لعامر بن عبد قيس : أما تسهو في صلاتك ؟ قال : أَوَ حديث أحَبّ إليّ من القرآن حتى أشتغل به !! هيهات ، مناجاة الحبيب تستغرق الإحساس »[٢].

القُدوة الرَّبَّانيّ أبو يزيدٍ الرَّبِيعُ بنُ خُثَيْم :

المخبت الورع ، المتثبت القنع ، الحافظ لسره ، والضابط لجهره ، المعترف بذنبه ، المفتقر إلى ربه .

كان رحمه الله يقول : إني لآنس بصوت عصفور المسجد عن أُنسي بزوجتي .

وكان رحمه الله إذا سجد كأنه ثوبٌ مطروحٌ ، فتجيء العصافير فتقع عليه .

« وكان - رحمه الله - بعدما سقط شقه يهادى بين رجلين إلى مسجد قومه ، وكان أصحاب عبد الله بن مسعود يقولون : يا أبا يزيد ، لقد رخص الله لك لو صليت في بيتك . فيقول : إنه كما تقولون ، ولكني سمعته ينادي : حيّ على الفلاح ، فمن سمع منكم : حيّ على الفلاح ، فليجبه ولو زحفًا ، ولو حبوًا .

وعن أبي حيان التيمي عن أبيه ، قال : أصاب الربيع الفالج ، فكان يحمل إلى الصلاة ، فقيل له : أنه قد رخص لك . قال : قد علمت ، ولكن أسمع النداء بالفلاح »[٣].

---

(١) تاريخ الإسلام ٢٧/٣ .

(٢) المدهش ص٤٧٢ .

(٣) الحلية ١١٣/٢ ، ١١٤ .

قال عبد الرحمن بن عجلان : بتُّ عند الربيع بن خثيم ذات ليلةٍ ، فقام يِصلي ، فمر بهذه الآية : ﴿ **أم حَسِب الذين اجترحوا السيئات** ... ﴾ الآية [الجاثية : ٢١] ، فمكث ليلته حتى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاءٍ شديد .

وكان أصحابه يعلمون شعره عند المساء – وكان ذا وفرةٍ – ثم يصبح والعلامة كما هي ، فيعرف أن الربيع لم يضع جنبه ليلهُ على فراشه .

قال سفيان : بلغنا أن أُمّ الربيع بن خُثيم كانت تنادي ابنها الربيع ، فتقول : يا ربيع ، ألا تنام ؟ فيقول : يا أُمّهْ ، من جنَّ عليه الليل وهو يخالف البيات ، حق له أن لا ينام .

اشترى – رحمه الله – فرسًا بثلاثين ألفًا ، فغزا عليها ، ثم أرسل غلامه يسار يحتش وقام يصلي ، وربط فرسه ، فجاء الغلام فقال : يا ربيع ، أين فرسك ؟ قال : سرقت يا يسار . قال : وأنت تنظر إليها ؟! قال : نعم يا يسار ، إني كنت أُناجي ربي عز وجل ، فلم يشغلني عن مناجاة ربي شيءٌ ، اللهم إنه سرقني ولم أكن أسرقه ، اللهم إن كان غنيًّا فاهده ، وإن كان فقيرًا فأغنه . ثلاث مراتٍ[١] .

رحم الله ابن خثيم تلميذ ابن مسعود ، الذي قال له ابن مسعود : « يا أبا يزيد ، لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك ، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين »[٢].

يرحم الله من عظموا قدر الصلاة .

---

(١) الزهد ص٢٣١ ، مختصر قيام الليل ص٢٧ .
(٢) الحلية ٢/١٠٦ .

عن أبي وائل قال : دخلت على الأسود بن هلال فقلت : ليتني وإياك قد مضينا . قال : بئس ما تقول ، أليس أسجد كل يومٍ وليلة أربعًا وثلاثين سجدةً .

وعنه : قلت للأسود بن هلال : وددت أنك مت منذ سنةٍ . فقال : لي صاحب خيرٌ منك،ما أبغض حياة شهر ، أُصلي خمسين ومائة صلاة إلى ضعفها . أو قال : إلى سبعمائة ضعف[1] .

مُــرَّة الطَّيِّب :

مرةُ الخير ، مرة بن شراحيل ، المدمن للتعبد والمواظب على التهجد .

قال الذهبي في السير (٤/٧٥ ، ٧٦) : « يقال له : مرة الخير ؛ لعبادته وخيره وعلمه . وثقه يحيى بن معين ، وبلغنا عنه أنه سجد لله حتى أكل التراب جبهته .

وعن عطاء بن السائب : رأيت مصلى مرة الهمداني مثل مبرك البعير .

ونقل عطاء وغيره : أن مرة كان يصلي في اليوم والليلة ستمائة .

قال الذهبي : قلت : ما كان هذا الولي يكاد يتفرغ لنشر العلم ، ولهذا لم تكثر روايته ، وهل يراد من العلم إلَّا ثمرته » .

« عن عطاء بن السائب قال : كان مرة يصلي كل يوم وليلة ألف ركعةٍ ، فلما ثقل وبدن صلى أربعمائة ركعة ، وكنت تنظر إلى مباركه كأنها مبارك الإبل .

وقال العلاء بن عبد الكريم الأيامي : كنا نأتي مرة الهمداني ، فيخرج إلينا فنرى أثر السجود في جبهته وكفيه وركبتيه وقدميه . قال : فيجلس معنا هنيئةً ثم يقوم ، فإنما هو ركوع وسجود .

وعن أبي الهذيل قال : قلت لمرة الهمداني ، وكان قد كبر : كم بقي

---

(١) الحلية ٤/١٠٤ .

من صلاتك ؟ قال : شطر ، مائتان وخمسون ركعة كل يوم »[١] .

الإمام الحُجَّة أبو عبد الله عمرو بن ميمون الأودي :

« قال إبراهيم : لما كبر عمرو بن ميمون أُوتد له في الحائط ، وكان إذا سئم من القيام ، أمسك به ، أو يتعلق بحبلٍ »[٢] .

الإمام الحُجَّة ، شيخ الوقت أبو عثمان عبد الرحمن بن مُلّ النَّهْدِي :

قال معاذ بن معاذ : كانوا يرون أن عبادة سليمان التيمي : من أبي عثمان النهدي أخذها .

عن عاصم بن الأحول ، قال : بلغني أن أبا عثمان النهدي كان يصلي ما بين المغرب والعشاء مائة ركعة[٣] .

العلاء بن زياد بن مطر القدوةُ العابد :

قال عنه الذهبي في السير (٤/٢٠٤) : « كان ربانيًا تقيًّا قانتًا لله بكّاءً من خشية الله » .

« قال هشام بن حسان : كان العلاء يصوم حتى يخضر ، ويصلي حتى يسقط ، فدخل عليه أنس والحسن فقالا : إن الله لم يأمرك بهذا كله »[٤] .

« عن هشام بن زياد أخي العلاء ، أن العلاء كان يُحيي ليلة الجمعة[٥] ، فأتاه من أخذ بناصيته وقال : قم يا ابن زيادٍ فاذكر الله يذكرك ، فقام ،

---

(١) الحلية ٤/١٦٢ .
(٢) السير ٤/١٥٨ - ١٦١ .
(٣) السير ٤/١٧٧ .
(٤) الحلية ٢/٢٤٣ .
(٥) أي يقومها حتى الصباح ، وإن كان يقوم غيرها فليس في هذا تخصيصٌ لقيام ليلة الجمعة المنهي عنه .

فما زالت تلك الشعرات التي أخذها منه قائمة حتى مات »[١].

سعيد بن جبير :

قال القاسم بن أبي أيوب : سمعت سعيدًا يردد هذه الآية في الصلاة بضعًا وعشرين مرة : ﴿ **واتَّقُوا يومًا تُرجعون فيه إلى الله** ﴾[٢]. [البقرة : ٢٨١] .

وعن هلال بن يساف قال : دخل سعيد بن جبير الكعبة ، فقرأ القرآن في ركعةٍ[٣].

العابِدُ العَلَمُ التّابِعِيُّ عُمير بنُ هانىء :

أخرج الترمذي في « أبواب الدعاء » : عن مسلمة بن عمرو قال : كان عُمير بن هانىء يصلي كل يومٍ ألف ركعة ، ويسبح مائة ألف تسبيحة .

قال أبو العالية : كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيامٍ لأسمع منه ، فأتفقد صلاته ، فإن وجدته يحسنها ، أقمت عليه ، وإن أجده يضيعها ، رحلت ولم أسمع منه ، وقلت : هو لما سواها أضيع[٤].

« وقال سفيان بن عيينة : لا تكن مثل عبد السوء ، لا يأتي حتى يدعى ، ايت الصلاة قبل النداء »[٥].

الإمام مُفتي المدينة وعالمها وأحَدُ الفقهاءِ السَّبْعة عبيدُ الله بن عبد الله بن عتبة :

قال مالك : كان عبيد الله يطول الصلاة ، ولا يعجل عنها لأحدٍ .

---

(١) الحلية ٢/٢٤٤ .
(٢) الحلية ٤/٢٧٢ .
(٣) الزهد لأحمد ص٣٧٠ .
(٤) الحلية ٢/٢٢٠ ، والسير ٤/٢٠٩ .
(٥) التبصرة لابن الجوزي ص١٣١ .

قال : فبلغني أن عليّ بن الحسين جاءه وهو يصلي ، فجلس ينتظره ، وطول عليه ، فعوتب عبيد الله في ذلك ، وقيل : يأتيك ابن بنت رسول الله ﷺ فتحبسه هذا الحبس ؟! فقال : اللهم غفرًا ، لا بد لمن طلب هذا الشأن أن يُعَنَّى [(١)]

زاذان أبو عُمر الكِنْدِيُّ أحَدُ كبار علماء التابِعِين :

« قال عنه زبيد : رأيت زاذان يصلي كأنه جذع »[(٢)].

زَيْنُ العابِدِين عليُّ بن الحسين الإمامُ ابن الإمام :

قال الزهري : ما رأيتُ قُرَشِيًّا أفضل من علي بن الحسين[(٣)].

عن أبي نوحٍ الأنصاري قال : وقع حريقٌ في بيتٍ فيه علي بن الحسين وهو ساجد ، فجعلوا يقولون : يا ابن رسول الله ، النار . فما رفع رأسه حتى طفيت ، فقيل له في ذلك ، فقال : ألهتني عنها النار الأُخرى[(٤)] .

وعن عبد الله بن أبي سليمان قال : كان عليّ بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يده فخذيه ولا يخطر بها ، وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة ، فقيل له ، فقال : تدرون بين يدي من أقوم ، ومن أُناجي[(٥)].

وعنه ، أنه كان إذا توضأ اصفر[(٦)].

وعن مالك : أحرم علي بن الحسين فلما أراد أن يلبي قالها ، فأُغمي عليه ، فسقط من ناقته فهشم ، ولقد بلغني أنه كان يصلي في كل يوم وليلة

---

(١) السير ٤/٤٧٨ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/٢٨٠ .
(٣) ابن عساكر ١٢/١٨أ ، والمعرفة والتاريخ ١/٥٤٤ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/٣٩١ .
(٥) طبقات ابن سعد ٥/٢١٦ ، والحلية ٣/١٣٣ .
(٦) السير ٤/٣٩٢ .

ألف ركعةٍ إلى أن مات ، وكان يسمى زين العابدين لعبادته[(١)] .

رحمك الله يا ابن الحسين ، كان يسمى ذا الثفنات ، وكانت ركبتاه كثفنات البعير .

وعن طاوس : سمعتَ علي بن الحسين وهو ساجد يقول : « عبيدك بفنائك ، مسكينك بفنائك،سائلك بفنائك ، فقيرك بفنائك » . قال : فوالله ما دعوت بها في كربٍ قط إلا كشف عني[(٢)] .

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزوميُّ أحَدُ فقهاء المدينة السبعة :

قال ابن سعد : كان يُقال له:راهِب قريش ؛ لكثرة صلاته ، وكان مكفوفًا[(٣)] .

وقال ابن خراش : هو أحد أئمة المسلمين ، هو وإخوته يضرب بهم المثل[(٤)] .

قال الزبير بن بكار : هو أحد فقهاء المدينة السبعة ، وكان يسمى الراهب ، وكان من سادات قريش[(٥)] .

قال أبو داود : كان إذا سجد يضع يده في طشت ماءٍ ؛ لعلَّةٍ كان يجدها[(٦)] .

أبو جعفر الباقر السيِّدُ الإمام محمدُ بن عليّ بن الحسين :

عن عبد الله بن يحيى قال : كان أبو جعفر يصلي كل يومٍ وليلةٍ خمسين

---

(١) ابن عساكر ١٢/٢٠أ .

(٢) السير ٤/٣٩٣ .

(٣) الطبقات ٥/٢٠٧ – ٢٠٨ .

(٤) السير ٤/٤١٧ .

(٥) ابن عساكر ٨٦ب .

(٦) السير ٤/٤١٧ .

ركعة بالمكتوبة[١].

رحمك الله يا باقر العلم . قال فيه القرطي :

يا باقـر العِلْـمِ لأَهـل التُّقى وخَيْـرَ مَنْ لَبَّى على الأَجْبُـلِ

وقال فيه مالك بن أعين :

إذا طـلب النـاسُ عِلْـم القُـرا نِ كانت قريـشٌ عليه عِيالَا
وإن قيل أين ابنُ بنتِ الرســو لِ نلـتَ بذلـك فـرعًا طُـوالَا
نجـومٌ تهـلَّلُ للمُـدْلجيـنَ جِبالٌ تُوَرِّث عِلمًـا جبـالَا[٢]

عُروة بن الزُّبير ابنُ حواري الرسول ﷺ وأحد فقهاء المدينة السبعة :

« عن هشام ، أن أباه وقعت في رجله الآكلة ، فقيل : ألا ندعو لك طبيبًا ؟ قال : إن شئتم . فقالوا : نسقيك شرابا يزول فيه عقلك ؟ فقال : امض لشأنك ، ما كنت أظن أن خلقًا يشرب ما يزيل عقله حتى لا يعرف به . فوضع المنشار على ركبته اليسرى ، فما سمعنا له حسًّا ، فلما قطعها جعل يقول : لئن أخذتَ لقد أبقيتَ ، ولئن ابتليت فقد عافيت . وما ترك جزأه بالقرآن تلك الليلة »[٣] .

أي صلاته بالقرآن ، وإن جزأه لسبع القرآن .

الإمامُ القُدوةُ الرَّبّانيُّ أبو مُحَيْرِيز عبدُ الله بن محيريز :

قال رجاء بن حيوة ، لما مات ابن محيريز : والله لقد كنت أعد بقاء ابن محيريز أمانًا لأهل الأرض[٤].

---

(١) الحلية ١٨٢/٣ .
(٢) السير ٤٠٤/٤ ، ومعجم المرزباني ٢٦٨ .
(٣) السير ٤٣٠/٤ .
(٤) الحلية ١٤٢/٥ .

« وقال الأوزاعي : من كان مقتديًا ، فليقتد بمثل ابن محيريز ، إن الله لم يكن ليضل أُمَّةً فيها ابن محيريز .

وقال رجاء بن حيوة : إن يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم ابن عمر ، فإنا نفخر عليهم بعابدنا ابن محيريز » .

« قال عمرو بن عبد الرحمن بن محيريز : كان جدي يختم في كلِّ جمعةٍ ، وربما فرشنا له فلم ينم عليه »[١] .

« وقال عبد الله بن عوف القارىء : لقد رأيتنا برودس وما في الجيش أكثر صلاةً في العلانية من ابن محيريز ، ثم قد أقصر عن ذلك حين عُرف وشُهر »[٢] .

الإمامُ القُدوةُ أبو عمرو الأسودُ بن يزيد النَّخعِيُّ :

هو أخو عبد الرحمن بن يزيد ، ووالد عبد الرحمن بن الأسود ، وابن أخي علقمة بن قيس ، وخال إبراهيم النَّخَعي .

فهؤلاء أهل بيت من رؤوس العلم والعمل .

وقد كان الأسود نظير مسروق في الجلالة والعلم والثقة والسن ، يضرب بعبادتهما المثل .

قال الذهبي[٣] واليافعي[٤]: ورد أنه كان يصلي في اليوم والليلة سبعمائة ركعة .

أبو عبد الله مسلمُ بن يَسَار ، المشاهدُ المبصارُ ، المجاهدُ المحضار :

« قال العلاء بن زياد : لو كنت متمنِّيًا لتمنيت فقه الحسن ، وورع ابن

---

(١) السير ٤/٤٩٤ - ٤٩٦ .
(٢) الحلية ٥/١٤١ .
(٣) العبر ١/٨٦ .
(٤) مرآة الجنان لليافعي ١/١٥٦ .

سيرين ، وصواب مطرفٍ ، وصلاة مسلم بن يسار »[١] .

« قال جعفر بن حيان : ذكر لمسلم بن يسار قلة التفاته في صلاته ، فقال : وما يدريكم أين قلبي .

وعن حبيب بن الشهيد ، أن مسلم بن يسار كان قائمًا يصلي ، فوقع حريق إلى جنبه ، فما شعر به حتى طفئت النار .

وعن عبد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه ، أنه كان يصلي ذات يومٍ ، فدخل رجلٌ من أهل الشام ففزعوا ، واجتمع له أهل الدار ، فلما انصرفوا قالت له أم عبد الله : دخل هذا الشامي ففزع أهل الدار ، فلم تصرف إليهم - أو كما قالت - قال : ما شعرت .

قال معتمر : وبلغني أن مسلمًا كان يقول لأهله : إذا كانت لكم حاجةٌ فتكلموا وأنا أُصلّي .

وعن عبد الله بن مسلم بن يسار ، عن أبيه قال : ما رأيته يصلي قطُّ إلَّا ظننت أنه مريض .

وعن ابن شوذب قال : كان مسلم بن يسار يقول لأهله ، إذا دخل في صلاته في بيته : تحدثوا فلست أسمع حديثكم .

وعن ميمون بن حيان قال : ما رأيت مسلم بن يسار متلفتًا في صلاته قطُّ خفيفةً ولا طويلةً ، ولقد انهدمت ناحيةٌ من المسجد ، ففزع أهل السوق لهدمه ، وإنه لفي المسجد في الصلاة ، فما التفت .

وعن عبد الله بن مسلم بن يسار : كان مسلم بن يسار إذا دخل المنزل ، سكت أهل البيت فلا يسمع لهم كلام ، وإذا قام يصلي ، تكلموا وضحكوا .

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٦/٢٤٥ .

وعن غيلان بن جرير قال : كان مسلم بن يسار إذا رُئِيَ وهو يصلي كأنه ثوبٌ مُلقًى .

وعن ابن عونٍ قال : كان مسلم بن يسار إذا كان في غير صلاةٍ ، كأنه في صلاة .

عن معاوية بن قرة قال : دخلت على مسلمٍ فقال : دخلت عليَّ وأنا أدفن بعض جسدي .

قال معاويـة : وكان يطيل السجـود ، أراه قال : فوقـع الـدم في ثنيتيه ، فسقطتا فدفنهما .

وقال ابن عون : رأيت مسلم بن يسار يصلي كأنه وتدٌ لا يميل على قدمٍ مرة ولا على قدمٍ مرة »[1].

إذا اشتغلَ اللَّاهُون عنك بشُغْلهم ... جعلتُ اشتغالي فيك يا مُنتهى شغلي

فمن لي بأن ألقاك في ساعة الرِّضا ... ومَنْ لي بأن ألقاك والكلُّ لي من لي

هذا والله الخشوع .. وهذه صلاة مسلم بن يسار العابد الذي « لَمَّا مات قال الحسن البصري : وامُعَلِّماه »[2].

« عن عبد الله بن مسلم بن يسار قال : رأيت مسلمًا وهو ساجدٌ ، وهو يقول في سجوده : متى ألقاك وأنت عني راضٍ . ويذهب في الدعاء ، ثم يقول : متى ألقاك وأنت عني راضٍ »[3].

أبو عبد الله وهبُ بن مُنَبِّه بن كامل :

الإمام العلامة الأخباري القصصي .

قال المثنى بن مصباح : لبث وهب بن منبه عشرين سنة لم يجعل بين

---

(١) الحلية ٢/٢٩٠ - ٢٩١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/٥١٣ .

(٣) الحلية ٢/٢٩٢ .

العشاء والصبح وضوءًا[(١)].

« وقال مسلم الزنجي : لبث وهب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على فراش ، وعشرين سنة لم يجعل بين العتمة والصبح وضوءًا .

وعن عبد الصمد بن معقل قال : صحبت عمي وهبًا أشهُرًا يصلي الغداة بوضوء العشاء »[(٢)].

« عن كثير أنه سار مع وهبٍ ، فباتوا بصعدة عند رجلٍ ، فخرجت بنت الرجل فرأت مصباحًا ، فاطلع صاحب المنزل ، فنظر إليه صافًّا قدميه في ضياءٍ كأنه بياض الشمس ، فقال الرجل : رأيتك الليلة في هيئةٍ . وأخبره فقال : اكتم ما رأيت »[(٣)] .

وروى عبد الرزاق بن همام عن أبيه ، قال : رأيت وهبًا إذا قام في الوتر قال : « لك الحمد السرمد ، حمدًا لا يحصيه العدد ، ولا يقطعه الأبد ، كما ينبغي لك أن تحمد ، وكما أنت له أهل ، وكما هو لك علينا حق » .

أخي ، الصلاة أول فريضة بعد الإخلاص بالعبادة لله،فأين حظك منها ، وانظر إلى :

طَلْق بن حَبِيب :

الوفي النجيب ، المتعبد اللبيب .

« عن كلثوم بن جبر قال : كان المتمني بالبصرة يقول : عبادة طلق ابن حبيب ، وحلم مسلم بن يسار .

وعن حماد بن زيد ، عن أيوب قال : ما رأيت أعبد من طلق بن حبيب .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/٥٤٣ ، وابن عساكر ١٧/٤٧٧أ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/٥٤٧ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٤/٥٤٦ - ٥٤٧ .

قال ابن الأعرابي : كان يقال : فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وحلم مسلم بن يسار ، وعبادة طلق .

قال سفيان بن عيينة : سمعت عبد الكريم يقول : كان طلق لا يركع إذا افتتح القراءة حتى يبلغ العنكبوت ، وكان يقول : إني أشتهي أن أقوم حتى يشتكي صلبي .

قال طلق : يموت المسلم بين حسنتين ، حسنة قد قضاها ، وحسنة ينتظرها - يعني الصلاة - »[1] .

أخي : استمع إلى قول المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٣٣٨/١) :

« إن الله تبارك وتعالى قد خص أهل جواره بخاصة اللطف في جنته من الهدايا ، ثوابًا لهم على صلاتهم من بين سائر الأعمال ، فجعل هداياه إلى أوليائه في جنته ، بمقادير صلواتهم في الأوقات التي كانوا يصلونها ، من بين جميع الطاعات وأوقاتها ، فكفى بالصلاة فضلًا ، وحسن عاقبةٍ في الآخرة .

قال بعض أهل العلم : إن كان متواضعًا في الدنيا في صلاته ، خاشعًا ، يأخذ بيده اليسرى باليمنى ، حشر على إخباته في صلاته ، ثوابًا لخشوعه في صلاته ، علامة له من بين الخلائق ، أنه هكذا كان لله في الدنيا ، متذلِّلا إذا قام بين يديه يناجيه » .

أخي : وفر نصيبك من هدايا في الجنة ، وجاهد نفسك في صلاتك حتى تحشر على صورةٍ كريمة .

ليكن لسان حالك : « ما دخل وقت صلاة قط ، حتى أشتاق إليها » .

كن مثل :

عبد الرحمن بن الأسودِ بنِ يزيدَ أبو حفصٍ النَّخَعِيّ :

الفقيه ، الإمام ابن الإمام . كان من المتهجدين العباد .

---

(١) حلية الأولياء ٦٣/٣ - ٦٥ ، وسير أعلام النبلاء ٦٠١/٤ - ٦٠٣ .

« قال الشعبي : أهل بيتٍ خلقوا للجنة : علقمة والأسود وعبد الرحمن .

عن ابن إسحاق قال : قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجًّا ، فاعتلت رجله ، فصلى على قدمٍ حتى أصبح .

وعن الحكم ، أن عبد الرحمن بن الأسود لما احتُضِر ، بكى ، فقيل له ؟ فقال : أسفًا على الصلاة والصوم ، ولم يزل يتلو حتى مات »[١] .

وما أحلى العبادة من أبناء الملوك والخلفاء ، فهذا :

عبدُ الرحمن بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ بنِ أبي سفيان :

وكان من الأتقياء العباد .

كان عمر بن عبد العزيز يرق له ؛ لما هو عليه من النسك .

قال الذهبي في السير (٥/٥٠) : « قيل : اجتهد عبد الرحمن بن يزيد في العبادة حتى صار كالشن البالي .

قال المفضل الغلابي : عباد الرحمن من قريشٍ كلهم عابد ، عبد الرحمن ابن زياد بن أبي سفيان ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعبد الرحمن ابن أبان بن عثمان ، وعبد الرحمن بن يزيد بن معاوية »[٢] .

أخي : « لو أحببت المخدوم ، لحضر قلبك في الخدمة . ويحك ، هذا الحديد يعشق المغناطيس ، فكيفما التفت التفت . إن كنت ما رأيت هذا الحجر ، فانظر إلى الحرابي تواجه الشمس ، فكيفما مالت قابلتها .

وإنِّي إذا اصْطَكَّتْ رِقابُ مَطِيِّكُمْ ... وثَوَّرَ حادٍ بالرِّفاقِ عَجُولُ
أُخالِف بين الرَّاحَتَيْنِ على الحَشَا ... وأنْظُرُ أنَّى مِلْتُمُ فَأَميلُ

يا واقفًا في صلاته بجسده ، والقلب غايب ، ما يصلح ما بذلته من

(١) سير أعلام النبلاء ٥/١١ - ١٢ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٥/٥٠ .

التعبد مهرًا للجنة ، فكيف ثمنًا للجنة ؟! .

أخي : الصلاة مكيال ، من وفى وفِّي له ، ومن طفف طفف عليه .

فكن من قومٍ جدوا في انطلاقهم إلى خلاقهم ، وأذابهم كرب اشتياقهم ، فما الذي حبسك عن لحاقهم ، **قد لزموا محاريبهم** ، وأحاط بهم القلق ودار ﴿ **يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾ [النور : ٣٧] . فهذا :

بلال بن سعد :

المتشمِّر في الوعظ ، المتفكر في الوعد .

قال عنه أبو نعيم الأصبهاني في الحلية : « كان عقولًا عن الله - تعالى - سميعًا ، حمولة في الخدمة رفيعًا ، بليغًا في الموعظة ضليعًا » .

قال عنه الأوزاعي : كان بلال بن سعد من العبادة على شيءٍ لم نسمع أحدًا من أمة محمد ﷺ[1] .

قال الذهبي في السير (٥/٩٠) : « قال الأوزاعي : كان من العبادة على شيءٍ لم نسمع أحدًا قوي عليه ، كان له في كل يومٍ وليلة ألف ركعة » .

فرحمة الله على الإمام الرباني الذي قال عنه ابن المبارك : « كان محل بلال بن سعد بالشام ومصر كمحل الحسن بن أبي الحسن بالبصرة »[2] .

أخي : أما سمعت قول رسولك ﷺ : « الصلاة خير موضوعٍ ، فمن أراد أن يستكثر فليستكثر » .. هذه التجارة مع الله ... وهذه أحلى تجارات الآخرة ، فرحم الله من سمع هذا فاستكثر ، وصار على درب الرجال المستكثرين ، ومنهم :

---

(١) الحلية ٥/٢٢١ - ٢٢٢ .

(٢) الحلية ٥/٢٢٢ .

الإمامُ سليمانُ بنُ مِهْران الأعمش :

الإمام المقرىء ، الراوي المفتي ، كثير العمل ، قليل الأمل .

« قال وكيع : كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى ، واختلفت إليه قريبًا من ستين ، فما رأيته يقضي ركعةً .

كان يحيى بن القطان إذا ذكر الأعمش قال : كان من النساك ، وكان محافظًا على الصلاة في الجماعة ، وعلى الصف الأول .

قال يحيى : وهو علّامة الإسلام . وكان يحيى يلتمس الحائط حتى يقوم في الصف الأول »[1].

الإمامُ القُدْوَةُ الفقيه أبو أسماء ، إبراهيمُ بن يزيدَ التَّيْمِيّ :

عابد الكوفة .

قال الأعمش : كان إبراهيم التيمي إذا سجد ، كأنه جذم حائطٍ ينزل على ظهره العصافير ..

قال إبراهيم التيمي : إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى ، فاغسل يدك منه[2].

مُفتي الحَرَم وشيخُ الإسلام أبو محمد عطاءُ بن أبي رَباح :

قال ابن جريج : كان المسجد فراش عطاءٍ عشرين سنةً ، وكان من أحسن الناس صلاةً[3].

الإمامُ الرَّبّانِيُّ أبو الحارث عامرُ بنُ عبدِ الله بنِ الزّبَيْر :

« قال مصعب : سمع عامرٌ المؤذن ، وهو يجود بنفسه ، فقال : خذوا

---

(١) حلية الأولياء ٤٩/٥ - ٥٠ .

(٢) السير ٨٤/٥ .

(٣) السير ٦٠/٥ - ٦٢ .

بيدي . فقيل : إنك عليل . قال : أسمع داعي الله فلا أجيبه ! فأخذوا بيده ، فدخل مع الإمام في المغرب ، فركع ركعةً ثم مات »[١] .

أبو محمد ثابِتٌ البُنانيّ :

المتعبد الناحل ، والمتهجد الذابل ، الحافظ للحرمة ، المداوم على الخدمة ، الإمام القدوة .

« قال أنس بن مالك : إن للخير مفاتيح ، وإن ثابتًا مفتاحٌ من مفاتيح الخير .

قال ثابت رحمه الله : لا يسمى عابدٌ أبدًا عابدًا – وإن كان فيه كل خصلة خيرٍ – حتى تكون فيه هاتان الخصلتان : الصوم والصلاة ؛ لأنهما من لحمه ودمه »[٢] .

« وعن حماد بن سلمة قال : كان ثابت يقول : اللهم إن كنت أعطيت أحدًا الصلاة في قبره ، فأعطني الصلاة في قبري . فيقال : إن هذه الدعوة استجيبت له ، وإنه رئي بعد موته يصلي في قبره »[٣] .

قال يوسف بن عطية : سمعت ثابتًا يقول لحميدٍ الطويل : هل بلغك يا أبا عبيدٍ ، أن أحدًا يصلي في قبره إلّا الأنبياء ؟ قال : لا . قال ثابت : اللهم إن أذنت لأحدٍ أن يصلي في قبره فائْذَنْ لثابتٍ أن يصلي في قبره .

قال : وكان ثابت يصلي قائمًا حتى يَعْيَا ، فإذا أَعْيَا جلس ، فيصلي وهو جالس ، ويحتبي في قعوده ويقرأ ، فإذا أراد أن يسجد وهو جالس ، فتح حبوته.

قال ثابت : الصلاة خدمة الله في الأرض ، لو علم الله عز وجل شيئًا

---

(١) السير ٥/٢٢٠ .

(٢) الحلية ٢/٣١٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/٢٢٢ .

أفضل من الصلاة لما قال : ﴿ فنادته الملائكةُ وهو قائمٌ يُصلّي في المحراب ﴾ [آل عمران : ٣٩].

وقال المبارك بن فضالة : دخلت على ثابت البناني في مرضه ، وهو في علوّ له ، وكان لا يزال يذكر أصحابه ، فلما دخلنا عليه ، قال : يا إخوتاه ، لم أقدر أن أُصلّي البارحة كما كنت أصلي ، ولم أقدر أن أصوم كما كنت أصوم ، ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابي ، فأذكر الله عز وجل كما كنت أذكره معهم . ثم قال : اللهم إذ حبستني عن ثلاثٍ ، فلا تدعني في الدنيا ساعة ؛ إذ حبستني أن أصلي كما أريد ، وأصوم كما أريد ، وأذكرك كما أريد ، فلا تدعني في الدنيا ساعةً . فمات من وقته ، رحمه الله .

قال جعفر : حدثنا ثابت البناني قال : كان رجلٌ من العباد يقول : إذا نمت ثم استيقظت ثم ذهبت أعود إلى النوم ، فلا أنام الله عيني !

قال جعفر : كنا نرى ثابتًا إنما يعني نفسه .

قال ثابت : والله للعبادة أشد من نقل الكارات .

وقال رحمه الله : كان يقال : فقه كوفي ، وعبادة بصري .

وعن ابن شوذب قال : ربما مشيت مع ثابتٍ البناني فلا يمر بمسجدٍ إلّا دخل فصلى فيه .

وقال ابن شوذب : ربما مشينا مع ثابتٍ ، فإذا عدنا مريضًا ، بدأ بالمسجد الذي في بيت المريض ، فركع فيه ، ثم يأتي المريض .

وقال حميد : كنا نأتي أنس بن مالك ومعنا ثابتٌ ، فكلما مر بمسجدٍ صلى فيه ، فكنا نأتي أنسًا فيقول : أين ثابت ؟ أين ثابت ؟ إن ثابتًا دويبة أحبها .

وعن حرمي قال : استعان رجلٌ بثابت البناني على القاضي في حاجة ، فجعل لا يمر بمسجد إلّا نزل فصلى ، حتى انتهى إلى القاضي وقد ختمت

القماطر ، فكلمه في حاجة الرجل فقضاها ، فأقبل ثابتٌ على الرجل فقال : لعله شق عليك ما رأيت . قال : نعم . قال : ما صليت صلاة إلَّا طلبت إلى الله تعالى في حاجتك .

وقال جعفر : كان ثابت يخرج إلينا وقد جلسنا في القبلة ، فيقول : يا معاشر الشباب ، حلتم بيني وبين ربي أن أسجد له . وكان قد حببت إليه الصلاة .

قال أنسٌ لثابت : ما أشبه عينيك بعيني رسول الله ﷺ . فما زال يبكي حتى عمشت عيناه .

رحمة الله على تلميذ أنس بن مالك ، ثابت البناني الذي قال : كابدت الصلاة عشرين سنة ، وتنعمت بها عشرين سنة .

رحمة الله على تلميذ أنس الذي تأدب معه أستاذه أنسٌ كل الأدب .

قالت جميلة مولاة أنسٍ : كان ثابت إذا جاء ، قال أنسٌ : يا جميلة ، ناوليني طيبًا أمس به يدي ، فإن ابن أُمّ ثابتٍ لا يرضى حتى يقبل يدي ، ويقول : قد مست يد رسول الله ﷺ[١] .

رحمة الله على جبل العبادة ثابت البناني ، الذي تعلمها من أُستاذه أنس .

« قال ثابت : صحبت أنس بن مالك أربعين سنة ، ما رأيت أعبد منه »[٢] .

ربيعةُ بنُ يزيدَ أبو شعيبٍ الإيادِيُّ الدّمشقيّ القصيرُ :

قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/٢٣٩ - ٢٤٠) : « الإمام القدوة .

---

(١) حلية الأولياء بتصرف ٢/٣١٨ - ٣٢٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/٢٢٢ .

قال فرج بن فضالة : كان ربيعة يُفَضَّلُ على مكحول - أعني في العبادة -.

وقال سعيد بن عبد العزيز : لم يكن عندنا أحدٌ أحسن سمتًا في العبادة منه ، ومن مكحول .

قال أبو مسهر : حدثنا عبد الرحمن بن عامر : سمعت ربيعة بن يزيد يقول : ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة ، إلَّا وأنا في المسجد ، إلَّا أن أكون مريضًا أو مسافرًا » .

الإمام القانِتُ أبو الخلائِفِ أبو محمد الهاشِمِيُّ السَّجَّاد علي بن عبد الله بن العباس :

« ذكر عنه الأوزاعي وغيره ، أنه كان يسجد كلّ يومٍ ألف سجدة .

قال علي بن أبي حملة : دخلت على عليِّ بن عبد الله وكان جسيمًا آدم ، ورأيت له مسجدًا كبيرًا في وجهه .

قال ابن المبارك : كان له خمسمائة شجرة ، يصلي عند كل شجرة ركعتين ، وذلك كل يوم »[(١)].

الإمام الكبير مُقْرِىء العصر أبو بكرٍ عاصمُ بنُ أبي النَّجُودِ :

« قال زياد بن أيوب : حدثنا أبو بكر قال : كان عاصم إذا صلَّى ينتصب كأنه عود ، وكان يكون يوم الجمعة في المسجد إلى العصر ، وكان عابدًا خيِّرًا ، يصلي أبدًا ، ربما أتى حاجةً ، فإذا رأى مسجدًا قال : مِلْ بنا فإن حاجتنا لا تفوت . ثم يدخل فيصلي »[(٢)].

صفوان بن سليم الزُّهْرِي :

المجتهد الوفي ، العابد السخي .

(١) السير ٥/٢٥٢ - ٢٥٣ .
(٢) السير ٥/٢٥٩ .

عن عبد العزيز بن أبي حازم قال : عادلني صفوان بن سليم إلى مكة ، فما وضع جنبه في المحمل حتى رجع .

وقال سليمان بن سالم : كان صفوان بن سليم في الصيف يصلي في البيت ، وإذا كان في الشتاء صلى في السطح ؛ لئلّا ينام .

وقال مالك بن أنس : كان صفوان يصلي في الشتاء في السطح ، وفي الصيف في بطن البيت ، يتيقظ بالحر والبرد حتى يصبح ، ثم يقول : هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم . وإنه لتَرِم رجلاه حتى تعود مثل السقط من قيام الليل ، ويظهر فيها عروق خضر . وقال مالك : كان صفوان بن سليم يصلي في قميصٍ لئلّا ينام .

قال أبو ضمرة أنس بن عياضٍ : رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له : غدًا القيامة ، ما كان عنده مزيدٌ على ما هو عليه من العبادة[1] .

قال أبو غسان النهدي : سمعت سفيان بن عيينة - وأعانه على الحديث أخوه محمد -: حلف صفوان ألَّا يضع جنبه بالأرض حتى يلقى الله ، فمكث على ذلك أكثر من ثلاثين عامًا ، فلمَّا حضرته الوفاة ، واشتد به النَزع والعلز[2] وهو جالس فقالت ابنته : يا أبه ، لو وضعت جنبك . فقال : يا بنية ، إذن ما وفيت لله بالنذر والحلف . فمات وإنه لجالسٌ .

قال سفيان : فأخبرني الحفار الذي يحفر قبور أهل المدينة ، قال : حفرت قبر رجلٍ ، فإذا أنا قد وقعت على قبرٍ فوافيت جمجمةً ، فإذا السجود قد أثر في عظام الجمجمة ، فقلت لإنسان : قبر مَنْ هذا ؟ فقال : أو ما تدري ، هذا قبر صفوان بن سليم .

---

(١) الحلية ٣/١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) القلق والكرب وشبه رعدة عند الموت .

وعن محمد بن منصور قال : قال صفوان بن سليم : أعطي الله عهدًا أن لا أضع جنبي على فراشٍ حتى ألحق بربي . فبلغني أن صفوان عاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه ، فلما نزل به الموت ، قيل له : رحمك الله ، هلّا تضطجع ؟ قال : ما وفيت لله بالعهد إذن . فأسند فما زال كذلك حتى خرجت نفسه . قال : ويقول أهل المدينة : إنه بقيت جبهته من كثرة السجود .

قال ابن أبي حازم : دخلت مع أبي على صفوان وهو في مصلاه ، فما زال به أبي حتى ردَّه إلى فراشه ، فأخبرته مولاته قالت : ساعة خرجتم مات[١] .

شيخُ الكوفة الإمام أبو إسحاق السَّبِيعيُّ عمرو بن عبد الله الهمداني :

« قال أبو الأحوص : قال لنا أبو إسحاق : يا معشر الشباب اغتنموا - يعني قوتكم وشبابكم - قل ما مرت بي ليلةٌ ، إلَّا وأقرأ فيها ألف آيةٍ ، وإني لأقرأ البقرة في ركعة ، وإني لأصوم الأشهر الحرم ، وثلاثة أيام من كلِّ شهرٍ ، والاثنين والخميس .

قال أبو بكر : قال أبو إسحاق : ذهبت الصلاة مني وضعفت ، وإني لأُصلي فما أقرأ وأنا قائمٌ إلَّا بالبقرة وآل عمران »[٢] .

رحمك الله أبا إسحاق : ما تقرأ في ركعةٍ إلَّا البقرة وآل عمران ، فأين شبيهك في هذا الزمان .

ذَهَبَ الرِّجالُ الصالحون وَأُخِّرَتْ ... نَتَنُ الرِّجال لذا الزمان المُنْتِنِ

الحافِظُ القُدْوَةُ أبو غياث منصورُ بنُ المُعْتَمِر :

المتفكر المعتبر ، حليف الصيام والقيام ، خفيف التطعم والمنام .

---

(١) السير ٥/٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٢) السير ٥/٣٩٧ .

قال عنه الذهبي في السير ٥/٤٠٢ : « كان من أوعية العلم ، صاحب إتقانٍ وتألُّهٍ وخيرٍ » .

« قال عبد الله بن الأجلح : رأيت منصور بن المعتمر ، وكان من أحسن الناس قيامًا في الصلاة » .

« قال أبو بكر بن عياشٍ : رأيت منصور بن المعتمر إذا قام في الصلاة ، وقد عقد لحيته في صدره .

قال الثوري : لو رأيت منصورًا يصلي ، لقلت : يموت الساعة .

قال أبو بكر بن عياش : لو رأيت منصور بن المعتمر وعاصمًا والربيع ابن أبي راشد في الصلاة ، وقد وضعوا لحاهم على صدورهم ، عرفت أنهم من أبرار الصلاة .

قال العلاء بن سالم العبدي : كان منصور يصلي في سطحه ، فلما مات قال غلامٌ لأُمِّه : يا أُمَّهْ ، الجذع الذي كان في سطح آل فلانٍ ، ليس أراه ؟ قالت : يا بني ، ليس ذاك جذعًا ، ذاك منصور قد مات .

عن زائدة قال : إن منصور بن المعتمر صام ستين سنة ، يقوم ليلها ويصوم نهارها ، وكان يبكي فتقول له أُمُّه : يا بني ، قتلت قتيلًا ؟ فيقول : أنا أعلم بما صنعت بنفسي . فإذا كان الصبح ، كحل عينيه ودهن رأسه وفرق شفتيه ، وخرج للناس .

قال جرير بن عبد الحميد : كانت أُمُّ منصور تقول له : إن لعينيك عليك حقًّا ، ولجسمك عليك حقًّا . فكان يقول لها : دعي عنك منصورًا ، فإن بين النفختين نومًا طويلًا .

قال أبو بكر بن عيّاش : رحم الله منصورًا ، كان صوَّامًا قوامًا »[١].

---

(١) الحلية ٥/٤٠ – ٤١ .

الإمامُ الرَّبّانِيُّ أبو المُغِيرةِ منصورُ بنُ زَاذان :

زين القرَّاء والفتيان ، الميسر له تلاوة القرآن ، شيخ واسطٍ علمًا وعملًا.

« قال ابن سعد : كان ثقةً حجَّةً ، سريع القراءة ، يريد أن يترسل فلا يستطيع ، وكان يختم في الضحى .

قال يزيد بن هارون : كان منصور بن زاذان يقرأ القرآن كله في صلاة الضحى ، وكان يختم القرآن من الأولى إلى العصر ، ويختم في اليوم مرتين ، ويصلي الليل كله .

قال هشيم : كان منصور لو قيل له : إن ملك الموت على الباب ، ما كان عنده زيادةٌ في العمل ، وكان يصلي من طلوع الشمس إلى أن يصلي العصر ، ثم يسبح إلى المغرب »[(١)] .

عن أبي حمزة قال : رأيت جنازة منصور بن زاذان ، فرأيت الرجال على حدةٍ ، والنساء على حدةٍ ، واليهود على حدةٍ ، والنصارى على حدة[(٢)].

الزَّاهدُ القُدوةُ : أبو عبد الله كُرْزُ بن وبرة الحارِثُّي :

قال عنه أبو نعيم الحافظ في الحلية (٥/٧٩) : « له الصيت البليغ ، والمكان الرفيع في النسك والتعبد .

عن فضيل بن غزوان قال : لم يرفع كرز بصره إلى السماء أربعين سنة ، وكان له عود عند المحراب يعتمد عليه إذا نعس »[(٣)] .

وقال فضيل : كان كرز يصلي حتى ترم قدماه ، فيحفر الحفيرة - يعني تحت رجليه -.

وقيل : كان كرز لا ينزل منزلًا إلَّا ابْتَنَـى فيه مسجدًا فيصلي فيه .

---

(١) السير ٥/٤٤١ - ٤٤٢ .

(٢) الحلية ٣/٥٧ .

(٣) السير ٦/٨٥ .

« قال ابن عيينة : سمعت ابن شبرمة يقول : قلت لابن هبيرة :

لو شئتَ كنتَ كَكُرزٍ في تعبُّدِهِ   أو كابْنِ طارِقٍ حَوْلَ البَيْتِ في الحَرَمِ
قد حال دُونَ لذيذِ العيش خَوْفهما   وسَارَعا في طلابِ الفَوْز والكَرَمِ

فقال لي ابن هبيرة : من كرز ، ومَن ابن طارقٍ ؟ قال : قلت : أما كرزٌ فكان إذا كان في سفرٍ واتخذ الناس منزلًا ، اتخذ هو منزلًا للصلاة »[1].

« قال خلف بن تميم : سمعت أبي يذكر ، قال : قدم علينا كرز بن وبرة الحارثي من جرجان ، فانجفل إليه قُرَّاءُ الكوفة ، فكنت فيمن أتاه ، وما سمعت منه إلَّا كلمتين ؛ قال : صلوا على نبيكم ﷺ ، فإن صلاتكم تعرض عليه . قال : وقال : اللهم اختم لنا بخير . وما رأيت في هذه الأمة أعبد من كرز ، كان لا يفتر يصلي في المحمل ، فإذا نزل من المحمل ، افتتح الصلاة .

وعن ابن شبرمة : صحبت كرزًا في سفرٍ ، وكان إذا مر ببقعةٍ نظيفة ، نزل فصلى .

قال أبو سليمان المكتب : صحبت كرزًا إلى مكة ، فكان إذا نزل أخرج ثيابه ، فألقاها في الرحل ، ثم تنحى للصلاة ، فإذا سمع رغاء الإبل أقبل ، فاحتبس يومًا عن الوقت ، فانبث أصحابه في طلبه ، فكنت فيمن طلبه . قال : فأصبته في وهدةٍ يصلي في ساعةٍ حارةٍ ، وإذا سحابة تظله ، فلما رآني أقبل نحوي فقال : يا أبا سليمان ، لي إليك حاجة . قلت : وما حاجتك يا أبا عبد الله ؟ قال : أُحِبّ أن تكتم ما رأيت . قال : قلت : ذلك لك يا أبا عبد الله . فقال : أوثق لي . فحلفت أن لا أُخبر به أحدًا حتى يموت .

---

(١) الحلية ٥/٨٢ .

قال أبو داود الحفري : دخلت على كرز بن وبرة بيته ، فإذا هو يبكي ، فقلت له : ما يُبكيك ؟ قال : إن بابي مغلق ، وإن ستري لمسبل ، ومنعت حزبي أن أقرأه البارحة ، وماَ هو إلَّا من ذنبٍ أحدثته »[١] .

« عن فضيل بن غزوان قال : دخلت على كرزٍ بيته ، فإذا عند مُصلّاه حفيرةٌ ، قد ملأها تبنًا وبسط عليها كساء من طول القيام .

عن أبي بشر قال : كان كرز بن وبرة من أعبد الناس ، وكان قد امتنع من الطعام ، حتى لم يوجد عليه من اللحم إلَّا بقدر ما يوجد على العصفور ، وكان يطوي أيامًا كثيرة ، وكان إذا دخل في الصلاة لا يرفع طرفه يمينًا ولا شمالًا ، وكان من المحبين المخبتين لله ، قد وله من ذلك ؛ فربما كلم فيجيب بعد مدةٍ ، من شدة تعلق قلبه بالله واشتياقه إليه .

قال الذهبي : هكذا كان زهاد السلف وعبادهم ، أصحاب خوفٍ وخشوعٍ وتعبُّدٍ وقُنوعٍ »[٢] .

الإمامُ الرَّبّانِيُّ القُدوةُ أبو عبد الله محمدُ بنُ واسعٍ :

العامل الخاشع والخامل الخاضع . كان لله عاملا ، وفي نفسه خامِلا . كان الحسن يسميه « زين القُرَّاء » .

« عن موسى بن يسار قال : صحبت محمد بن واسع إلى مكة ، فكان يصلي الليل أجمعه ، يصلي في المحمل جالسًا ويومئُ »[٣] .

« رَحِمَه اللَّهُ ، كان عالمًا واعيًا ، لا ناقِلًا راوِيًا ، وَعَى فارْعَوَى ، ونَوَى فاسْتَوَى ، قليلُ الكلام والرِّواية ، طويل الصِّيام والسّعاية »[٤] .

---

(١) الحلية ٥/٧٩ - ٨١ .
(٢) سير ٦/٨٤ - ٨٦ .
(٣) السير ٦/١٢١ .
(٤) الحلية ٢/٣٥٤ .

المتعبِّدُ المتهجِّدُ ، المتثبِّتُ المتشدِّدُ ، شيخُ الإسلام الرَّبّانِيُّ أبو المُعتَمِر سليمانُ ابنُ طرخانَ التَّيمِيُّ :

« روى مثنى بن معاذ عن أبيه قال : ما كنت أُشبه عبادة سليمان التيمي إلَّا بعبادة الشاب أول ما يدخل في تلك الشدة والحدة »(١).

« قال حماد بن سلمة : ما أتينا سليمان التيمي في ساعةٍ يطاع الله عز وجل فيها ، إلَّا وجدناه مطيعًا ، إن كان في ساعة صلاةٍ ، وجدناه مصلِّيًا ، وإن لم تكن ساعة صلاة ، وجدناه : إما متوضِّئًا ، أو عائدًا مريضًا ، أو مشيِّعًا لجنازةٍ ، أو قاعدًا في المسجد . قال : فكنا نرى أنه لا يحسن يعصي الله عز وجل .

وقال معتمر بن سليمان التيمي لمحمد بن عبد الأعلى : لولا أنك من أهلي ما حدثتك عن أبي بهذا ، مكث أبي أربعين سنة : يصوم يومًا ويُفطر يومًا ويصلي الصبح بوضوء العشاء ، وربما أحدث الوضوء من غير نومٍ .

وقال يحيى بن المغيرة : زعم جريرٌ أن سليمان التيمي لم تمر ساعة قطُّ إلَّا تصدق بشيءٍ ، فإن لم يكن شيءٌ صلى ركعتين »(٢).

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري : كان التيمي عامة دهره يصلي العشاء والصبح بوضوءٍ واحد ، وليس وقت صلاةٍ إلَّا وهو يصلي ، وكان يسبح بعد العصر إلى المغرب ، ويصوم الدهر ، وانصرف الناس يوم عيدٍ من الجبان فأصابتهم السماء ، فدخلوا مسجدًا فتعاطوا فيه ، فإذا رجلٌ متقنعٌ قائمٌ يصلي ، فنظروا فإذا سليمان التيمي .

وقال يحيى بن سعيد القطان : خرج سليمان التيمي إلى مكة ، فكان يصلي الصبح بوضوء عشاء الآخرة ، وكان يأخذ بقول الحسن : إنه إذا غلب النوم على قلبه توضّأ . وكان يحيى يتعجب من صبر التيمي .

---

(١) السير ٦/١٩٥ - ٢٠٢ .

(٢) الحلية ٣/٢٨ .

قال سليمان التيمي لأهله : هلموا حتى نجزىء الليل ، فإن شئتم كفيتكم أوله ، وإن شئتم كفيتكم آخره .

وقال معمرٌ مؤذن التيمي : صلى إلى جنبي سليمان التيمي بعد العشاء الآخرة ، وسمعته يقرأ : ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ [الملك : ١] قال : فلمَّا أتى على هذه الآية : ﴿ **فلمّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وجوهُ الذين كفروا** ﴾ [الملك: ٢٧] جعل يرددها حتى خف أهل المسجد فانصرفوا . قال : فخرجت وتركته . قال : وعدوت لأذان الفجر ، فنظرت فإذا هو في مقامه . قال : فسمعت ، فإذا هو فيها لم يجزها وهو يقول : ﴿ **فلمّا رأوه زُلفةً سِيئت وجوهُ الذين كفروا** ﴾ .

وقال حماد بن سلمة : كان سليمان التيمي طوى فراشه أربعين سنة ، ولم يضع جنبه بالأرض عشرين سنة .

قال معاذ بن معاذ : كنت أرى سليمان التيمي كأنه غلامٌ حدثٌ قد أخذ في العبادة ، وكانوا يرون أنه قد أخذ عبادته عن أبي عثمان النهدي(١) .

قال ابن سعد : « كان سليمان التيمي من العباد المجتهدين كثير الحديث ، ثقة ، يصلي الليل كله بوضوء عشاء الآخرة ، وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد ، فيصليان في هذا المسجد مرة ، وفي هذا المسجد مرة ، حتى يصبحا »(٢) .

الوَرِعُ البَكَّاءُ ، كَهْمَسُ بنُ الحسن أبو عبد الله الدَّعَّاءُ :

« قال الهيثم بن معاوية عن شيخٍ من أصحابه ، قال : كان كهمس

---

(١) الحلية ٢٧/٣ - ٣٠ .

(٢) السير ١٩٥/٦ - ٢٠٢ .

يصلي ألف ركعةٍ في اليوم والليلة ، فإذا مل قال لنفسه : قومي يا مأوى كل سوءٍ ، فوالله ما رضيتك لله ساعةً قطُّ .

كان رحمه الله يقول في جوف الليل : أراك معذبي وأنت قرة عيني ، يا حبيب قلباه »[1].

الإمامُ المَرْضِيُّ ، والوَرِعُ السَّرِيُّ ، أبو عبد الله سفيانُ الثَّوْرِيُّ :

قال عنه شعبة : سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث .

قال عنه ابن عيينة : أئمة الناس ثلاثةٌ بعد أصحاب رسول الله ﷺ ؛ ابن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه ، وسفيان الثوري في زمانه .

وقال بشر بن الحارث : سفيان الثوري عندي إمام الناس .

قال رحمه الله :

إذا أنت لم تَرْحَل بزادٍ من التُّقَى ولاقيتَ بعدَ الموت مَنْ قد تَزَوَّدَا
ندمتَ على أن لا تكونَ كمِثله وأنَّك لم تَرْصُدْ كما كان أرْصَدَا

« قال عبد الرزاق : دعا سفيان بطعامٍ فأكله ، وبتمرٍ وزبدٍ فأكله ، ثم قام يصلي حين زالت الشمس إلى العصر ، وقال : أحسنوا إلى الزنجي وكدوه »[2].

وقال أيضًا : « لما قدم سفيان علينا ، طبخت له قدر سِكْبَاج[3] فأكل ، ثم أتيته بزبيب الطائف فأكل ، ثم قال : يا عبد الرزاق ، اعلف الحمار وكده . ثم قام يصلي حتى الصباح .

قال ابن وهب : رأيت سفيان في الحرم بعد المغرب صلى ، ثم سجد سجدةً ، فلم يرجع حتى نودي بالعشاء .

---

(١) الحلية ٦/٢١١ - ٢١٣ .

(٢) الحلية ٦/٣٨٩ .

(٣) السِّكْباج : لحمٌ يُطبخ بخَلٍّ .

وقال أحمد بن يونس : حدثنا علي بن الفضيل : رأيت الثوري ساجدًا ، فطفت سبعة أسابيع[١] قبل أن يرفع رأسه .

وعن مؤمل بن إسماعيل قال : أقام سفيان بمكة سنةً ، فما فتر من العبادة سوى من بعد العصر إلى المغرب ، كان يجلس مع أصحاب الحديث ، وذلك عبادة .

وعن ابن مهدي : كنت لا أستطيع سماع قراءة الثوري من كثرة بكائه »[٢] .

قال سفيان ، وهو القوام لليل دائمًا : « حرمت قيام الليل بذنبٍ أحدثته ، خمسة أشهرٍ .

وقال مزاحم بن زفر : صلى بنا سفيان الثوري المغرب ، فقرأ حتى بلغ : إياك نعبُد وإياك نستعين ، بكى حتى انقطعت قراءته ، ثم فعاد فقرأ : الحمد لله »[٣].

قال يحيى بن سعيد القطان : ما رأيت رجلًا أفضل من سفيان لولا الحديث ، كان يصلي ما بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء صلاة ، فإذا سمع مذاكرة الحديث ، ترك الصلاة وجاء.

رحم الله الثوري ، لقد خالط حب الحديث لحمه ودمه .

قال عبد الرزاق : اجتمع سفيان وأصحابه ، فقال سفيان : حدثنا منصور عن إبراهيم عن علقمة ، ثم قال : هذا الشرف على الكراسي[٤].

---

(١) الأسبوع هنا : الطواف الكامل حول الكعبة مرةً واحدةً ، فالمراد أنه طاف سبعًا .

(٢) السير ٧/٢٧٧ .

(٣) الحلية ٣/٧/١٧ .

(٤) الحلية ٧/٢١ .

قال عبد الرحمن بن إسحاق الكناني : لمَّا مات سفيان ، حملته إلى المغتسل فحللت إزاره ، فإذا فيها رقعة فيها أطراف الحديث[١] .

قال الحواري بن أبي الحواري : رأيت سفيان الثوري يصلي قائمًا حتى تغلبه عيناه ، ثم يصلي قاعدًا حتى يُعنَّى فيضطجع ، فيصلي مضطجعًا .

وقال الفرياني : كان سفيان الثوري يصلي ، ثم يلتفت إلى الشباب فيقول : إذا لم تصلوا اليوم فمتى ؟! .

وقال يحيى بن يمان : رأيت سفيان يخرج يدور بالليل ، وينضح في عينيه الماء حتى يذهب عنه النعاس .

قال إسحاق بن إبراهيم الحنيني : كنا في مجلس سفيان الثوري ، وهو يسأل رجلًا رجلًا عما يصنع في ليله ، فيخبره ، حتى دار القوم ، فقالوا : يا أبا عبد الله ، قد سألتنا فأخبرناك ، فأخبرنا أنت كيف تصنع في ليلك . قال : لها عندي أول نومةٍ ؛ تنام ما شاءت لا أمنعها ، فإذا استيقظت فلا أُقيلها والله[٢].

« قال عبد الرحمن بن مهدي : ما عاشرت في الناس رجلًا هو أرق من سفيان .

قال ابن مهدي : وكنت أُرامقُه الليلة بعد الليلة ، فما كان ينام إلَّا في أول الليلة ، ثم ينتفض فزعًا مرعوبًا ، ينادي : النار ، شغلني ذكر النار عن الشهوات . كأنه يخاطب رجلًا في البيت ، ثم يدعو بماءٍ إلى جانبه ، فيتوضأ ثم يقول على إثر وضوئه : اللهم إنك عالمٌ بحاجتي غير معلم بما أطلب ، وما أطلب إلَّا فكاك رقبتي من النار ، اللهم إن الجزع قد أرقني من الخوف فلم يؤمني ، وكل هذا من نعمتك السابغة علي ، وكذلك فعلت بأوليائك وأهل طاعتك ، إلهي قد علمت أن لو كان لي عذرٌ في التخلي ،

---

(١) (٢) الحلية ٧/٦٠ - ٦٢ .

ما أقمت مع الناس طرفة عينٍ . ثم يقبل على صلاته ، وكان البكاء يمنعه من القراءة ، حتى إني كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه .

قال ابن مهدي : وما كنت أقدر أن أنظر إليه ؛ استحياءً وهيبةً منه .

قال أبو زيد عبثر : قرأ سفيان ليلةً : ﴿ **إنّا كُنّا قَبْلُ في أهلنا مشفقين** ﴾ [الطور : ٢٦] فخرج فارًّا على وجهه ، حتى لحقوه ، واجتمعت بنو ثورٍ على سفيان وهو شابٌّ ، يناشدونه مما كان فيه من العبادة – أي أقصر عن هذا – »[١] .

قال عبد الله بن الفرج : لما قضى سفيان حجه صار إلى البصرة ، فنزل على بقالٍ في جوار يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي ، فقال لي البقال : ما زال ليلةَ مات يقوم فيتمسح للصلاة ، حتى عددت له خمسين مرةً ، ثم مات من آخر الليل ، رحمةُ الله تعالى عليه[٢] .

قال قبيصة : رأيت سفيان الثوري في النوم ، فقلت : ما فعل بك ربك ؟ فقال :

نظرتُ إلى ربِّي كِفاحًا فقال لي ... هنيئًا رِضائي عنك يا ابن سعيدِ
فقد كُنتَ قوّامًا إذا أقبَلَ الدُّجى ... بعَبْـرَةِ مُشتـاقٍ وقَلْبِ عَمِيـدِ
فَدُونَكَ فاخْتَرْ أيَّ قَصرٍ أردتَهُ ... وزُرْني فإني منك غيرُ بعيدِ[٣]

العَلَم المنشور ، والحَكَم المشهور ، الإمام المبجَّل ، والمقدام المفضَّل واحِدُ زمانِهِ ، وإمامُ عصرِهِ وأوانِهِ ، شيخُ الإسلام وعالمُ أهْلِ الشامِ أبو عمرٍو عبدُ الرحمن بن عمرٍو الأَوْزاعِيُّ :

سئل رحمه الله عن الخشوع في الصلاة ، قال : غضُّ البصر ، وخفض

(١) الحلية ٧/٦٠ – ٦٢ .
(٢) الحلية ٧/٤٧ .
(٣) الحلية ٧/٧٤ .

الجناح ، ولين القلب ، وهو الحزن ، الخوف .

قال الوليد بن مزيد : كان الأوزاعي من العبادة على شيءٍ ما سمعنا بأحدٍ قوي عليه ، ما أتى عليه زوال قطُّ ، إلَّا وهو قائم يصلي .

قال الأوزاعي رحمه الله : من أطال قيام الليل ، هوَّن الله عليه وقوف يوم القيامة .

قال الوليد بن مسلم : ما رأيت أكثر اجتهادًا في العبادة من الأوزاعي .

وقال ضمرة بن ربيعة : حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة ، فما رأيته مضطجعًا في المحمل في ليلٍ ولا نهارٍ قطُّ ، كان يصلي ، فإذا غلبه النوم استند إلى القتب .

وعن سلمة بن سلام : نزل الأوزاعي على أبي ، ففرشنا له فراشًا فأصبح على حاله ، ونزعت خفيه ، فإذا هو مبطن بثعلب[١] .

« قال عبيدة بن عثمان : من نظر إلى الأوزاعي اكتفى به ، بما يرى عليه من أثر العبادة ، كنت إذا رأيته قائمًا يصلي ، كأنما تنظر إلى جسدٍ ليس فيه روح »[٢] .

قال بشر بن المنذر : رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع .

قال أبو مسهر عنه : كان يحيي الليل صلاة وقرآنًا وبكاءً ، وأخبرني بعض إخواني من أهل بيروت ، أن أمه كانت تدخل منزل الأوزاعي ، وتتفقد موضع مُصلّاه ، فتجده رطبًا من دموعه في الليل[٣] .

« دخلت امرأةٌ كانت لها صلةٌ بزوج الأوزاعي ، فنظرت فوجدت بللًا في مسجده ؛ في موضع سجوده ، فقالت لها : ثكلتك أُمُّكِ ، أراك غفلت

---

(١) السير ١١٩/٧ .

(٢) الجرح والتعديل ٣١٨/١ .

(٣) السير ١١٩/٧ - ١٢٠ .

عن بعض الصبيان حتى بال في مسجد الشيخ . فقالت لها : ويحك ، هذا يصبح كل ليلةٍ من أثر دموع الشيخ في سجوده »[١].

نَزَف البكاءُ دموعَ عَيْنِكَ فاسْتَعِرْ   عينًا لغيـرِكَ دَمْعُها مِـدْرارُ
مَنْ ذا يُعيرُكَ عينَهُ تبكي بها   أرأيـت عيْنًا للدُّموعِ تُعارُ

نضر الله وجهك أبا عمرٍو بالنظر إلى وجهه ، كما أفنيت دمعك في تهجدك .

شيخُ العراق ، المعظِّم للمعالي العِظام ، المسَلِّم مُدَّته بمُصاحَبَةِ الأعِفَّة الكِرام ، أبو سلمة مِسْعَرُ بنُ كِدَام :

كان للحق ناصحًا ودودًا ، وفي عبادة ربه كادحًا كدودًا .

« قال سفيان بن عيينة عنه : ما رأيت أفضل من مسعر ، كان مسعر من معادن الصدق .

عن خالد بن عمرو قال : رأيت مسعرًا كأن جبهته ركبة عنزٍ من السجود »[٢] .

« قال أبو الوليد الضبي : رأيت شيخًا من الأعراب له سِنٌّ ، يتوكأ على محجنٍ ، قد قصد مسعر بن كدام فوجده يصلي ، فأطال مسعر الصلاة ، فأعيا الشيخ فجلس ، فلما فرغ مسعر من صلاته ، قال الشيخ : خذ من الصلاة كفيلًا . فقال له مسعر : اقصد لما يبقى عليك نفعه »[٣] .

وقال رحمه الله : من همته نفسه ، تبين ذلك عليه .

أميرُ المؤمنين في الحديث ، المتثبِّتُ المِحْجاجُ أبو بِسْطَامٍ شُعْبَةُ بن الحَجّاجِ :

كان حماد بن زيد إذا حدث عن شعبة قال :

حدَّثنا الضَّخْمُ عن الضِّخامْ   شُعْبَةُ الخيرِ أبو بِسـطَامْ

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢١٨/١ ، البداية والنهاية ١١٧/١٠ .
(٢) السير ١٦٥/٧ .
(٣) الحلية ٢٢٢/٧ .

قال يحيى بن معين : شعبة إمام المتقين .

وقال أبو زيد الأنصاري : هل العلماء إلا شعبة من شعبة .

وكان الثوري يقول : ما فعلَ أُستاذنا شعبة .

قال أبو قطن : ما رأيت شعبة ركع قطُّ ، إلّا ظننت أنه نسي ، ولا قعد بين السجدتين ، إلّا قلت : قد نسي . وقال : كانت ثياب شعبة كالتراب ، وكان كثير الصلاة ، سخيًّا .

قال أبو بحر البكراوي : ما رأيت أَحَدًا أَعْبَدَ لله من شعبة ، لقد عبد الله حتى جف جلده على عظمه واسود . [حتى جفَّ جِلْدُهْ على ظهره ، ليس بينهما لحم] .

قال عبد السلام بن مطهر : ما رأيت أحدًا أمعن في العبادة من شعبة رحمه الله .

وقال عبد العزيز بن أبي رواد : كان شعبة إذا حك جسمه ، انتثر منه التراب ، وكان سخيًّا كثير الصلاة .

وقال عفان : كان شعبة من العُبّاد[(١)] .

رحم الله شعبة العابد العالم ، الذي خالطت العبادة والحديث لحمه ودمه ، قال رحمه الله : « إن الذين يطلبون الحديث على الدواب لا يفلحون . وقال : إني لأُذاكر بالحديث قد فاتني فأمرض »[(٢)].

فأي همة أعلى من هذه الهمة الشريفة والشريف صاحبها .

شيخُ الإسلام القُدوةُ حمَّاد بنُ سلمة :

« قال عبد الرحمن بن مهدي : لو قيل لحماد بن سلمة : إنك تموت غدًا . ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا .

---

(١) السير ٧/٢٠٢ - ٢٢٨ .

(٢) الحلية ٧/١٥٥ - ١٥٦ .

قال الذهبي : قلت : كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد .

قال موسى بن إسماعيل : لو قلت لكم : إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكًا ؛ لصدقت ؛ كان مشغولًا : إما أن يحدث أو يقرأ أو يسبح أو يصلي ، قد قسم النهار على ذلك .

قال يونس بن محمد المؤدب : مات حماد بن سلمة في الصلاة في المسجد »[١].

رحم الله من كانت خاتمته في الصلاة جماعة .

شيخُ الإسلام وبَقِيَّةُ الأعلام ، القارِىءُ الهشَّاش ، العابِدُ البشَّاشُ ، أبو بكر ابنُ عَيَّاش :

كان في العداد واحدا ، وفي العبادة شاهدا . ارتقاء لاقتراب ، وانتصاب في ارتقاب .

« قال رحمه الله : قال لي رجلٌ مرةً وأنا شابٌّ : خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة ؛ فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبدًا . قال : فما نسيتها أبدًا »[٢].

« قال الأحمسي : ما رأيت أحدًا أحسن صلاةً من أبي بكر بن عياش .

وعن أبي عبد الله النخعي قال : لم يفرش لأبي بكر بن عياش فراشٌ خمسين سنة .

وقال يزيد بن هارون : كان أبو بكر بن عياش خيِّرًا فاضلًا ، لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة »[٣].

---

(١) السير ٧/٤٤٤ - ٤٥٦ .

(٢) الحلية ٨/٣٠٣ .

(٣) السير ٨/٤٩٥ - ٥٠٣ .

الإمامُ القُدوةُ مُفتي دمشق : أبو عبد العزيز سعيدُ بنُ عبد العزيز التَّنُوخِيُّ :

« قال أبو حاتم الرازي : كان أبو مسهر يقدّم سعيدًا على الأوزاعي .

وقال الحاكم : سعيد بن عبد العزيز لأهل الشام كمالكٍ لأهل المدينة في التقدم والفقه والأمانة .

قال عنه إسحاق بن إبراهيم أبو النضر : كنت أسمع وقع دموع سعيد ابن عبد العزيز على الحصير في الصلاة .

قال أحمد بن أبي الحواري : حدثني أبو عبد الرحمن الأسدي ، قال : قلت لسعيد بن عبد العزيز : ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة ؟ فقال : يا ابن أخي ، وما سؤالك عن ذلك ؟ قلت : لعل الله أن ينفعني به . فقال : ما قمت إلى صلاةٍ إلَّا مثلت لي جهنم »[(١)].

هذا والله الخشوع .. وهذه والله هي الصلاة التي هي قرة عين صاحبها .

« قال محمد بن المبارك الصوري : كان سعيد إذا فاتته صلاة الجماعة بكى »[(٢)].

وهذا والله بكاء الرجال .

« قال الوليد بن مسلم : كان سعيد بن عبد العزيز يُحيي الليل ، فإذا طلع الفجر ، جدّد وضوءه وخرج إلى المسجد »[(٣)].

الإمامُ المحدِّثُ الرَّبّانيُّ أبو محمد الأزديُّ السليميُّ بِشْر بن منصورٍ :

المتعبد العليم ، المتوجد السليم ، أستاذ عليٍّ بن المديني ، وعبد الرحمن ابن مهدي،وبشر الحافي .

---

(١) السير ٨/٣٢ - ٣٤ .

(٢) الحلية ٦/١٢٦ .

(٣) السير ٨/٣٥ .

قال عنه عبد الرحمن بن مهدي : لم أر مثله .

قال العباس بن الوليد بن نصر : كان بشر بن منصور يستحب أن يصلي بالأوقات ولا يتحرى .

قال غسَّان بن الفضل : كان بشر بن منصور من الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله ، وإذا رأيت وجهه ذكرت الآخرة .

قال أسيد بن جعفر ابن أخي بشر بن منصور : بشر بن منصور ما فاتته التكبيرة الأُولى قط[1] .

قال ابن مهدي : ما رأيت أحدًا أقدمه عليه في الورع والرقة .

وقال علي بن المديني : ما رأيت أحدًا أخوف لله من بشر بن منصور ، كان يصلي كل يوم خمسمائة ركعة .

قال سهل بن منصور : كان بشر يصلي فيطول ، ورجل وراءه ينظر ، ففطن له ، فلما انصرف قال : لا يعجبك ما رأيت مني ، فإن إبليس قد عبد دهرًا مع الملائكة[2] .

شيخُ الإسلام الإمامُ أبو عبد الله جريرُ بن عبد الحميد :

قال علي بن المديني : كان جرير بن عبد الحميد صاحب ليل ، وكان له رسن ، يقولون : إذا أعيا تعلق به ، يريد أنه كان يصلي[3] .

الإمام الحافظُ وكيعُ بنُ الجرَّاح :

قال يحيى بن أيوب : حدثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يلزمونه ، أن وكيعًا كان لا ينام حتى يقرأ جُزْأَهُ من كل ليلة ثلث القرآن ،

---

(١) الحلية ٦/٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٢) السير ٨/٣٦٠ - ٣٦١ .

(٣) السير ٩/٩ - ١٨ .

ثم يقوم في آخر الليل ، فيقرأ المفصل ، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر .

قال إبراهيم بن وكيع : كان أبي يصلي فلا يبقى في دارنا أحدٌ إلّا صلّى ، حتى جارية لنا سوداء .

وقال أحمد بن سنان : رأيت وكيعًا إذا قام في الصلاة ، ليس يتحرك منه شيءٌ ، لا يزول ولا يميل على رِجْلٍ دون الأخرى[1] .

الإمام الرَّضيّ ، والزِّمام القويّ عبد الرحمن بن مهدي :

عن يحيى بن عبد الرحمن بن مهدي ، أن أباه قام ليلةً - وكان يُحيي الليل كله - فلمّا طلع الفجر ، رمى بنفسه على الفراش ، فنام عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس ، فقال : هذا مما جنى عليَّ هذا الفراش ، فجعل على نفسه أن لا يجعل بينه وبين الأرض وجلده شيئًا شهرين ، **فقرَّح** فخذيه جميعًا[2] .

« قال عبد الرحمن رسته : سألت ابن مهدي عن الرجل يبني بأهله ، أيترك الجماعة أيامًا ؟ قال : لا ، ولا صلاة واحدة . وحضرته صبيحة بني على ابنته ، فخرج فأذن ، ثم مشى إلى بابهما ، فقال للجارية : قولي لهما : يخرجان إلى الصلاة . فخرج النساء والجواري ، فقلن : سبحان الله ! أي شيءٍ هذا ؟! فقال : لا أبرح حتى يخرجا إلى الصلاة . فخرجا بعدما صلَّى ، فبعث بهما إلى مسجدٍ خارج الدرب »[3] .

قال الذهبي : هكذا كان السلف في الحرص على الخير[4] .

---

(١) السير ٩/١٤٨ - ١٤٩ ، ١٥٧ .

(٢) الحلية ٩/١٢ .

(٣) الحلية ٩/١٣ .

(٤) السير ٩/٢٠٤ .

الإمام القُدوةُ أبو خالد يزيدُ بن هارونَ بنِ زاذي السلمي :

قال عنه الذهبي في السير ٩/٣٥٨ : « كان رأسًا في العلم والعمل ، ثقة حجة ، كبير الشأن .

قال أحمد بن سنان القطان : ما رأينا عالمًا قط أحسن صلاةً من يزيد ابن هارون ، يقوم كأنه أسطوانة ، لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار .

وعن عاصم بن علي قال : كنت أنا ويزيد بن هارون عند قيس بن الربيع ، فأما يزيد فكان إذا صلى العتمة ، لا يزال قائمًا حتى يصلي الغداة بذلك الوضوء نيِّفًا وأربعين سنة .

وقال محمد بن إسماعيل الصائغ نزيل مكة : قال رجل ليزيد بن هارون : كم جزؤك ؟ قال : وأنام من الليل شيئًا ؟! إذن لا أنام الله عيني .

قال أحمد بن عبد الله العجلي : يزيد بن هارون ثقة متعبد حسن الصلاة جدًّا ، يصلي الضحى ست عشرة ركعة ، بها من الجودة غير قليل »[١] .

قال أحمد بن سنان : كان يزيد وهشيم معروفين بطول صلاة الليل والنهار[٢].

الإمام الحافظ مقرىء البصرة وأحد القُرّاء العشرة ، يعقوب بن إسحاق ابن زيد الحضرمي :

« أبوه من القُرَّاءِ كانَ وجَدُّهُ ... ويعقوبُ في القُرَّاءِ كالكوكبِ الدُّرِّي
تفرُّدُهُ مَحْضُ الصَّوابِ وَوَجْهُهُ ... فَمَنْ مِثْلُهُ في وَقْتِهِ وإلى الحَشْرِ

قال أبو القاسم الهذلي في « كامله » : ومنهم يعقوب الحضرمي ، لم يُر

(١) تاريخ بغداد ١٤/٣٤٠ - ٣٤١ .
(٢) السير ٩/٣٦١ .

في زمانه مثله ، كان عالمًا بالعربية ووجوهها ، والقرآن واختلافه ، فاضلًا تقيًّا ، نقيًّا وَرِعًا زاهدًا ، بلغ من زهده أنه سرق رداؤه عن كتفه وهو في الصلاة ولم يشعر ، ورد إليه فلم يشعر ؛ لشغله بعبادة ربه »[(١)].

الإمام الحافظ هُدبة بن خالد ، أبو خالد القيسي :

« كان من العلماء العاملين .

رحم الله هدبة ، وأين مثل هدبة .

قال عبدان الأهوازي : كنا لا نصلي خلف هدبة من طول صلاته ، يسبح في الركوع والسجود نيِّفًا وثلاثين تسبيحة . قال : وكان من أشبه خلق الله بهشام بن عمار ، لحيته ووجهه ، وكل شيءٍ منه ، حتى صلاته »[(٢)].

الإمام المجتهد قاضي القضاة أبو يوسف ، القاضي يعقوب بن إبراهيم :

« قال ابن سماعة : كان ورد أبي يوسف في اليوم مائتي ركعة »[(٣)].

الإمام حقّا ، وشيخ الإسلام صِدْقا ، الإمام المبجَّل ، والهُمام المفضل ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل ... معلِّم الخير وإمامُ أهل السُّنّة :

« قال عبد الله بن أحمد : كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته ، فكان يصلي كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة »[(٤)].

« قال إبراهيم بن هاني النيسابوري - وكان رأسًا في العبادة وعلوّ

---

(١) السير ١٠/١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) السير ١١/٩٩ .

(٣) السير ٨/٥٣٧ .

(٤) السير ١١/٢١٢ .

الهمّة -: كان أبو عبد الله حيث توارى من السلطان عندي . وذكر من اجتهاده في العبادة أمرًا عجبًا . قال : وكنت لا أقوى معه على العبادة ، وأفطر يومًا واحدًا واحتجم »[١] .

« قال الإمام أحمد : ما أُبالي أن لا يراني أحد ولا أراه ، وإني لأشتهي أن أرى عبد الوهاب الورَّاق .

وقال عبد الوهاب : أبو عبد الله إمامنا ، وهو من الراسخين في العلم ، إذا وقفت غدًا بين يدي الله فسألني : بمن اقتديت ؟ أي شيءٍ أقول ؟ وأي شيءٍ ذهب على أبي عبد الله من أمر الإسلام ؟! »[٢] .

راهِب الكوفة الإمام الحُجَّة القُدوةُ زينُ العابدين أبو السَّرِيّ هنّادُ بن السَّرِيّ بن مصعب :

« قال أحمد بن سلمة النيسابوري الحافظ : كان هنّاد - رحمه الله - كثير البكاء ، فرغ يومًا من القراءة لنا ، فتوضأ وجاء إلى المسجد ، فصلى إلى الزوال وأنا معه بالمسجد ، ثم رجع إلى منزله فتوضأ ، وجاء فصلى بنا الظهر ، وأخذ يقرأ في المصحف حتى صلى المغرب . قال : فقلت لبعض جيرانه : ما أصبره على العبادة . فقال : هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة ، فكيف لو رأيت عبادته بالليل . وكان يقال له : راهب الكوفة »[٣] .

الزّاهِد القُدوةُ الرَّبّانيّ : الآخِذ بالألْزَم والأقْوم ، المُؤْثِر للأدْوَم والأعَمّ ، أبو عبد الرحمن حاتِم الأصمُّ :

قال عنه الذهبي في السير (١١/٤٨٤ - ٤٨٥) : « حاتم بن عنوان ابن يوسف البلخي الواعظ الناطق بالحكمة ، الأصم ، له كلام جليل في

(١) السير ١١/٢٢٧ .
(٢) السير ١١/٣٠٤ - ٣٠٥ .
(٣) السير ١١/٤٦٥ - ٤٦٦ .

الزهد والمواعظ والحكم ، كان يقال له : لقمان هذه الأمة » .

« عن رباح الهروي قال : مر عصام بن يوسف بحاتمٍ الأصم وهو يتكلم في مجلسه ، فقال : يا حاتمَ تحسن تصلي ؟ قال : نعم . قال : كيف تصلي ؟ قال حاتم : أقوم بالأمر ، وأمشي بالخشية ، وأدخل بالنية ، وأكبر بالعظمة ، وأقرأ بالترتيل والتفكير ، وأركع بالخشوع ، وأسجد بالتواضع ، وأجلس للتشهد بالتمام ، وأُسلم بالسبل والسنة ، وأسلمها بالإخلاص إلى الله عز وجل ، وأرجع إلى نفسي بالخوف ، أخاف أن لا تقبل مني ، وأحفظه بالجهد إلى الموت . قال : تكلم فأنت تحسن تصلي »[1] .

هذه صلاة المراقب عالي الهمة ... من ظن أنه يصل بغير بذل المجهود فهو متمن ، ومن ظن أنه يصل ببذل المجهود فهو مُتَعَنٍّ .

« **قال حاتم الأصمّ** : فاتتني الصلاة في الجماعة ، فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده ، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف ، لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا »[2] .

الإمام المُزَنّي شيخ الشافعيَّة :

كان رحمه الله إذا فاتته صلاة الجماعة ، صلى تلك الصلاة خمسًا وعشرين مرة[3] .

فقيهُ المغرب ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبدوس :

تلميذ الإمام سحنون .

---

(١) الحلية ٨/٧٥ .

(٢) الإحياء ١/١٧٧ .

(٣) السير ١٢/٤٩٢ - ٤٩٧ .

قال عبد الله بن إسحاق بن التبان : إن ابن عبدوس أقام أربع عشرة سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء ، وكان على غاية التواضع[(١)] .

عَلَم الحُفَّاظ وأميرُ المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري :

« قال مسبح بن سعيد : كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان ، في النهار كل يوم ختمة ، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بختمة .

قال محمد بن أبي حاتم الوراق : كان أبو عبد الله يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة ، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم ، فقلت : أراك تحمل على نفسك ولم توقظني ، قال : أنت شابٌّ ، ولا أُحِبّ أن أُفسد عليك نومك .

قال بكر بن منير : كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات ليلة فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة ، فلما قضى الصلاة قال : انظروا أيش آذاني »[(٢)] .

« قال محمد بن أبي حاتم : دُعِي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه ، فلما صلى بالقوم الظهر ، قام يتطوع ، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه ، فقال لبعض من معه : انظر ، هل ترى تحت قميصي شيئًا ؟ فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعًا ، وقد تورم من ذلك جسده ، فقال له بعض القوم : كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبرك ؟ قال : كنت في سورةٍ ، فأحببت أن أُتمها » .

إمام أهْل الرَّيّ : أبو زرْعَة : عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرَّازي :

« كتب إليه إسحاق بن راهويه : إني أزداد بك كل يوم سرورًا ، فالحمد لله الذي جعلك ممن يحفظ سنته .

---

(١) السير ١٣/٦٤ .

(٢) طبقات الحنابلة ١/٢٧٦ ، والسير ١٢/٤٣٩ - ٤٤٢ .

وقال محمد بن يحيى النيسابوري : لا يزال المسلمون بخيرٍ ما أبقى الله عز وجل لهم مثل أبي زرعة ، وما كان الله عز وجل ليترك الأرض ، إلَّا وفيها مثل أبي زرعة يعلم الناس ما جهلوا »[١].

صلى أبو زرعة الرازي عشرين سنة ، وفي محرابه كتابةٌ ، فسئل عن الكتابة في المحراب فقال : قد كرهه قومٌ ممن مضى . فقالوا له : هو ذا في محرابك كتابة ، أما علمت به ؟ قال : سبحان الله ! رجل يدخل على الله ويدري ما بين يديه .

يا سبحان الله ! هذه القمم ، وهؤلاء الرجال في خشوعهم وشغلهم بالله عن كل شيء .

شيخ الإسلام إمام أهل المغرب بَقِيّ بن مَخْلَد :

قال أبو عبيدة صاحب القبلة : كان بقي يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة . وكان يصلي بالنهار مائة ركعة ، ويصوم الدهر ، وكان كثير الجهاد ، فاضلًا[٢] .

قال عبد الرحمن بن أحمد بن بقي : « كان جدي قد قسّم أيامه على أعمال البرّ ، وكان إذا صلّى الصبح قرأ حزبه من القرآن في المصحف ، سدس القرآن ، وكان أيضًا يختم القرآن في الصلاة في كل يوم وليلة ، ويخرج كل ليلة في الثلث الأخير إلى المسجد ، ويختم قرب انصداع الفجر ، وكان يصلي بعد حزبه من المصحف صلاة طويلة جدًّا ، ثم ينقلب إلى داره ، وقد اجتمع في مسجده الطلبة ، فيجدد الوضوء ويخرج إليهم ، فإذا انقضت الدول ، صار إلى صومعة المسجد ، فيصلي إلى الظهر ، ثم يكون هو المبتدىء

---

(١) مقدمة الجرح والتعديل ص٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٩٢/١٣ .

بالأذان ، ثم يهبط ، ثم يُسمِع إلى العصر ويصلي ويَسمَع ، وربما خرج في بقية النهار ، فيقعد بين القبور يبكي ويعتبر ، فإذا غربت الشمس أتى مسجده ، ثم يصلي ويرجع إلى بيته فيفطر ، وكان يسرد الصوم إلى يوم الجمعة ، ويخرج إلى المسجد فيخرج إليه جيرانه ، فيتكلم معهم في دينهم ودنياهم ، ثم يصلي العشاء ويدخل بيته فيُحدِّث أهله ، ثم ينام نومة قد أخذتها نفسه ، ثم يقوم . هذا دأبه إلى أن توفي[1] .

سيد الطائفة الجُنَيْد بن محمد بن الجُنيد البغدادي :

المربى بفنون العلم ، المؤيد بعيون الحلم ، المنور بخالص الإيقان وثابت الإيمان ، فاق أشكاله بالبيان الشافي واعتناقه للمنهج الكافي ، ولزومه للعمل الوافي .

قال عنه الذهبي في السير (١٤/٦٦ - ٧٠) : « أتقن العلم ، ثم أقبل على شأنه ، وتأله وتعبد ، ونطق بالحكمة ..... رحمة الله على الجنيد . وأين مثل الجنيد في علمه وحاله » .

قال رحمه الله : فتح كل بابٍ وكل علم نفيس بذل المجهود .

وقال أبو الحسين بن الدراج : « ذكر الجنيد أهل المعرفة بالله وما يراعونه من الأوراد والعبادات ، بعد ما ألطفهم الله به من الكرامات ، فقال الجنيد : العبادة على العارفين ، أحسن من التيجان على رؤوس الملوك »[2] .

قال الذهبي في السير (١٤/٦٧ - ٦٨) : « قيل : إنه كان في سوقه ووِرده كل يوم ثلاثمائة ركعة ، وكذا كذا ألف تسبيحة . وقال ابن نجيد : كان الجنيد يفتح حانوته ويدخل ، فيسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة ».

---

(١) السير ١٣/٢٩٥ .

(٢) الحلية ١٠/٢٥٧ .

« قال الجنيد : لو أقبل صادقٌ على الله ألفَ ألف سنةٍ ، ثم أعرض عنه لحظةً ، كان ما فاته أكثر مما نالهُ .

قال محمد بن إبراهيم : رأيت الجنيد في النوم ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : طاحت تلك الإشارات ، وغابت تلك العبارات ، وفنيت العلوم ، ونفدت تلك الرسوم ، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في جوف السحر »[1] .

شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي :

« قال أبو بكر الصبغي : أدركت إمامين لم أُرزق السماع منهما : أبو حاتم الرازي ، ومحمد بن نصر المروزي ، فأما ابن نصر فما رأيت أحسن صلاةً منه ، لقد بلغني أن زنبورًا قعد على جبهته ، فسال الدم على وجهه ولم يتحرك .

وقال محمد بن يعقوب بن الأخرم : ما رأيت أحسن صلاةً من محمد ابن نصر ، كان الذباب يقع على أُذنه ، فيسيل الدم ولا يذُبُّهُ عن نفسه ، ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته وخشوعه وهيئته للصلاة ، كان يضع ذقنه على صدره فينتصب كأنه خشبة منصوبة »[2] .

الزاهد أبو الحسين النُورِيّ :

« صحب السري السقطي وغيره ، كان الجنيد يعظمه .

قال علي بن عبد الرحيم : دخلت على النوري ، فرأيت رجليه منتفختين ، فسألته عن أمره فقال : طالبتني نفسي بأكل تمرٍ ، فدافعتها ، فأبت عليَّ ، فاشتريته ، فلما أكلت ، قلت : قومي فصلي ، فأبت ، فقلت : لله عليّ إن قعدت على الأرض أربعين يومًا ، فما قعدت ؛ يعني إلا

(١) الحلية ١٠/٢٧٨ - ٢٨٧ .
(٢) السير ١٤/٣٦ - ٣٧ .

في صلاةٍ »[١].

الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري :

الفقيه الشافعي تلميذ المزني .

« قال أبو الفتح يوسف القواس : سمعت أبا بكر النيسابوري يقول : تعرف من أقام أربعين سنة لم ينم الليل ، ويتقوت كل يوم بخمس حبات ، ويصلي صلاة الغداة على طهارة عشاء الآخرة ؟ ثم قال : أنا هو ، وهذا كله قبل أن أعرف أم عبد الرحمن ، أيش أقول لمن زوجني ؟! ثم قال : ما أراد إلا الخير »[٢].

الإمام المحدِّث مُسْنِد عصرِهِ أبو العباس محمد بن يعقوب الأصَمّ :

كان أبوه من أصحاب إسحاق بن راهويه .

« قال الحاكم : كان يرجع إلى حسن مذهب وتدين ، وبلغني أنه أذَّن سبعين سنة في مسجده ، وربما كان يحتاج إلى الشيء لمعاشه ، فيورِّق ويأكل من كسب يده »[٣].

هذه والله الرجولة ... يؤذِّن سبعين سنة ، فما أعلى همته !! .

وقد قال رسول الله ﷺ : « من أذن ثنتي عشرة سنة ، وجبت له الجنة ، وكتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة ، وبإقامته ثلاثون حسنة »[٤].

---

(١) السير ١٤/٧٠ - ٧٧ .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ١٠/١٢٢ ، والسير ١٥/٦٦ .

(٣) الأنساب للسمعاني ١/٢٩٥ ، والسير ١٥/٤٥٥ .

(٤) صحيح . رواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر ، وصححه الحاكم والألباني في صحيح الجامع رقم (٥٨٧٨) .

الإمام الحافظ أبو الشيخ الأصبهاني :

« عن بعض الطلبة قال : ما دخلت على أبي الشيخ إلَّا وهو يصلي »[(١)].

العبد الصالح والِدُ ابنِ جُمَيْع ؛ أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد الغسَّاني الصيداوى :

والدُ المحدِّث الرَّحَّال أبي الحسين صاحب المعجم .

« حكى حفيده عن خادم جده طلحة ، أن جده أبا بكرٍ كان يقوم الليل كله ، فإذا صلى الفجر نام إلى الضحى ، وإذا صلى الظهر يركع إلى العصر . إلى أن قال : وكانت هذه عادته »[(٢)].

الشيخ الإمام العارف الفقيه القُدوةُ ، أبو عبد الله محمد بن خَفِيف الشِّيرازِي شيخ الصوفية :

قال ابن باكويه : سمعت ابن خفيف يقول : كنت في بدايتي ربما كنت أقرأ في ركعةٍ القرآن كله .

« وروي عن ابن خفيف ، أنه كان به وجع الخاصرة ، فكان إذا أصابه أقعده عن الحركة ، فكان إذا نودي للصلاة ، يحمل على ظهر رجل ، فقيل له : لو خففت على نفسك ؟ قال : إذا سمعتم حيّ على الصلاة ولم تروني في الصف ، فاطلبوني في المقبرة »[(٣)].

الإمام الحافظ الأنْبَل القُدوةُ حُسيْنَك أبو أحمد الحسين بن علي النيسابوري ابنُ مُنَيْنَة :

قال عنه الحاكم تلميذه : « هو شيخ العرب في بلدنا ، ومن ورث

---

(١) السير ٢٧٨/١٦ .

(٢) السير ٣١٩/١٦ .

(٣) السير ٣٤٦/١٦ .

الثروة القديمة ، وسلفه جلة ، صحبته حضرًا وسفرًا ، فما رأيته ترك قيام الليل من نحو ثلاثين سنة ، وكان يقرأ سبُعا كلَّ ليلة ، وكانت صدقاته دارّةً سرًّا وعلانيةً ، أخرج مرةً عشرةً من الغزاة بآلاتهم عوضًا عن نفسه ، ورابط غير مرة »[1].

الإمام أبو بكر ابن الباقِلّاني :

قال عنه أبو بكر الخطيب : « كان ورده في كل ليلة عشرين ترويحة في الحضر والسفر »[2] . أي ثمانون ركعة .

الشيخ القُدوةُ العابد المُسْنِد أبو الفضل محمد بن عبيد الله الصَّرَّام :

« مات في عشر التسعين ، وكان يقرأ القرآن في ركعتين ويديم التعبد والتلاوة »[3].

الشيخ الصّادِق الزاهد القُدوةُ أبو العباس أحمد بن أبي غالب المعروف بابن الطَّلّايَة :

بركة المسلمين .

قال عنه السمعاني : « شيخ كبير أفنى عمره في العبادة والقيام والصيام ، لعله ما صرف ساعةً من عمره إلَّا في عبادة ، وانحنى حتى لا يتبين قيامه من ركوعه إلا بيسير »[4].

« قال أبو المظفّر ابنُ الجوزي : سمعت مشايخ الحربية يحكون عن آبائهم وأجدادهم ، أن السلطان مسعودًا لما أتى بغداد ، كان يحب زيارة العلماء

---

(١) السير ٤٠٨/١٦ .
(٢) تاريخ بغداد ٢٨٠/٥ ، والسير ١٩١/١٧ .
(٣) السير ٤٨٣/١٨ .
(٤) الأنساب للسمعاني ٣٧/٨ .

والصالحين ، فالتمس حضور ابن الطّلّاية ، فقال للرسول : أنا في هذا المسجد ، أنتظر داعي الله في النهار خمس مرات . فذهب الرسول ، فقال السلطان : أنا أوْلَى بالمشي إليه . فزاره فرآه يصلي الضحى ، وكان يطولها يصليها بثمانية أجزاء ، فصلى معه بعضها ، فقال له الخادم : السلطان قائمٌ على رأسك . فقال : أين مسعود ؟ قال : ها أنا . قال : يا مسعود ، اعدل ، وادع لي . الله أكبر . ثم دخل في الصلاة ، فبكى السلطان ، وكتب ورقة بخطه بإزالة المكوس والضرائب ، وتاب توبة صادقٍ »[(١)].

الفقيه الحنبلي الزاهِد جعفر بن الحسن الدَّرْزِيجاني :

« كان من عباد الله الصالحين ، أمّارًا بالمعروف ، نهّاءً عن المنكر ، كان مُداومًا على الصيام والتّهجُّد والقيام ، له ختماتٌ كثيرة جدًّا ، كل ختمة منها في ركعة ، توفي في الصلاة ساجدًا سنة ٥٠٦ . رحمه الله »[(٢)].

شيخ الإسلام عالِم الحُفّاظ أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المَقْدِسِيّ :

« كان لا يضيع شيئًا من زمانه بلا فائدة ، فإنه كان يصلي الفجر ، ويلقن القرآن ، وربما أقرأ شيئًا من الحديث تلقينًا ، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل الظهر ، وينام نومة ، ثم يصلي الظهر ، ويشتغل إمّا بالتسميع أو بالنسخ إلى المغرب ، فإن كان صائمًا أفطر ، وإلّا صلى من المغرب إلى العشاء ، ويصلي العشاء ، وينام إلى نصف الليل أو بعده ، ثم قام كأن إنسانًا يوقظه ، فيصلي لحظة ، ثم يتوضأ ويصلي إلى قرب الفجر ، ربما توضأ سبع مرات أو ثمانيًا في الليل ، وقال : ما تطيب لي الصلاة إلّا ما دامت أعضائي رطبةً . ثم ينام نومة يسيرةً إلى الفجر ، فهذا دأبه .

---

(١) السير ٢٠/٢٦٢ ، ومرآة الزمان ٨/١٣٢ .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١/١١١٠ .

قال موفق الدين ابن قدامة : كان الحافظ عبد الغني جامعًا للعلم والعمل ، كان رفيقي في الصبا وفي طلب العلم ، وما كنا نستبق إلى خير إلَّا سبقني إليه ، إلَّا القليل ، وكمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة وعداوتهم . قال الضياء : قال محمود بن سلامة التاجر الحرّاني : كان الحافظ عبد الغني نازلًا عندي بأصبهان ، وما كان ينام من الليل إلَّا قليلًا ، بل يصلي ويقرأ ويبكي .

وسمعت الحافظ يقول : أضافني رجلٌ بأصبهان ، فلما تعشينا كان عنده رجلٌ أكل معنا ، فلما قمنا إلى الصلاة لم يصل ، فقلت : ما له ؟ قالوا : هذا رجل شمسيٌّ . فضاق صدري ، وقلت للرجل : ما أضفتني إلا مع كافرٍ . قال : إنه كاتب ، ولنا عنده راحة . ثم قمت بالليل أُصلّي ، وذاك يستمع ؛ فلمّا سمع القرآن تزفر ، ثم أسلم بعد أيام ، وقال : لمَّا سمعتك تقرأ ، وقع الإسلام في قلبي »[1].

لله دَرُّك يا شيخ الإسلام ، والله لأنت أولى الناس بما قاله ابن الدَّواليبي « ابن الخرَّاط » :

كَمْ قد صَفَتْ لقلوبِ القَوْمِ أوقاتٌ ... وكم تَقَضَّتْ لهمْ باللَّيْلِ لَـذَّاتُ
واللَّيْلُ دَسْكَرَةُ العُشَّاقِ يَجْمَعُهُـمْ ... ذِكْرُ الحبيبِ وصِرْفُ الدَّمْعِ كَاساتُ
ماتـوا فأحيـاهـمُ إحيـاءُ لَيْـلِهِـمُ ... ومَنْ سواهـمْ أناسٌ بالكَرَى ماتـوا
لَمَّا تَجَلَّى لهمْ والحُجْبُ قد رُفِعَتْ ... تَهَتَّكُوا وصَبَـتْ منهـمْ صَبابـاتُ
وغَيَّبَتْهُمْ عن الأكـوانِ في حُجُـب ... وأَظهَرتْ سِرَّ مَعْناهُمْ إشـاراتُ
ساقي القلوبِ هو المحبوبُ يَشهدُهُ ... صَبٌّ لهـم بقيـام اللَّيل عـاداتُ
إذا صفا الوقتُ خافوا مِنْ تَكَدُّرِه ... وللوصولِ من الهِجْرانِ آفـاتُ[2]

(١) السير ٤٥٢/٢١ - ٤٥٣ .
(٢) طبقات الشافعية ٢٠١/٩ .

الإمام المحدِّث شيخ الإسلام أبو عمر محمد بن أحمد بن قُدامة المَقْدِسيّ ، أخو الشيخ ابن قُدامة :

جمع له الحافظ الضياء سيرة في جزأين فشفى وكفى ، وقال : ما ترك قيام الليل من وقت شبوبيَّته ، فإذا رافق ناسًا في السفر ، ناموا وحرسهم يصلي .

قال الذهبي : « كان قدوة صالحًا عابدًا ، قانتًا لله ربانيًّا ، خاشعًا مخلصًا ، عديم النظير كبير القدر ، كثير الأوراد والذكر والمروءة والفتوة والصفات الحميدة ، قل أن ترى العيون مثله . قيل : كان ربما تهجد ، فإن نعس ضرب على رجليه بقضيبٍ حتى يطير النعاس ، وكان يكثر الصيام ، ويتلو كل ليلة سُبْعًا مرتّلًا في الصلاة ، وفي النهار سُبعًا بين الصلاتين ، وإذا صلى الفجر تلا آيات الحرس ويسٓ ، والواقعة وتبارك ، ثم يقرىء ويُلقِّن إلى ارتفاع النهار ، ثم يصلي الضحى فيُطيل ، ويصلي طويلًا بين العشاءين ، ويصلي صلاة التسبيح كل ليلة جمعة ، ويصلي يوم الجمعة ركعتين بمائة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، فقيل : كانت نوافله في كل يومٍ وليلة اثنتين وسبعين ركعة »[(١)].

العابِد التَّقِيّ ، فَتْح بن سعيد الموصليُّ :

« قال إبراهيم بن عبد الله : صدع فتحٌ الموصلي فعرج ، فقال : يا رب ابتليتني ببلاء الأنبياء ، فشكر هذا أن أُصلّي الليلة أربعمائة ركعة »[(٢)].

الإمام الحافظ القُدوةُ العابد أبو قِلَابَةَ عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشي مُحدِّث البَصرة :

« أريت أُمُّه وهي حامِلٌ به كأنها ولدت هدهدًا ، فقال لها عابِرٌ :

---

(١) السير ٦/٢ - ٧ .

(٢) الحلية ٢٩٢/١٠ .

إن صدقت رؤياك تلدين ولدًا يكثر الصلاة »[١].

« قال أحمد بن كامل القاضي : قيل:إن أبا قلابة كان يصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة »[٢] .

أخي ، حين يتقرب الأغنياء بالمال يتقرب الزهاد بالصلاة .

فانظر إلى ما فعل سمنون المحب وأبو أحمد القلانسي القدوة الزاهد .

« قال الخلدي : قال لي أبو أحمد القلانسي : فرَّق رجلٌ أربعين ألفًا على الفقراء ، فقال لي سمنون : أما ترى ما أنفق هذا ، وما قد عمله ؟! ونحن لا نرجع إلى شيءٍ ننفقه ، فامض بنا إلى موضعٍ . فذهبنا إلى المدائن ، فصلينا أربعين ألف ركعة »[٣].

ومن عُلُوّ الهِمَّة في الصلاة : حِرْص الرَّجُل على قيام الليل :

قال رسول الله ﷺ : « نِعْم الرَّجُل عبدُ الله لو كان يُصلِّي من الليل »[٤].

قال سالم بن عبد الله بن عمر : فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلَّا قليلًا .

قال الحافظ في الفتح (٣/٩ – ١٠) : « مقتضاه أن من كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل » .

وفي رواية حفصة : قال رسول الله ﷺ : « إن عبد الله رجلٌ صالحٌ لو كان يكثر الصلاة من الليل »[٥].

---

(١) تاريخ بغداد ٤٢٦/١٠ .

(٢) السير ١٧٨/١٣ .

(٣) تاريخ بغداد ١١٥/١٣ .

(٤) رواه البخاري ومسلم – واللفظ له – وأحمد في مسنده .

(٥) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « في الجنة غُرفةٌ يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها » . فقال أبو مالك الأشعري : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائمًا والناس نيام »(١) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يومًا ويفطر يومًا »(٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « أتاني جبريل ، فقال : يا محمد ، عش ما شئت فإنك ميّتٌ ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس »(٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « عجب ربنا من رجلين : رجل ثار عن وطائه ولحافه ، من بين أهله وحبه إلى صلاته ، فيقول الله جل وعلا : [أيا ملائكتي] انظروا إلى عبدي ، ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله

---

(١) صحيح . رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما . ووافقه الذهبي ، وحسنه الهيثمي وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٦١٣) .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد في مسنده .

(٣) حسن . رواه الحاكم في المستدرك ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والشيرازي في الألقاب عن سهل بن سعد ، والبيهقي في شعب الإيمان عن جابر ، وأبو نعيم في الحلية عن علي ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وحسنه المنذري في ترغيبه ، وقال الشيخ الألباني في الصحيحة ٢/٥٠٥ - ٥٠٧ بعد أن ذكر تحسين المنذري له : وهو الصواب الذي يدل عليه مجموع هذه الطرق . والله أعلم .

إلى صلاته ، رغبةً فيما عندي وشفقةً مما عندي . ورجلٌ غزا في سبيل الله ، وانهزم أصحابه ، وعلم ما عليه في الانهزام ، وما له في الرجوع ، فرجع حتى يهريق دمه ، فيقول الله لملائكته : انظروا إلى عبدي ، رجع رجاءً فيما عندي ، وشفقةً ممَّا عندي ، حتى يهريق دمه »[١] .

من علت همته من رجال الليل نظر إلى هذا الحديث :

عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة يحبهم الله ، ويضحك إليهم ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئةٌ ، قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل ، فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه ، فيقول : انظروا إلى عبدي هذا ، كيف صبر لي بنفسه . والذي له امرأة حسنةٌ وفراش لين حسن ، فيقوم من الليل ، فيقول : يذر شهوته ويذكرني ، ولو شاء رقد . والذي إذا كان في سفرٍ ، وكان معه ركب فسهروا ، ثم هجعوا ، فقام من السحر في ضراء وسَّراء »[٢] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من قام بعشر آياتٍ ، لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المُقنطرين »[٣] .

---

(١) حسن . رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، وابن حبان في صحيحه من رواية ابن مسعود ، وحسّنه الألباني ، وقال الشيخ شاكر في تحقيق المسند : إسناده صحيح . وحسّن إسناده الهيثمي .

(٢) حسن . رواه الطبراني في الكبير وقال : إسناده حسن ، وقال الهيثمي في المجمع : رجاله ثقات . وحسنه الألباني في صحيح الترغيب حديث رقم (٦٢٥) .

(٣) صحيح . رواه أبو داود وابن خزيمة في صحيحه وقال الألباني في التعليق على صحيح ابن خزيمة : إسناده جيد . وحسنه في صحيح الترغيب رقم (٦٣٥) . وصححه في صحيح الجامع رقم (٦٣١٥) .

والمقنطرون : هم من كتب لهم قنطارٌ من الأجر ، والقنطار كما جاء في حديث فضالة بن عبيد وتميم الداري عند الطبراني : « خيرٌ من الدنيا وما فيها » .

وسيّد العابدين المتهجّدين ﷺ يقول فيه ابن رواحة :

يَبِيتُ يُجافي جَنْبَهُ عن فراشِهِ إذا استثقلتْ بالمشركين المضاجِعُ

والذي قال فيه شوقي أمير الشعراء :

مُحيي اللَّيالي صلاةً لا يُقَطِّعُها إلَّا بدَمْعٍ من الإشفاق مُنْسَجِمِ
مُسَبِّحًا لك جُنْحَ اللَّيْلِ مُحْتَمِلًا ضُرًّا من السُّهْدِ أو ضُرًّا من الوَرَمِ

عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه ، فقيل له : أتكلَّفُ هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » . رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

وعند مسلم : « حتى وَرِمَتْ قدماه » .

وعند البخاري : « حتى ترم قدماه أو ساقاه » .

وعند البخاري ومسلم : « حتى تفطَّر رجلاه » .

وفي حديث أبي هريرة « حتى تزلع قدماه » .

قال النووي : تفطرت : تشققت .

قال الحافظ في الفتح : « لا اختلاف بين هذه الروايات ؛ فإنه إذا حصل الانتفاخ أو الورم ، حصل الزلع والتشقق . والله أعلم » .

وروى البخاري ومسلم وابن ماجه ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : صليت مع رسول الله ﷺ فأطال حتى هممت بأمر سوءٍ . قال : قيل : وما هممت به ؟ قال : هممت أن أجلس وأدعه .

وعند البخاري بلفظ : صليت مع النبي ﷺ ليلةً ، فلم يزل قائمًا حتى هممت بأمر سوءٍ . قلنا : وما هممت ؟ قال : هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ .

قال الحافظ في الفتح (١٩/٣) : « وفي الحديث دليل على اختيار النبي ﷺ تطويل صلاة الليل ، وقد كان ابن مسعود قويًّا محافظًا على الاقتداء بالنبي ﷺ ، وما همَّ بالقعود إلَّا بعد طولٍ كثيرٍ ما اعتاده » .

وفي حديث حذيفة : فصلى أربع ركعاتٍ ، قرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام .

وعن أنس رضي الله عنه قال : وجد رسول الله ﷺ ذات ليلةٍ شيئًا ، فلمّا أصبح قيل : يا رسول الله ، إنّ أثر الوجع عليك لبيِّن . قال : « إني على ما ترون بحمد الله قد قرأتُ السَّبْع الطّوال »[١] .

وعن عطاء قال:« دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها ، فقال عبد الله بن عمير : حدثينا بأعجب شيءٍ رأيتيه من رسول الله ﷺ . فبكت ، قالت : قام ليلة من الليالي فقال : « يا عائشة ، ذريني أتعبد لربي » . قالت : قلت : والله إني لأحب قربك ، وأحب ما يسرك . قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلي ، فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره ، ثم بكى ، فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض ، وجاء بلال يُؤذِّن بالصلاة ، فلمّا رآه يبكي ، قال : يا رسول الله ، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر ؟ قال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا . لقد نزلت عليَّ الليلة آياتٌ ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿ **إن في خلق السموات والأرض** ... ﴾[٢] الآية [آل عمران : ١٩٠] .

---

(١) صحيح . أخرجه أبو يعلى والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي وسكت عنه الألباني . وضعفه الألباني في التعليق على صحيح ابن خزيمة رقم (١١٣٦) .

(٢) صحيح . رواه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ، وابن حبان في صحيحه ، وصححه الألباني

ولقد سطر سلفُنا أنصع الصفحات في قيام الليل ، بحيث يعجز الإنسان عن تصور علو همتهم في هذا المضمار ، لكأنهم من غير طينتنا أو عجنوا بعبرات القيام ... ولقد أفردت مجلدًا ضخمًا من جمعي - وهو « رهبان الليل » - في ذكر قيامهم وتهجدهم ، وحسبنا هنا أن نشير إلى نماذج منهم ... ومن أراد التوسعة والاستقصاء فعليه بـ « رهبان الليل » .

قيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

« قال الحسين : تزوج عثمان بن أبي العاص امرأةً من نساء عمر بن الخطاب ، فقال : والله ما نكحتها رغبة في مال ولا ولد ، ولكني أحببت أن تخبرني عن ليل عمر .. !! »[(١)] .

قال الحافظ ابن كثير عن ليل عمر : « كان يصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته ، فلا يزال يصلي إلى الفجر » .

وقال لمعاوية بن خديج : « لئن نمت بالنهار لأُضَيِّعنَّ الرَّعِيَّة ، ولئن نمتُ بالليل لأُضيعنَّ نفسي ، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية »[(٢)].

قيام ذي النُّورين عثمان بن عفان رضي الله عنه :

عن ابن سيرين قال : قالت امرأةُ عثمان حين قتل : لقد قتلتموه وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن في ركعة[(٣)].

« روي عنه : أنه كان يقرأ القرآن في ركعة ، ثم يوتر بها »[(٤)].

---

(١) الزهد لابن حنبل ص١١٨ ، ١١٩ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٧٣ : وأخرجه الطبراني ورجاله ثقات .

(٢) الزهد لابن حنبل ص١٢٢ ، ١٢٣ .

(٣) الزهد لابن حنبل ص١٢٧ .

(٤) إسناده صحيح . أخرجه الطحاوي والبيهقي ٣/٢٥ ، وابن أبي داود ، =

قيام أبي هريرة رضي الله عنه :

« عن أبي عثمان النهدي قال : تضيفت أبا هريرةً سبعًا ، فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل ثلاثًا ؛ يصلي هذا ثم يوقظ هذا »(١).

قيام تميم الداري رضي الله عنه :

قال ابن المبارك : ما بلغني عن أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ من العبادة ما بلغني عن تميم الداري .

عن جعفر بن عمرو قال : كنا فئة من أبناء أصحاب النبي ﷺ ، قلنا : إن آباءنا قد سبقونا بالهجرة وصحبة النبي ﷺ ، فهلموا نجتهد في العبادة ، لعلنا ندرك فضائلهم . أو كما قال . قال : عبد الله بن الزبير ومحمد ابن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن طلحة ومحمد بن عبد الرحمن ابن عبد يغوث . قال : فاجتهدنا في العبادة بالليل والنهار ، وأدركنا تميمًا الداري شيخًا فما قمنا له ولا قعدنا في طول الصلاة(٢).

قيام عبّاد بن بشر رضي الله عنه :

انظر إلى شغف عبادٍ بقيام الليل ، لا يمنعه من ذلك جراحٌ كادت تودي بحياته .

عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ ، فأصاب رجلٌ امرأة رجلٍ من المشركين ، فحلف أن لا أنتهي حتى أُهريق دمًا في أصحاب محمدٍ ، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ ، فنزل النبي ﷺ فقال : « هل

= وصحح إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش في تحقيق شرح السنة ٤٩٩/٤ .

(١) الإصابة لابن حجر وسنده صحيح . انظر الإصابة ٢٠٩/٤ .

(٢) الزهد ص٢٠٠ .

رَجُلٌ يَكْلَأ » . فانتدب رجلٌ من المهاجرين[1] ورجل من الأنصار[2]، فقال : « كُونا بفم الشّعْب » فلمَّا خرج الرجلان إلى فم الشعب اضطجع المهاجري ، وقام الأنصاري فصلى ، فأتى الرجل ، فلمَّا رأى شخصه ، عرف أنه ربيئة القوم ، فرماه بسهمٍ فوضعه فيه ، فنزعه حتى رماه بثلاثة أسهمٍ ، ثم ركع وسجد ثم انتبه صاحبه ، فلما عرف أنهم قد نذروا به ، هرب ، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري قال : سبحان الله ! ألا أنبهتني أول ما رمى ؟! قال : كنت في سورةٍ أقرأها ، فلم أُحِبّ أن أقطعها . اهـ .

وفي دلائل النبوة : فنام عمار بن ياسر ، وقام عباد بن بشر يصلي ، وقال : كنت أُصلي بسورةٍ وهي الكهف ، فلم أُحِبّ أن أقطعها[3].

نعم يا سيدي ... عذابه فيك عذب .

قيام أبي ريحانة رضي الله عنه :

عن مولى لأبي ريحانة قال : « قفل أبو ريحانة من بعث غزا فيه ، فلمّا انصرف أتى أهله فتعشى من عشائه ، ثم دعا بوضوءٍ فتوضأ منه ، ثم قام إلى مسجده فقرأ سورة ، ثم أُخرى ، فلم يزل كذلك مكانه ، كلما فرغ من سورة افتتح الأُخرى ، حتى إذا أذن المؤذن من السحر ، شد عليه ثيابه ، فأتته امرأته ، فقالت : يا أبا ريحانة ، قد غزوت فتعبت في غزوتك ، ثم قدمت إليّ ، لم يكن لي منك حظٌّ ونصيبٌ . فقال : بلى ، والله ما خطرت لي على بالٍ ، ولو ذكرتك لكان لك عليَّ حقٌّ . قالت : فما الذي يشغلك يا أبا ريحانة ؟ قال : لم يزل يهوى قلبي فيما وصف الله في جنته من لباسها

---

(١) هو عمّار بن ياسر .

(٢) هو عبّاد بن بشر .

(٣) رواه أبو داود في سننه ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في المستدرك وصححه ، وعلّقه البخاري في صحيحه ، وأحمد والدارقطني وصححه .

وأزواجها ونعيمها ولذاتها ، حتى سمعت المؤذّن »[١].

لسان حاله يقول :

دَعِ المَصُوغاتِ مِنْ ماءٍ وطِين   واشْغَلْ هَواكَ بحُورٍ عينِ

قيام أبي الصَّهباء صِلَةَ بن أشْيَم العدويّ :

« لما زُفَّت إليه معاذة العدوية ، أدخله ابن أخيه الحمام ، ثم أدخله بيتًا مطيَّبا ، فقام يصلي حتى أصبح ، وفعلت معاذة كذلك ، فلمَّا أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله ، فقال له : إنك أدخلتني بيتًا أذكرتني به النار ، ثم أدخلتني بيتًا أذكرتني به الجنة ، فما زالت فكرتي فيهما حتى أصبحتُ »[٢].

رجلٌ وامرأتهُ يقومان الليلَ كلّه ليلةَ بنائهما .

قالت عنه زوجته المتهجدة العابدة معاذة : « ما كان صلة يجيء من مسجد بيته إلى فراشه إلَّا حبوا ، يقوم حتى يفتر ، فما يجيء إلى فراشه إلَّا حبوًا »[٣] .

وكانت امرأته - رحمها الله - إذا جاء الليل قالت : هذه ليلتي التي أموتُ فيها . فلا تنام حتى تصبح ، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق ؛ حتى يمنعها من النوم[٤] .

وكانت رحمها الله تُحيي الليل صلاةً ، فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول : يا نفس ، النوم أمامك ، لو قد متِّ لطالت رقدتك

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك ص٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ومختصر قيام الليل ص١٨ .
(٢) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي ص٢٣ .
(٣) إسناده صحيح . أخرجه أحمد في الزهد ص٢٠٩ وابن سعد ، والذهبي في السير ٤٩٧/٣ .
(٤) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي ص٢٣ .

في القبور على حسرةٍ أو سرور .

وكانت تقول : « عجبتُ لعينٍ تنام ، وقد عرفت طول الرُّقاد في ظُلَم القبور » .

قيام عمرو بن عتبة بن فَرْقَد :

كان رحمه الله يخرج على فرسه ليلًا فيقف على القبور فيقول : يا أهل القبور ، لقد طويت الصحف ، لقد رفعت الأعمال ، لا تستعتبون من سيئةٍ ، ولا تستزيدون من حسنةٍ . ثم يبكي ، ثم يصف بين قدميه حتى يصبح ، فيرجع فيشهد صلاة الصبح[(١)] .

وكان يقول لأبيه : يا أبت ، إنما أنا عبدٌ أعمل في فكاك رقبتي ، فدعني أعمل في فكاك رقبتي .

وكان يخرج إلى العدوّ مع الناس ، فلا يتحارس الناس ؛ لكثرة صلاةِ عمرو ، ورأوه ليلةً يصلي ، فسمعوا زئير الأسد ، فهربوا وهو قائمٌ يصلي فلم ينصرف ، فقالوا له : أما خفت الأسد ؟ فقال : إني لأستحي من الله أن أخاف شيئًا سواه[(٢)] .

ولما مات عمرو ، دخل بعض أصحابه على أخته فقال : أخبرينا عنه ، فقالت : قام ليلة فاستفتح حمٓ ، فأتى على هذه الآية : ﴿ **وأنذرهم يوم الآزفة ...** ﴾ [غافر : ١٨] فما جاوزها حتى أصبح[(٣)] .

قيام همام بن الحارث النَّخعِي ، المتعبِّد القوَّام ، المتلذِّذ بالسَّهر ، للذِّكْر همَّام :

كان يصبح مترجِّلًا ، فقال بعض القوم : إنّ جُمَّة همام لتخبركم أنه لم يتوسدها الليل .

---

(١) الزهد ص٣٥٣ .

(٢) حلية الأولياء ٤/١٥٦، ١٥٧ .

(٣) صفة الصفوة ٣/٧٢ .

وكان رحمه الله يدعو ويقول : « اللهم اشفني من النوم باليسير ، وارزقني سهرًا في طاعتك » .

وكان لا ينام إلا هُنَيْهَة وهو قاعد[١] .

قيام أبي عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب :

قال شمر : أخذ بيدي أبو عبد الرحمن السلمي ، فقال : كيف قوَّتُك في الصلاة ؟ فذكرت ما شاء الله أن أذكُره ، قال أبو عبد الرحمن : كنت أنا مثلك ، أصلي العشاء ثم أقوم أُصلي ، فإذا أنا حين أصلي الفجر أنشط مني أول ما بدأت .

قيام عبد العزيز بن سلمان :

وكانت رابعة - رحمها الله - تسميه « سيد العابدين » .

كان رحمه الله يقول : ما للعابدين وما للنوم !! لا نوم والله في دار الدنيا إلا نومٌ غالِب .

يقول عنه ابنه محمد : كان أبي إذا قام من الليل ليتهجد ، سمعت في الدار جَلَبَةً شديدة ، واستقاء للماء الكثير . قال : فنرى أن الجن كانوا يستيقظون للتهجد فيصلون معه[٢] .

قيام علي بن بكّار :

المرابط الصبّار والمجاهد الكَرَّار .. بكى حتى عَمِي ... كانت الجارية تفرش له فراشه فيلمسه بيده ويقول : والله إنك لطيب ، والله إنك لبارد ، والله ما علوتك ليلتي . ويصلي حتى الفجر[٣] .

---

(١) حلية الأولياء ٤/١٧٨ .

(٢) حلية الأولياء ٦/٢٤٥ .

(٣) حلية الأولياء ٩/٣٦٨ .

قال علي بن بكار : منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا طلوع الفجر .

بكى الباكُونَ للرحمن ليلًا وباتوا دَمْعهمْ لا يَسْأمُونا
بِقاعُ الأرضِ مِنْ شوقٍ إليهمْ تحِنُّ متى عليها يَسْجُدُونا

قيام أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال جبريل : راجع حفصة فإنها صوَّامة قوَّامة »[1].

قيام حفصة بنت سيرين :

كانت رحمها الله تُسرِج سراجها من الليل ثم تقوم في مُصلّاها ، وكانت تلبس كفنها ، فربما طَفِئَ السِّراج ، فيُضيء لها البيت حتى تصبح . ومكثت في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجةٍ أو قائلة .

قيام أم الدرداء الصغرى :

عن يونس بن ميسرة قال : كنا نحضر أم الدرداء ، وتحضرها نساء متعبدات يقمن الليل كله ، حتى إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام .

قيام عجردة العمية رحمها الله :

قال رجاء بن مسلم العبدي : كنا نكون عند عجردة العمية في الدار ، فكانت تحيي الليل صلاة ، وربما قال : تقوم من أول الليل إلى السحر ، فإذا كان السحر نادت بصوتٍ لها محزون : إليك قطع العابدون دُجى الليالي بتكبير الدُّلَج إلى ظُلَم الأسحار ، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك ، فبك إلهي

(١) حسن . أخرجه الحاكم في المستدرك عن أنس وقيس بن زيد ، وأبو نعيم في الحلية عن عمار ، وأبو نعيم والحاكم في المستدرك عن قيس بن زيد مرسلًا ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٢٢٧) .

لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك ، وأن ترفعني إليك في درجة المقربين ، وأن تلحقني بعبادك الصالحين ، فأنت أكرم الكرماء ، وأرحم الرحماء ، وأعظم العظماء . ثم تخر ساجدة ، فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها ، حتى يطلع الفجر ، فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة .

قيام حبيبة العدويَّة رحمها الله :

قال عبدِ الله المكي : كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة ، قامت على سطحٍ فشدت عليها درعها وخمارها فقالت : إلهي ، غارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وبابك مفتوح ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه ، وهذا مقامي بين يديك . ثم تُقبل على صلاتها ، فإذا كان السحر قالت : اللهم ، وهذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأُهنَّى ، أم رددتها عليّ فأُعزَّى ، فوعزتك لَهذا دأبي ودأبك أبدًا ما أبقيتني ، وعزَّتك لو انتهرتني ، ما برحت عن بابك ، ولا وقع في قلبي غير جُودك وكرمك(١) .

وكانت تقول : اللهم اغفر لي سوء أدبي في صلاتي(٢) .

قيام عُفيرة العابدة :

قيل لها : إنك لا تنامين بالليل . فبكت وقالت : ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه ، وكيف ينام أو يقدر على النوم ، مَنْ لا ينام عنه حافظاه ليلًا ولا نهارًا(٣) .

هؤلاء نساءٌ !!

ولو أن النســاء كما ذَكَرْنا　　　لفُضِّلت النِّساءُ على الرِّجالِ

---

(١) صفة الصفوة ٣٢/٤ .

(٢) تنبيه المغترين ص١١٦ .

(٣) مختصر قيام الليل ص٢٩ .

وسنُفرد للنساء فصلًا خاصًّا في علوّ همّتهنّ وتنوُّعها .

ونختم بما قيل في المتهجِّد ... عالي الهمة :

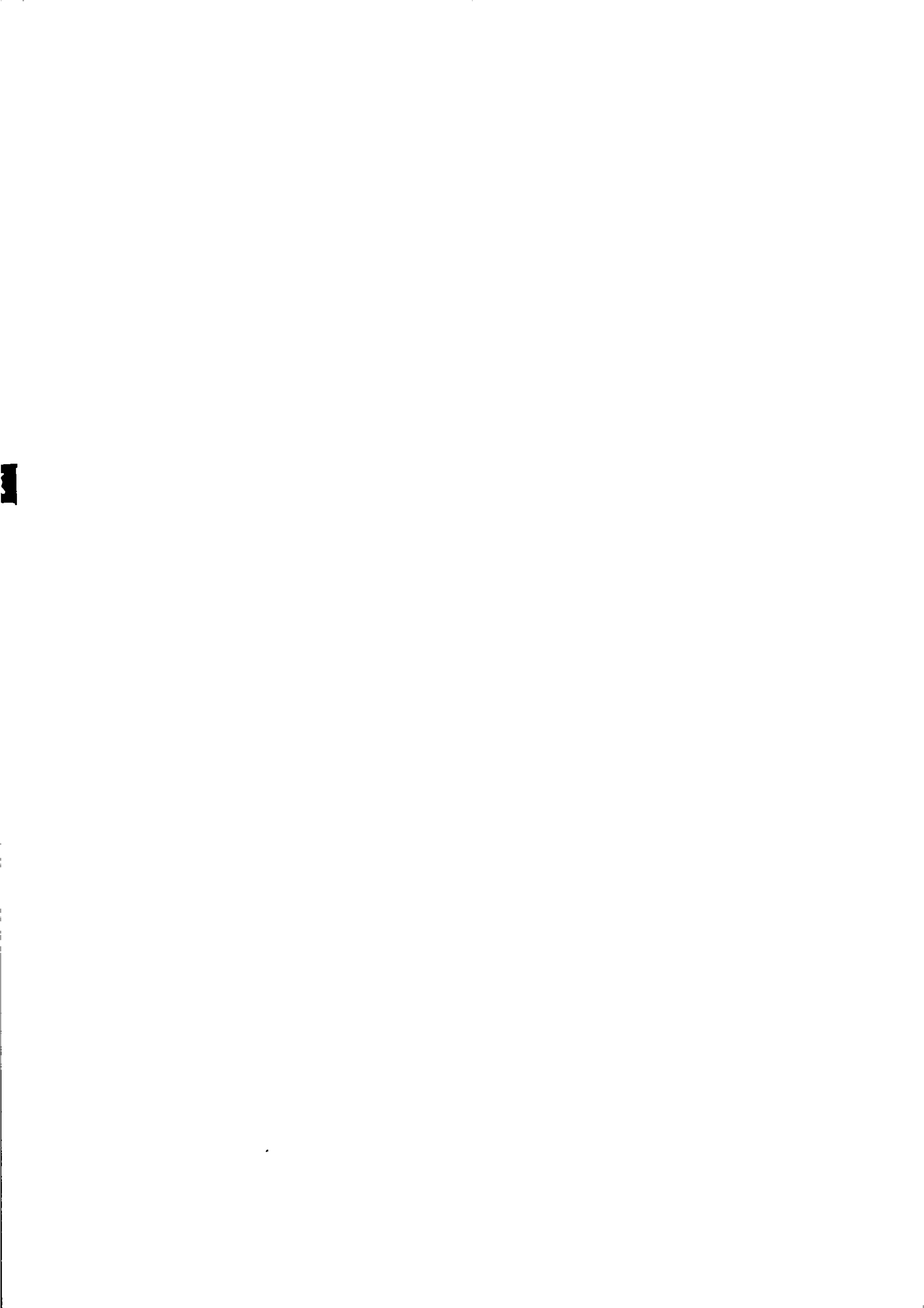
فللهِ دَرُّ العـارِفِ النَّـدْبِ إنّـه ... تَفِيـضُ لفَرْطِ الـوجْدِ أجفـانُهُ دَمَا
يُقيـمُ إذا ما الليلُ مـدَّ ظـلامَهُ ... على نفْسِهِ من شدَّةِ الخوفِ مَأْتَمَا
فصار قَرِينَ الهَمِّ طُـولَ نهـارِهِ ... أخا السُّهْد والنَّجْوَى إذا الليلُ أظْلَمَا
يقولُ حبيبي أنت سُؤْلي وبُغْيَتي ... كفى بك للرَّاجين سُؤْلًا ومَغْنَمَا
ألسـتَ الذي غـذيتَني وهـديتَني ... ولا زلـتَ منَّانًا عليَّ ومُنْعِمَـا
ففي يقْظتي شَوْقٌ وفي غَفْوَتي مُنًى ... تُلاحِقُ خَطْوِي نشْوَةً وتَرَنُّمَـا[1]

* * *

(١) ديوان الشافعي ص١١٥ تحقيق دكتور محمد عبد المنعم خفاجة . نشر مكتبة الكليات الأزهرية .

الفصْـــلُ الرَّابِـــع

عُلُـوُّ الهِمَّـةِ
فــي
الصِّيـــام



□ عُلُوُّ الهِمَّة في الصِّيام □

الصوم عبادة السادات ، وعبادةُ الساداتِ ساداتُ العبادات ، وأحلى أعطيات الصوم وأغلى معانيه الإخلاص ، والإخلاص تجرُّد وخَلاص .
والصوم هو العبادة الوحيدة التي خُصَّت بالنسبة إلى الله : « إلا الصِّيام فإنه لي » .

والغاية القصوى من الصوم : إعداد القلوب للتقوى والشَّفافية والحساسية والخشية من الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾. [البقرة : ١٨٣] .

والصوم إعداد للأمة التي فُرض عليها الجهاد في سبيل الله ؛ لتقرير منهجه في الأرض ، لتستعلي على ضرورات الجسد كلها ، ولتحتمل مشقّات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك ؛ والذي تتناثر على جوانبه الرَّغبات والشّهوات ، والذي تهتف بالسَّالِكِيه آلاف المُغريات .

والصوم أعظم مُرَبٍّ للإرادة ، وكابح لجماح الأهواء .

وأعظم آثار الصوم شأنًا ، وأنصعها برهانًا ، وأعلاها خطرًا ، ما يتركه في نفس العبد من مراقبةٍ لمولاه .

والصائمون هم السّائحون ، فلله ما أحلاها سياحةً .

والصوم لا مثل له ، قال ﷺ : « عليك بالصوم ، فإنه لا عدل له »[١].

وفي رواية : « فإنه لا مثل له »[٢].

---

(١) صحيح . رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٤١٣/١ .

(٢) إسناده صحيح على شرط مسلم . رواه ابن حبان في صحيحه وأحمد والنسائي والطبراني وابن أبي شيبة وعبد الرزاق .

والصوم رفعة للدرجات ما بعدها رفعة ، قال تعالى : ﴿ **إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾. [الزمر : ١٠] . والصابرون : الصائمون ، في أكثر الأقوال .

وجميع العبادات توفَّى منها مظالم العباد إلا الصيام ، في رواية للبخاري : « عن ربكم قال : لكل عملٍ كفّارة ، والصوم لي وأنا أجزي به » .

وعند الطيالسي : « قال ربكم تبارك وتعالى : كل العمل كفّارة إلّا الصوم » .

والصوم كفّارة للخطيئات ، قال ﷺ : « فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يُكفِّرها الصيامُ ، والصلاة والصدقة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[١].

ويكفي الصائم تشريف الله والملائكة له بالصلاة عليه ، قال ﷺ : « إن الله وملائكته يُصلُّون على المتسحِّرين »[٢].

فأكْرِمْ بها من عبادة يصلي الله عليك بها والملأُ الأعلى .

والصوم جُنَّة من النار ، قال ﷺ : « من صام يومًا في سبيل الله ؛ باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام »[٣] .

وقال ﷺ : « من صام يومًا في سبيل الله ، جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض »[٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن حذيفة .

(٢) حسن . رواه ابن حبان في صحيحه ، والطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٤٤) .

(٣) حسن . رواه النسائي عن عقبة بن عامر ، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٣٠) .

(٤) صحيح . رواه الترمذي عن أبي أمامة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٣٣) والصحيحة (٥٦٣) .

والصوم في الصيف يورث السُّقيا من العطش ، والصوم في الشتاء الغنيمة الباردة .

وباب الريان لا يدخله إلَّا الصائمون ، فإذا دخل آخرهم أُغلِق ، لا يدخل فيه أحدٌ غيرهم ، من دخل شرب ، ومن شرب لا يظمأ أبدًا .

والصوم سبيلٌ إلى الجنات ، قال ﷺ : « من ختم له بصيام يومٍ دخل الجنة »[(١)].

قال تعالى : ﴿ **كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾ [الحاقة : ٢٤] .

قال مجاهد وغيره : نزلت في الصائمين .

والصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة .

ودعوة الصائم لا تُردّ .

والصوم شعار الأبرار ، كما صحَّ عن رسولنا ﷺ أنه كان يدعو ويقول : « جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار ، يقومون الليل ويصومون النهار ، ليسوا بأَثَمَةٍ ولا فُجَّار » . رواه عبد بن حميد والضياء عن أنس .

وفي مسلم وغيره : « للصائم فرحتان : فرحةٌ حين يفطر ، وفرحة حين يلقى ربه » .

وخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك .

والصوم قطْعٌ لأسباب التَّعبُّد لغير الله ، فالهوى معبود ، والدينار والدرهم والقطيفة والخميصة والطعام والشراب .

---

(١) صحيح . رواه البزار عن حذيفة ، ورواه أحمد وابن شاهين وابن بشران وأبو نعيم ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٢٢٤) .

والصوم شكرٌ للمنعم عالم الخفيات ، وتحريضُ على المثوبات ، وتكثيرٌ للصدقات ، وإحسان إلى ذوي الحاجات .

والصوم رِقَّةٌ للقلب وصيانةٌ للجوارح .

وإلى هنا يقف القلب ليذكر الصائمين والسادات .

* * *

□ سـاداتُ الصّـائِمِـين □

وردت آثار كثيرة عن السابقين في علوّ هممهم ، وأخذهم بالعزائم في الصوم ، وهـم جبالٌ في الاقتداء والتَّأسي برسول الله ﷺ .

يقول الشاطبي : « كم من رجل صلّى الصبح بوضوء العشاء كذا كذا سنة ، وسَرَد الصيام كذا وكذا سنة ، وكانوا هم العارفين بالسُّنّة ، لا يميلون عنها لحظةً ، وروي عن ابن عمر وابن الزبير : أنهما كانا يواصلان الصيام . وأجاز مالك - وهو إمام في الاقتداء - صيام الدهر ؛ يعني إذا أفطر أيام العيد ، والآثار في هذا المعنى كثيرة عن الأوَّلين ، وهي تدل على الأخْذ بما هو شاقّ على الدوام ، ولم يعدهم أحد بذلك مخالفين للسُّنّة ، بل عدّوهم من السابقين ، جعلنا الله منهم » .

(١) صوم الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

المفارِق للتنعُّم والترفيه ، المعانق لما كُلِّف من التَّشمُّر والتَّوجُّه ، قال رسول الله ﷺ : « لم أرَ عبقريًّا يَفْرِي فَرِيَّه » . متفق عليه .

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : ما مات عمر حتى سَرَدَ الصوم[١] .

فَمَنْ يَسْعَ أو يَرْكَبْ جَناحَيْ نَعامَةٍ ... لِيُدْرِكَ ما قدَّمتَ بالأمسِ يُسْبَقِ[٢]

(٢) صوم ذي النُّورين عثمان بن عفان رضي الله عنه :

أمير البَرَرَة وقتيل الفَجَرَة .

حبيب محمـدٍ ووزيـرُ صـدْقٍ ... ورابـعُ خيـرِ مَنْ وَطِئَ التُّـرابا

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٢٨٦/١ ، والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » ١٢١/١ ، والبيهقي في « سننه » ٣٠١/٤ ، وابن حزم في المحلى ١٤/٧ .

(٢) صفة الصفوة ٢٩٢/١ .

قال أبو نعيم عنه : « حظه من النهار الجود والصيام ، ومن الليل السجود والقيام ، مبشر بالبلوى ، ومنعم بالنجوى »(١) .

وعن الزبير بن عبد الله ، عن جدةٍ له يقال لها:هيمة ، قالت : « كان عثمان يصوم الدهر ، ويقوم الليل إلا هجعةً من أوَّله » . رضي الله عنه ، قتلوه وقد كان صائمًا(٢) .

وروى ابنُ كثير في البداية والنهاية [٢٠٧/٧] : « صلى صلاة الصبح ذات يومٍ ، فلما فرغ أقْبَلَ على الناس فقال : إني رأيت أبا بكر وعمر أتياني الليلة ، فقالا لي : صُم يا عثمان ، فإنك تُفطر عندنا ، وإني أُشهدكم أني وقد أصبحت صائمًا ، وإني أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالمًا مسلومًا منه . ثم دعا بالمصحف فأكبَّ عليه » . رضي الله عنه : « ما طوى المصحف ... وقتلوه وهو يقرؤه » .

(٣) صوم أبي طلحة الأنصاري :

زيد بن سهل ، أحد أعيان البدريين ، وأحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة ، قال عنه ﷺ : « لَصَوْتُ أبي طلحة في الجيش خيرٌ مِن ألف رجلٍ »(٣) .

عن أنس رضي الله عنه قال : كان أبو طلحة لا يصوم على عهد رسول الله ﷺ من أجل الغزو ، فلمّا قُبض النبي ﷺ لم أره يفطر إلَّا يوم أضحى أو يوم فطرٍ(٤) .

---

(١) حلية ٥٥/١ .

(٢) حلية ٥٦/١ ، صفة الصفوة ٣٠٢/١ .

(٣) صحيح . رواه الحاكم في المستدرك عن جابر ، ورواه ابن عساكر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٠٨١) .

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٩١/٥ . وأشار الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي إلى صحته .

وقال الذهبي : « كان قد سرد الصوم بعد النبي ﷺ »[١].

قال أبو زُرعة الدمشقي : إن أبا طلحة عاش بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة يسرُد الصوم[٢]، قال الذهبي : قلت:بل عاش بعده نيِّفًا وعشرين سنة[٣] .

وعن أنس : « أن أبا طلحة صام بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة لا يُفطر إلَّا يوم فطرٍ أو أضحى »[٤].

(٤) صوم عائشة زوج رسول الله ﷺ :

« الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق ، العتيقة بنت العتيق ، حبيبة الحبيب ، وأليفة القريب ، سيد المرسلين محمد الخطيب ، المبرّأة من العيوب ، المعرّاة من ارتياب القلوب لرؤيتها جبريل رسول علَّام الغيوب »[٥] .

عن عبد الرحمن بن القاسم : أن عائشة كانت تصوم الدهر[٦].

وأخرجه ابن سعد عن القاسم بلفظ : أن عائشة كانت تسرُد الصوم[٧].

عن عروة : أن عائشة رضي الله عنها كانت تسرد الصوم . وعن القاسم أنها كانت تصوم الدهر ، لا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر[٨][٩].

قال عروة : « بعث معاوية مرة إلى عائشة بمائة ألف درهم ، فقسمتْها ؛

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٧/١ .

(٢) تاريخ دمشق لأبي زرعة ٥٦٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٩/١ .

(٤) المستدرك ٣٥٣/٣ . وقال : على شرط مسلم .

(٥) حلية الأولياء ٤٣/٣ .

(٦) سير أعلام النبلاء ١٨٧/١ ، ورجاله ثقات أخرجه ابن سعد ٦٨/٨ .

(٧) أخرجه ابن سعد ٧٥/٨ .

(٨) أي : أنها كانت تصوم غير الأيام المنهي عنها ؛ كالعيدين وأيام التشريق والحيض .

(٩) السمط الثمين ص٩ ، صفة الصفوة ٣١/٢ .

لم تترك منها شيئًا ، فقالت بريرة : أنت صائمة ، فهلا ابتعت لنا منها بدرهمٍ لحمًا ؟ قالت : لو ذكَّرتني لفعلت »[1] .

« وعن محمد بن المنكدر عن أم ذرة – وكانت تغشى عائشة رضي الله عنها – قالت : بعث إليها الزبير بمالٍ في غرارتين . قالت : أراه ثمانين ومائة ألف ، فدعت بطبقٍ وهي صائمة يومئذٍ ، فلمّا أمست قالت : يا جارية هلُمِّي فطوري . فجاءتها بخبزٍ وزيت ، فقالت لها أم ذرّة : أما استطعت مما قسمت اليوم ، أن تشتري لنا بدرهمٍ لحمًا نُفطر عليه . فقالت : لا تُعنِّفيني ، لو كنت أذكرتني لفعلتُ »[2].

(٥) صوم أم المؤمنين حفصة بنت عمر :

القوّامة الصوّامة ، حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وارثة الصحيفة ، الجامِعة للكتاب[3].

عن قيس بن زيد أن النبي ﷺ طلَّق حفصة بنت عمر ، فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون ، فبكت وقالت : والله ما طلّقني عن شِبَع . وجاء النبي ﷺ فتَجَلْبَبت . قال : « فقال لي جبريل عليه السلام : راجِعْ حفصةَ ؛ فإنها صوَّامةٌ قوَّامةٌ ، وإنها زوجتك في الجنة »[4] .

أيّ شهادةٍ أعظم من شهادة الله وجبريل لحفصة رضي الله عنها ، وأنعم بها من عبادةٍ كانت سببًا لرجوع أم المؤمنين حفصة إلى رسولنا ﷺ ، لتبقى له زوجة في الجنة .

وعن نافع قال : « ماتت حفصة حتى ما تُفطر » .

---

(١) أبو نعيم في « الحلية » ٤٧/٢ ، الحاكم ١٣/٤ .
(٢) ابن سعد ٤٦/٨ ، والحلية ٤٧/٢ ورجاله ثقات .
(٣) الحلية ٥٠/٢ .
(٤) حسن . أخرجه الحاكم في « المستدرك » عن أنس وقيس بن زيد .

(٦) صوم أبي الدرداء حكيم الأمة وسيد القُرَّاء :

وامق العبادة ، وفارق التجارة ، داوم على العمل استباقًا ، وأحب اللقاء اشتياقًا ، تفرغ من الهموم ، ففتحت له الفهوم ، صاحب الحِكَم والعلوم[١] .

قال أبو الدرداء : « كنت تاجرًا قبل أن يُبعث محمد ﷺ ، فلمّا بُعث محمد ﷺ ، زاولتُ العبادة والتجارة ، فلم يجتمعا ، فأخذتُ في العبادة وتركت التجارةَ »[٢].

وفي رواية : « كنت تاجرًا قبل المبعث ، فلما جاء الإسلام جمعت التجارة والعبادة ، فلم يجتمعا ، فتركت التجارة ولَزِمْتُ العبادة »[٣].

قال ابن إسحاق : كان الصحابة يقولون : أتبعنا للعلم والعمل أبو الدرداء[٤].

وعن يزيد بن معاوية : أن أبا الدرداء كان من العلماء الفقهاء ، الذين يشفون من الداء[٥] .

عن أبي جحيفة أن رسول الله ﷺ آخى بين سلمان وأبي الدرداء ، فجاءه سلمان يزوره ، فإذا أم الدرداء مُتَبَذِّلَة[٦]، فقال : ما شأنك ؟ قالت : إن أخاك لا حاجة له في الدنيا ، يقوم الليل ويصوم النهار . فجاء

---

(١) الحلية ٢٨/١ .
(٢) الحلية ٢٩/١ .
(٣) ابن سعد ٣٩١/٧ ، قال الهيثمي ٣٦٧/٩ : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .
(٤) ابن عساكر ٣٧١/١٣/٢ .
(٥) سير أعلام النبلاء ٣٤٦/٢ .
(٦) أي لابسة ثياب البِذْلة وهي المِهْنَة .

أبو الدرداء فرحّب به وقرّب إليه طعامًا ، فقال له سلمان : كُل . قال : إني صائم . قال : أقسمت عليك لَتُفطِرَنَّ . فأكل معه ، ثم بات عنده ، فلما كان من الليل ، أراد أبو الدرداء أن يقوم ، فمنعه سلمان ، وقال : إن لجسدك عليك حقًّا ، ولربك عليك حقًّا ، ولأهلك عليك حقًّا ، صُمْ وأفطِرْ ، وصلِّ وائتِ أهلك ، وأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقهُ . فلمّا كان وجه الصبح ، قال : قُم الآن إن شئت . فقاما ، فتوضَّأ ، ثم ركعا ، ثم خرجا إلى الصلاة ، فدنا أبو الدرداء ليُخبر رسول الله ﷺ بالذي أمَرَه سلمان . فقال له : « يا أبا الدرداء ، إن لجسدك عليك حقًّا ، مِثْل ما قال لك سلمان »[1] .

(٧) صيام عبد الله بن عمرو بن العاص :

صاحب الصيام والقيام ، « الإمام الحَبْر العابد » ، « له مناقب وفضائل ومقام راسخ في العلم والعمل »[2] .

عن عبد الله بن عمرو قال : أنكحني أبي امرأةً ذات حسب ، فكان يتعاهد كَنَّته[3] فيسألها عن بعلها ، فتقول : نعم الرجل مِن رجل ، لم يَطَأْ لنا فراشًا ، ولم يفتِّش لنا كنفًا منذ أتيناه . فلما طال ذلك عليه ، ذكر للنبي ﷺ فقال : « ألقني به » . فلقيته بعدُ ، فقال : « كيف تصوم ؟ » . قلت : أصوم كل يوم . قال : « وكيف تختم ؟ » . قلت : كلّ ليلة . قال : « صُم في كلِّ شهر ثلاثةً ، واقرأ القرآن في كل شهر » . قال : قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : « صم ثلاثةَ أيام في الجمعة » . قال : قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : « أفطر يومين وصم يومًا » . قال : قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : « صُم أفْضَل الصوم ؛ صوم داود : صيام يوم وإفطار يوم ،

---

(١) البخاري والترمذي .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٨٠ .

(٣) كَنَّته : بفتح الكاف وتشديد النون ، هي زوج الولد .

واقرأ في كل سبعةِ ليالٍ مرَّةً » . فليتني قبلتُ رُخصةَ رسول الله ﷺ ، وذاك أني كَبِرتُ وضَعُفتُ . فكان يقرأ على بعض أهْلِه السُّبع من القرآن بالنهار ، والذي يقرؤه يَعرِضه من النهار ؛ ليكون أخفَّ عليه بالليل ، وإذا أراد أن يتقوَّى أفطر أيامًا وأحصى وصام مثلهنّ ، كراهيةَ أن يترُك شيئًا فارق النبيَّ ﷺ عليه[١] .

وعند النسائي : قلت : دعني أستمتع من قوَّتي وشبابي . قال : « اقرأه في عشرين » .

قلت : دعني استمتع . قال : « اقرأه في سبع ليالٍ » . قلت : دعني يا رسول الله أستمتع . قال : فأبى[٢] .

وصحَّ أن رسول الله ﷺ نازَلَه إلى ثلاث ليالٍ ، ونهاه أن يقرأ في أقل من ثلاث[٣] .

وعند أحمد : عن عبد الله بن عمرو : زوجني أبي امرأةً من قريش ، فلمّا دخلت عليَّ ، جعلتُ لا أنْحاش لها ؛ مما بي من القوّة على العبادة ، فجاء أبي إلى كَنَفِه ، فقال : كيف وجدتِ بعلَكِ ؟ قالت : خير رجلٍ من رجل ، لم يفتِّش لنا كَنَفا ، ولم يقرُب لنا فراشًا . قال : فأقبل عليَّ ، وعضَّني بلسانه ، ثم قال : أنكحتك امرأةً ذات حَسَب ، فعضلتها وفعلت . ثم انطلق ، فشكاني إلى النبي ﷺ فطلبني فأتيتُه ، فقال لي : « أتصوم النهار وتقوم الليل ؟ » . قلت : نعم . قال : « لكنّي أصوم وأُفطر ، وأُصلي وأنام ،

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب « في كم يقرأ القرآن » ٧١٢/٨ ، ٧١٣ .

(٢) رواه النسائي .

(٣) أبو داود والترمذي وابن ماجه .

وأمسُّ النساء ، فمن رغب عن سُنّتي فليس مني »[١] .

عن عبد الله بن عمرو قال : دخل رسول الله ﷺ بيتي هذا ، فقال : « يا عبد الله ، ألم أُخبَر أنك تكلّفت قيام الليل وصيام النهار ؟ » . قلت : إني لَأَفْعَل . فقال : « إن من حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، فالحسنة بعشر أمثالها ، فكأنك قد صمت الدَّهر كلَّه » . قلت : يا رسول الله ، إني أجد قوّةً ، وإني أحبّ أن تزيدني . فقال : « فخمسة أيام » . قلت : إني أجد قوة . قال : « سبعة أيام » . فجعل يستزيده ، ويزيده حتى بلغ النِّصف ، وأن يصوم نصف الدهر : « إن لأهلك عليك حقًّا ، وإن لعبدك عليك حقًّا ، وإن لضيفك عليك حقًّا » . وكان بعدما كَبِر وسنّ يقول : ألا كنت قبلتُ رخصةَ النبي ﷺ أحبّ إليَّ من أهلي ومالي[٢] .

قال الذهبي : هذا السيد العابد الصاحب ، كان يقول لمَّا شاخ : ليتني قبلتُ رخصةَ رسول الله ﷺ . فرضي الله عن صاحب الصيام والقيام ، الذي زَمَّ نفسَه في تعبُّده ووِرده بالسنة النبوية .

(٨) صوم عبد الله بن عمر :

«الإمام القُدوة شيخ الإسلام»[٣]، المتعبِّد المتهجِّد ، يكفيه قول رسول الله ﷺ : « نعم إن عبد الله »[٤]، وقوله : « إن عبد الله رجل صالح »[٥].

قال عنه نافع : « كان ابن عمر لا يصوم في السفر ، ولا يكاد يُفطر

---

(١) رجاله ثقات .

(٢) إسناده حسن . رواه أحمد في مسنده ٢/٢٠٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/٢٠٤ .

(٤) صحيح .

(٥) صحيح . رواه البخاري .

في الحضر »[١] .

عن سعيد بن جبير قال : لما احْتُضِر ابن عمر ، قال : ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث : ظَمَأ الهواجر ، ومُكابدة الليل ، وأني لم أُقاتل الفئة الباغية التي نزلتْ بنا ؛ يعني الحجَّاج[٢] .

(٩) صوم أبي أُمامة الباهِلِيّ :

صاحب رسول الله ﷺ .

عن رجاء بن حيوة ، عن أبي أُمامة : أنشأ رسول الله ﷺ جيشًا فأتيته ، فقلت : يا رسول الله ﷺ ، ادعُ الله لي بالشهادة . قال : « اللهم سلِّمْهم وغنِّمْهم » . فغزونا ، فسلمنا وغنمنا ، حتى ذكر ذلك ثلاث مرات . قال : ثم أتيته ، فقلت : يا رسول الله ، إني أتيتك تترى ثلاث مراتٍ ، أسألك أن تدعو لي بالشهادة ، فقلت : « اللهم سلّمهم وغنّمهم » . فسلمنا وغنمنا يا رسول الله ، فمرني بعملٍ أدخل به الجنة ، فقال : « عليك بالصوم ؛ فإنه لا مثل له » . قال : فكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان نهارًا إلا إذا نزل بهم ضيف ، فإذا رأوا الدخان نهارًا ، عرفوا أنه قد اعتراهم ضيف »[٣] .

وعند الإمام أحمد : فكان أبو أمامة ، وامرأته ، وخادمه ، لا يُلْفَوْن إلا صُيَّامًا[٤] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٢١٥ .
(٢) إسناده صحيح ، أخرجه ابن سعد ٤/١٨٥ ، والذهبي في « السير » ٣/٢٣٢ .
(٣) إسناده صحيح على شرط مسلم ، أخرجه ابن حبان في صحيحه ، وابن أبي شيبة ، والنسائي ، والطبراني ، وعبد الرزاق .
(٤) سير أعلام النبلاء ٣/٣٦٠ .

قال الذهبي : « ولأبي أُمامة كرامة باهرة جَزِع هو منها ، وهي في كرامات الذّاكاليّ ، وأنه تصدّق بثلاثة دنانير ، فلقي تحت كراجته ثلاثمائة دينار »[1] .

وفي تاريخ الذهبي (٣/٣١٥) عن مولاة لأبي أُمامة ، قالت : « كانَ أبو أمامة يحبّ الصدقة ، ولا يقف به سائل إلّا أعطاه ، فأصبحنا يومًا وليس عنده إلا ثلاثة دنانير ، فوقف به سائل ، فأعطاه دينارًا ، ثم آخر ، فكذلك ، ثم آخر ، فكذلك ، قلت : لم يبق لنا شيءٌ . ثم راح إلى مسجده صائمًا ، فرفقت له ، واقترضت له ثمن عشاء ، وأصلحت فراشه ، فإذا تحت المرفقة ثلاثمائة دينار ، فلمّا دخل ورأى ما هيَّأتُ له ، حَمِد الله وابتسم ، وقال : هذا خيرٌ من غيره . ثم تعشّى ، فقلت : يغفر الله لك ، جئت بما جئت به ، ثم تركته بموضع مَضْيَعَة ؟! قال : وما ذاك ؟ قلت : الذهب . ورفعت المرفقة ، ففزع لما رأى ، وقال : ما هذا ويحك ؟ قلت : لا علم لي . فكثر فزعه » .

(١٠) صوم عبد الله بن الزُّبير :

أمير المؤمنين ، ابن الحواريّ ، عائِذُ بيت الله ، المشاهد في القيام ، المواصِل للصيام ، قال الذهبي : « عدادُه في صغار الصحابة ، وإن كان كبيرًا في العلم والشرف والجهاد والعبادة » .

قالت عنه أسماء بنت أبي بكر أنه : قوّام الليل ، صوّام النهار ، وكان يُسمّى : حمامَ المسجد[2] .

عن ابن أبي مُلَيكة قال : « كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام ، ويصبح في اليوم السابع وهو ألْيَثنا »[3][4] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٣٦٢ .

(٢) حلية الأولياء ١/٣٣٥ ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٦٧ .

(٣) أليثنا : أي كأنه لَيْث .

(٤) رواه الحاكم : ٣/٥٤٩ .

لقد كان ابن الزبير مع مُلْكه صِنْفًا في العبادة(١) .

وقال ابن عمر وقد رآه مصلوبًا : « السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله إنْ كنت ما علمتُ صوّامًا قوّامًا وَصُولًا للرَّحِم ، أما والله لأمة أنت أشرُّها لأمةُ خيرٍ »(٢).

(١١) صوم عبد الله بن رَوَاحَة :

الأمير السعيد الشهيد البَدْرِيّ النقيب ، أبو عمرو الأنصاري الخزرجي شاعر رسول الله ﷺ .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : « خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حارّ ، حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدّة الحر ، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة »(٣) .

وعند الذهبي في السير : « إن كنا لنكون مع رسول الله ﷺ في السفر في اليوم الحار ، ما في القوم أحدٌ صائم إلّا رسول الله ﷺ وعبد الله ابن رواحة »(٤).

عن ابن أبي ليلى : تزوَّج رجلٌ امرأة ابنِ رواحة ، فقال لها : تدرين لِمَ تزوّجتك ؟ لتُخبريني عن صنيع عبد الله في بيته . فذكرت له شيئًا لا أحفظهُ ، غير أنها قالت : كان إذا أراد أن يخرج من بيته ، صلَّى ركعتين ، وإذا دخل صلى ركعتين،لا يَدَع ذلك أبدًا(٥).

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٦٨/٣ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه .

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٣٢/١ - ٢٣٣ .

(٥) إسناده صحيح . نسبه الحافظ في « الإصابة » ١٧٨/٦ - ١٧٩ ، ابن المبارك =

(١٢) صوم الصحابي الجليل حمزة بن عمرو الأسلمي :

كان رضي الله عنه يسرُد الصوم .

روى الإمام أحمد ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن حمزة بن عمرو الأسلمي سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني رجل أسرد الصوم ، فأصوم في السفر ؟ قال : « صم إن شئت ، وأفطر إن شئت » .

قال النووي : « فيه دلالة لمذهب الشافعي ، وموافقته أنّ صوم الدهر وسرْده غير مكروهٍ لمن لا يخاف منه ضررًا ، ولا يُفوِّت به حقًّا ، بشرط فطْر يومي العيدين والتشريق ؛ لأنه أخبر بسرده ولم يُنكر عليه ، بل أقرَّه عليه ، وأذن له فيه في السفر ، ففي الحضر أوْلَى .

وهذا محمول على أن حمزة بن عمرو كان يطيق السرد بلا ضررٍ ولا تفويتِ حقٍّ ، كما في الرواية التي بعدها : (أجد بي قوّةً على الصيام في السفر) ، وأما إنكاره ﷺ على ابن عمرو بن العاص صوم الدهر ؛ فلأنه عَلِم ﷺ أنه سيضعف عنه ، وهكذا جرى بأنه ضعف في آخر عمره ، وكان يقول : يا ليتني قبلتُ رخصة رسول الله ﷺ . وكان رسول الله ﷺ يحب العمل الدائم وإن قلَّ ، ويحثُّهم عليه »[١] .

(١٣) صوم أبي مسلم الخَوْلانِيّ :

« المتسلِّي بالأوراد والنُّوَب ، الخولاني عبد الله بن ثُوَب ، حكيم الأمة وممثِّلها ، ومُديم الخِدمة ومحرِّرها »[٢] .

عن عطية بن قيس ، قال : دخل ناس من أهل دمشق على أبي مسلم

= في « الزهد » وصحّح سنده ، ورواه الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ٣٣/١ . ورجاله ثقات .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٩/٣ .

(٢) حلية الأولياء ١٢٢/٢ .

وهو غازٍ في أرض الروم ، وقد احتفر جورة في فسطاطه[١]، وجعل فيها نِطْعًا وأفرغ فيه الماء وهو يَتَصَلَّق[٢] فيه ، فقالوا : ما حملك على الصيام وأنت مسافر ؟ قال : لو حضر قتالٌ لأفطرت ولتهيَّأتُ له وتقوَّيْت ، إن الخيل لا تجري الغايات وهُنّ بُدَّن ، إنما تجري وهن ضُمَّر ؛ ألا وإن أيامنا باقية جائية »[٣] .

وفي الحلية : « بين أيدينا أيامًا لها نعمل »[٤].

(١٤) صيام عامر بن عبد قيس :

القُدوة الوليّ الزّاهِد ، راهِب هذه الأمة .

كان يقول : « لَذَّات الدنيا أربعة : المال ، والنساء ، والنوم ، والطعام . فأما المال والنساء فلا حاجة لي فيهما ، وأما النوم والطعام فلا بد لي منهما ، فوالله لأضرن بهما جهدي » . ولقد كان يبيت قائمًا ، ويظلُّ صائمًا[٥] .

« وعن علقمة بن مَرْثَد قال : انتهى الزهد إلى ثمانية : عامر بن عبد الله ابن عبد قيس ، وأُوَيْس القَرَني ، وهرم بن حيّان ، والربيع بن خُثَيْم ، ومسروق بن الأجدع ، والأسود بن يزيد ، وأبو مسلم الخولاني ، والحسن ابن أبي الحسن »[٦].

---

(١) الفُسطاط : البيت من الشَّعر .
(٢) يتصلق : يتقلَّب ويتلوَّى على جنبه .
(٣) سير أعلام النبلاء ٤/١٠ .
(٤) الحلية ٢/١٢٧ .
(٥) الحلية ٢/٨٨ .
(٦) الحلية ٢/٨٧ .

وكان يقول : « ما أبكي علي دنياكم رغبةً فيها ، ولكن أبكي على ظَمَأ الهَوَاجِر ، وقيام ليل الشتاء »[١] .

وعن قتادة : « لما احتضر عامرَ بكى ، فقيل:ما يبكيك ؟ قال : ما أبكي جزعًا من الموت ، ولا حرصًا على الدنيا ، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر وقيام الليل »[٢] .

(١٥) صوم الأسود بن يزيد النَّخَعِيّ :

الإمام القُدوة ، القارىء القوَّام ، السّاري الصَّوَّام ، الفقيه الأثير ، الفقير الأسير « هو نظير مسروق في الجلالة والعلم والثِّقة والسِّنّ ، يُضرب بعبادتهما المَثَل »[٣] .

سُئل الشَّعْبِيُّ عن الأسود فقال : « كان صوّامًا قوّامًا حجّاجًا »[٤] .

وعن علقمة بن مرثد ، قال : « انتهى الزُّهد إلى ثمانيةٍ من التابعين ، منهم الأسود بن يزيد ، كان مجتهدًا في العبادة ، يصوم حتى يخضرَّ جسده ويصفَرّ ، وكان علقمة بن قيس يقول له : وَيْحَكَ ، لِمَ تعذِّب هذا الجسد ؟ قال : راحة هذا الجسد أريد ، [إن الأمر جِدّ ، إن الأمر جد][٥] . فلما احتُضِر بكى فقيل له : ما هذا الجزع ؟ قال : ما لي لا أجزع ، ومن أحقّ بذلك منّي ، والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل ، لهَمَّني الحياء منه مما قد صنعتُه ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ، فلا يزال مستحيًا منه »[٦] .

---

(١) الحلية ٨٨/٢ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١٩/٤ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٥٠/٤ .
(٤) حلية الأولياء ١٠٣/٢ ، سير أعلام النبلاء ٥١/٤ .
(٥) الاعتصام للشاطبي ٣٩٩/١ .
(٦) حلية الأولياء ١٠٣/٢ ، ١٠٤ ، سير أعلام النبلاء ٥٢/٤ .

وروى شُعْبَة عن الحكم ، أن الأسود كان يصوم الدهر[١] .

وروى حمّاد عن إبراهيم : كان الأسود يصوم حتى يَسودّ لسانه من الحر[٢] .

وعن عبد الله بن بشر ، أن علقمة والأسود بن يزيد حجَّا ، وكان الأسود صاحب عبادةٍ ، وصام يومًا فكان الناس بالهجير وقد تربَّد وجهُه ، فأتاه علقمة فضرب على فخذه فقال : ألا تَتَّقِ الله يا أبا عمرو في هذا الجسد ؟ علام تعذِّب هذا الجسد ؟ فقال الأسود : يا أبا شبل ، الجد الجد[٣] .

قال حنس بن حارث : رأيت الأسود وقد ذهبت إحدى عينيه من الصوم[٤]، لا ضير إن كانت الجنة فسيبدِّل الله بعينٍ أصَحّ منها .

ما ضرَّهم ما أصابهم ، جَبَرَ الله لهم بالجنة كلَّ مصيبة .

(١٦) صيام مسروق بن عبد الرحمن :

« في العلم معروق ، وبالضمان موثوق ، ولعباد الله معشوق ، أبو عائشة مسروق »[٥] .

عن الشَّعْبي قال : « غشي على مسروق في يومٍ صائف ، وكانت عائشة قد تبنَّتْه فسمى بِنْتَهُ عائشةَ ، وكان لا يعصي ابنته شيئًا ، قال : فنزلت إليه فقالت : يا أبتاه ، أفطر واشرب . قال : ما أردتِ بي يا بُنَيَّة ؟ قالت : الرفق . قال : يا بنيَّة ، إنما طلبت الرفقَ لنفسي في يومٍ كان مقداره خمسين

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٥٢ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/٥٣ .
(٣) حلية الأولياء ٢/١٠٤ .
(٤) حلية الأولياء ٢/١٠٤ .
(٥) حلية الأولياء ٢/٩٥ .

ألف سنة »[١]. وفي رواية : « إنما طلبت الرفق لتعبي »[٢].

قالت له عائشة الصِّدِّيقة : « يا مسروق ، إنك من ولدي ، وإنك لمن أحَبِّهم إليَّ »[٣].

وكان لا يأخذ على القضاء أجرًا ، وكان يقول : « لأن أُفتي يومًا بعدلٍ وحقٍّ ، أحبُّ إليَّ من أن أغزوَ سنةً »[٤].

قال الأصمعيّ : كان مسروق يتمثَّل :

ويَكْفِيك مما أُغْلِقَ البابُ دُونَهُ ... وأُرْخِي عليه السِّتْرُ مِلْحٌ وجَرْدَقْ
وماءٌ فُراتٌ باردٌ ثم تَغْتَدِي ... تُعارِضُ أصحابَ الثَّرِيدِ المُلَبَّقْ
تَجَشَّا إذا ما هُم تَجَشَّوْا كأنَّما ... غُذِيتَ بألوانِ الطَّعامِ المُفَتَّقْ

(١٧) صوم العلاء بن زياد :

« المبشّر المحزون ، المُستَتِر المخزون ، تجَرَّد من التِّلاد ، وتشمَّر للمِهاد ، وقدَّم العَتاد للمَعَاد ، العلاء بن زياد »[٥].

كان ربانيًّا تقيًّا قانتًا لله ، بكّاء من خشية الله .

قال قتادة : كان العلاء بن زياد قد بكى حتى غُشي بصره ، وكان إذا أراد أن يقرأ أو يتكلّم ، جَهَشَهُ البكاء ، وكان أبوه قد بكى حتى عَمِي .

« قال الحسن لعلاء بن زياد وقد سلَّه الحزن : كيف أنت يا علاء ؟ فقال : واحزناه على الحزن . قال الحسن : قوموا ، فإلى هذا والله انتهى استقلالُ الحزن »[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦٧/٤ – ٦٨ .
(٢) الاعتصام ٤٠٠/١ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٦٦/٤ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٦٦/٤ ، ٦٨ .
(٥) حلية الأولياء ٢٤٢/٢ .
(٦) حلية الأولياء ٢٤٢/٢ .

« وعن هشام بن حسّان ، أن العلاء بن زياد كان قُوت نفسه رغيفًا كل يوم ، وكان يصوم حتى يخضرَّ أو يصلي حتى يسقط ، فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا : إن الله تعالى لم يأمرك بهذا كله . فقال : إنما أنا عبدٌ مملوك ، لا أدع من الاستكانة شيئًا إلا جئتُه به »[١].

قال له رجل : رأيتُ كأنك في الجنة فقال له : وَيْحَك ، أما وجَدَ الشيطان أحدًا يسخر به غيري وغيرك[٢] .

وكان يقول : « لِيُنزل أحدكم نَفْسَه أنه قد حَضَرَه الموت ، فاستقال ربّه - تعالى - نَفْسَه ، فأقاله ، فليعملْ بطاعة الله عز وجل »[٣].

قال سلمةُ بن سعيد : رُئِيَ العلاء بن زياد أنه من أهل الجنة ، فمكث ثلاثًا لا تَرْقَأ له دمعة ، ولا يَكْتَحِل بنومٍ ، ولا يتذوَّق طعامًا ، فأتاه الحسن فقال : أي أخي ، أتقتل نفسَك أن بُشِّرت بالجنة ؟! فازداد بكاءً ، فلم يُفارقه حتى أمسى - وكان صائمًا - فطعم شيئًا[٤] .

« عن هشام بن زياد العدويّ قال : تجهَّز رجل من أهل الشام وهو يريد الحجّ ، فأتاه آتٍ في منامه فقال : ائتِ العراق ثم ائت البصرة ، ثم ائت بني عَدِيّ فائت بها العلاء بن زياد ، فإنه رجل أقْصَم الثَّنِيَّة بسَّام ، فبشِّره بالجنة . قال : فقال : رؤيا ليست بشيءٍ . حتى إذا كانت الليلة الثانية رقد ، فأتاه آت فقال : ألا تأتي العراق . فذكر مثل ذلك . حتى إذا كانت الليلة الثالثة ، جاءه بوعيد فقال : ألا تأتي العراق ثم تأتي البصرة ، ثم تأتي بني عدي فتَلْقَى العلاء بن زياد ، رجل ربعة أقصم الثّنيّة بسّام،فبشِّره بالجنة . قال

---

(١) حلية ٢/٢٤٣ .
(٢) حلية ٢/٢٤٥ .
(٣) حلية ٢/٢٤٤ .
(٤) سير ٤/٢٠٣ .

فأصبح وأخذ جهازه إلى العراق ، فلمّا خرج من البيوت ، إذا الذي أتاه في منامه يسير بين يديه ما سار ، فإذا نزل فَقَدَهُ ، فلم يزل يراه حتى دخل الكوفة ففقدَهُ . قال : فتجهَّز من الكوفة فرآه يسير بين يديه ما سار ، حتى قدم البصرة فأتى بني عدي ، فدخل دار العلاء بن زياد ، فوقف الرجل على باب العلاء فسلَّم . قال هشام : فخرجتُ إليه ، فقال لي : أنت العلاء بن زياد ؟ قلتُ : لا . وقلتُ : انزل - رَحِمَك الله - فضع رَحْلَك وَضَعْ متاعَك . فقالْ : لا ، أين العلاء بن زياد ؟ قلت : هو في المسجد . قال : وكان العلاء يجلس في المسجد ويدعو بدعواتٍ ويحدِّث . قال هشام : فأتيتُ العلاء فخفَّفَ من حديثه ، وصلّى ركعتين ثم جاء ، فلمّا رآه العلاء تبسَّم فَبدَتْ ثنيّته ، فقال : هذا والله صاحبي . قال : فقال العلاء : هلّا حططتَ رَحْلَ الرجل ، هَلّا أنزلته ؟ قال : قد قلت له فأبى. قال : فقال العلاء : انزلْ رحمك الله . قال : فقال الرجل : أدخِلْني . قال : فدخل العلاء منزله وقال : يا أسماء ، تحوَّلي إلى البيت الآخر . قال : فتحوَّلتْ ، ودخل الرجل وبشَّره برؤياه ، ثم خرج فركب . قال : وقام العلاء فأغلق بابه وبكى ثلاثة أيامٍ ، وقال: سبعة أيامٍ لا يذوق فيهما طعامًا ولا شرابًا ولا يفتح بابه . قال هشام : فسمعته يقول في خلال بكائه : أنا أنا . قال : فكنا نهابه أن نفتح بابه ، وخشيت أن يموت ، فأتيت الحسن فذكرت له ذلك ، وقلت : لا أراه إلّا ميتًا ؛ لا يأكل ولا يشرب باكيًا . قال : فجاء الحسنُ حتى ضرب عليه بابه ، وقال : افتح يا أخي . فلمّا سمع كلام الحسن قام ففتح بابه ، وبه من الضُّرِّ شيءٌ الله به عليم ، فكلَّمه الحسن ثم قال : رحمك الله ، ومن أهل الجنة إن شاء الله ، أفقاتِلٌ نفسك أنت ؟! قال هشام : حدثنا العلاء لي وللحسن بالرؤيا ، وقال : لا تحدثوا بها ما كنت حيًّا »[1] .

(١) الحلية ٢/٢٤٥ - ٢٤٦ ، سير أعلام النبلاء ٤/٢٠٣ - ٢٠٤ .

لك الله يا علاء ، أئن بشرت بالجنة صمت وبكيت ، حتى أشرفت على الموت ؟! . لك الله يا إمام ، ولك من اسمك أوفر نصيب .

(١٨) صيام سعيد بن المُسَيِّب سيِّد التابعين :

عالم العلماء - كما قال مكحول - فقيه الفقهاء ، حدث يزيد بن أبي حازم أن سعيد بن المسيب كان يسرُد الصوم . وقال ابن المسيب : ما أذَّن المؤذِّن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد(١).

(١٩) صوم أبي بكر بن عبد الرحمن راهِب قريش :

الإمام أحد فقهاء المدينة السبعة ، وكان من سادات قريش . قال ابن سعد : كان يقال له : راهب قريش ؛ لكثرة صلاته(٢) .

روى الشعبي عن عمر بن عبد الرحمن ، أن أخاه أبا بكر كان يصوم ولا يفطر .

قال الذهبي : « قلت : كان أبو بكر بن عبد الرحمن ممن جَمَع العلم والعمل والشرف ، وكان ممن خلف أباه في الجلالة »(٣).

(٢٠) صوم عُرْوة بن الزُّبَيْر :

عالم المدينة ، أحد الفقهاء السبعة ، وابنُ حواري رسول الله ﷺ ، مُكِّن من الطاعة فاكْتَسَب ، وامتُحن بالمحنة فاحْتَسَب ، عروة بن الزبير بن العوَّام المجتهد المتعبِّد الصوّام(٤).

قال الزهري : « جالستُ ابن المسيَّب سبع سنين ، لا أرى أن عالمًا

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢١/٤ ، وقال الذهبي : إسناده ثابت .

(٢) طبقات ابن سعد ٢٠٧/٥ - ٢٠٨ .

(٣) سير ٤١٧/٤ ٤١٨ .

(٤) حلية ١٧٦/٢ .

غيره ، ثم تحوَّلت إلى عُروة ففجَّرت به ثَبَجَ بحرٍ .

وقال أيضًا : رأيت عروة بحرًا لا تكدِّره الدلاء »[(١)].

عن هشام بن عروة ، أن أباه كان يصوم الدهر إلا يوم الفطر ويوم النحر ، ومات وهو صائم ويعفو ، يقولون له : أفطر ، فلم يفطر[(٢)].

وعن هشام بن عروة ، أن أباه كان يسرُد الصوم[(٣)].

وعن هشام أن أباه وقعت في رجله الآكِلَةُ فقال : ألا ندعو لك طبيبًا ؟ قال:إن شئتم . فقالوا : نسقيك شرابًا يزول فيه عقلك ؟ فقال : امض لشأنك ، إن ربي ابتلاني ليرى صَبْرِي ، ما كنت أظنُّ أن خلْقًا يشرب ما يُزيل عقلَه حتى لا يعرف به . فوضع المنشار على رُكْبَتِه اليسرى ، فما سمعنا له حسًّا ، فلمّا قَطَعَها ، جعل يقول : لئن أخذت . لقد أبقيت ، ولئن ابتليتَ ، لقد عافيتَ . وما ترك جزأه بالقرآن تلك الليلة[(٤)].

وكان وِرده ربع القرآن كلّ يوم في المصحف نظرًا يقوم به الليلَ .

وعن عبد الواحد مولى عروة قال : شهدتُ عروة بن الزبير قطع رِجْله من المفصل وهو صائم[(٥)] .

والله لكأنها الأعاجيب ، ولا تعجب ؛ فإنّ أمه أسماء وأبوه الحواري ، وجدته صفية وخالته عائشة ، وجَدُّه الصِّدِّيق .

فما اسْتَخْبَأْت في رجُلٍ خَبيئًا   كمِثْلِ الدِّينِ أو حَسَبٍ عَتِيقِ
ذَوُو الأحْسَابِ أكْرَمُ مِنْ تُراثٍ   وأصْبَرُ عندَ نائِبَةِ الحُقُوقِ

---

(١) سير ٤/٤٢٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/١٨٠ ، والزهد لأحمد ٣٧١ ، صفة الصفوة ٢/٨٨ .

(٣) صفة الصفوة ٢/٨٧ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/٤٣٠ .

(٥) حلية ٢/١٧٨ .

(٢١) صوم سليمان بن يسار :

الفقيه الإمام ، عالم المدينة وفقيهها .

عن أبي الزِّناد قال : كان سليمان بن يسار يصوم الدهر .

وكان أخوه عطاء يصوم يومًا ويفطر يومًا[(١)].

(٢٢) عطاء بن يسار :

الإمام الفقيه الواعظ المذكِّر ، كبير القدر ، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا .

(٢٣) صوم إبراهيم النَّخَعِيّ :

التّقي الخَفِيّ الفقيه الرضيّ الإمام الحافظ ، فقيه العراق ومفتي أهل الكوفة .

حدثت هُنيدةُ امرأةُ إبراهيم ، أن إبراهيم كان يصوم يومًا ويفطر يومًا .

قال سعيد بن جبير : تستفتوني وفيكم إبراهيم النخعي ؟![(٢)] .

وكان يقول - رحمه الله -: وددت أني لم أكُن تكلّمت ، ولو وجدت بدًّا من الكلام ما تكلّمت ، وإن زمانًا صرت فيه فقيهًا لزمان سوء[(٣)].

(٢٤) صوم الحسن البصري :

إمام الدنيا بأسرها .

قال عنه أبو جعفر الباقر : ذاك الذي يُشبِه كلامه كلام الأنبياء[(٤)].

قال أيوب السَّخْتِياني : لو رأيتَ الحسن لقلت : إنك لم تُجالس فقيهًا قط[(٥)].

---

(١) سير ٤/٤٤٨ ، ابن سعد ٥/١٧٣ ، صفة الصفوة ٢/٨٤ .

(٢) حلية ٤/٢٢١ .

(٣) حلية ٤/٢٢٣ .

(٤) الحلية ٢/١٤٧ ، سير ٤/٥٨٥ .

(٥) سير ٤/٥٨٥ .

وقال عنه عطاء : ذاك إمام ضخم يُقتدى به[١]، وكان من رؤوس العلماء في الفتن والدماء والفروج[٢].

وقال علي بن زيد : سمعت من ابن المسيِّب أو عروة والقاسم وغيرهم : ما رأيت مِثْل الحسن ، ولو أدرك الصحابة وله مثل أسنانهم ، ما تقدَّموه[٣].

قال عوف : ما رأيتُ رجلًا أعلم بطريق الجنة من الحسن[٤].

رحم الله الحسن ، نَبَت في العِلْم وتحقَّبه وتشرَّبه ، به يُسْقون وبه يُدفع عنهم ، قال السري بن يحيى : « كان الحسن يصوم البيض وأشهر الحرم والاثنين والخميس »[٥].

دعوه لا تلوموه دعوه :

قيل له يومًا : يا أبا سعيد ، أي شيء يُدخل الحزن في القلب ؟ فقال : الجوع . قال : فأي شيء يُخرجه ؟ قال : الشِّبع . وكان يقول : توبوا إلى الله من كثرة النوم والطعام[٦].

وكان يقول : إذا لم تقدر على قيام الليل ولا صيام النهار ، فاعلم أنك محروم قد كبَّلتْك الخطايا والذنوب[٧].

دَعُـوهُ لا تَلُومُـوهُ دَعُـوهُ فَقَدْ عَلِمَ الذي لم تَعْلَمُوهُ

---

(١) سير ٤/٥٧٤ .

(٢) سير ٤/٥٧٥ ، ابن سعد ٧/١٦٣ .

(٣) ابن سعد ٧/٢٦١ .

(٤) سير ٤/٥٧٥ .

(٥) سير ٤/٥٧٨ ، الزهد لأحمد ٢٦٩ .

(٦) الحسن البصري لابن الجوزي ص١٣ ، ١٤ .

(٧) الحسن البصري لابن الجوزي ص١٩ .

رأى عَلَمَ الهُدَى فَسَمَا إليه ... وطَالَبَ مَطْلَبًا لَمْ تَطْلُبُوهُ
أجابَ دُعاءَهُ لَمَّا دَعَاهُ ... وقامَ بأمْرِهِ وَأَضَعْتُمُـوهُ
بَنفسِي ذَاكَ مِنْ فَطِنٍ لَبيبٍ ... تَذَوَّقَ مَطْعَمًا لَمْ تَطْعَمُوهُ

هذا قول الحسن وبكاء الحسن ، وهذا صدق رضيع أُمِّ سلمة ، كان يقول وهو يبكي : أي ربِّ ، ما أخسر صفقة من صرف عن بابك ، وضرب دونه حجابك . ثم أنشد :

إذا أنا لم أشْكُرْكَ جَهْدِي وطَاقَتِي ... ولم أُصْفِ من قَلْبِي لك الوُدّ أجْمَعَا
فلا سَلِمَتْ نَفْسِي من السُّقْمِ سَاعَةً ... ولا أَبْصَرَتْ عَينِي مِنَ الشَّمْسِ مَطْلَعَا

ثم استغفر وبكى وقال : القلب الذي يُحِبّ اللَّهَ يحبّ التعب ، ويُؤثِر النصيب ، هيهات لا ينال الجنة من يُؤثِر الراحةَ ، من أحبَّ ما عند الله سخا بنفسه إن صدق وترك الأمانيَّ ؛ فإنها سلاح النَّوكْى[1] .

(٢٥) صوم ابن سيرين :

ابن سيرين الإمام شيخ الإسلام .

عن حبيب بن الشهيد : كنت عند عمرو بن دينار فقال : والله ما رأيت مثل طاووس . فقال أيوب السختياني – وكان جالسًا –: والله لو رأى محمد بن سيرين لم يقله[2] .

وعن ابن عون قال : ثلاثة لم تَرَ عيناي مِثْلَهم : ابن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام ، كأنهم الْتَقَوْا فَتَواصَوْا[3] .

---

(١) الفعل منه نَوك ، بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع . والمصدر نوكا ونواكا : حَمقُ ، والأنوك : الأحمق والجموع نوكى ونُوك . الحسن لابن الجوزي ص٢٠ ، ٢١

(٢) سير ٤/٦٠٨ .

(٣) سير ٤/٦٠٩ .

ذكر محمد عند أبي قلابة فقال : اصرفوه كيف شئتم ، فلتجدنه أشدكم ورعًا ، وأملككم لنفسه ، ومن يستطع ما يطيق محمد ، يركب مثل حد السنان[١] .

عن أيوب قال : كان محمد يصوم يومًا ويُفطر يومًا . قال ابن عون : كان محمد من أشدّ الناس إزرًا على نفسه[٢].

(٢٦) صوم عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد النَّخَعِيّ :

الإمام ابن الإمام . قال هلال بن خباب : كان عبد الرحمن بن الأسود وعقبة مولى أديم وسعد أبو هشام يحرمون من الكوفة ، ويصومون يومًا ويفطرون يومًا ، حتى يرجعوا .

وعن الحكم ، أن عبد الرحمن بن الأسود لما احتُضِر بكى ، فقيل له ، فقال : أسفًا على الصلاة والصوم . ولم يزل يتلو حتى مات .

قال الشعبي : أهل بيتٍ خُلقوا للجنة : علقمة والأسود وعبد الرحمن .

وروي أن عبد الرحمن صام حتى أحرق الصومُ لسانه[٣].

(٢٧) صوم عبد الرحمن بن أبي نُعْم البَجَلِيّ الكوفي :

الإمام الحُجَّة القُدوةُ الرَّبّانّي أبو الحكم ، قال بكير بن عامر : كان لو قيل له : قد توجَّه إليك مَلَك الموت ، ما كان عنده زيادة عمل .

قال عبد الملك بن أبي سليمان : كان يُفطر في الشهر مرتين .

وروي أنه أنكر على الحجاج كثرة القتل فهمَّ به ، فقال له : مَنْ في بطنها أكثر ممن على ظهرها[٤].

---

(١) ابن سعد ١٩٦/٧ ، سير ٦٠٩/٤ .

(٢) الزهد ٣٠٧ ، سير ٦١٥/٤ .

(٣) سير ١٢/٥ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٦٢/٥ - ٦٣ .

(٢٨) صوم عِراك بن مالك الغِفاري :

أحد العلماء العاملين ، كان يسرُد الصوم . وقال عمر بن عبد العزيز : ما أعلم أحدًا أكثر صلاةً من عِرَاك بن مالك[(١)] .

(٢٩) صوم منصور بن المعتمر :

حليف الصيام والقيام ، خفيف التَّطعم والمنام ، الحافظ القُدوة أبو عتَّاب السُّلمي .

قال أبو بكر بن عيَّاش : رحم الله منصورًا ، كان صوّامًا قوّامًا .

قال الثوري : لو رأيت منصور بن المعتمر لقلت : يموت الساعة .

حدَّث زائدةُ أن منصورًا صام أربعين سنة وقام ليلها ، وكان يبكي فتقول له أمه : يا بُنيَّ ، قتلتَ قتيلًا ! فيقول : أنا أعلم بما صنعتُ بنفسي . فإذا كان الصبح أكْحَلَ عينيه ودهن رأسَهُ وبرق شفته ، وخرج إلى الناس .

وذَكَر سفيان بن عيينة منصورًا فقال : قد كان عمش من البكاء .

وقال سفيان : إن منصور بن المعتمر صام ستين سنةً ، يقوم ليلها ويصوم نهارها[(٢)] .

عن مفضل قال : حبس ابنُ هبيرة منصورًا شهرًا على القضاء يريده عليه ، فأبى ، وقيل : إنه أحضر قيدًا ليقيِّده به ثم خلاه[(٣)] .

وكانت أمه فظّةً عليه تصيح به وتقول : يا منصور ، يريدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى ! وهو واضعٌ لحيتَهُ على صدره ، ما يرفع طَرْفَه إليها[(٤)] .

---

(١) سير ٥/٦٣ - ٦٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/٤٠٤ - ٤٠٦) ، حلية الأولياء ٥/١٢٤ ، مختصر قيام الليل ٢٨ .

(٣) سير ٥/٤٠٦ .

(٤) سير ٥/٤٠٥ .

(٣٠) صيام سليمان بن طرخان :

الإمام شيخ الإسلام ، أبو المعتمر التَّيْمي ، كان مقدَّمًا في العلم والعمل[(١)].

عن محمد بن عبد الأعلى : قال لي معتمر بن سليمان : لولا أنك من أهلي ما حدَّثتُك بذا عن أبي ، مَكَثَ أبي أربعين سنةً يصوم يومًا ويُفطر يومًا ، ويصلي صلاة الفجر بوضوء عشاء الآخرة[(٢)].

عن معاذ بن معاذ : ما أتينا سليمان التيمي في ساعةٍ يُطاع الله فيها ، إلا وجدناه مطيعًا[(٣)].

قال حمّاد بن سلمة عن سليمان التيمي : كنّا نرى أنه لا يُحْسِن يعصي الله[(٤)].

عن عبد الله بن المبارك قال : أقام سليمان التيمي أربعين سنةً إمام الجامع بالبصرة ، يصلي العشاء والصبح بوضوء واحد[(٥)].

وعن حماد بن سلمة قال : لم يضع سليمان التيمي جنبه بالأرض عشرين سنةً . أي ليلًا .

عن شُعبة قال : ما رأيت أحدًا أصْدَقَ من سليمان التيمي - رحمه الله - كان إذا حدَّث عن النبي ﷺ تغيَّر لونه[(٦)].

(٣١) صوم الزُّهْرِي :

الإمام العَلَم ، حافظ زمانه ، محمد بن شهاب الزهري .

---

(١) سير أعلام ٦/١٩٥ .

(٢) حلية الأولياء ٣/٢٢٨ ، سير ٦/١٩٧ .

(٣) حلية ٣/٢٨ .

(٤) سير ٦/١٩٨ .

(٥) سير ٦/٢٠٠ .

(٦) حلية ٣/٢٣١ ، سير ٦/١٩٦ .

عن معاذ بن صالح أن أبا جبلة حدَّثه قال : كنت مع ابن شهاب في سفرٍ ، وصام يوم عاشوراء ، فقيل له : لِـمَ تصوم وأنت تُفطر في رمضان في السفر ؟ قال : إن رمضان له عِدَّةٌ من أيام أُخر ، وإن عاشوراء يفوت[١] .

(٣٢) صوم ابن جُرَيْج :

الإمام الحافظ شيخ الحَرَم أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي .

قال عطاء بن أبي رَباح : سيد شباب أهل الحجاز ابن جريج[٢] .

قال عبد الرزاق : ما رأيت أحسنَ صلاةً من ابن جريج[٣] .

وقال : كنت إذا رأيت ابن جريج علمت أنه يخشى الله[٤] .

قال أبو عاصم النبيل : كان ابن جريج من العُبّاد ، كان يصوم الدهر سوى ثلاثة أيامٍ من الشهر[٥] .

(٣٣) صوم عبد الله بن عَوْن :

ابن أرْطبـان ، سَيِّد القُرَّاء في زمانه ، الإمام القُـدوةُ الحافظ عالـم البصرة ، الحافظ للسانه ، الضابِط لأركانه .

عن خارجة بن مصعب قال : صحبت عبد الله - يعني ابن عون - أربعًا وعشرين سنة ، فما أعلم أن الملائكة كتبتْ عليه خطيئةً[٦] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٤٢/٥ .

(٢) سير ٣٢٨/٦ .

(٣) سير ٣٣٠/٦ .

(٤) سير ٣٣٢/٦ .

(٥) سير ٣٣٣/٦ .

(٦) حلية ٣٧/٣ .

قال الذهبي : كان ابن عون عَدِيم النظير في وقته زهدًا وصلاحًا .

قال ابن المبارك : ما رأيت مصلّيًا مثل ابن عون[1]، ما رأيت أحدًا ممن ذُكِر لي إلا كان إذا رأيته دون ما ذُكر لي ، إلا ابن عون وحَيْوَة بن شُرَيح[2] .

قال بكّار بن محمد : كان ابن عون يصوم يومًا ويفطر يومًا[3] .

قال الأوزاعي : إذا مات ابن عون والثوري استوى الناس . وقال : لو خيّرت لهذه الأمة مَنْ ينظر لها ، ما اخترتُ إلا الثوري وابن عون .

(٣٤) صيام داود بن أبي هند[4]:

أبو بكر الإمام الحافظ الثقة مفتي أهل البصرة[5] .

قال حمّاد بن زيد : ما رأيت أحدًا أفْقَهَ من داود .

قال ابنُ جريج : ما رأيتُ مثل داود بن أبي هند ، إن كان ليقرع العِلْم قرعًا .

قال الفلّاس : سمعت ابن أبي عون يقول : صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله ، كان خَزّازًا يحمل معه غداءه فيتصدّق به في الطريق[6] .

قال ابن الجوزي : يظنُّ أهلُ السوق أنه قد أكل في البيت ، ويظنّ أهلُهُ أنه قد أكل في السوق[7] .

---

(١) حلية ٣/٣٨ .

(٢) سير أعلام ٦/٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٣) سير ٦/٣٦٦ ، حلية ٣/٤٠ .

(٤) اسم أبي هند : دينار بن عُذافر .

(٥) سير أعلام ٦/٣٧٦ - ٣٧٧ .

(٦) سير ٦/٣٧٨ .

(٧) المدهش ٤٣٥ .

ومُسْتَفْسِرٍ عن سرِّ يومي رَدَدْتُهُ فأُصْبح في يومي بغير يقينِ
يقولون خبِّرْنا فأنت أمينُها وما أنا إن خبَّرتُهمْ بأمينِ

قال محمد بن أبي عدي : أقبل علينا داود فقال : يا فتيان ، أخبركم لعلَّ بعضَكم أنه ينتفع به ، كنت وأنا غلام أختلِف إلى السوق ، فإذا انقلبتُ إلى البيت جَعَلْتُ على نفسي أن أذكُر الله إلى مكانِ كذا وكذا ، فإذا بَلَغْتُ إلى ذلك المكان جعلت على نفسي أن أذكر الله كذا وكذا ، حتى آتي المنزل[1] .

رَحِمَكَ الله يا إمام ، صيامٌ مع صدقةٍ مع ذكْرٍ مع علْمٍ وفقهٍ وحديثٍ ، حزتَ الخير أجْمَعَهُ .

(٣٥) صوم ابن أبي ذئب :

الإمام شيخ الإسلام أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب القرشي .

قال أحمد : كان يُشبَّه بسعيد بن المسيب . فقيل لأحمد : خلَّف مِثْلَه ؟ قال : لا . ثم قال : كان أفضل من مالك ، إلا أن مالكًا – رحمه الله – أشدّ تنقية للرجال منه .

وقال الواقدي تلميذُه : كان يُصلي الليل أجْمَع ويجتهد في العبادة ، ولو قيل له : إن القيامة تقوم غدا ، ما كان فيه مزيد من الاجتهاد .

قال أخوه : كان أخي يصوم يومًا ويُفطر يومًا ، ثم سَرَد الصومَ ، وكان شديد الحال يتعشَّى الخبز والزيت[2] .

---

(١) سير ٣٧٧/٦ ٣٧٨ .

(٢) سير ١٤١/٧ .

قال أحمد بن حنبل : إن ابن أبي ذئب ثقة ، قد دَخَل على أبي جعفر المنصور ، فلم يهبه أن قال له الحقَّ ، وقال : الظُّلم ببابك فاشٍ . وأبو جعفر أبو جعفر .

(٣٦) صوم شُعْبَة الخيرِ أبي بِسطام :

سيد المحدِّثين كما قال سليمان بن المغيرة[١]، الضَّخم الذي يتحدث عن الضِّخام ، الإمام المشهور والعلم المنثور .

شعبة بن الحجَّاج الإمام ، أمير المؤمنين في الحديث .

كان الثوري يقول : أستاذُنا شعبة .

وقال حمزة بن زياد عن شعبة : كان قد يَبِس جِلدُه على عظمِه من العبادة[٢].

وقال أبو بكر البكراوي : ما رأيت أعْبَدَ لله من شعبة ، لقد عبد الله حتى جفَّ جلده على عظمه من العبادة[٣].

وقال عمر بن هارون : كان شعبة يصوم الدهر كلَّه .

قال أبو قطن : كانت ثياب شعبة لونها لون التراب ، وكان كثير الصلاة كثير الصيام سَخِيّ النَّفْس .

قال شعبةُ : كلُّ مَنْ سمعتُ منه : حدَّثنا ، فأنا له عَبْد .

قال يحيى بن معين : شعبة إمام المتقين .

وقال ابن مهدي : ما رأيت أحدًا أكثر تقشفًا من شعبة .

قال عبد السلام بن مطهَّر : ما رأيت أمْعَن في العبادة من شعبة[٤].

---

(١) حلية ١٥٣/٧ .

(٢) حلية ١٤٤/٧ .

(٣) حلية ١٤٤/٧ .

(٤) سير ٢٢٦/٧ .

(٣٧) صوم غُنْدَر :

الحافظ المجوِّد الثَّبْت أبو عبد الله محمد بن جعفر الهُذَلي ، لزم شعبة عشرين سنة .

قال يحيى بن معين : أخرج غُندر إلينا ذات يومٍ جرابًا فيه كتب ، فقال : اجتهدوا أن تُخرجوا فيها خطأ . قال : فما وجدنا فيه شيئًا ، وكان يصوم يومًا ويُفطر يومًا منذ خمسين سنة[١].

قال ابن مهدي : كنا نستفيد من كتب غُندر في حياة شعبة ، وقال : غندر أثْبَتُ في شعبة مني .

(٣٨) صوم معروف الكَرْخي :

الملهوف إلى المعروف ، عن الفاني مصروف ، وبالباقي مشغوف ، وبالتحف محفوف ، وللُّطف مألوف ، الكَرخي أبو محفوظ معروف[٢]، عَلَم الزُّهّاد ، بركة العصر ، أبو محفوظ البغدادي[٣] .

قال ابن حنبل : وهل يُراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف !.

قال ابن عبيد لإسماعيل بن شداد : ما فعل ذلك الحَبْر الذي فيكم ببغداد ؟ قلنا : من هو ؟ قال : أبو محفوظ معروف . قلنا : بخير . قال : لا يزال أهل تلك المدينة بخير ما بقي فيهم[٤].

سئل : كيف تصوم ؟ فغالط السائلَ وقال : صوم نبينا ﷺ كان كذا وكذا ، وصوم داود كذا وكذا . فألحَّ عليه فقال : أُصبح دهري صائمًا ،

---

(١) سير ٩/٩٩ .
(٢) سير أعلام ٩/٣٩ .
(٣) تاريخ بغداد ١٣/٢٠٠ ، طبقات الحنابلة ١/٣٨٢ .
(٤) حلية ٨/٣٦٦ ، تاريخ بغداد ١٣/٢٠١ ، سير أعلام ٩/٣٤٠ .

فمن دعاني أكلتُ ولم أُقل : إني صائم[(١)] .

قال عبيد بن محمد الورّاق : مرّ معروف - وهو صائم - بسقّاءٍ يقول : رحم اللَّهُ مَنْ شَرِبَ . فشَرِبَ رجاءَ الرحمةِ[(٢)].

وكان رحمه الله يقول : إن صلّيتُ بكم هذه الصلاةَ لا أُصلي بكم ثانية ، نعوذ بالله من طُول الأمل ؛ فإنه يمنع خيرَ العمل[(٣)].

وكان يقول : إذا أراد الله بعبد شرًّا أغْلَقَ عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل[(٤)] .

وعنه قال : ما أكْثَرَ الصالحين وما أقلَّ الصادقين .

(٣٩) صوم أحمد بن حرب :

الإمام القُدوةُ شيخ نَيْسابور ، أبو عبد الله النَّيسابوري ، كان من كبار الفقهاء والعُبّاد[(٥)].

من صحَّتْ بدايتُه صحتْ نهايتُه ، أجسام ذُلِّلتْ منذ الصِّغر لخدمة سيِّدها ومولاها .

قال زكريا بن حرب : ابتدأ أخي بالصوم وهو في الكتاب ، فلمّا راهق حجَّ مع أخيه الحسين بن حرب ، أقاما بالكوفة للطلب وبالبصرة وبغداد ، ثم أقبل على العبادة لا يفتُر ، وأخذ من المواعظ والتذكير وحثَّ على العبادة ، وأقبلوا على مجلسه[(٦)].

---

(١) سير ٣٤١/٩ ، تاريخ بغداد ٢٥٢/١٣ .

(٢) حلية ٣٦٥/٨ ، سير ٣٤٢/٩ .

(٣) حلية ٣٦١/٨ .

(٤) حلية ٣٦١/٨ ، سير ٣٤٠/٦ .

(٥) سير ٣٢/١١ - ٣٣ .

(٦) سير ٣٣/١١ .

هكذا صوم منذ الصغر ، مثلما كان ابن حنبل يُحيي الليل وهو غلام .

قال محمد بن يحيى : مرّ أحمد بن حرب بصبيان يلعبون ، فقال أحدهم : أمسِكوا ؛ فإن هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل . فقَبَضَ على لحيته وقال : الصبيان يهابونك وأنت تنام ! فأحيا الليل بعد ذلك حتى مات(١) .

(٤٠) صوم أحمد بن حنبل إمام أهل السنة :

مُعلِّم الخير كما قال يحيى بن معين . وقال : والله ما تَقْوَى على ما يقوَى عليه أحمد وعلى طريقة أحمد .

قال ابن المديني : أحمد بن حنبل سيِّدُنا .

وقال : اتَّخذتُ أحمد بن حنبل إمامًا فيما بيني وبين الله .

وقال : إن الله عز وجل أعزَّ هذا الدين برجلينْ لا ثالث لهما ؛ أبو بكر الصديق يوم الرِّدَّة ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلّام : أحمد بن حنبل إمامنا ، إني لأتزيَّن بذكْره .

وقال إسحق بن راهويه : لولا أحمد بن حنبل وبذل نفسه لِمَا بَذَلَها له ، لَذَهَبَ الإسلام .

وقال بشر بن الحارث : إن هذا الرجل قام اليوم بأمرٍ عجز عنه الخلْق ، أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء ؟! إن أحمد بن حنبل قام مقام الأنبياء ، حفظ الله أحمد من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله ، إن أحمد بن حنبل طار بحظِّها وغنائها في الإسلام .

وقال أبو ثور : كنت إذا رأيتَ أحمد بن حنبل ، خُيِّل إليك أن الشريعة

(١) سير ١١/٣٣ .

لوحٌ بين عينيه .

« قال إبراهيم بن هانىء - وكان أبو عبد الله حيث توارى من السلطان توارى عنده - فحكى أنه لم يَرَ أحدًا أقوى على الزهد والعبادة وجهد النَّفْس من أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، قال : كان يصوم النهار ويعجِّل الإفطار ، ثم يصلي بعد العشاء الآخرة ركعاتٍ ، ثم ينام نومة خفيفة ، ثم يقوم فيتطهَّر ، ولا يزال يصلي حتى يطلع الفجر ، ثم يوتر بركعة ، وكان هذا دأبه طُول مقامه عندي ، ما رأيته فَتَر ليلةً واحدة ، وكنت لا أقْوَى معه على العبادة ، وما رأيته مفطرًا إلا يومًا واحدًا ، أفطر واحتجم »[١] .

وبعد خروج الإمام أحمد إلى العسكر بعد انقضاء ما اتُّهِم به « قال أبو بكر المروزيّ : قال لي أحمد بن حنبل ونحن بالعسكر : لي اليوم ثمان منذ لم آكل شيئًا ولم أشرب ، إلا أقلّ من ربع سويق . وكان يمكث ثلاثًا لا يطعم ، فإذا كانت ليلة الرابعة ، أضع بين يديه قدر نصف ربع سويق ، فربما شربه وربما ترك بعضه ، وكان إذا ورد عليه أمر يهمّه ، لم يَطْعم ولم يُفطر إلا على شَربة ماء .

قال صالح بن أحمد : جعل أبي يُواصل الصوم ، يُفطر في كل ثلاثٍ على تمر شهرين ، فمكث بذلك خمسة عشر يومًا ، يفطر في كل ثلاث ، ثم جعل بعد ذلك يفطر ليلة وليلة ، لا يفطر إلا على رغيف .

وكان إذا جيء بالمائدة ، توضع في الدهليز لكي لا يراها فيأكل من حضر ، وكان إذا أجهده الحرّ ، تُلقى له خِرقة ، فيضعها على صدره »[٢] .

---

(١) مناقب الإمام أحمد ٣٥٩ .

(٢) مناقب الإمام أحمد ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

قال أبو بكر المروزي : أنْبَهَنِي أبو عبد الله ذات ليلة ، وكان قد واصل ، فإذا هو قاعد فقال : هو ذا يُدار بي من الجوع ، فأطعمني شيئًا . فجئته بأقل من رغيف ، فأكل ثم قال : لولا أني أخاف العون على نفسي ، ما أكلتُ . وكان يقوم من فراشه إلى المخرج ، فيقعد يستريح من الضعف من الجوع ، حتى إن كنت لأبل له الخرقة ، فيُلقيها على وجهه لترجع إليه نفسه .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يومًا ، ما ذاق شيئًا إلا مقدار ربع سوِيق ، في كل ليلة كان يشرب شَرْبَة ماء ، وفي كل ثلاثٍ يستفُّ حَفنةً من السّويق ، فرجع إلى البيت ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر ، ورأيت مآقيه قد دخلا في حَدَقتيْه .

وقال أبو بكر المروزي : كان أبو عبد الله بالعسكر يقول : انظر هل تجد لي ماء الباقِلّاء ؟ فكنت ربما بللتُ خبزَهُ بالماء فيأكله بالملح ، ومنذ دخلنا العسكر إلى أن خرجنا ما ذاق طبيخًا ولا دسمًا[١] .

قال أبو بكر المروزي : قال لي أبو عبد الله ونحن بالعسكر : ألا تعجب ! كان قُوتِي فيما مضى أرغفة ؛ وقد ذهبت عني شهوة الطعام فما أشتهيه ، قد كنت في السجن آكُل وذلك عندي زيادة في إيماني وهـذه نقصان . وقال لنا يومًا ونحن بالعسكر : لي اليوم ثمان لم آكل شيئًا و لم أشرب إلا أقل من ربع سويق . وكان يمكث ثلاثًا لا يَطْعَم وأنا معه ، فإذا كان الليلة الرابعة أضع بين يديه قدر نصف ربع سَوِيق ، فربما شربه وربما ترك بعضه .

وكلّم في أمره في الحَمْل على نَفْسِه فقيل له : لو أمرت بقدْرٍ تُطبخ لك ليرجع إليك نفسك فقال : الطبيخ طعام المطمئنّين ، مكث أبو ذرٍّ ثلاثين

(١) مناقب الإمام أحمد ٤٥٤ ، ٤٥٥ .

يومًا ما له طعام إلا ماء زمزم ، وهذا إبراهيم التيمي كان يمكث في السجن كذا وكذا لا يأكل ، وهذا ابن الزبير كان يمكث سبعًا[(١)].

« كتب المتوكِّل إلى خليفته أن يحمل أحمد إليه ، فحُمل إليه ، فلمّا قدم أحمد ، أمر أن يُفرغ له قصر ويُبسط له فيه ، ويُجرى على مائدته كل يوم كذا وكذا ، وأراد أن يُسمع ولدَهُ الحديث ، فأبى أحمد و لم يجلس على بِساطه ، و لم ينظر إلى مائدته ، وكان صائمًا ، فإذا كان عند الإفطار أمَرَ رفيقه الذي معه أن يشتري له ماء الباقلاء ، فيفطر عليه ، فبقي أيامًا على هذه الحال ، وكان عليّ بن الجَهْم من أهل السُّنّة حَسَنَ الرأي في أحمد ، فكلم أمير المؤمنين فيه ، وقال : هنا رجل زاهد لا يُنتفع به ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن له ؟ ففعل ، ورجع أحمد إلى منزله »[(٢)].

(٤١) صوم إبراهيم بن هانىء النيسابوري :

الإمام العَلَم أبو إسحاق النيسابوريّ .

قال الخطيب : « كان أحد الأبدال »[(٣)].

قال الإمام أحمد : « إن يكُن أحد ممن يُعرف من الأبدال فإبراهيم بن هانىء » .

وقال : إن كان ببغداد رجل من الأبدال فأبو إسحاق النيسابوريّ[(٤)].

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانىء : كان أحمد بن حنبل مختفيًا هاهنا عندنا في الدار ، فقال لي أحمد بن حنبل : لست أُطيق ما يُطيق أبوك – يعني من العبادة –.

ولو لم يكن لهذا الإمام الجبل من الفَضْل إلا ما قاله إمام أهل السنة

---

(١) المناقب ٤٥٦ .

(٢) المناقب ٤٥٧ ، ٤٥٨ .

(٣) تاريخ بغداد ٦/٢٠٤ .

(٤) تاريخ بغداد ٦/٢٠٥ .

فيه ، لكفاه فخرًا إلى يوم أن يَرِث الله الأرض ومن عليها .

هذا الإمام الصَّوّام الذي مات وهو صائم .

قال أبو بكر النيسابوري : حضرت إبراهيم بن هانىء عند وفاته ، فجعل يقول لابنه إسحاق : يا إسحاق ، ارفع السِّتْر . قال : يا أبتِ ، الستر مرفوع . قال : أنا عطشان . فجاءه بماء ، قال : غابت الشمس ؟ قال : لا . قال : فردَّه ، ثم قال : ﴿ **لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾ [الصافات : ٦١]. ثم خرجت روحه .

وفي صفة الصفوة : « فدعا ابنه إسحاق فقال : هل غربت الشمس ؟ قال : لا . ثم قال : يا أبتِ ، رُخِّص لك في الإفطار في الفرض وأنت منطوّع . قال : امهَلْ . ثم قال : ﴿ **لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾. ثم خرجت نفسه »[1]

رحمك الله يا أبا إسحاق ، فقد كنت نسيجًا وَحْدَك في صومك وعبادتك .

(٤٢) صوم أبي بكر أحمد بن سلمان النَّجَّاد :

الإمام الحافظ المفتي ، من كبار علماء الحنابلة في جمْع العلم والزُّهد ، وكانت له حلقة بجامع المنصور ، يُفتي قبل الصلاة ، ويُملي الحديث بعدها .

وصنَّف كتاب « الخلاف » نحو مائتي جزء ، وقد سمع من أبي داود السجستاني وغيره .

قال الذهبي : « وقال أبو إسحاق الطبري : كان النّجّاد يصوم الدهر ، ويُفطر كلَّ ليلة على رغيف ، فيترك منه لقمةً ، فإذا كان ليلة الجمعة ، تصدَّق برغيفه ، واكتفى بتلك اللُّقم »[2].

---

(١) تاريخ بغداد ٢٠٦/٦ ، صفة الصفوة ٤٠١/٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٠٣/١٥ ، وتاريخ بغداد ١٩١/٤ .

(٤٣) صوم بَقِيّ بن مَخْلَد :

الإمام القُدوة ، شيخ الإسلام الحافظ ، صاحب « التفسير » و « المسند » اللذَيْن لا نظير لهما ، تلميذ الإمام أحمد .

قال عنه الذهبي : كان إمامًا مجتهدًا صالحًا ، ربانيًّا صادقًا مخلصًا ، رأسًا في العلم والعمل ، عديم المِثْل ، منقطِع القرين ، يُفتي بالأثر ، ولا يُقلِّد أحدًا . قد ظهرت له إجابات الدعوة في غير ما شيء[١] .

قال عنه أبو عبد الملك أحمد بن محمد بن عبد البر : « كان فاضلًا تقيًّا صوّامًا قوّامًا متبتِّلًا ، منقطع القرين في عصره ، منفردًا عن النظير في مِصْره »[٢] .

ذكر أبو عبيدة صاحب القبلة قال : « كان بقيٌّ يختم القرآن كل ليلة ثلاث عشرة ركعة ، وكان يصلي بالنهار مائة ركعة ، ويصوم الدهر ، وكان كثير الجهاد ، فاضلًا ، يُذكر عنه أنه رابط اثنتين وسبعين غزوة »[٣] .

قال عنه حفيده عبد الرحمن : « كان جدي قد قسّم أيامه على أعمال البر ، فكان إذا صلى الصبح قرأ حِزْبَه من القرآن في المصحف ؛ سدس القرآن ، وكان أيضًا يختم القرآن في الصلاة في كل يوم وليلة ، ويخرج كل ليلة في الثلث الأخير إلى مسجده ، فيختم قُرب انصداع الفجر ، وكان يصلي بعد حزبه من المصحف صلاة طويلة جدًّا ، ثم ينقلب إلى داره - وقد اجتمع في مسجده الطلبة - فيجدِّد الوضوء ويخرج إليهم ، فإذا انقضت الدُّوَل ، صار إلى صومعة المسجد ، فيصلي إلى الظهر ، ثم يكون هو المبتدىء بالأذان ، ثم يهبط ، ثم يسمع إلى العصر ، ويصلي ويُسمع ، وربما خرج في بقية النهار

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٨٩/١٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٩٢/١٣ .

فيقعد بين القبور يبكي ويعتبر ، فإذا غربت الشمس أتى مسجده ، ثم يصلي ، ويرجع إلى بيته فيفطر ، وكان يسرد الصوم إلا يوم الجمعة ، ويخرج إلى المسجد ، فيخرج إليه جيرانه ، فيتكلَّم معهم في دينهم ودنياهم ، ثم يصلي العشاء ، ويدخل بيته فيحدِّث أهله ، ثم ينام نومةً قد أخذتها نفسه ، ثم يقوم . هذا إلى أن توفي »[1].

(٤٤) صوم المَنْبِجِّي :

الإمام المحدِّث ، القُدوة العابد ، أبو بكر عمر بن سعيد الطَّائي المنبجي .

قال عنه ابن حبّان : « كانَ قد صام النهار وقام الليل ثمانين سنة ، غازيًا مرابطًا ، رحمةُ الله عليه »[2].

كذاك الفَخْرُ يا هِمَم الرِّجالِ   تَعَالَيْ فانظُري كيفَ التَّعالِي

(٤٥) صوم ابن زياد النيسابوري :

الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد ، إمام الشافعيين في عصره بالعراق .

قال الدَّارَقُطْنِيُّ تلميذُه : ما رأيت أحْفَظَ من أبي بكر النيسابوري .

« قال أبو الفتح يوسف القَوَّاس : سمعت أبا بكر النيسابوري يقول : تعرف من أقام أربعين سنة لم ينم الليل ، ويتقوت كل يومٍ بخمس حبّاتٍ ، ويصلي صلاة الغداة على طهارة عشاء الآخِرة ؟ ثم قال : أنا هو ، وهذا كلّه قبل أن أعرف أم عبد الرحمن ، أيش أقول لمن زوَّجني ؟! ثم قال : ما أراد إلا الخير »[3].

ومعنى يتقوت كل يوم بخمس حبّاتٍ : أي بعد صيامه .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٥ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١٤/٢٩٠ .
(٣) تاريخ بغداد ١٠/١٢٢ ، سير أعلام النبلاء ١٥/٦٦ .

(٤٦) صوم القَطَّان :

الإمام الحافظ القُدوة ، شيخ الإسلام أبو الحسن القَطَّان ، عالِمُ قَزْوِين .

قال عنه جماعةٌ من شيوخ قزوين : لم يَرَ أبو الحسن - رحمه الله - مثل نفسه في الفضل والزهد ، أدام الصيام ثلاثين سنة ، وكان يُفطر على الخبز والملح ، وفضائله أكثر من أن تُعَدّ[(١)].

(٤٧) صوم ابن بَطَّة :

الإمام القُدوة العابد الفقيه المحدِّث ، شيخ العراق ، العكبري الحنبلي ، صاحبُ « الإبانة الكبرى » .

قال الخطيب : « لَمَّا رجع ابنُ بطة من الرِّحلة لازم بيتَهُ أربعين سنة ، لم يُر في سوق ولا رُئِيَ مُفْطِرًا إلا في عيد ، وكان أمّارًا بالمعروف ، لم يبلغه خبر منكر إلا غيَّره »[(٢)] .

قال العتيقيّ : كان ابن بطة مستجاب الدعوة .

قال أبو محمد الجوهري : سمعت أخي الحسين يقول : رأيت النبي ﷺ في المنام ، فقلت : يا رسول الله ، قد اختلفت عليَّ المذاهب . فقال : عليك بابن بطة . فأصبحتُ ولبستُ ثيابي ، ثم أصعدتُ إلى عُكْبَرَا ، فدخلت وابن بطة في المسجد ، فلمّا رآني قال لي : صدق رسول الله ﷺ ، صدق رسول الله ﷺ[(٣)] .

(٤٨) صوم ابن جُمَيْع :

المُسْنِد الرَّحَّال ، العالم الصالح ، محمد بن أحمد بن جميع الغساني

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٦٤/١٥ .

(٢) تاريخ بغداد ٣٧٢/١٠ ، سير أعلام النبلاء ٥٢٩/١٦ ، ٥٣٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٥٣٠/١٦ .

الصيداوي ، صاحب « المعجم » .

« قال ابنه : صام أبي أبو الحسين وله ثمان عشرة سنة إلى أن توفِّي . وقد عاش ستًّا وتسعين سنة »[(١)].

وكذا كان والده أبو بكر عابدًا صوَّامًا .

سبحان الله ! يسرد الصوم ثمانية وسبعين سنة ، لا يفطر إلا في العيدين وأيام التشريق ! .

(٤٩) صوم السَّكَنِ ابنِ جُمَيْع :

أبو محمد .

قال : سردتُ الصوم ولي ثمان وعشرون سنة ، ولي الآن سبع وثمانون سنة ، وكذا سَرَدَ الصومَ أبي وجَدّي[(٢)].

وهل يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إلا وَشِيجُهُ ويُزْرَعُ إلَّا في منابِتِهِ النَّخْلُ

(٥٠) صوم الصُّورِيّ :

الإمام الحافظ ، البارع الحُجَّة ، أبو عبد الله محمد بن علي بن رُحَيْم الشاميُّ الصُّوريّ ، تلميذُ الحافظ عبد الغني .

كان رحمه الله يَسْرُد الصوم إلا الأعياد[(٣)].

(٥١) صوم الدُّونِيّ :

الشيخ العالم الزاهد ، أبو محمد عبد الرحمن بن حَمْدٍ الدُّونيُّ .

وهو آخِر مَنْ روى كتاب « المجتبى » من سنن النسائي .

قرأ عليه السِّلَفِيُّ كتاب النسائي .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧/١٥٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٧/٦٢٨ .

قال السِّلفي : قال ابنهُ أبو سعد لي : لوالدي خمسون سنةً ما أفطر النهار[١] .

(٥٢) صوم العِماد المَقْدِسِيّ :

العالم الإمام الزاهد القُدوة بركةُ الوقتِ ، عماد الدين أبو إسحاق إبراهيم المقدسي ، أخو الحافظ عبد الغني .

كان الشيخ الموفَّق يقول : ما نقدر نعمل مثل العماد .

قال الضياء : لم أر أحدًا أحسن صلاةً منه ولا أتمَّ ، بخشوع وخضوع ، قيل : كان يسبح عشرًا يتأنى فيها ، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، وكان إذا دعا كان القلب يشهد بإجابة دعائه من كثرة ابتهاله وإخلاصه .

ومن دعائه المشهور : « اللهم اغفر لأقسانا قلبًا ، وأكبـرِنا ذنبًا ، وأثقلِنا ظهرًا ، وأعظمِنا جرمًا » .

وكان يدعو : « يا دليل الحيارى دلنا على طريق الصادقين ، واجعلنا من عبادك الصالحين » .

قال عنه الموفق : ما أعلم أنني رأيت أشد خوفًا منه[٢] .

(٥٣) صوم ثابت البناني :

المتعبد الناحل ، والمتهجد الذابل ، أبو محمد .

قال عنه أنس : إن للخير مفاتيح ، وإن ثابتا مِفتاحٌ من مفاتيح الخير .

قال شعبة : كان ثابت يقرأ القرآن في يوم وليلة ، ويصوم الدهر .

قال بكر بن عبد الله : من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه ، فلينظر إلى ثابت البُناني ، فما أدركتُ الذي هو أعبد منه ، إنه ليظلّ في اليـوم

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/٢٤٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٢/٤٨ ، ٤٩ .

المعمعاني[١] الطويل ما بين طرفيه صائمًا ، يروح ما بين جبهته وقدمه[٢] .

وكان رحمه الله يقول : لا يسمى عابدٌ أبدًا عابدًا ، وإن كان فيه كلّ خصلةِ خيرٍ ، حتى تكون فيه هاتانَ الخصلتان : الصوم والصلاة ؛ لأنهما من لحمه ودمه[٣] .

قال المبارك بن فضالة : دخلتُ على ثابت البناني في مرضه وهو في عُلُوٍّ له ، وكان لا يزال يذكر أصحابه فلما دخلنا عليه ، قال : يا إخوتاه ، لم أقدر أن أصلي البارحة كما كنت أصلي ، ولم أقدر أن أصوم كما كنت أصوم ، ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابي فأذكر الله عز وجل كما كنت أذكره معهم . ثم قال : اللهم إذ حبستَنِي عن ثلاثٍ ، فلا تدعني في الدنيا ساعة . أو قال : إذ حبستني أن أُصلي كما أريد وأصوم كما أريد وأذكرك كما أريد ، فلا تدعني في الدنيا ساعة . فمات من وقته ، رحمه الله[٤] .

رحم الله ثابتًا .. وأقرّ عينه في جناته .

(٥٤) صوم سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهْرِي :

فقيه العصر ، صائم الدهر ، المتعبد القارىء ، الكاسي العاري ، سعد ابن إبراهيم الزهري .

قال شعبة : كان سعد بن إبراهيم يصوم الدهر[٥] .

كان رحمه الله يحتبي ، فما يحلُّ حبوتَهُ حتى يقرأ القرآن .

قال إبراهيم بن سعد : كان أبي سعد بن إبراهيم إذا كانت ليلة إحدى

---

(١) في النهاية : كان ابن عمر يتتبع اليوم المعمعاني فيصومه ، أي الشديد الحرّ .
(٢) حلية الأولياء ٢/٣١٨ .
(٣) حلية الأولياء ٢/٣١٨ .
(٤) حلية الأولياء ٢/٣٢٠ .
(٥) حلية الأولياء ٣/١٦٩ .

وعشرين ، وثلاث وعشرين ، وخمس وعشرين ، وسبع وعشرين ، وتسع وعشرين ، لم يُفطر ، حتى يختم القرآن ، وكان يفطر فيما بين المغرب والعشاء الآخِرة ، وكان كثيرًا إذا أفطر يرسلني إلى مساكين يأكلون معه[(١)].

(٥٥) صوم وكيع بن الجرَّاح :

النَّصّاح والمفهم المِفصاح ، أبو سفيان وكيع بن الجرّاح .

الإمام الحافظ الرّؤاسي محدِّث العراق .

كان من بحور العلم وأئمة الحفظ .

قال يحيى بن معين : وكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه .

قال الإمام أحمد : ما رأيتُ قطُّ مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب ، مع خشوعٍ ووَرَعٍ . وقال عنه : وكيع إمام المسلمين في زمانه .

وقال ابن المبارك:رجل المصرين وكيع .

قال له الفُضَيْل بن عِياض : ما هذا السِّمَن ، وأنت راهِب العراق ؟ قال : هذا مِن فَرَحي بالإسلام . فأفْحَمَه[(٢)].

قال يحيى بن أكثم : صحبتُ وكيعًا في الحضر والسفر ، وكان يصوم الدهر ، ويختم القرآن كل ليلة[(٣)].

قال الذهبي : « رضي الله عن وكيع . وأين مِثْلُ وكيع »[(٤)].

---

(١) حلية الأولياء ٣/١٧٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٩/١٥٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٩/١٤٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٩/١٤٣ .

قال ابن عمَّار : كان وكيع يصوم الدهر ، ويفطر يوم الشَّكِّ والعيد[١] .

كان وكيع لا ينام حتى يقرأ جُزأه من كل ليلة ثلثَ القرآن ، ثم يقوم في آخر الليل ، فيقرأ المفصّل ، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر .

قال أبو جعفر الجمّال : أتينا وكيعًا فخرج بعد ساعة ، وعليه ثياب مغسولةٌ ، فلمّا بصرنا به ، فَزِعنا من النور الذي يتلألأ من وجهه ، فقال رجل بجنبي : أهذا مَلَك ؟ فتعجَّبْنا من ذلك النور[٢] .

(٥٦) صوم أبي بكر بن عَيَّاش :

القارىء الهشَّاش ، العابد البشَّاش ، أبو بكر بن عياش ، كان في العداد واحدًا ، وفي العبادة شاهدًا[٣] .

كان رحمه الله يقول : يا ملَكَيَّ ، ادعوا الله لي ، فإنكما أطوع لله مني .

وكان رحمه الله يقول : إن أحدهم لو سقط منه درهم ، لظلَّ يومه يقول : إنا لله ، ذهب درهمي . ولا يقول : ذهب يومي ما عملتُ فيه[٤] .

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم ٧٩/١ : « هو الإمام المُجْمَع على فضله » .

روينا عن ابنه إبراهيم قال : قال لي أبي : إن أباك لم يأت بفاحشةٍ قطُّ ، وإنه يختم القرآن منذ ثلاثين سنة كلَّ يوم مرة .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤٩/٩ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١٥٧/٩ .
(٣) حلية الأولياء ٣٠٣/٨ .
(٤) حلية الأولياء ٣٠٣/٨ .

وروينا عنه أنه قال لابنه : يا بنيّ ، إياك أن تعصي الله في هذه الغرفة ، فإني ختمت فيها اثنتي عشرة ألف ختمة .

وروينا عنه أنه قال لبنته عند موته وقد بكت : يا بُنَيَّة ، لا تبكي ، أتخافين أن يعذبني الله تعالى وقد ختمت في هذه الزاوية أربعة وعشرين ألف ختمة .

قال الحافظ ابن حجر في ترجمته : « ولد سنة ٩٥ أو ٩٦ ، ومات سنة ١٩٣ ، وكان قد صام سبعين سنة وقامها ، وكان لا يُعلم له بالليل نوم »[١].

(٥٧) صوم جعفر بن الحسن الدَّرْزِيجاني المقرىء :

الزاهد الفقيه الحنبلي .

قال عنه الحافظ ابن رجب : « كان من عباد الله الصالحين ، أمّارًا بالمعروف ، نهَّاء عن المنكر ، وله المقامات المشهورة في ذلك .

كان مداوِمًا على الصيام والتَّهجُّد والقيام ، وله ختمات كثيرة جدًّا ، كل ختمة منها في ركعة ، توفي في الصلاة ساجدًا سنة ٥٠٦ ، رحمه الله تعالى »[٢].

(٥٨) صوم رحلة العابدة مولاة معاوية :

عن سعيد بن عبد العزيز قال : « ما بالشام ولا بالعراق أفضل من رحلة ، ودخل عليها نفر من القراء ، فكلموها في الرِّفْق بنفسها فقالت : ما لي وللرفق بها ! فإنما هي أيام مبادرة ، فمن فاته اليوم شيء ، لم يدركه غدًا ، والله يا إخوتاه لأُصلينّ ما أقلّتني جوارحي ، ولأصومنّ له أيام حياتي ،

---

(١) تهذيب التهذيب ٣٦/١٢ ، وانظر أيضًا : الثبات عند الممات ١٠٩ .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ١١٠/١ .

ولأبكين له ما حملت الماء عيناي . ثم قالت : أيكم يأمر عبده بأمرٍ فيُحِبّ أن يقصِّر فيه . ولقد قامت رحمها الله حتى أقعدت ، وصامت حتى اسودّتْ ، وبكت حتى عمشتْ ، وكانت تقول : علمي بنفسي قرَّح فؤادي ، وكلم قلبي ، والله لَوَدِدْتُ أن الله لم يَخْلُقْنِي ولم أكُ شيئًا مذكورًا . وكانت رحمها الله تخرج إلى الساحل ، فتغسل ثياب المرابطين في سبيل الله »[1].

(٥٩) صوم ميمونة بنت الأقرع :

عابدة زاهدة ، كتبتْ عن الإمام أحمد بن حنبل أشياء ، وأخبر المروزيّ فقال : « ذكرتُ لأحمد بن حنبل ميمونة بنت الأقرع فقلت له : إنها أرادت أن تبيع غزلها فقالت للغزّال : **إذا بعت هذا الغزل فقل : إني ربما كنت** صائمة فأُرخي يدي فيه . ثم ذهبتْ ورجعتْ فقالت : رُدّ عليّ الغزل ، أخاف ألا تبيِّن للناس هذا »[2].

(٦٠) صوم أبي حنيفة :

عن الحسن بن عمارة أنّه غسَّله حين تُوفِّي وقال : غفر الله لك ، لم تفطر منذ ثلاثين سنة ، ولم تتوسَّد يمينَك في الليل منذ أربعين سنة[3].

(٦١) صيام الملك العادل نور الدين محمود زِنْكِي :

الشهيد ابن الشهيد والقسيم ابن القسيم .

قال ابن كثير : « صاحب بلاد الشام وغيرها من البلدان الكثيرة

---

(١) صفة الصفوة ٤/٤٠ ، ٤١ .

(٢) أعلام النساء لعمر رضا كحالة ٥/١٣٨ نقلًا عن طبقات الفقهاء الحنابلة للفراء مخطوط .

(٣) إقامة الحجة على أن الإكثار من التعبد ليس ببدعة ، ص٧٧ .

الواسعة ، كان مجاهدًا في الفرنج ، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر ، محبًّا للعلماء والفقراء والصالحين ، مُبغضًا للظلم ، صحيح الاعتقاد ، مُؤثِرًا لأفعال الخير ، لا يجسر أحدٌ أن يظلم أحدًا في زمانه ، وكان قد قَمَع المناكر وأهلها ، ورفع العِلْم والشرع ، وكان مُدمِنًا لقيام الليل ، يصوم كثيرًا ويمنع نفسه من الشهوات ، وكان يحب التيسير على المسلمين ، ويرسل البر إلى العلماء والفقراء والمساكين والأيتام والأرامل ، وليست الدنيا عنده بشيءٍ ، رحمه الله وبلَّ ثراه بالرحمة والرضوان .

قال ابن الجوزي : استرجع نور الدين محمود بن زنكي - رحمه الله تعالى - من أيدي الكفار نَيِّفًا وخمسين مدينة .

وكان قد عزم على فتح بيت المقدس - شرَّفه الله - فوافته المَنِيَّةُ في شوال من هذه السنة (٥٦٩هـ) والأعمال بالنيات ، فحَصَل له أجر ما نوى »[(١)].

« وكان نور الدين يأمر الولاة والأمراء في الموصل ، ألا يفعلوا أمرًا حتى يُعلِموا به الشيخ عمر الملا من الموصل وكان من الصالحين الزهاد ، وكان نور الدين يستقرض منه في كل رمضان ما يُفطر عليه ، وكان يرسل إليه بفتيتٍ ورقاقٍ فيفطر عليه جميع رمضان »[(٢)].

يرحم الله نور الدين ، لا يَطْعَم ولا يفطر في رمضان على طعام المملكة ، بل يفطر على طعام شيخه .

ويرحم الله من يقول :

ومَدْرَسَة سَتَدْرِسُ كُلَّ شَيْءٍ ... وتَبْقَى في حِمَى عِلْمٍ وَنُسْكِ
تَضَوَّعَ ذِكْرُها شَرْقًا وغَرْبًا ... بنُورِ الدِّينِ محمودِ بنِ زِنْكِي

(١) البداية والنهاية ١٢/٣٠٦ - ٣٠٧ .
(٢) البداية والنهاية ١٢/٣٠٢ .

(٦٢) صوم الإمام البَيْهَقِيّ :

الإمام الجليل ، والحافظ الكبير ، والأُصُولي الفقيه النِّحرير ، أبو بكر أحمد بن الحسين .

قال الحافظ الذهبي : كان البيهقي واحد زمانه ، وفرد أقرانه ، وحافظ أوانه .

قال السُّبكي في طبقات الشافعية (١١/٤) : « قيل : وكان البيهقي يصوم الدهر من قبل أن يموت بثلاثين سنة » .

ونختم بختام المسك من آل هاشم .

(٦٣) صوم السيدة المكرمة الصالحة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن السيد سِبْط النبي ﷺ الحسن بن علي (رضي الله عنهما) العلويّة الحسنية :

« كانت رحمها الله وأكرمها بين الصالحات العوابد ، زاهدة ، تقية نقية ، تقوم الليل ، وتصوم النهار حتى قيل لها : ترفَّقي بنفسك . لكثرة ما رأوْا منها ، فقالت : كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون ؟! حجَّت ثلاثين حجَّة ، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره »[١] .

قال عنها ابن كثير : « كانت عابدة زاهدة كثيرة الخير »[٢] .

« توفيت رحمها الله تعالى وهي صائمة ، فألزموها الفطر ، فقالت : واعجباه ! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة ، أأفطر الآن ، هذا لا يكون . وخرجت من الدنيا ، وقد انتهت قراءتها إلى قوله تعالى :

---

(١) عودة الحجاب ٢/٦٠٧ - ٦٠٨ .

(٢) البداية والنهاية ١٢/٢٩٩ - ٣٠٧ .

﴿ قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ﴾ [الأنعام : ١٢] »[١].

ويرحم الله من قال :

لو كان يَقْعُدُ فوق الشَّمسِ مِنْ كَرَمٍ ... قومٌ بآبائهِمْ أو مَجْدِهم قَعَدُوا

قومٌ أَبُوهُم عَلِيٌّ حين تَنْسِبُهُم ... طابوا وطابَ مِن الأولاد ما وَلَدُوا

إنسٌ إذا أمِنوا جِنٌّ إذا فَزِعُوا ... مُرَزَّءونَ بَهَالِيلٌ إذا حَشَدُوا

مُحَسَّدُونَ على ما كان مِن نِعَمٍ ... لا يَنْزِع اللَّهُ منهمْ ما له حُسِدُوا

قال عمر : « أحسن ، وما أعلم أحدًا أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشمٍ ؛ لفضل رسول الله ﷺ وقرابتهم منه »[٢].

* * *

(١) مرآة الزمان ٨٢ .

(٢) العقد الفريد ٢/٥٧٧- ٥٧٨، والبيت الثاني في الأصل: قوم أبوهم سنان، بدلًا من عليّ .

الفصْـلُ الخَـامِـس

عُلُـو الهِـمَّـةِ
في
الصَّـدقةِ والجُـودِ والإِيثَـارِ

تَعوّدَ بَسْط الكفِّ حتَّى لو انَّهُ ثناهـا لِقَبْضٍ لم تجِبْـه أَنامـلُهْ
تَـراه إذَا مـا جئتَـه مُتهـلِّلًا كأنَّك تُعطيه الذي أنت سَائلُهْ
ولو لم يكن في كفِّه غير رُوحهِ لجَـادَ بهـا فليتـقِ اللهَ سَـائلُهْ
هُو البَحْرُ من أيِّ النَّواحي أتيته فلُجَّتُهُ المعروفُ والجُودُ ساحِلُهْ

□ عُلُوُّ الهِمَّةِ في الصَّدقةِ والجُودِ والإيثار □

أَشْرَفُ ملابسِ الدُّنيا ، وأَزينُ حُللها ، وأَجْلَبُهَا لحمدٍ ، وأَدفَعُهَا لذمٍّ ، وأَسترُهَا لعيبٍ – كرمُ طبيعةٍ يتحلَّى بِهَا السَّمْح السَّرِيّ ، والجَوَاد السَّخي . ولو لم يكن في الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى تسمَّى بها ، فهو الكريم عز وجلْ ، ومن كان كريمًا منْ خَلْقه ، فقد تسمَّى باسمه ، واحتذى على صفته[1] .

قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله تعالى جَوَادٌ يحبُّ الجُودَ ، ويحبُّ معاليَ الأخلاق ، ويكره سَفْسَافَهَا »[2] .

وقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله كريمٌ يحبُّ الكُرماء ، جَوَادٌ يحب الجَوْدة ، يحبُّ معالي الأخلاق ، ويكره سَفْسَافَهَا »[3] .

وقال ﷺ : « إنَّ الله كريمٌ يحبُّ الكرم ، ويحبُّ معالي الأخلاق ، ويكره سَفسافها »[4] .

سبحانه من كريم . جَواد ، علا على كلِّ جوادٍ ، وبه جَادَ كلُّ من جاد .

والجُودُ على ألسنةِ الورى محمودُ .

ليس يُعْطيك للرجاءِ أو الخَوْ ... فِ ولكنْ يَلذُّ طَعْم العطاءِ

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ١ / ٢٢٥ .

(٢) صحيحٌ ، سبق تخريجه .

(٣) صحيحٌ ، سبق تخريجه .

(٤) صحيحٌ ، سبق تخريجه .

وكفى بالجود حمدًا أن اسمه - مطلقًا - لا يقع إلا في حمدٍ ، وكفى بالبخلِ ذمًّا أن اسمه - مطلقًا - لا يقع إلا في ذمٍّ .

ومنْ شرفه أنَّ الله عز وجل قَرَن ذِكْرَه بالإيمان ، ووصف أهله بالفلاح ، والفَلاحُ أجمع اسمٍ لسعادة الدَّاريْن ، فقال : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيبِ ويُقيمون الصلاةَ ومما رزقناهم يُنْفقون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أولئك هم المفلحون** ﴾ [البقرة : ٣ - ٥] ، وقال تعالى : ﴿ **ومن يُوقَ شُحَّ نفسِه فأولئك هم المفلحون** ﴾ [الحشر : ٩] .

وحُقَّ للجُودِ أنْ يقترن بالإيمان ، فلا شيء أخصّ به وأشد مجانسةً له منه ، فَمِنْ صفة المؤمن انشراحُ الصدر : ﴿ **فمن يُرِدِ اللهُ أن يهديَه يشرحْ صدره للإسلام ومن يُردْ أن يضلَّه يجعلْ صدره ضَيِّقًا حَرَجًا ...** ﴾ الآية [الأنعام : ١٢٥] ، وهما من صفات الجَوَاد والبخيل ؛ لأن الجَوَاد يوصف بِسَعَةِ الصَّدر للإنفاق ، والبخيل يوصف بضيق الصَّدر للإمساك .

فبادروا وجوِّدوا هممكم ، واعلوا بها لمصَامِ الأجواد والكرماء ، يرفعكم الجُودُ إلى عَنان السماء .

لو كان يَقْعُدُ فوقَ الشمسِ من كرمٍ قومٌ بأوَّلهمْ أو مَجْدهم قعدُوا

الأيام صحائفُ الأعمار ، فخلِّدوها بأحسن الأعمال ، والفُرصُ تمرّ مرَّ السَّحاب ، والعجز عن استدراكها شأن الخوالف .

يجني الغنيُّ للِّئام لو عقلوا ما ليس يجني عليهِمُ العدمُ
همُ لأموالهمْ ولَسْنَ لهمْ والعارُ يَبْقَى والجُرْحُ يلتئمُ

البُخْلُ فِعلٌ لازم ، لا يتعدى بجمع الدَّراهم جمْع الثّريا ، والأقدار تفرِّقها كبناتِ نعش[1] .

---

(١) اسم لعدة نجوم .

وَمَنْ يُنفِقِ الأعمارَ في جمعِ مالِهِ مخافةَ فقرٍ فالذي فَعَلَ الفقـرُ

يا هذا ، كان المال عند الكرماء كالماءِ ، فلو تأمّل البخيل فَضْلَ مطلوب الكريم لصبا ، وَيْحَكَ إنَّ أكبر شرفِ الكريم ردُّ لهف العديم .

فسبحان من خلق الأضداد ، وفرَّق بين العباد ، أمّا البخيل بالذَّهَب فمات وَذَهَب ، وأمّا الكريم فعاش بعد الموت بما وَهب .

وَهُمْ يُنْفذونَ المالَ في أوَّل الغِنَى وَيَسْتأنفونَ الصَّبْرَ في آخرِ الصبرِ
إذا سُئلوا لم يبتغوا المال وجهـةً ولم يَدْفعوا في صفحةِ الحقِّ بالعُذْرِ
من البيضِ بسَّامون والعامُ كالحٌ جدوبًا ومطّارون في الحجج الغُبْرِ
مغـاويرُ في الجُلّا مغايير للحمى مَفَـاريجُ للغُمَّـى مَـداريكُ للوَترِ
وتأخذهمْ في ساعةِ الجود هِزّة كما خايل المِطرابُ من نزوةِ الخمرِ
فتحسَبهمْ فيها نشـاوى مـن الغِنى وهم في جلابيب الخصَاصَة والفَقرِ
عظـيمٌ عليهـمْ أن يبيتـوا بلا يَـدٍ وهَـيْنٌ عليهـمْ أن يَبيتوا بلا وَفْـرِ
إذا نزل الحـيَّ الغـريبُ تقارعـوا عليه فلـم يُدرَ المقـلُّ مـن الثري
يميلـون في شِـقِّ الوفـاء مع الردى إذا كان محبوبُ البقاء مع الذِّكْرِ

قال تعالى : ﴿ **مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبعَ سنابل في كل سنبلةٍ مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم * الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يُتْبعون ما أنفقوا مَنًّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون** ﴾[البقرة : ٢٦١ ٢٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ **يَـٰأَيُّهَا الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كَسَبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وَلَسْتُم بآخذيه إلا أن تُغْمضوا فيه واعلمـوا أن الله غنيٌّ حميد * الشيطان يعدكم الفقر**

ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلًا والله واسعٌ عليم ﴾
[البقرة : ٢٦٧ - ٢٦٨] .

فالذي يدعوهم إلى البخل والشُّح هو الشيطان .

دَلَّاهُمُ بغُرورٍ ثمَّ أوردهمْ إنَّ الخبيثَ لمن وَالاه غَرَّارُ

واللهُ يعدُ عبده مغفرةً منه لذنوبه وفضلًا ، بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه ، إما في الدنيا ، أو في الدنيا والآخرة .

فهذا وعدُ الله ، وذاك وعدُ الشيطان ، فلينظر البخيلُ والمنفقُ أيَّ الوعدين هو أوثق ، وإلى أيهما يطمئن قلبه وتسكن نفسه ؟!

فاشكرْ من أماتَ غيرك بالعدم وهو حيٌّ وأنْشَرك .

وما قدر كسرة تعطيها ، أوما سمعتَ أن الرَّبَّ يُرْبيها ، فيراها صاحبها كجبلِ أُحُد ، أفيرغبُ عن مثل هذا الخير أَحدٌ ؟!

واعجبا للُقْمةٍ كانت قليلةً فكثُرت ، وفانيةً فبقيتْ ، ومَحْفوفةً[1] فَحُفِظَتْ . أما علمت أن الصدقةَ إذا صَدَقتْ في إخراجها نفسُ تقيٍّ ، تقي ميتةَ السّوءِ ، وتُطفئ غضبَ الربِّ .

إن اللقمة إذا أُكلتْ صارتْ أذًى وقبائح في الحُشِّ ، وإذا تُصدِّق بها صارت إذًا مدائح عند العرش .

إن تطوّعات البدن لا تتعدّى المتطوِّع ، وإن نفع الصدقة متعدّد متنوّع .

إن مقيم جسد الفقير بأسباب صِلاته ، شريكٌ له في ثواب صَلاته .

ومن فطّر صائمًا قد صبر إلى عشائه من فَجْره ، فله مِثلُ أجْرِهِ .

---

(١) زائلة ، من قولهم : حفّ الشمع ؛ إذا ذهب .

إن الصَّدَقة سريعةُ الخلف ، وحافظةٌ بعد الموت للخَلَف .

واعلم أن إنفاق حبّة ، يُثمر لك الوفاق والمحبّة ﴿ **في كلِّ سنبلةٍ مائةُ حبة** ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

ثم قدِّر أنك لا تُثاب على هذه اللقمة ، أين الحُنُوّ على الأخ والرحمة ؟!

هان على الأملس ما لاقى الدَّبر[١] .

قد كان حاتم الطائيُّ كافرًا ، وكان يُطعم حاضرًا ومسافرًا ، فإذا فضلت لقماتٌ ألقاهنّ على الرَّمْل ، وقال : إنّهنّ جارات - يعني النمل - .

كان الصالحون يثورون إلى الإيثار وأنت رصاصة[٢] ﴿ **ويُؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصَاصة** ﴾ [الحشر : ٩] .

كان الكـرام وأبناءُ الكـرام إذا تسامعـوا بكـريمٍ ناله عَـدَمُ
تسابقـوا فيُواسـيه أخـو كرمٍ منهم ويرجع باقيهم وقد ندموا
فاليوم صاروا يَعُدُّون النَّدى سرفًا ويُنكـرون على المعطـي إذا علموا

فالزم فعل الخير مكانَك ، وأطْعِم البُرَّ إمكانَك ، وأقْرِضْ ربَّك فقد ربَّكْ ، وعاملْ مولاك بما أولاك ، ولا تَرُدَّنّ سائلًا بلا ، فإنه موت عنده بلْ بِلى ، ولا تكُن من البخلاء ، وقانا الله وإياك أدوى داء .

قال ﷺ : « وأيّ داء أدوى من البخل » .

واعلم أخي أنه لا يقول المجد : واطرباه حتى يصيح المال : واحرباه .

هيهات أن يسمن المدحُ حتى يُهزل الكيس .

---

(١) يُضرب مثلًا في سوء اهتمام الرجل بشأن صاحبه .
(٢) أي حَجَر .

يُعنى البخيل بجمع المال مدّته ... وللحوادثِ والوُرَّاثِ ما يَدَعُ
كدودةِ القز ما تبنيه يهدمها ... وغيرها بالذي تبنيه ينتفعُ

قال تعالى : ﴿ **قل إن ربي يَبْسُطُ الرزق لمن يشاء من عباده وَيَقْدِرُ له وما أنفقتم من شيءٍ فهو يُخْلِفُهُ وهو خير الرازقين** ﴾ [سبأ : ٣٩] .

قال ابن كثير : « يخلفه عليكم في الدنيا بالبَدَل ، وفي الآخرة بالجزاء والثواب » .

وروى أحمد والبخاري ومسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : أنفِقْ أُنفِقْ عليك » .

وقال رسول الله ﷺ : « أنفق يا بلالُ ، ولا تَخْشَ من ذي العرش إقلالًا »[1].

وفي رواية : « أنفِقْ بلالا » .

كيف ينقص مُلك هو قَيِّمُه ! أبواب العباد مغلقة ، ومفاتيح الأبواب بيديه ، وبابه مفتوحٌ لمن دعاه ، وفي الحديث القدسي : « يا عبادي ، كُلُّكم جائعٌ إلَّا مَنْ أطعمتُه ، فاستطعموني أُطعمكم ، يا عبادي ، كُلُّكم عارٍ إلَّا من كسوتُه ، فاستَكْسُوني أكسكم » .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من يومٍ يُصبح العباد فيه ، إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدُهما : اللهم أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعطِ

---

(١) صحيح . رواه البزار عن بلال وعن أبي هريرة ، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٥٠٨) ، وتخريج المشكاة رقم (١٨٨٥) . وحسّن إسناده ابن حجر في زوائد البزار ، كما قال المناوي . وحسنه الهيثمي .

مُمسِكًا تَلَفًا »[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدّق بعدل تمرةٍ من كسبٍ طيِّب ، ولا يقبل الله إلا الطَّيِّب ، فإن الله يتقبَّلُها بيمينه ، ثم يُرَبِّيها لصاحِبِه ، كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوَّه[٢] ، حتى تكون مثل الجبل »[٣].

وقال ﷺ : « ما تصـدَّق أحـدٌ بصدقةٍ من طيِّبٍ ، ولا يقبل الله إلا الطّيّب ، إلّا أخذها الرحمـٰن بيمينه وإن كانت تمرةً ، فَتَرْبُو في كفِّ الرحمـٰن حتى تكون أعْظَمَ من الجبل ، كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوّه أو فصيلَه »[٤].

وقال ﷺ : « صَنَائِعُ المعروف تقي مَصَارِعَ السُّوءِ والآفاتِ والهَلَكَاتِ ، وأهل المعروف في الدُّنْيا هم أهل المعروف في الآخرة »[٥].

وقال رسول الله ﷺ : « أيُّما مسلم كسا مسلمًا ثوبًا على عُرْيٍ ، كساه الله تعالى من خُضر الجنة ، وأيّما مسلم أطعمَ مسلمًا على جوعٍ ، أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيّما مسلمٍ سقى مسلمًا على ظمأٍ ، سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرَّحِيق المختوم »[٦].

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة ، وأحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء .

(٢) الفَلُوّ : المُهْرُ ؛ لأنه يُفْلَى ؛ أي يُفْطَم ، والجمع أفلاء .

(٣) رواه البخاري ، ومسلم ، وأحمد .

(٤) رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وأحمد عن أبي هريرة ، وهو صحيح .

(٥) صحيح : رواه الحاكم عن أنس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٦٨٩) والصحيحة رقم (١٩٠٨) .

(٦) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري ، وقال المنذري : =

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حُوسب رجلٌ ممن كان قبلكم ، فلم يُوجد له من الخير شيءٌ ، إلَّا أنه كان رَجُلًا مُوسِرًا ، فكان يخالط الناس ، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسِر ، فقال الله تعالى : نحن أحقُّ بذلك منه ، تجاوزوا عنه »[١].

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أنْظَرَ معسِرًا ، فله بكلِّ يومٍ مثله صَدَقَةٌ ، قبل أن يحلَّ الدَّيْن ، فإذا حلَّ الدين فأنظره ، فله بكل يومٍ مثلاه صَدَقَةٌ »[٢].

وعن أبي اليسر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أنْظَرَ معسِرًا ، أو وَضَعَ عنه ، أظلَّه الله في ظلِّه يوم لا ظِلّ إلَّا ظِلُّه »[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أعْتَقَ رقبةً مسلمةً ، أعتق الله له بكل عُضْوٍ منها عضوًا من النار ، حتى فَرْجه بفَرْجِه »[٤].

الجوادُ كريمٌ على الله وعلى الناس :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بَيْنَا رجلٌ بفَلاةٍ من الأرض ، فسمع صوتًا في سَحابةٍ يقول : اسْقِ حديقةَ فُلان ،

= رواه أبو داود والترمذي من رواية أبي خالد بن يزيد الدالاني ، وحديثه حسن . ا هـ .

(١) صحيح . رواه الترمذي ، والبخاري في الأدب ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣١٥٤) .

(٢) رواه الشيخان ، وأحمد ، والنسائي .

(٣) رواه مسلم وأحمد .

(٤) رواه الشيخان والترمذي .

فتنحَّى ذلك السحابُ ، فأفْرَغ ماءَه في حَرَّةٍ ، فإذا شَرْجَةٌ من تلك الشِّراج قد استوعبتْ ذلك الماءَ كلَّه ، فتتبَّع الماء ، فإذا رجلٌ قائمٌ في حديقته يُحوِّل الماء بِمِسْحاتِهِ ، فقال له : يا عبد الله ، ما اسمُك ؟ قال : فلان . للاسم الذي سمع في السحابة . فقال له : يا عبد الله ، لِمَ تسألني عن اسمي ؟ قال : إني سمعتُ صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان ؛ لاسمِك ، فما تصنع فيها ؟ قال : أمّا إذْ قلتَ هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدَّق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثا ، وأرُدّ فيها ثلثًا »[١].

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أقيلوا ذوي الهيئات عَثَرَاتِهِم إلَّا الحدود »[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « تجاوزوا عن ذنب السَّخِيِّ ؛ فإنّ الله آخِذٌ بيده كلَّما عثر »[٣].

وقال رسول الله ﷺ : « أحَبُّ الناس إلى الله أنْفَعُهُم ، وأحبّ الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تُدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كُربةً ، أو تقضي عنه دَيْنًا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولَأَنْ أمشي مع أخي المسلم في حاجةٍ ، أحبُّ إلي من أن أعتكف في المسجد شهرًا ، ومن كفَّ غضبهُ ، ستر الله عورتَهُ ، ومن كَظَم غيظًا ولو شاء أن يُمْضِيَهُ أمضاه ، ملأ اللهُ

---

(١) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة ، ورواه الطيالسي وابن منده .

(٢) صحيح . رواه أحمد في مسنده ، والبخاري في الأدب ، وأبو داود ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٩٦) .

(٣) حسن . رواه الدارقطني في المُسْتجاد من فعلات الأجواد ، والبيهقي في الشعب ، وابن الجوزي في الموضوعات .

قلبَهُ رِضًا يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له ، أثبت الله تعالى قدمَهُ يوم تَزِلُّ الأقدام ، وإنّ سُوء الخُلُق ليُفسِدُ العملَ ، كما يُفْسد الخلُّ العَسَلَ »[١].

وقال رسول الله ﷺ : « أفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سرورًا ، أو تقضي عنه دَيْنًا ، أو تُطعمه خُبزًا »[٢].

وقال رسول الله ﷺ : « خيرُ الناس أنْفَعُهم للناس »[٣].

وقال ﷺ : « السّاعِي على الأرْمَلَةِ والمسكين ، كالمجاهد في سبيل الله ، أو القائِم الليلَ الصّائِم النهارَ »[٤].

الأشعَرِيُّونَ مِنْ رسول الله ﷺ وهو منْهم :

وقال رسول الله ﷺ : « إن الأشعريِّين إذا أرْمَلُوا[٥] في الغزو أوْ قلَّ طعامُ عيالهم بالمدينة ، جعلوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحد ، ثم اقتسموه

---

(١) حسن . رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » والطبراني في « الكبير » عن ابن عمر ، وحسّنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٧٦) .
(٢) حسن . رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » والبيهقي في « شعب الإيمان » عن أبي هريرة ، وابن عدي في « الكامل » عن ابن عمر ، وحسّنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٠٩٦) .
(٣) حسن . رواه القضاعي عن جابر ، والطبراني في « الكبير » ، والدارقطني ، والبيهقي في « شعب الإيمان » ، وابن عساكر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٢٨٩) .
(٤) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي ، والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة .
(٥) أي نفد زادهم .

بينهم في إناء واحدٍ بالسَّوِيَّة ، فهم منِّي وأنا منهم »[١].

وقال رسول الله ﷺ : « لا خير في مَنْ لا يُضَيِّفُ »[٢].

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لا حَسَدَ إِلَّا في اثنتين : رجل آتاه الله مالًا ، فسلّطه على هَلَكَتِهِ في الحقِّ ، ورجل آتاه الله حِكْمَةً ، فهو يقضي بها ويُعَلِّمها » .

وفي رواية : « لا حسد إلَّا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالًا ، فهو يُنفقه آناء الليل وآناء النهار » . رواه البخاري ومسلم .

والمراد بالحَسَد هنا : الغِبْطَة ، وهي تمنِّي مثل ما للمغتَبط .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أيُّكم مالُ وارِثِهِ أحبُّ إليه من ماله ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، ما منّا أحد إلَّا ماله أحبُّ إليه من مالِ وارثه . قال : « فإنّ مالَهُ ما قدَّم ، ومال وارثه ما أخَّر » . رواه البخاري والنسائي .

وفي الصحيح عند ابن حبان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مَلَكًا بباب من أبواب الجنة يقول : مَنْ يُقْرِض اليوم يُجْزَ غدًا ، وملكٌ بباب آخر يقول : اللهم أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وأعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى .

(٢) صحيح . رواه أحمد والبيهقي في « شعب الإيمان » والروياني عن عقبة بن عامر ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٤٩٢) .

تعالى : يا عبدي أَنْفِق أُنْفِق عليك » . وقال : « يَدُ الله مَلْأَى لا يغيضها نَفَقَةٌ ، سحّاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أَنْفَقَ منذ خَلَقَ السمٰوات والأرضَ ، فإنه لم يَغِض ما بِيَدِهِ ، وكان عرشه على الماء ، وبيده الأُخرى الميزان ، يخفضُ ويرفعُ » . رواه البخاري ومسلم .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ قال : أيُّ الإسلام خَيْرٌ ؟ قال : « تُطْعِم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفتَ وَمَنْ لم تعرف »(١).

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اعبدوا الرحمٰن ، وأطعموا الطعام ، وأفْشُوا السلام ، تدخُلوا الجنة بسلام »(٢).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة غُرَفًا يُرى ظَاهِرُها من باطِنِها ، وباطنُها من ظاهِرِها ، أعدَّها الله تعالى لمن أطْعَمَ الطعام،وأفشى السلام ، وصلَّى بالليل والناسُ نِيام »(٣).

وعن حمزة بن صُهيب ، عن أبيه رضي الله عنه ، قال : قال عمر لصُهَيْب : فيك سَرَفٌ في الطعام ! فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خيارُكم مَنْ أطْعَمَ ....

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي .
(٢) حسن . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وحسّنه الألباني في صحيح الترغيب ١ / ٣٩٥ .
(٣) حسن . رواه ابن حبان في « صحيحه ».وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » ١ / ٣٩٦ .

الطعـام »[١].

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا ابن آدم ، إنك إن تَبْذُل الفَضْلَ خيرٌ لك ، وإن تُمسِكْه شرٌّ لك ، ولا تُلام على كفافٍ ، وابدأ بِمَنْ تَعُولُ ، واليَدُ العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى »[٢].

وقال رسول الله ﷺ : « أفضلُ الصَّدَقَةِ : الصدقة على ذي الرَّحِم الكاشِح »[٣].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من يوم طلعت شمسُه ، إلَّا وكان بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكان يناديان نداءً يسمعه ما خَلَقَ الله كلّهم غير الثَّقَلَيْن : يَـٰأَيُّـهَا الناس ، هَلُمُّوا إلى ربكم : فإن ما قَلَّ وكَفَى ، خيرٌ ممّا كَثُرَ وأَلْهَى . ولا آبتِ الشمسُ ، إلَّا وكان بجنبتيها ملكان يناديان نداءً يسمعه خَلْقُ الله كلّهم غير الثقلَيْن : اللهم أعطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وأعطِ مُمْسِكًا تَلَفًا . وأنزل الله في ذلك قرآنًا ؛ في قول المَلَكَيْن : يَـٰأَيُّـهَا الناس هَلُمُّوا إلى ربكم في سورة يونس : ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم** ﴾ [يونس : ٢٥] ، وأنزل في قولهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، وأعطِ ممسكًا تلفًا ﴿ **والليل إذا يغشى** * **والنهار**

---

(١) حسن . رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب « الثواب » وحسّنه الألباني في « صحيح الترغيب » ١ / ٣٩٦ .

(٢) رواه مسلم والترمذي .

(٣) صحيح . رواه أحمد والطبراني في « الكبير » عن أبي أيوب وعن حكيم بن حزام ، ورواه البخاري في الأدب وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد ، والطبراني في الكبير والحاكم عن أم كلثوم بنت عقبة،وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١١١٠) .

إذا تجلّى وما خلق الذَّكَرَ والأُنثى ﴾ إلى قوله : ﴿ لِلعُسْرى ﴾ »[١] .
[الليل : ١ - ١٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « مَثَلُ البخيل والمُنْفِقِ كمثل رجُلَيْن عليهما جُنَّتَان من حديدٍ ، من ثُدِيهما إلى تراقيهما ، فأمّا المنفق فلا يُنفق إلَّا سَبَغَتْ أوْ وَفَرَتْ على جِلْده ، حتى تُخفيَ بَنانَهُ ، وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ ، وأمّا البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلَّا لزمتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مكانها ، فهو يُوسِّعها فلا تَتَّسِع » . رواه البخاري ومسلم .

فالمنفِق كلَّما أنفق ، اتَّسعَتْ عليه النِّعم وسبغتْ وَوَفَرَتْ ، والبخيل كلّما أراد أن يُنفق ، مَنَعَهُ الشُّحُّ والحِرْصُ وَخَوْفُ النَّقْص ، فهو يمنعه ، ولا تتَّسع عليه النِّعم .

* * *

(١) صحيح . رواه البيهقي وصحَّحه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » ١ / ٣٨٤ - ٣٨٥ .

□ أبو الضِّيفانِ خليلُ الرحمٰن إبراهيمُ عليه السلام □

قال رسول الله ﷺ : « كان أوَّلَ مَنْ أضاف الضَّيْفَ إبراهيمُ »(١) .

قال المناوي : « كان يُسمَّى أبا الضِّيفان ، كان يمشي المِيلَ والميلَيْن في طَلَب مَن يتغدَّى معه . وفي الكشَّاف : كان لا يتغدى إلَّا مع ضيف »(٢) .

قال تعالى : ﴿ **هل أتاك حديثُ ضيفِ إبراهيم المُكْرَمِينَ إذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا قال سلامٌ قومٌ مُنْكَرُون فَرَاغَ إلى أهله فجاء بعجلٍ سمينٍ فقرَّبه إليهم قال ألا تأكلون** ﴾ [الذاريات : ٢٤ - ٢٧] .

قال مجاهد : سمَّاهم مكرمين لخِدمة إبراهيم إيَّاهم بنفسه(٣) .

قال الرازيُّ : في « مفاتيح الغيب » (١٤/٥١٠- ٥١٣) : « أُكرِموا إذ دخلوا ، وهذا من شأن الكريم أن يُكرم ضَيْفَهُ وقتَ الدخول . فإن قيل : بماذا أكْرَمَهُم ؟ قُلْنا : ببشاشةِ الوجهِ أوَّلًا ، وبالإجلاس في أحسن المواضع وألطفها ثانيًا ، وتعجيل القِرَى ثالثًا ، وَبُعْد التكليف للضيف بالأكل والجلوس .

ولقد أراد إبراهيم عليه السلام ، أن يردّ عليهم بالأحسن ، فأتى بالجملة الاسمية ؛ فإنها أدلُّ على الدوام والاستمرار ، فلما قالوا : ﴿ **سلامًا** ﴾ ، قال : ﴿ **سلامٌ** ﴾ عليكم مستمرٌّ دائمٌ .

﴿ **فراغ إلى أهله** ﴾ : فأتى بفاء التعقيب ، وهي دالَّةٌ على السرعة » . اهـ .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « قِرى الضيف » عن أبي هريرة .
(٢) فيض القدير ٤ / ٥٤٣ .
(٣) تفسير القرطبي ٩ / ٦٢١٥ .

قال الزَّجّاجُ : عَدَلَ إلى أهله ومال سرًّا وحاد ، أي انطلق إبراهيمُ إلى منزله كالمُسْتَخْفِي من ضيفه ؛ لئلَّا يظهروا على ما يريد أن يتَّخِذ لهم من الطعام .

قال الرازيُّ : « إن الرَّوَغان يدلُّ على السُّرعة والرَّواح الخفيِّ ؛ فإن المُضِيف إذا أحضر شيئًا ، ينبغي أن يُخفيه عن الضيف ؛ كي لا يمنعه من الإحضار بنفسه ، حيث راغ هو ولم يقل : هاتوا ، وغيبة المضيف لحظةً من الضيف مُستحسَنٌ ؛ ليستريح ويأتي بدفعْ ما يحتاج إليه ويمنعه الحياءُ منه .

وتعجيل القِرى أيضًا دلّ عليه قولُه تعالى : ﴿ **فما لَبِثَ أن جاء بعجلٍ حَنِيذٍ** ﴾ [هود : ٦٩] .

ثم اختيار الأجْوَد بقوله : ﴿ **سمين** ﴾ .

ثم تقديمُ الطعام إليهم لا نَقْلُهم إلى الطعام ، بقوله : ﴿ **فقَرَّبَهُ إليهم** ﴾ ؛ لأن من قدَّم الطعام إلى قومٍ ؛ يكون كلُّ واحدٍ مستقِرًّا في مقرِّه ، لا يختلف عليه المكان ، فإن نَقَلَهم إلى مكانِ الطعامِ ؛ ربما يحصُل هناك اختلافُ جلوسٍ ، فيقرب الأدنى ويضيق على الأعلى .

ثم العَرْض لا الأمْر ، حيث قال : ﴿ **ألا تأْكُلُون** ﴾ ولم يَقُل : كلوا » . اهـ .

أكْرَمُ الناسِ يوسفُ بن يعقوبَ عليهما السلام :

قال رسول الله ﷺ : « أكرمُ الناس يُوسُفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ ابنِ إبراهيمَ »[1] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، ورواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود .

وقال رسول الله ﷺ : « الكريمُ ابنُ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ : يوسفُ بن يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ »[(١)].

قال المناويُّ في « فيض القدير » (٢ / ٩٠) : « أي أكرمُهم أصلًا يوسفُ ؛ فإنه جَمَعَ شرفَ النُّبُوَّة وشرفَ النَّسَب ، وكونه ابنَ ثلاثةِ أنبياء متناسِقة ، فهو رابع نبيٍّ في نَسَقٍ واحدٍ ، ولم يقع ذلك لغيره ، وضمَّ له **أشرف عِلْم - الرُّؤيا - ورئاسة الدُّنْيا ، وحِياطَة الرَّعِيَّة ، وشَفَقَته عليهم** » .

وقال المناوي : « وأيّ كريمٍ أكْرَم ممَّن حاز - مع كونه ابنَ ثلاثةِ أنبياء مُتَرَاسِلِين - شرفَ النُّبُوَّة وحُسنَ الصورة وَعِلْمَ الرُّؤيا ورئاسةَ الدنيا وحِياطة الرَّعايا في القَحْط والبلاء ! .

قال الشاعر :

إن السَّرِيَّ إذا سَرَى فَبِنَفْسِهِ ... وابنُ السَّرِيِّ إذا سَرَى أسْرَاهُمَا »[(٢)]

كان يوسف - عليه السلام - وهو على خزائن الأرض لا يشبع ، ويقول : أخاف أن أشبع فأنسى الجياعَ .

وقد كان جُود يوسف وكَرَمُه جودَ فتوَّة ، جود صَبْرٍ على شهوات النَّفْس ، وصبر عن المعصية ، وهو جُودُ ساداتِ الرجال .

كان الضَّحَّاك - رحمه الله تعالى - **يقول في قوله تعالى : ﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾** قال : « كان إحسان يوسف - عليه الصلاة والسلام - أنّ كُلَّ مَنْ مَرِضَ في السجن ، قام عليه ، وكلّ مَن احتاج ، وسَّعَ عليه . وكان - عليه الصلاة والسلام - إذا لم يجد عنده شيئًا للفقير ، يدور على

---

(١) رواه البخاري وأحمد عن ابن عمر ، وأحمد عن أبي هريرة .

(٢) فيض القدير ٥ / ٦٤ .

الأبواب يسأل له الناس »[١].

جُودُ رسول الله ﷺ :

عن أنسٍ رضي الله عنه قال : « كان النبي ﷺ أحْسَنَ الناس ، وأجْوَد الناس ، وأشْجَعَ الناس »[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجْوَد الناس ، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كلِّ ليلةٍ من رمضان ، فيُدارِسه القرآن ، فَلَرَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجْوَد بالخير من الرِّيح المُرسَلَة »[٣].

وعن جابر رضي الله عنه قال : « ما سُئِلَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن شيءٍ قطُّ فقال : لا » . رواه البخاري .

وعن أنس بن مالك ، رضي الله عنه : « كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يدَّخِر شيئًا لغدٍ »[٤].

وعن عبد الله بن بسرٍ قال : « كان للنبي ﷺ قصعةٌ يُقال لها : الغراء ، يحملها أربعة رجال »[٥].

---

(١) تنبيه المُغترِّين للشعراني صـ ٩١ .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد والدارمي وابن سعد .

(٤) صحيح . رواه الترمذي عن أنس ، وابن حبان وصحّحه ، والبيهقي في « سننه » والخطيب ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٨٤٦) .

(٥) صحيح . رواه أبو داود في « سننه » ، وأبو الشيخ ، وابن عساكر ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٨٣٣) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : « إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يجتمع عنده غداءٌ ولا عشاءٌ من خُبزٍ ولا لحمٍ إلَّا على ضَفَفٍ »[(١)].

وعن سهل بن سعد قال : جاءت امرأةٌ إلى النبي ﷺ ببُرْدة فقالت : يا رسول الله : أكْسُوك هذه . فأخذها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم محتاجًا إليها ، فَلَبِسَهَا ، فرآها عليه رجلٌ من الصحابة ، فقال : يا رسول الله ، ما أحْسَنَ هذه ، فاكْسُنِيهَا . فقال : « نعم » . فلمّا قام النبي ﷺ ، لامَهُ أصحابه فقالوا : ما أحسنْتَ حين رأيتَ النبي ﷺ أخَذَهَا مُحتاجًا إليها ، ثم سألتَهُ إياها ، وقد عرفتَ أنه لا يُسْأَل شيئًا فيمنعه . فقال : رجوتُ بَرَكتَهَا حين لَبِسها النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ لَعَلِّي أُكَفَّن فيها . رواه البخاريُّ .

وأتاه رجلٌ فسأله ، فأعطاه غنما سدَّتْ ما بين جبلين ، فرجع إلى قومه وقال : أسلموا ، فإن محمدًا يُعطي عطاء من لا يخشى الفقر .

وأُتي بمال من البحرين فقال : انثُروه في المسجد ، وكان أكثر مالٍ أُتي به ، فخرج إلى الصلاة ، ولم يلتفت إليه ، فلمّا قَضَى الصلاة جاء فجلس إليه ، فما كان يرى أحدًا إلَّا أعطاه ، وما قام وثَمَّ منها درهم .

وكان جوده ﷺ بجميع أنواع الجُود من بذْل العلم والمال ، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده ، وإيصال النفع إليهم بكل طريق ، من إطعام جائعهم ،ووعْظ جاهِلِهم ،وقضاءِ حوائجهم ، وتحمُّل أثقالهم ، ولم يزل ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نَشَأ ، ولهذا قالت

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه أحمد وابن حبان وابن سعد ، وقال الألباني في « مختصر الشمائل » : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

له خديجةُ في أوَّل مبعثه : والله لا يُخزيك الله أبدًا ، إنك لَتصِلُ الرَّحِم ، وتَقْرِي الضَّيف ، وتحمل الكلَّ ، وتَكْسِب المعدومَ ، وتُعين على نوائب الحق . ثم تزايدت هذه الخصالُ فيه بعد البعثة ، وتضاعفتْ أضعافًا كثيرة .

وفي صحيح مسلم ، عن أنس رضي الله عنه قال : ما سُئِلَ رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلَّا أعطاه ، فجاء رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم ، أسلموا فإن محمدًا يُعطي عطاء من لا يخشى الفاقة .

قال أنس : إنْ كان الرجل ليُسلم ما يريد إلَّا الدنيا ، فما يُمسي حتى يكون الإسلامُ أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها .

وفي صحيح مسلم عن صفوان بن أُمية رضي الله عنه : لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما **أعطاني** وإنه لَمِن أبغض الناس إليَّ ، فما برح يُعطيني حتى إنه لأحبُّ الناس إليَّ .

قال ابن شهاب : أعطاه يومَ حُنين مائة من النَّعَم ثم مائة ثم مائة .

وفي مغازي الواقدي : أن النبي ﷺ أعطى صفوان يومئذٍ واديًا مملوءًا إبلًا ونَعَمًا ، فقال صفوان : أشهدُ ما طابتْ بهذا إلَّا نَفْسُ نَبِيٍّ .

وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم : أن الأعراب علقوا بالنبي ﷺ مَرْجِعَهُ من حُنَيْن ، يسألونه أن يقسم بينهم فقال : « لو كان لي عَدَدُ هذه العَضَاةِ نَعَمًا ، لقَسمتُه بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلًا ، ولا كذوبًا ، ولا جبانًا » .

وفيهما عن جابر أنه ﷺ قال له : « لَو جاءنا مالُ البحرين ، لقد أعطيتُك هكذا وهكذا وهكذا » وقال بيديه جميعًا .

وكان جوده ﷺ كلّه لله ، وفي ابتغاء مرضاته ، فإنه كان يبذل

المال إمّا لفقيرٍ ، أو محتاج ، أو ينفقه في سبيل الله ، أو يتألّف به على الإسلام مَنْ يَقْوَى الإسلام بإسلامه ، وكان يُؤثر على نفسه وأهله وأولاده ، فيعطي عطاءً يعجز عنه الملوكُ مثل كسرى وقيصر ، ويعيش في نفسه عيش الفقراء ، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يُوقَد في بيته نار ، وربَّما رَبَطَ على بطنه الحَجَرَ من الجوع ، وكان قد أتاه صبيٌّ مرةً فشكتْ إليه فاطمةُ ما تَلْقَى من خدمة البيت ، وطلبت منه خادمًا يكفيها مُؤْنَة بيتها ، فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها ، وقال : « لا أُعطيك وأَدَع أهل الصُّفَّة تَطْوَى بطونُهم من الجوع » .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يقول : « إني لَأَلِج هذه الغُرفةَ ما ألجها إلَّا خشية أن يكون فيها مالٌ ، فأَتَوفَّى ولم أُنفقه »[(١)].

وعن أبي ذرٍّ ، أن النبي ﷺ التفت إلى أُحُدٍ فقال : « والذي نفسي بيده ، ما يَسُرُّني أن أُحُدًا تحوَّل لآلِ محمدٍ ذهبًا ، أُنفقه في سبيل الله ، أموتُ يومَ أموتُ أدَعُ منه دينارين ، إلَّا دينارين أُعدُّهما للدَّيْن إنْ كان »[(٢)].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : كانت عند رسول الله ﷺ سبعة دنانير وَضَعَهَا عند عائشة ، فلمّا كان عند مرضه قال : « يا عائشة ، ابعثي بالذهب إلى عليّ » . ثم أُغمي عليه ، وشَغَلَ عائشةَ ما به ، حتى قال ذلك مرارًا . كلّ ذلك يُغمى على رسول الله ﷺ ، ويشغل عائشةَ ما به ، فبعث إلى عليٍّ فتصدَّق بها ، وأمسى رسول الله ﷺ ليلة الإثنين

---

(١) حسن . رواه الطبراني في « الكبير » ، وحسّنه المنذريُّ والألبانيُّ .
(٢) حسن . رواه أحمد وأبو يعلى ، وقال المنذري : وإسناد أحمد جيد قوي ، وحسَّنه الألباني في « صحيح الترغيب » ١ / ٣٩١ .

في جديد الموت ، فأرسلت عائشةُ بمصباح لها إلى امرأةٍ من نسائها ، فقالت : أهدِي لنا في مصباحنا من عُكَّتك السَّمْن ، فإن رسول الله ﷺ أمسى في جديد الموت[1].

وكان رسول الله ﷺ أجْوَد ما يكون حين يلقى جبريل ، ولا شكَّ أن المخالطة تُؤثِّر وتُورث أخلاقًا من المخالطة . كان بعض الشعراء قد امتدح ملكًا جوادًا ، فأعطاه جائزة سَنِيَّةً ، فخرج بها من عنده وفرَّقها كلها على الناس وأنشد :

لَمَسْتُ بكفِّي كَفَّهُ أبتغي الغِنَى ... ولم أدْرِ أن الجُودَ من كَفِّهِ يُعدِي

فبلغ ذلك الملكَ ، فأضعفَ له الجائزةَ .

وقد قال بعضُ الشعراء يمتدح بعضَ الأجواد - ولا يصلحُ أن يكون ذلك إلَّا لرسول الله ﷺ - :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حتى لَو انَّهُ ... ثَناها لِقَبْضٍ لم تُجِبْهُ أنامِلُهْ
تَـرَاهُ إذا مـا جِئْتَـهُ مُتَهَـلِّلا ... كَأَنَّكَ تُعطيه الذي أنتَ سائِلُهْ
هو البَحْرُ من أيِّ النَّواحي أتيتَهُ ... فَلُجَّتُهُ المعروفُ والجُودُ ساحِلُهْ
ولو لم يَكُن في كَفِّهِ غيرُ رُوحِهِ ... لَجَـادَ بِهَـا فَلْيَتَّـقِ اللهَ سَـائِلُهْ

أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما نَفَعَنِي مالٌ قطُّ ما نفعني مالُ أبي بكرٍ » فبكى أبو بكرٍ وقال : هل أنا ومالي إلَّا لك يا ....

(١) صحيح . رواه الطبراني في « الكبير » ، وقال المنذري : ورواته ثقات محتجٌّ بهم في « الصحيح » ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » ١ / ٣٨٨ - ٣٨٩ .

رسول الله[١].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ أنْفَقَ زوجًا - أو قال : زوجين - من ماله - أراه قال : - في سبيل الله ، دَعَتْهُ خَزَنَةُ الجنَّة : يا مسلم هذا خيرٌ ، هَلُمَّ إليه » . فقال أبو بكر : هذا رَجُلٌ لا تودى عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما نفعني مالٌ قطُّ إلَّا مال أبي بكرٍ » . قال : فبكى أبو بكر وقال : وهل نفعني الله إلَّا بك ، وهل نفعني الله إلَّا بك ، وهل نفعني الله إلَّا بك[٢].

وقال عمر بن الخطاب : أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يومًا أن نتصدَّق فوافَقَ ذلك مالًا عندي ،فقلتُ : اليومَ أسبقُ أبا بكرٍ ، إن سبقتُه يومًا . فجئتُ بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما أبقيتَ لأهلك ؟ » . فقلتُ : مِثْله . قال : وأتى أبو بكر بكلِّ ما عنده ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما أبقيتَ لأهلك ؟ » . قال : أبقيتُ لهم اللهَ ورسولَهُ : قلتُ : لا أُسَابِقُكَ إلى شيءٍ أبدًا[٣].

لمَّا طُبِعَ رسولُ الله ﷺ على أشرف الخلائق كان منها الكَرَم ، فأعطى غَنَمًا بين جَبَلَيْن ، فلمَّا سار في فيافي الجُود ، تَبِعَهُ صديقُه فجاء بكلِّ ماله .

سَبَقَ النَّاسَ إليها صَفْقَةً لم يَعُدْ رائدُها عنها بِغَبَنْ

---

(١) صحيح . رواه ابن ماجه وأحمد ، وابن أبي عاصم في « السنة » ، وابن حبان ، وابن أبي شيبة في « المصنف » ، والنسائي في « فضائل الصحابة » .

(٢) صحيح . أخرجه أحمد في « فضائل الصحابة » .

(٣) حسن . أخرجه الترمذي والدارمي وابن أبي عاصم وعَبْدُ بن حميد في « المنتخب » .

هِـزَّةٌ للجُـودِ صـارتْ نَشْـوَةً لم يُكَـدِّرْ عندَهـا العُـرْفُ بِمَـنّْ
طَلَبُـوا الشَّـاءَ فـوافَى سَابِقـًا جَرَعَ غبَّرَ في وَجْهِ المَشَنّ[1]

عن جابرٍ قال : قال عمر : أبو بكرٍ سَيِّدُنا ، وأعْتَقَ سيِّدَنا . يعني بلالًا[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أعتق أبو بكرٍ - رضي الله عنه - سبعةً ممَّن كان يُعذَّب في الله عز وجلّ ، منهم بلال وعامر بن فهيرة[3] .

أبو بكـرٍ حَبَـا[4] في الله مـالا وأعْتَـقَ فـي محبَّتِـهِ بِـلالَا
وقـد وَاسَى النبيَّ بكـلِّ فَضْـلٍ وأسْـرَعَ في إجابتِـهِ بـلا : لا
لـو انَّ البَحْـرَ يقصُـدُه ببعضٍ لَمَـا تَـرَكَ الإلٰـهُ بـه بِـلالا

ومن الأجواد عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه :

قال الأعمش : كنتُ يومًا عنده ، فأُتي باثنين وعشرين ألف درهم ، فلم يقُم من مجلسه حتى يفرّقها ، وكان إذا أعجبه شيءٌ من ماله تصدّق به ، وكان كثيرًا ما يتصدّق بالسُّكَّر ، فقيل له في ذلك فقال : إني أُحِبّه ، وقد قال تعالى : ﴿ **لن تنالوا البِرَّ حتى تُنفقوا مما تُحِبُّون** ﴾ . [آل عمران : ٩٢][5] .

وقال مجاهد : كتب عمرُ بن الخطاب إلى أبي موسى أن يبتاع له جاريةً

---

(١) جَرَعَ : بلعَ . والمشن : حلب ما في الضرع .

(٢) موقوف صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، ورواه البخاري معلَّقًا .

(٣) موقوف صحيح . أخرجه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي .

(٤) أعتق .

(٥) الدُّرّ المنضود في ذَمّ البُخل ومَدْح الجُود لعبد الرؤوف المناوي صـ ٦٤ - دار الصحابة بطنطا .

من سَبْي جلولاء ، ففعل ، فدعاها عمرُ فأعتقها ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **لن تنالوا البرّ حتى تُنفقوا مما تحبُّون** ﴾ .

عثمان رضي الله عنه :

عن أبي عبد الرحمـٰن أن عثمان - رضي الله عنه - حين حُوصِر ، أشْرَفَ عليهم وقال : أنْشُدُكم الله ، ولا أنشُدُ إلّا أصحاب النبي ﷺ : ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حَفَرَ رُومة فلة الجنة » . فحفرتُها ؟ ألستم تعلمون أنه قال : « مَنْ جَهَّزَ جيشَ العُسرة فله الجنة » . فجهَّزْتُه ؟ قال : فصدَّقُوه بما قال[1] .

اشترى عثمان - رضي الله عنه - بئر رُومَةَ بأربعين ألف درهم ، وأنْفَقَ في جيش العُسرة عشرة آلافِ درهمٍ .

عن عبد الله قال : رأى رسول الله ﷺ عثمان بن عفان يوم جيش العُسرة جائيا وذاهبًا ، فقال : « اللهم اغْفِرْ لعثمان ما أقْبَلَ وما أدْبَرَ ، وما أخفَى وما أعْلَنَ ، وما أسرَّ وما أجْهَرَ »[2] .

وأخرج المناوي في « الدر المنضود » : أنه « أصاب الناس قحطٌ في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فلمّا اشتدَّ بهم الأمرُ ، جاءوا إلى أبي بكر الصديق وقالوا : يا خليفة رسول الله ﷺ ، إن السماء لم تمطر ، والأرض لم تنبت ، وقد توقَّع الناسُ الهلاك ، فما تصنعُ ، فقال : انصرِفُوا واصبروا ، فإني أرجو الله ألّا تُمسوا حتى يفرّج الله عنكم . فلمَّا أصبحوا خرجوا يتلقَّوْنها ، فإذا هي ألف بعيرٍ موثوقة بُرًّا وزيتًا ودقيقًا ، فأناختْ بباب

---

(١) صحيح بشواهده . ذكره البخاري معلَّقًا ، ورُوي موصولًا عند الدارقطني والإسماعيلي .
(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » وسنده جيد .

عثمان رضي الله عنه ، فجعلها في داره ، فجاء إليه التجارُ ، فقال : ما ترون ؟ قالوا : إنك لتعلمُ ما نريد . فقال : كم تُرْبحُوني ؟ قالوا : اللهم درهمين . قال : أُعطِيتُ زيادةً على هذا . قالوا : أربعة . قال : أُعطِيتُ أكثر . قالوا : خمسة . قال : أُعطيت أكثر . قالوا : ليس في المدينة تُجّار غيرنا ، فمن الذي أعطاك ؟ قال : إن الله أعطاني بكل درهمٍ عشرة دراهم ، أعندكم زيادة؟ قالوا : لا . قال : فإني أُشْهِدُكم الله تعالى ، أني جعلتُ ما حملتِ العِيرُ صدقةً لله على الفقراء والمساكين »[1].

« يُروى : أنه كان لعثمان بن عفان على طلحةَ بنِ عُبيد اللهِ - رضوان الله عليهما - خمسون ألف درهم ، فخرج عثمان يومًا إلى المسجد ، فقال له طلحة : قد تهيَّأ مالُك فاقبِضْهُ . فقال له عثمانُ رضي الله عنه : هو لك يا أبا محمد معونة على مروءتك »[2].

عبد الرحمٰن بن عوف :

عن المسور بن مخرمة ، أن عبد الرحمٰن بن عوف باع كديمته من عثمان بأربعين ألف دينار ، فأمر عثمانُ بن عفان عبدَ الله بنَ أبي سرحٍ فأعطاه الثمن ، فقسَّمه بين بني زهرة وفقراء المسلمين وأزواج رسول الله ﷺ . قال المسور : فأتيتُ عائشة - رضي الله عنها - بنصيبها ، فقالت : ما هذا ؟ فقلت : بعث به عبدُ الرحمٰن . فقالت : قال رسول الله ﷺ : « لا يَحْنُو عليكُنَّ بَعْدِي إلَّا الصّابرون » سقى اللهُ ابنَ عوفٍ من سلسبيل الجنة[3].

---

(١) الدر المنضود صـ ٦٦ .

(٢) لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ صـ ١٢٧ .

(٣) صحيح . قال الترمذي : حسن صحيح . وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وله شواهد من حديث =

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرُكم خيركم لأهلي من بعدي » . قال : فباع عبدُ الرحمٰن بن عوف حديقةً بأربعمائة ألفٍ ، فقسمها في أزواج النبي ﷺ[1] .

الزُّبير بن العَوَّام :

قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١ / ٥٥ - ٥٦) : « قال مغيثُ بن سُمَيٍّ : كان للزبير بن العوام ألف مملوك يؤدُّون إليه الخراج ، فلا يُدخل بيته من خراجهم شيئًا .

رواه سعيد بن عبد العزيز نحوه وزاد : بل يتصدَّق بها كلّها » .

طَلْحَةُ الفَيَّاضُ ، طلحةُ الجُودِ ، طلحةُ الخيرِ ، أبو محمد طلحةُ بن عُبَيْد الله رضي الله عنه ، أَحَدُ العشرة المبشَّرِين بالجنة :

عن سُعدى بنت عوف المريّ قالت : دخل عليَّ طلحةُ ذات يوم وهو خَاثِرُ النَّفس[2] ، فقلتُ : مالي أراك كالح الوجهِ ، ما شأنُك ، أَرَابَكَ مني فأُعْتِبك ؟ قال : لا ، ولنِعْمَ حليلة المرء المسلمِ أنتِ . قلتُ : فما شأنُك ؟ قال : المال الذي عندي قد كَثُر وأكْرَبَنِي . قالت : فقسَّمه حتى ما بقي منه درهم واحد . قالت سُعدى : فسألت خازن طلحةَ : كم كان المال ؟ قال : أربعمائة ألف[3]. قال سفيان بن عيينة : وكانت غلَّة طلحة كلّ يومٍ ألفًا وافيًا .

= أم سلمة والمقداد وأبي هريرة .

والكديمة : اسم مكان لموضع كان فيه سهم عبد الرحمن رضي الله عنه من منازل بني النضير .

(١) حسن لشواهده . أخرجه ابن أبي عاصم في السنة .

(٢) أي غير نشيط .

(٣) صحيح . رواه أبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر ، وأحمد في الزهد .

وفي رواية سفيان : « فقال : اجتمع عندي مالٌ فقد غمَّني ! قلتُ : وما يَغُمُّك ؟! ادْعُ قومَك . قال : يا غلام ، عليَّ بقومي . فقسمه فيهم ... » . وقد تكرَّر ذلك من طلحة .

وصحَّ عن الحسن البصري – رحمه الله – أنه قال : باع طلحةُ أرضًا له بسبعمائة ألف ، فبات ذلك المال عنده ليلةً ، فبات أرِقًا من مخافة المال ، حتى أصبح ففرَّقه[1].

وعند ابن سعد عن الحسن به ، وفيه : « قال طلحة : إن رجلًا تبيتُ هذه عنده في بيته لا يدري ما يطرقُه من أمر الله ، لغريرٌ بالله . فبات ورسله تختلف بها في سِكَك المدينة ، حتى أسْحَرَ وما عنده منها درهم » .

وصح عن محمد بن عمران التيمي ، عن سُعدى قالت : لقد تصدَّق طلحةُ يومًا بمائة ألف درهم ، ثم حَبَسَهُ عن الرَّواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه[2].

وعن سلمة بن الأكوع قال : ابتاع طلحة بئرًا في ناحية الجبل ، ونحر جزورًا ، فأطعمَ الناسَ ، فقال رسول الله ﷺ : « أنت يا طلحةُ الفيَّاضُ »[3].

وعن موسى بن طلحة ، عن أبيه طلحة بن عبيد الله ، أنه أتاه مالٌ

---

(١) الحسن عن طلحة منقطع .

(٢) محمد بن عمران منقطع عن سُعدى .

(٣) محتمل . رواه ابن عساكر ، وابن عدي ، والطبراني ، وأبو نعيم في « الصحابة » ، والدارقطني في « المستجاد من فعلات الأجواد » . وقد صحَّ عن ابن عيينة – وهو من أتباع التابعين – قال : كان أهل طلحة يقولون : سمّاه رسول الله ﷺ « الفيّاض » .

من حضرموت سبعمائة ألف . قال : فبات ليلته يتململ . فقالت له زوجتُه : يا أبا محمد ، ما لي أراك منذ الليلة تتململ ؟ أرابك منّا أمرٌ فنُعْتِبك . قال : لعمري لنِعْمَ زوجة المرء أنتِ ، ولكنْ تفكَّرتُ منذ الليلة ، فقلتُ : ما ظن رجلٍ بربِّه عز وجل ، يَبيتُ وهذا المال في بيته ؟ قالت : فأين أنت عن بعض أخلاقك ؟ قال : وما هو ؟ قالت : إذا أصبحت دعوتَ بجفانٍ وقِصاعٍ ، فقسمته على بيوت المهاجرين والأنصار على قَدْرِ منازلهم . قال : فقال لها : يرحمك الله تعالى ، إنك ما علمتُ موفَّقة بنت موفَّق . وهي أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه . فلمَّا أصبح دعا بجفانٍ وقِصاعٍ ، فقسمها بين المهاجرين والأنصار ، فبعث إلى عليٍّ بن أبي طالبٍ منها بجفنة ، فقالت له زوجته : يا أبا محمدٍ ، أما كان لنا في هذا المال من نصيبٍ ؟ قال : فأين كُنتِ منذ اليوم ؟ فشأنك ما بقي . قالت : فكانت صرَّة فيها نحوٌ من ألف درهم[1] .

وعن قبيصة بن جابر قال : صحبتُ طلحة ، فما رأيت أعْطَى لجزيلِ مالٍ مِن غير مسألة منه[2] .

عَلَم المجاهدين ، أبو المساكين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ما احْتَذَى النِّعال ، ولا رَكِب المطايا بعدَ رسول الله ﷺ أفْضَلَ من جعفر بن أبي طالب »[3] . يعني في الجُود والكرم .

---

(١) حسن . رواه الدارقطني في « المستجاد » وابن عساكر . ولا يمتنع أن تكون كلتاهما « أم كلثوم ، وسُعدى » قد قالت ذلك وكانتا زوجتيه .

(٢) صحيح . رواه الدارقطني في « المستجاد » وابن عساكر .

(٣) إسناده جيد . أخرجه أحمد ، والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ، والذهبي في « السير » .

وعن أبي هريرة قال : كُنَّا نُسمِّي جعفرًا أبا المساكِين . كان يذهب بنا إلى بيته ، فإذا لم يجد لنا شيئًا ، أخرج إلينا عُكَّة أثَرُهَا عَسَل ، فنشُقّها ونَلْعَقها[1].

وعند البخاري عن أبي هريرة : « وكان أخْيَر الناس للمساكين جعفر ابن أبي طالب ، كان ينقلب بنا فيُطعمنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليُخرِج إلينا العكَّة التي ليس فيها شيءٌ ، فيشقها ، فَنَلْعَقُ ما فيها » .

ومن الأجواد : عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

« عن حبيب بن أبي ثابت قال : قدم أبو أيوب الأنصاري البصرةَ ، ونزل على ابن عباس ففرَّغ له بيتَهُ الذي كان فيه ، وقال : لأَصْنَعَنَّ بك كما صنعت برسول الله ﷺ . وقال : كم عليك من الدَّيْن ؟ قال : عشرون ألفًا . فأعطاه أربعين ألفًا ، وعشرين مملوكًا وقال : لك ما في البيت كلّه »[2].

واجتمع إليه قُرَّاء البصرة حين كان عامِلَها وقالوا : لنا جارٌ صوَّامٌ قوَّامٌ ، زوَّج بنتَهُ من ابن أخيه ، وليس عنده ما يُجهِّزها به . فأَدْخَلَهُم دارَهُ ، وأخرجَ لهم سبعة بِدَرٍ ، فحملوها ، فقال ابن عباس : ما أنصفناه ، أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ، ارجعوا ، ولنكُن أعوانَهُ على تجهيزها ، فليستِ الدُّنيا بقدرٍ حتى تشغله عن عبادة ربِّه . فَفَعَلَ وفَعَلُوا .

وكان هو والناس في ماله سواء ، من سأله أعطاه ، ومن لم يسأله ابتداه .

❊ ❊ ❊

---

(١) إسناده حسن . رواه الذهبي في السير ٢ / ٢١٧ . والعُكّة : ظرف السمن .
(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ ١١٥ – مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قال : أعطى ابنُ جعفرٍ عبدَ الله ابنَ عمر بنافعٍ عشرة آلاف أو ألف دينار ، فدخل عبد الله على صفيَّة ، فقال لها : إنه أعطاني ابن جعفر بنافعٍ عشرة آلاف أو ألف دينار . فقالت : يا أبا عبد الرحمٰن ، فما تنتظر أن تبيعه ؟ فقال : فهلَّا ما هو خيرٌ من ذلك ، هو لوجه الله . قال أبي : فكان يخيَّل إليَّ أن عبد الله بن عمر كان ينوي قولَ الله عز وجل : ﴿ **لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا ممّا تُحِبُّون** ﴾ [آل عمران : ٩٢][1] .

وعن نافعٍ قال : دخلتُ مع مولاي على عبد الله بن جعفر ، فأعطاه بي اثْنَيْ عشر ألفًا ، فأبى ، وأعتقني ، أعتقَهُ الله من النار .

عن نافع قال : ما مات ابنُ عمر حتى أعتق ألفَ إنسانٍ ، أو زادَ[2] .

وعن نافعٍ قال : كان ابن عمر إذا اشتدَّ عجبه بشيءٍ من ماله ، قرَّبه لربِّه عز وجلّ .

قال نافع : كان بعض رقيقه قد عرفوا ذلك منه ، فربما شمَّر أحدهُم فلزم المسجدَ ، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة ، أعتقَهُ ، فيقول له أصحابُه : يا أبا عبد الرحمٰن ، والله ما بهم إلَّا أن يخدعوك ! فيقول ابن عمر : فمن خَدَعَنَا بالله انْخَدَعْنَا له !

قال نافع : فلقد رأيتُنا ذات عشيَّةٍ ، وراح ابنُ عمر على نجيبٍ له قد

---

(١) صحيح . رواه ابن عساكر ، وأحمد في « الزهد » وأبو نعيم . وصفية هي بنت عبيد امرأة عبد الله بن عمر .

(٢) قال الذهبي في « السير » ٣ / ٢١٨ - ٢١٩ : إسنادها صحيح .

أخَذَه بمال ، فلمَّا أعجبه سَيْرُه ، أناخه بمكانه ثم نزل عنه وقال : يا نافع ، انزعوا زمامَه ورَحْلَه ، وجَلِّلُوه وأشعِروه ، وأدخِلُوه في البُدْن[1] .

وعن ابن عمر : خطرتْ هذه الآيةُ ببالي : ﴿ **لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا ممّا تُحِبُّون** ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، ففكَّرتُ فيما أعطاني الله عز وجل ، فما وجدتُ شيئًا أحبَّ إليَّ من جاريتي رميثة ، فقلت : هي حُرَّة لوجه الله ، فلولا أني لا أعود في شيءٍ جعلتُه لله ، لَنَكَحْتُهَا . فأَنْكَحَهَا نافِعًا ، فهي أُمُّ وَلَدِهِ[2] .

عن محمد بن زيد ، أن ابن عمر كاتَبَ غلامًا له بأربعين ألفًا ، فخرج إلى الكوفة ، فكان يعمل على حمرٍ له ، حتى أدَّى خمسة عشر ألفًا ، فجاءه إنسان ، فقال : أمجنون.أنت ؟ أنت هاهنا تعذِّب نفسك ، وابن عمر يشتري الرقيقَ يمينًا وشمالًا ، ثم يُعتقهم ؛ ارجع إليه فَقُلْ : عجزتُ . فجاء إليه بصحيفة ، فقال : يا أبا عبد الرحمٰن ، قد عجزتُ ، وهذه صحيفتي ، فامْحُها . فقال : لا ، ولكن امحُها أنتَ إن شئتَ . فمحاها ، ففاضتْ عينا عبد الله ، وقال : اذهب فأنت حُرٌّ . قال : أصلحك اللهُ ، أحسن إلى ابْنَيَّ . قال : هما حُرَّانِ . قال : أصلحك الله ، أحسن إلى أُمَّيْ وَلَدَيَّ . قال : هما حُرَّتان[3] .

وعن نافع قال : أُتِي ابنُ عمر ببضعة وعشرين ألفًا ، فما قام حتى أعطاها[4] .

---

(١) التبصرة ٢ / ٢٥٥ ، والسير ٣ / ٢١٧ ، والحلية ١ / ٢٩٥ .

(٢) التبصرة لابن الجوزي ٢ / ٢٥٥ .

(٣) رجاله ثقات . رواه الذهبي في « السير » ٣ / ٢١٧ .

(٤) الحلية ١ / ٢٩٦ .

وقال أيوب بن وائل : أُتي ابن عمر بعشرة آلاف ، ففرّقها ، وأصبح يطلب لراحلته عَلَفًا بدرهمٍ نسيئة .

وعن نافع : بعث معاويةُ إلى ابن عمر بمائة ألف ، فما حال عليه الحول وعنده منها شيء .

وعن نافع : إن كان ابن عمر ليُفرِّق في المجلس ثلاثين ألفًا ، ثم يأتي عليه شهرٌ ما يأكُل مُزْعَةَ لحمٍ[1]. واشتهى في مرضه إن يأكل حُوتًا ، ومرةً أخرى اشتهى عنبًا ، فلما جيء به إليه تصدَّق به[2].

عن نافع قال : مرض ابن عمر ، فاشتهى عنبًا أول ما جاء ، فأرسلت امرأته بدرهم فاشترت به عنقودًا ، فاتَّبع الرسولَ سائلٌ ، فلما دخل قال : السائل ، السائل . فقال ابن عمر : أعطوه إياه . ثم بعثت بدرهم آخر ، قال : فاتبعه السائل ، فلما دخل قال : السائل ، السائل . فقال ابن عمر : أعطوه إياه.فأعطوه ، وأرسلت صفية إلى السائل تقول : والله لئن عُدتَ لا تصيب مني خيرًا ، ثم أرسلت بدرهم آخر ، فاشترت به[3].

سيد الخزرج سعد بن عبادة رضي الله عنه :

الصحابي الجليل ، والسيد الكبير ، النقيب الأنصاري أبو قيس .

عن ابن سيرين : كان سعد بن عبادة يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين من أهل الصُّفَّة يعشِّيهم .

---

(١) رجاله رجال الصحيح . أخرجه في « الحلية » ١ / ٢٩٥ ، ٢٩٦ . والمُزْعَة : القِطعة اليسيرة من اللحم .

(٢) رواه أبو نعيم ١ / ٢٩٧ - ٢٩٨ ، وابن عساكر . والحوت يعني السمك .

(٣) رجاله ثقات ؛ أخرجه الذهبي في « السير » ، وأخرجه بنحوه ابن سعد ٤ / ١٥٨ .

وكان سعد ينادي على أُطمهم : من أحبَّ الشَّحم واللحم فليأتِ أُطُم دُليم بن حارثة[١] .

وعن عروة بن الزبير قال : كان منادي سعد بن عبادة ينادي على أطمه[٢] : من كان يريد شحمًا ولحمًا فليأتِ سعدًا . وكان سعد يقول : اللهم هب لي حمدًا ، وهب لي مجدًا ، لا مجد إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمالٍ ، اللهم إنه لا يصلحني القليل ، ولا أصلح عليه[٣] .

قيس بن سعد بن عبادة ، الأمير المجاهد أبو عبد الله سيد الخزرج وابن سيدهم :

قال الذهبي في السير : وَجُودُ قيسٍ يُضرب به المثل .

قال الواقدي : حدَّثنا داود بن قيس ومالك وطائفة قالوا : بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة في سرية فيها المهاجرون والأنصار ، وهم ثلاثمائة ، إلى ساحل البحر إلى حيّ من جُهَيْنة ، فأصابهم جوعٌ شديد ، فأمر أبو عبيدة بالزاد فجمع حتى كانوا يقتسمون التمرة ؛ فقال قيس بن سعد : من يشتري مني تمرًا بجزر ؟ يوفيني الجزر هاهنا ، وأوفيه التمر بالمدينة ، فجعل عمر يقول : يا عجبًا لهذا الغلام ، يدين في مال غيره ! فوجد رجلًا من جُهَينة فساومه ، فقال : ما أعرفك . قال : أنا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم ، فقال : ما أعرَفَني بنسبك ، أما إن بيني وبين سعد خلة ، سيد أهل يثرب . فابتاع منه خمس جزائر ، كل جزور بوسق من تمر ، وأشهد له نفرًا ، فقال عمر : لا أشهد ، هذا يدين ولا مال له ، إنما المال لأبيه . **فقال الجهني :**

---

(١) سير أعلام النبلاء ١ / ٢٧٦ .

(٢) الأطم : الحصن .

(٣) صحيح عن عروة .

والله ما كان سعد لِيُخْني بابنه في شِقَّةٍ من تمرٍ ، وأرى وجهًا حسنًا . فنحرها لهم في ثلاثة مواطن ، فلما كان في اليوم الرابع نهاه أميره ، وقال : تريد أن تخرب ذمتك ولا مال لك ؟! قال : فحدثني محمد بن يحيى بن سهل عن أبيه عن رافع بن خديج قال : بلغ سعدًا ما أصاب القوم من المجاعة فقال : إن يكُ قيس كما أعرف فسوف ينحر للقوم ، فلما قدم قصَّ على أبيه ، وكيف منعوه آخر شيءٍ من النحر ، فكتب له أربع حوائط ، أدنى حائط منها يُجَدُّ خمسين وسقًا . فقيل : إن النبي ﷺ لما بلغه قال : « أما إنه في بيت جُودٍ » .

قال أبو عاصم : حدثنا جويرية قال : كان قيس يستدين ويطعم ، فقال أبو بكر وعمر : إن تركنا هذا الفتى أهلكَ مالَ أبيه ، فمشيَا في الناس ، فقام سعد عند النبي ﷺ وقال : من يُعذرني من ابن أبي قحافة وابن الخطاب يُبَخِّلان عليَّ أبي .

وهل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إلَّا وَشِيجُهُ ... ويُزرَعُ إلا في مَنَابِتِهِ النَّخْـلُ

وروى عمرو بن دينار ، سمع أبا صالح السّمان يذكر أن قيس بن سعد نحر لهم – يعني في تلك الغزوة – عدة جزائر ، وهذه الغزوة هي سرية الخبط ، أو غزوة سيف البحر[1] . قال الذهبي في « السير » (٣ / ١٠٤) : وقد جوَّدَ ابنُ عساكر طرقه .

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعثهم في بعْثٍ ، عليهم قيس بن سعد بن عبادة ، فجهدوا ، فنحر لهم قيس بن سعد تسع ركائب . قال عمرو في حديثه : فقال رسول الله ﷺ : « إن الجود لمن شيمة أهل ....

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣ / ١٠٥ – ١٠٦ ، وتاريخ ابن عساكر .

ذلك البيت »[١].

وعن يحيى بن سعيد قال : كان قيس بن سعد يُطعم الناس في أسفاره مع النبي ﷺ وكان إذا نفد ما معه تديَّن ، وكان يُنادي في كل يوم : هلموا إلى اللحم والثَّريد[٢].

قال ابن سيرين : كان سعد ينادي على أطمه : من أحبَّ شحمًا ولحمًا فليأت ، ثم أدركتُ ابنه مثل ذلك[٣].

وقيل : وَقَفتْ على قيس عجوزٌ فقالت : أَشكو إليك قلة الجُرْذان ، فقال : ما أحسن هذه الكناية ، املئوا بيتها خبزًا ولحمًا وسمنًا وتمرًا .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : باع قيس بن سعد مالًا من معاوية بتسعين ألفًا ، فأمر من نادى في المدينة ، من أراد القرض فليأت ، فأقرض أربعين ألفًا ، وأجاز بالباقي ، وكتب على من أقرضه ، فمرض مرضًا قَلَّ عوادُه ، فقال لزوجته ؛ قريبة أُخت الصِّدِّيق : لِمَ قَلَّ عُوّادي ؟ قالت : للدَّيْن . فأرسل إلى كل رجلٍ بصَكِّهِ ، وقال : اللهم ارزقني مالًا وفعالًا ، فإنه لا تصلح الفعال إلا بالمال[٤].

وفي « لباب الآداب » : مرض قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه ، فاستبطأ إخوانه عن عيادته ، فسأل عنهم ، فقيل : إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدَّيْن . فقال : أخزى الله مالًا يمنع الإخوان من الزيارة ،

---

(١) صحيح في ذكر النحر ، محتمل في المرفوع ، ذكره الدارقطني في « المستجاد » صـ ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣ / ١٠٦ ، وابن عساكر ١٤ / ٢٢٩ / أ .

(٣) السير ٣ / ١٠٦ .

(٤) السير ٣ / ١٠٦ ، ١٠٧ .

ثم أمر مناديًا فنادى : من كان لقيس عليه دين فهو في حلٍّ منه ، فكُسرت درجته بالعَشي لكثرة من عَادَه(١) .

السيد السِّبط ، ريحانة رسول الله ﷺ ، وسيد شباب أهل الجنة : الحسن ابن علي رضي الله عنهما :

قيل له : من الجَوَاد ؟ قال : الذي لو كانت الدنيا له فأنفقها لرأى على نفسه بعد ذلك حقوقًا(٢) .

كان رضي الله عنه يعطي الرجل الواحد مائة ألفٍ(٣) .

عن علي رضي الله عنه أنه خطب ، وقال : إن الحسن قد جمع مالًا ، وهو يريد أن يقسمه بينكم ، فحضر الناس ، فقام الحسن ، فقال : إنما جمعته للفقراء ، فقام نصف الناس(٤) .

قال أبو هارون : انطلقنا حجّاجًا ، فدخلنا المدينة ، فدخلنا على الحسن ، فحدّثناه بمسيرنا وحالنا ، فلما خرجنا بعث إلى كل رجل منا بأربعمائة ، فرجعنا ، فأخبرناه بيسارنا ، فقال : لا تردُّوا عليَّ معروفي ، فلو كنتُ على غير هذه الحال ، كان هذا لكم يسيرًا ، أما إني مزوِّدكم : إن الله يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة(٥) .

* * *

(١) لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ صـ ١٠٩ ، دار الكتب السلفية بالقاهرة .
(٢) لباب الآداب صـ ٨٤ .
(٣) السير ٣ / ٢٥٣ .
(٤) السير ٣ / ٢٦١ .
(٥) تهذيب ابن عساكر ٤ / ٢١٨ .

الإمام الشريف الكامل، سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا الحسين الشهيد:

قال سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة: حدثني ظِئْر كان لنا قال: **قدمت بأَبَاعِرَ لي - عشرين أو ثلاثين بعيرًا - ذا المروة، أريد المِيرة** من التمر، فقيل لي: إن عمرو بن عثمان في ماله، والحسين بن علي في ماله. قال: فجئت عمرو بن عثمان فأمر لي ببعيرين أن يُحمَل لي عليهما، فقال لي قائل: ويلك، ايتِ الحسينَ بن علي. فجئته ولم أكن أعرفه، فإذا رجل جالس بالأرض حوله عبيده، بين يديه جفنة عظيمة فيها خبز غليظ ولحم، وهو يأكل وهم يأكلون معه، فَسَلَّمت، فقلت: والله، ما أرى أن يعطيني هذا شيئًا. فقال: هَلُمَّ فكلْ، فأكلت معه، ثم قام إلى ربيعِ الماء - مجراه - **فجعل يشرب بيديه ثم غسلهما وقال: ما حاجتك؟ فقلت: أمتع الله بك، قدمت بأَبَاعر أُريد المِيرة من هذه القرية، فذُكِرْتَ لي فأتيتك لتعطيني مما أعطاك الله. قال: اذهب فأتني بأَبَاعِرك. فجئت بها، فقال: دونك** هذا المِرْبد فأوقرها من هذا التمر، فأوقرتها والله ما حَمَلَتْ. ثم انطلقت فقلت: بأبي وأمي، هذا والله الكرم[1].

وقدم على الحسين شيخٌ من بني سعد بن بكر فقال: يا ابن بنت رسول الله، إن ابن أخ لي أصاب دمًا، وقدمت أستعين هذا الحيّ من قريش على ديته، فرأيت أن أبدأ بك. فقال: والذي نفس حسين بيده، ما أصبح في بيتي دينار ولا درهم، وما غدوت إلى السوق إلا لألتمس العينة في بعض نفقاتنا وما لا بدّ منه، ولكني أراك رجلًا جلدًا، وقد حان حصاد مالي بذي المروة عَيْنِ يُحَنَّسَ، فاخرج إليها فقم عليها بِعِمالةٍ، ثم احصد ودُقّ

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ ١١١ .

وبعْ ، فإنها مؤدية عنك ، ولا تسأل أحدًا شيئًا . فقال : أفعل ، بأبي وأمي ، وكتب إلى قيِّمه : انظر فلان بن فلان ، فخلِّ بينه وبين حصاد أرضك ، فإني قد أعطيته إياه ، فخرج فحصدها ، فباع منها بعشرين ألف درهم ، فأدى اثني عشر ألفًا واستفضل ثمانية آلاف(١).

حكيم بن حِزام رضي الله عنه :

قال حكيم : ما أصبحتُ صباحًا قطُّ ، فرأيت بفنائي طالبَ حاجة قد ضاق بها ذرعًا فقضيتها ، إلا كانت من النعم التي أحمد الله عليها ، ولا أصبحتُ صباحًا لم أرَ بفنائي طالب حاجة ، إلَّا كان ذلك من المصائب التي أسأل الله عز وجل الأجر عليها(٢).

قال عبد الملك بن مروان : ما كنت أحب أن أحدًا ولدني من العرب إلا عروة بن الورد لقوله :

أتهزأُ مني أن سَمنت وأن ترى ... بجسميَ مسَّ الجوعِ والجوعُ جاهِدُ
لأني امرؤٌ عافى إنائي شركةٌ ... وأنت امرؤ عافى إناءك واحدُ
أُقسِّم جسمي في جسومٍ كثيرةٍ ... وأحسو قراحَ الماءِ والماء باردُ(٣)

ومن أجواد أهل الإسلام :

قال ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (١ / ٢٩٣ - ٢٩٤) :
« وأما أجواد أهل الإسلام فأحد عشر رجلًا في عصر واحد ، لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم :

فأجواد الحجاز ثلاثة في عصر واحد : عبيد الله بن عباس ، وعبد الله

---

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ ١٢١ .
(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ ١٠٧ .
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ١ / ٢٣٦ - ٢٣٧ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر .

ابن جعفر ، وسعيد بن العاص .

وأجواد البصرة خمسة في عصر واحد ، وهم : عبد الله بن عامر ابن كُريز ، وعُبيد الله بن أبي بكرة مولى رسول الله ﷺ ، ومسلم بن زيادة ، وعبيد الله بن معمر القرشي ثم التيمي ، وطلحة الطلحات ، وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي .

وأجواد أهل الكوفة ثلاثة في عصر واحد ، وهم عَتّاب بن ورقاء الرياحي ، وأسماء بن خارجة الفزاري ، وعكرمة بن ربعي الفيّاض » .

عَلَمُ الجُود عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما :

إنه أول من فطّر جيرانه ، وأول من وضع الموائد على الطرق ، وأوّل من حيًّا على طعامه ، وأول من أنهبه .

من جوده : أنه أتاه رجلٌ وهو بفناء داره ، فقام بين يديه فقال : يا ابن عباس ، إنّ لي عندك يدًا ، وقد احتجت إليها . فصعَّد فيه بصره وصوَّبه ، فلم يعرفه ، ثم قال له : ما يدُك عندنا ؟ قال : رأيتك واقفًا بزمزم وغلامك يمتحُ[1] لك من مائها ، والشمس قد صهرتك ، فظللتك بطرف كسائي حتى شربتَ . قال : إني لأذكر ذلك ، وإنه يتردَّدُ بين خاطري وفكري ، ثم قال لقيّمِهِ : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم ، قال : فادفعها إليه ، وما أُراها تفِي بحق يده عندنا ، فقال له الرجل : والله لو لم يكن لإسماعيل ولدٌ غيرك لكان فيه ما كفاه ، فكيف وقد وَلد سيد الأولين والآخرين محمدًا ﷺ ، ثم شفعه بك وبأبيك .

ومن جوده أيضًا : أن معاوية حَبَسَ عن الحسين بن علي صِلاتِه حتى

---

(١) المتح : الاستسقاء .

ضاقت عليه حاله ، فقيل له : لو وجهت إلى ابن عمك عبيد الله ، فإنه قد قدم بنحوٍ من ألفِ ألفِ درهم . فقال الحسين : وأين تقع ألف ألف من عبيد الله ! فوالله لهو أجود من الريح إذا عصفت ، وأسخى من البحر إذا زخر . ثم وجه إليه مع رسوله بكتابٍ ذكر فيه حَبْسَ معاوية عنه صِلاته وضِيقَ حاله ، وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم ، فلما قرأ عبيد الله كتابه ، وكان مِن أرقّ الناس قلبًا وألينهم عطفًا ، انهملت عيناه ، ثم قال لِقَهْرَمَانِهِ : احمل إلى الحسين نصف ما أملكَه من فضةٍ وذهبٍ وثوب ودابة ، وأَخْبِرْه أني شاطرته مالي ، فإنْ أقنعه ذلك ، وإلا فارجع واحمل إليه الشطر الآخر ، فقال له القيِّم : فهذه المؤن التي عليك ، من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بلغنا ذلك دللتُك على أمرٍ يقيم حالك . فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين ، قال : إنَّا لله ، حَمَلتُ والله على ابن عمي ، وما حسبته يتسع لنا بهذا كله ، فأخذ الشطر من ماله . وهو أول من فعل ذلك في الإسلام .

ومن جوده : أن معاوية بن أبي سفيان أهدَى إليه وهو عنده بالشام من الهدايا حُللًا كثيرة ، ومسكًا وآنية من ذهب وفضّة ، ووجهها مع حاجبه ، فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها ، فقال : هل في نفسك منها شيء ؟ قال : نعم والله ، إنَّ في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام . فضحك عُبيد الله ، وقال : **فشأنك بها فهي لك . قال : جُعلت فداك ، أخاف أن يبلغ ذلك معاوية** فيجد عليّ . قال : فاختمها بخاتمك ، وادفعها إلى الخازن ، فإذا حان خروجنا حملها إليك ليلًا . فقال الحاجب : والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم .

ومن جوده أيضًا : أنه جاءه رجلٌ من الأنصار فقال : يا ابن عم رسول الله ﷺ ، إنه وُلد لي في هذه الليلة مولود ، وإني سميته باسمك

تبرُّكًا مني به ، وإنَّ أمه ماتت . فقال عبيد الله : بارك الله لك في الهبة ، وأجزل لك الأجر على المصيبة . ثم دعا بوكيله ، فقال : انطلق الساعة فاشترِ للمولود جارية تحضنه ، وادفع إليه مائتي دينار للنفقة على تربيته ، ثم قال للأنصاري : عُد إلينا بعد أيامٍ ؛ فإنك جئتنا وفي العِيس يُبسٌ وفي المال قلّة . قال الأنصاري : لو سَبقتَ حاتمًا بيوم واحد ما ذكرتْه العرب أبدًا ، ولكنه سبقك فصرت له تاليًا ، وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده ، وطلُّ كرمك أكثر من وابله[1].

لله دَرُّ بيت النبوة : هذه هِزة كريم حسيب !!

ومن جوده : أنه خرج يريد معاوية ، فأصابته السَّماء وهو في أرضٍ قفر ليلًا ، فرُفعت له نأرٌ ، فقال لغلامه مِقسَم : اقصد بنا النار ، فأتاها ، فإذا شيخ معه أهله ، وكان عبيد الله من أجمل الناس ، فلما رآه الشيخ أعظمه ، وقال لامرأته : إن كان هذا قرشيًّا فهو من بني هاشم ، وإن كان يمانيًّا فهو من بني آكل المرار ، فهيِّئي لنا عنزك أقضي بها ذِمَامه ، فقالت له امرأته : إذن تموت ابنتي من الجوع ، قال الشيخ : الموت خير من اللؤم ، فأخذ الشَّفرة وقام إلى العنز وهو يقول :

قَرِينَتَا لا توقظي بُنَيَّهْ ... إنْ تُوقظيها تَنْتحبْ عَلَيَّهْ

وتنزعُ الشفرةَ من يَدَيَّهْ ... أَبْغِضْ بهذا وبذا إليَّهْ

فذبحها ، وحدَّث عبيد الله حتى نضجت ، فأكل عبيد الله منها وبات ليلته ، فلما قَرُبَ الرحيل قال لمقسم : كم معك من نفقتنا ؟ قال : خمسمائة دينار ، قال : أَلقها إلى الشيخ ، قال مقسم : سبحان الله ! إنما

---

(١) العقد الفريد ١ / ٢٩٥ - ٢٩٦ .

كان يكفيه أن تضعف له ثمن عنزه ، والله ما يعرفك ولا يدري من أنت !! قال : لكني أعرف نفسي ، وأدري من أنا ! هذا لم يكن له من الدنيا غير هذه العنز فجاد لنا بها ، وهو لا يعرفنا ، فخرج من دنياه ، وأعطيناه بعض دنيانا ، فهو أجود منا ! وسار عبيد الله حتى قدم على معاوية ، وقضى حوائجه ، فلما انصرف قال : يا مقسم ، مُرَّ بنا على الشيخ ننظر كيف حاله ، فإذا إبل عظيمة، وأنشده الشيخ شعرًا قال فيه :

تَوسَّمْتــــه لمــــا رأيت مهــابةً ... عليه وقلتُ المرءُ من آلِ هاشمِ
وإلّا فمــن آلِ المُــرار فإنهــم ... ملوكُ ملوكٍ من ملوكٍ خَضَارمِ
فقمــتُ إلى عَــنْزٍ بقـية أعـنز ... فأذْبحَها فعلَ امرئٍ غير عاتمِ
فعـوّضني منها غناي ولم تكـن ... تساوي عَنَاقي غير خمس دراهم
فقلتُ لعُرسي في الخلا وصبيتي ... أألحق هذا أوْ هُوَ أضغاث حالمِ
فقالوا جميعًا لا ، بل الحق هذه ... يَخُبُّ بها الركبانُ وسْط المواسمِ
بخمسِ مِئِينٍ مـن دنانير عُـوِّضَتْ ... من العنز ما جادتْ بها كَفُّ حاتمِ

فلما ارتحل عبيد الله سار الشيخ في العرب بالذي صنع عُبيد الله ، وبلغ ذلك معاوية ، فقال : للهِ عُبيد الله !! مـن أيِّ بيضةٍ خرج ، ومن أي عشٍّ دَرَج ! وهذا لعمري من فَعلاته[1]!!

وقال عبيد الله للحسن والحسين : « إن الله تبارك وتعالى عوّدني عادة جميلة ، فعوّدتها عبادَهُ ، ولستُ آمن إن قطعتُ عادتي عن عباده أن يقطع عادته عنّي . فقالا : لا نأمرك في هـذا بشيءٍ . وقاما وانصرفَا حـامدَيْن لأمره »[2].

---

(١) لباب الآداب صـ ٩٩ - ١٠٠ .
(٢) لباب الآداب صـ ١١٨ .

عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما :

قال عنه الذهبي في السير : كان كبير الشأن ، جوادًا ، يصلح للإمامة .

عن ابن سيرين رحمه الله قال : جلب رجل من التجار سُكَّرًا إلى المدينة ، فكسد عليه ، فبلغ عبد الله بن جعفر ، فأمر قَهْرمانه أن يشتريه ، وأن ينهبه الناس[1] .

« قال الحميدي : سمعت القدّاح يذكر أن رجلًا عَرَض لعبد الله وقد خرج من باب بني شيبة فقال : يا ابن الطيار في الجنة ، صِلْني بنفقةٍ أتبلَّغ بها إلى أهلي ، كرّم الله وجهك . قال : فرمى إليه برمّانةٍ من ذهبٍ كانت في يده ، فوزنها الرجل فإذا فيها ثلاثمائة مثقال .

وعن الشعبي قال : كان لعبد الله بن جعفر على رجلٍ من أهل المدينة خمسون ألفًا ، فاستعان عليه بعُبيد الله بن عباس في ذلك فقال : قد حططتُ عنه شطرها وأخرته بالشطر الآخر إلى ميسوره . قال : فجزاه عُبيد الله خيرًا وانصرف ، فأتْبعه ابن جعفر رسولًا : إني قد طيّبت له النصف الآخر »[2] .

ومن جوده أيضًا : أنه أعطى امرأةً سألته مالًا عظيمًا . فقيل له : إنها لا تعرفك ، وكان يُرضيها اليسير . قال : إن كان يُرضيها اليسير فإني لا أرضى إلّا بالكثير ، وإنْ كانت لا تعرفني فإني أعرف نفسي .

قيل : إن أعرابيًّا قصد مروان فقال : ما عندنا شيء ، فعليك بعبد الله ابن جعفر . فأتى الأعرابيُّ عبدَ الله فأنشأ يقول :

أبو جعفر من أهل بيت نبوَّة ... صَلاتهم للمسلمين طَهورُ

---

(١) المستجاد صـ ٧٧ .

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ ١٠٨ - ١٠٩ .

أبا جعفرٍ ضنَّ الأميرُ بمالِهِ وأنت على ما في يديك أميرُ
أبا جعفر يا ابن الشَّهيد الذي له جناحان في أعلى الجنان يطيرُ
أبا جعفرٍ ما مثلك اليومَ أرتجي فلا تتركنِّي بالفلاةِ أدورُ

فقال : يا أعرابي ، سار الثقل ، فعليك بالراحلة بما عليها ، وإياك أن تُخدع عن السيف ، فإني أخذته بألفِ دينار .

ويروى أن شاعرًا جاء إلى عبد الله بن جعفر فأنشده :

رأيتُ أبا جعفرٍ في المنامِ كساني من الخزِّ درّاعةْ
شكوتُ إلى صاحبي أمرها فقال ستُوتَى بها السَّاعةْ
سَيكْسُوكَها الماجدُ الجعفريُّ وَمَنْ كَفُّه الدهرَ نفّاعةْ
ومَنْ قال للجود لا تعدُني فقال له السمعُ والطاعةْ

فقال عبد الله لغلامه : أعطه جبتي الخزّ ، ثم قال له : ويحك ، كيف لم تَرَ جبتي الوَشْي ، اشتريتها بثلاثمائة دينار منسوجة بالذهب ، فقال : أنام فلعلِّي أراها ، فضحك عبد الله ، وقال : ادفعوها إليه .

وعن الأصمعي : أنَّ امرأةً أتت بدجاجة مَسْموطة فقالت لابن جعفر : بأبي أنت هذه الدجاجة كانت مثل بنتي ، فآليت ألّا أدفنها إلا في أكرم موضع أقدر عليه ، ولا والله ما في الأرض أكرم من بطنك ، قال : خذها منها واحملوا إليها ، فذكر أنواعًا من العطاء حتى قالت : بأبي أنت ، إن الله لا يحب المسرفين .

وذكر الزبير بن بكّار أن عبيد الله بن مليكة عن أبيه عن جده قال : دخل ابن أبي عمّار ، وهو يومئذ فقيه أهل الحجاز ، على نخّاس[1] ،

---

(١) مَنْ يَبيعُ العبيد والرقيق والجواري .

فعرض عليه جاريةً فعلق بها ، وأخذه أمر عظيم ، ولم يكن معه مقدار ثمنها ، فمشى إليه عطاء وطاووس ومجاهد يعذلونه ، وبلغ خبره عبد الله فاشتراها بأربعين ألفًا ، وزينها وحلّاها ، ثم طلب ابنَ أبي عمار فقال : ما فعل حبك فلانة ؟ قال : هي التي هام قلبي بذكرها ، والنفسُ مشغولة بها ، فقال : يا جارية ، أخرجيها . فأخرجتها ترفل في الحليِّ والحلل ، وقال : شأنك بها ، بارك الله لك فيها ، فقال : لقد تفضلت بشيءٍ لا يتفضل به إلا اللهُ . فلما ولّى بها ، قال : يا غلام ، احمل معه مائة ألف درهمَ . فقال : لئن والله وُعدنا نعيم الآخرة ، فقد عَجّلت نعيم الدنيا[1] .

وفي العقد الفريد (١ / ٢٩٧) : « قال : ما فعل حب فلانة ؟ قال : في اللحم والدم والمخ والعصب . قال : أتعرفها لو رأيتهَا ؟ قال : لو أُدخلتُ الجنة لم أُنكرها . فأمر بها عبدُ الله أن تخرج إليه وقال له : إنما اشتريتها لك ، ووالله ما دنوتُ منها ، فشأنك بها ، مباركًا لك فيها . فلما ولَّى قال : يا غلام ، احمل معه مائة ألف درهم ينعم بها معها . قال : فبكى عبد الرحمـٰن فرحًا ، وقال : يا أهل البيت ، لقد خصَّكم الله بشرف ما خصَّ به أحدًا قبلكم من صلب آدم ، فتهنئكم هذه النعمة وبورك لكم فيها » .

وعن العمري أن ابن جعفر أسلف الزبير ألف ألف ، فلما تُوفي الزبير قال ابن الزبير لابن جعفر : إني وجدتُ في كتبِ الزبير أنَّ له عليك ألف ألف . قال : هو صادق . ثم لقيه بعد ، فقال : يا أبا جعفر ، وهمتُ، المال لك عليه : قال : فهو له . قال : لا أريد ذلك[2] .

---

(١) السير ٣ / ٤٦١ .

(٢) السير ٣ / ٤٦٠ .

جُــودُ أعــرابيّ :

قال شيخٌ من بني عمرو بن كلاب : خرج عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما يريد الشَّام ، فألجأه المطر إلى أبياتٍ ، فإذا قبّة حمراء بفنائها رجل ينادي : الذَّري الذَّري[١] ، قال عبد الله : فأنخنا فدخلنا القبّة ، وحُطَّ عن رواحلنا ، ثم أتى بجزور فذبحها ، فبتنا في شواء وقديد ، وتحدّث معنا من الليل هُنيهةً ثم انصرف . فلما أصبح وقف عن القبّة ، وسألنا عن سَبيتنا ، وانصرف ، فأتى بجزورٍ فعقرها ، فقلنا : رحمك الله ، ما تريدُ إلى هذا ؟! قال : كلوا رحمكم الله طريًّا ، فإنا لا نُطعم الضيف غَابًّا[٢] . قال عبد الله رحمه الله : فدعوت بثوبٍ فجعلت فيه زعفرانًا ، وصَرَرتُ في طرفٍ منه مائة دينار ، ثم بعثت به إلى أهله ، فقالوا : إنّا لا نقدر على أخذه إلا بإذنه . فسألته أن يقبله مني فأبى ، فلما ارتحلنا وودّعْته أمرتُ فأُلقي الثوب بين البيوت ومضينا ، فإنا لنسير إذ لحقنا على فرسٍ مشرعًا رمحه ، قد احمرَّتْ عيناه ، والثوب بين يديه ، فصاح بنا : أغنوا[٣] عني هذا . ونبذه إلينا ، وولَّى وهو يقول :

وإذا أخــذتُ ثواب ما أعطيتُـهُ   فكفـى بذاكَ لِنَـائلي تَكْـديرَا

ضرار بن القعقاع رضي الله عنه :

عـن قتيبة بن مسلم قال : كان في مكز[٤] دماء ، فاجتمعوا لها في المسجد الجامع ، فأرسلني أبي إلى ضرار بن القعقاع ، فقال لي : قل له : إن قومك قد اجتمعوا في هذه الدماء ، فاحضرهم . فانتهينا إلى المسجد الجامع

(١) الذري : الكنُّ ، يعني : ما كَنَّك .
(٢) الغابُّ : هو اللحم البائت .
(٣) أي اصرفوه عني وكفوه .
(٤) مكز : بلد بالمشرق من بلاد مكران .

وهم حلق . قال : فنظر إلى عين الشمس فجعلها في ظهره ، ثم جلس ، قال : فجعلوا يتحوّلون إليه رجلًا ورجلين ، حتى صاروا حوله ، ثم جعلوا يتهاترون ، وهو ينكت في الأرض ، فلما انتصف النهار ، قال له رجل : يا أبا القعقاع ، ألا تكلّم ؟! أما ترى ما فيه قومك ؟! فقال : أو قد احتجتم إلي ذلك ؟! قالوا : نعم . فقال للمطلوبين : أمّا أنتم فبراء ، وقال للطالبين : حقُّكم إليّ . قال : فكأنما كانت نارًا طُفيت ، فقاموا فتفرقوا ، وأرسل إلى آبل مأبله بالبادية ، فوَدَى تلك الدِّيات[1] .

عدي بن حاتم رضي الله عنه :

قال ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (١ / ٣٠٩) : دخل عليه ابن دارة فقال : إني مدحتك ، قال : أمسك حتى آتيك بمالي ثم امدحني على حسن ، فإني أكره ألَّا أعطيك ثمن ما تقول ؛ لي ألف شاة ، وألف درهم ، وثلاثة أعبد ، وثلاث إماء ، وفرسي هذا حَبْس في سبيل الله ، فامدحني على حسب ما أخبرتك. فقال :

تحِـنُّ قلوصـي في مَعَدّ وإنمـا ... تلاقي الربيعَ في ديارِ بني ثُمَـلْ
وأبقى الليالَي من عديّ بن حاتمٍ ... حسامًا كَنَصْلِ السيفِ سُلَّ من الخللْ
أبوك جَـوادٌ لا يُشَـقّ غبـارُه ... وأنت جـوادٌ ما تَعَـذّرُ بالعِـللْ
فـإنْ تتقـوا شـرًّا فمثلكـمُ اتّقـى ... وإنْ تفعلـوا خـيرًا فمثلكمُ فعـلْ

قال له عدي : أمْسِكْ ، لا يبلغ مالي أكثر من هذا .

جُودُ سعيد بن العاص :

عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري قال : قدم أعرابي المدينة يطلب في أربعِ دياتٍ حملها ، فقيل له : عليك بالحسن بن علي ، عليك بعبد الله

---

(١) المستجاد صـ ٨٢ ، ٨٣ .

ابن جعفر ، عليك بسعيد بن العاص ، عليك بعبد الله بن العباس ، فدخل المسجد فرأى رجلًا يخرج معه جماعة ، فقال : من هذا ؟ فقيل : سعيد ابن العاص . قال : هذا أحد أصحابي الذين ذُكِرُوا لي ، فمشى معه فأخبره بالذي قدم له ومن ذُكِر له وأنه أحدهم ، وهو ساكت عنه لا يجيبه ، فلما بلغ باب منزله قال لخازنه : قُلْ لهذا الأعرابي فليأت بمنٍّ يُحمل له . فقيل له : ايتِ بمنٍّ يُحمل لك . قال : عافى الله سعيدًا ، إنما سألناه وَرِقًا ولم نسأله تمرًا . قال : ويحك ، ايت بمنٍّ يُحمل لك ، فأخرج إليه أربعين ألفًا ، فاحتملها الأعرابي فمضى إلى البادية ولم يلق غيره[1] .

ومن جوده : أنه مرض وهو بالشام ، فعاده معاوية ومعه شرحبيل ابن السِّمطِ ، ومسلم بن عقبة المرّي ، ويزيد بن شجرة الرَّهاوي ، فلما نظر سعيدُ معاوية وثب عن صدر مجلسه إعظامًا لمعاوية ، فقال له معاوية : أقسمت عليك أبا عثمان ألَّا تتحرك ، فقد ضعفت بالعلّة ، فسقط ، فتبادر معاوية نحوه حتى حَنَا عليه وأخذ بيده ، فأقعده على فراشه وقعد معه ، وجعل يُسَائله عن عِلَّته ومنامه وغذائه ، ويصفْ له ما ينبغي أن يتوقّاه ، وأطال القعود معه ، فلما خرج التفت إلى شرحبيل بن السِّمط ، ويزيد بن شجرة فقال : هل رأيتما خللًا في مال أبي عثمان ؟ فقالا : ما رأينا شيئًا ننكره . فقال لمسلم بن عقبة : ما تقول ؟ قال : رأيت . قال : وما ذاك ؟ قال : رأيت على حشمه ومواليه ثيابًا وسخة ، ورأيت صحن داره غير مكنوس ، ورأيت التُّجار يخاصمون قَهْرَمانه . قال : صدقت ، كل ذلك قد رأيته . فوجَّه إليه مع مسلم بثلاثمائة ألف . فسبق رسولٌ يُبشّره بها ويخبره بما كان ، فغضب سعيد وقال للرسول : إن صاحبك ظنَّ أنه أحسن فأَساء ، وتأوَّل فأخطأ ؛ فأما وسخ ثياب الحَشَم فمن كثرة حركته اتَّسخ

(١) مكارم الأخلاق صـ ١١٦ - ١١٧ .

ثوبه ؛ وأما كَنْس الدار فليست أخلاقنا أخلاق من جَعَل داره مِرْآته ، وتزيّنه لبسه ، ومعروفه عطره ، ثم لا يبالي بمن مات هزلًا من ذي لُحمة أو حُرمة . وأما منازَعة التجار قهرماني ؛ فمن كثرة حوائجه وبيعه وشرائه لم يجد بُدًّا من أن يكون ظالمًا أو مظلومًا ، وأما المال الذي أمر به أمير المؤمنين فوصلتُه كل ذي رَحِم قاطعة ، وَهَنأته كرامته المُنعَم بها عليه ، وقد قبلناه وأمرنا لصاحبك منه بمائة ألف ، ولشرحبيل بن السمط بمثلها ، وليزيد بن شجرة بمثلها . وفي سعة الله وبسط يد أمير المؤمنين ما عليه مُعَوَّلنا . فركب مسلم بن عقبة إلى معاوية فأعلمه . فقال : صدق ابن عمي فيما قال ، وأخطأت فيما انتهيت إليه ، فاجعَل نصيبك من المال لروح بن زنباع عقوبة لك ، فإنه من جَنَى جناية عُوقب بمثلها ، كما أنه من فعل خيرًا كُوفىء عليه .

وقال له معاوية يومًا : أخبرني عن مَالِكَ ، فقد نبئتُ أنك تتجر فيه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لنا مال يَخْرجُ لنا منه فضلٌ ، فإذا كان ما خرج قليلًا أنفقناه على قلّته ، وإن كان كثيرًا فكذلك ، غير أنا لا ندخر منه شيئًا عن مُعْسر ولا طالب ولا مستحمل ، ولا نستأثر منه بفلذة لحم ، ولا مُزعة شحم . قال : فكم يدومُ لك هذا ؟ قال : من السَّنة نصفها . قال : فما تصنع في باقيها ؟ قال : نجد من يسلّفنا ويسارع إلى معاملتنا . قال : ما أحدٌ أحوج إلى أن يُصلح من شأنه منك . قال : إن شأننا لصالح يا أمير المؤمنين ، ولو زدت في مالي مثله ما كنت إلا بمثل هذه الحال . فأمر له معاوية بخمسين ألف درهم وقال : اشْترِ بها ضَيْعةً تُعينك على مروءتك . فقال سعيد : بل أشتري بها حمدًا وذكرًا باقيًا ، أُطعم الجائع ، وأُزوّج بها الأيِّم ، وأفك العاني ، وأواسي بها الصديق ، وأُصلح بها حال الجار . فلم تأت عليه ثلاثة أشهر وعنده منها درهم . فقال معاوية : ما فضيلة بعد

الإيمان بالله ، هي أرفع في الذكر ، ولا أنبه في الشرف من الجُودِ ، وحسبك أنَّ الله تبارك وتعالى جعل الجُود أحد صفاته[١].

ومن جوده أيضًا ما حكاه الأصمعي قال : كان سعيد بن العاص يَسْمر مع سمّاره إلى أن ينقضي حينٌ من الليل ، فانصرف عنه القوم ليلةً ورجل قاعد لم يقم . فأمر سعيد بإطفاء الشمعة وقال : حاجتك يا فتى ؟ فذكر أن علينا دينًا أربَعَة آلاف درهم ، فأمر له بها ، وكان إطفاؤه للشمعة أكثر من عطائه[٢].

قال سعيد بن العاص : قبّح الله المعروفَ إنْ لم يكن ابتدىء من غير مسألةٍ ، فالمعروف عِوضٌ عن مسألة الرجل إذا بذل وجهه ، فقلبه خائف ، وفرائصه ترتعد ، وجبينه يرْشح ، لا يدري أيرجع بنُجْحِ الطلب ، أم بسوءِ المُنقلب ، قد انتُقِعَ لونه ، وذهب دم وجهه ، اللهم إن كانت الدنيا لها عندي حظًّا فلا تجعل لي حظًّا في الآخرة .

ولله دَرُّ من قال :

وما الجودُ مَنْ يعطي إذا ما سألتَه ... ولكنَّ من يُعطي بغيرِ سُؤالِ

وسأل معاويةُ صعصعة بن صوحان : ما الجود ؟ فقال : التبرع بالمال ، والعطية قبل السؤال .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه : من كانت له إليَّ منكم حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة .

نعم ، فكل سؤالٍ وإنْ قلَّ أكثر من نوالٍ وإنْ جلَّ .

---

(١) العقد الفريد ١ / ٢٩٩ - ٣٠٠ .
(٢) العقد الفريد ١ / ٣٠٠ .

عبد الله بن عامر بن كُرِيْز القرشي :

عن عبد الله بن عباس رحمه الله قال : لقد رأيت من عبد الله بن عامر منظرًا لوددت أني كنت فعلته ؛ كنا في الربيع في المسجد ، فنشأت سحابة فأمطرت فتقوّضت الحِلَق ، فدعا ابن عامر بطيَالسةٍ ، فألقى على كل رجل من جُلسائه طيلسانًا مطبقًا ، ثم لم تلبث أن تَجَلَّتْ ، فقال : قوموا بها[(١)].

ولله دَرُّ ابن عامر **حين أقسم : لا يُغلق له باب ، فكانت أبوابه تبيت** مفتوحة[(٢)].

قال القاضي التنوخي : خرج رجلان من المدينة ، يريدان عبد الله بن عامر بن كُرَيز للوفادة عليه : أحدهما من ولد جابر بن عبد الله الأنصاري ، والآخر من ثقيف ، وكان عبد الله عاملًا بالعراق لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأقبلا يسيران ، حتى إذا كانا بناحية البصرة قال الأنصاري للثقفي : هل لك في رأي رأيته ؟ قال : اعرضه . قال : نُنيخ برواحلنا ونتوضَّأ ونصلِّي ركعتين ، نحمد الله عز وجل فيهما على ما قضى من سفرنا . قال له : نعم ، هذا الرأي الذي لا يُردُّ . قال : ففعلا . ثم التفت الأنصاري إلى الثقفي فقال له : يا أخَا ثقيف ، ما رأيك ؟ قال : وأي موضع رأي هذا ؟ قضيتُ سفري ، وأضنيت بدني ، وأتعبت راحلتي ، ولا مؤمّل دون ابن عامر ، فهل لك من رأي غير هذا ؟ قال : نعم ، إنني لما صليت فكّرت ، فاستحييتُ من ربي أن يراني طالبَ رزقٍ من عند غيره ، ثم قال : اللهم رازق ابن عامر ارزقني من فضلك ، ثم ولَّى راجعًا إلى المدينة . ودخل الثقفي إلى البصرة ، فمكث على باب ابن عامر أيامًا ، فلما أذن له دخل عليه ، وكان قد كُتب إليه من

---

(١) لباب الآداب ٩١ - ٩٢ .

(٢) لباب الآداب ١١٩ - ١٢٠ .

المدينة بخبرهما ، فلما رآه رَحَّبَ به وقال : أَلم أُخبر أنَّ ابن جابر خرج معك ؟ فأخبره ما كان منهما ، فبكى ابن عامر وقال : والله ما قالها أشرًا ولا بَطَرًا ولكن رأى مَجرى الرزق ومَخْرج النعمة ، فعلم أن الله عز وجل هو الذي فعل ذلك فسأله من فضله ، ثم أمر للثقفي بأربعة آلافٍ وكسوة ، وأضعف ذلك للأنصاري ، فخرج الثقفي وهو يقول :

أُمامةُ ما سَعْيُ الحريصِ بزائدٍ ... فتيلًا ولا عجزُ الضعيفِ بضائرِ
خرجنا جميعًا من مساقطِ روسنا ... على ثقةٍ منَّا بجُودِ ابن عامرِ
فلما أنخنا الناعجاتِ ببابه ... تأخّر عني اليثربي ابن جابرِ
وقال ستكفيني عطيةُ قادرٍ ... على ما يشاء اليوم للخلقِ قاهرِ
فإنَّ الذي أعطى العراقَ ابن عامر ... لَرَبِّي الذي أرجو لِسَدِّ مَفَاقِري
فلما رآني قال أين ابن جابرٍ ... وَحَنَّ كما حَنَّت عرابُ الأباعرِ
فأضعفَ عبدُ الله إذْ غاب حظُّه ... على حَظٍّ لهْفَانٍ من الحرص فاغرِ

الجود خِلْقةٌ أَثَرتْ عذوبة لذة الثناء على لذة المال ، وهو مِنْ أمهات المحاسن ، ومن الكرم بسبيل خاصة ، وبمكان رفيع من القلوب .

خرج عبد الله بن عامر بن كُرَيْز رحمه الله من المسجد يريد منزله ، وهو وحده ، فقام إليه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه ، فقال له عبد الله : ألك حاجة يا غلام ؟ قال : سلامتك وفلاحك ، رأيتك تمشي وحدك فقلت : أقيك بنفسي ، وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه ، فأخذ عبد الله بيده ، ومشى معه إلى منزله ، ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام ، وقال : استنفق هذه ، فَنِعْمَ ما أَدَّبك أهلُك .

واشترى رحمه الله من خالد بن عقبة بن أبي مُعيط دَارَه التي في السوق

بسبعين ألف درهم ، فلما كان الليل سمع بكاء آل خالد ، فقال لأهله : ما لهؤلاء ؟ قال : يبكون من أجل دارهم . قال : يا غلام ، ائتهم فأعلمهم أن المال والدار لهم جميعًا[1].

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :

قال عبد الله بن نمر : ما رأيتُ أحدًا بعد رسول الله ﷺ أجود من معاوية ، وهو أول من أعطى ألف ألف درهم في صدقة .

« قال مصعب الزبيري : حجَّ معاوية بن أبي سفيان ، فلما انصرف مرّ بالمدينة ، فقال الحسين بن علي لأخيه الحسن رضي الله عنهما : لا تَلْقَه ولا تُسَلِّم عليه ، فلما خرج معاوية رضي الله عنه قال الحسن : يا أخي ، إن علينا دَيْنًا ، ولا بُدّ لي أن أذهب إليه ، فلحقه بِثَنِيَّة النول ، وهو منحدر على الوادي ، فَسلَّم عليه وأخبره بديْنه ، فمرُّوا بِبُخْتِيٍّ عليه ثمانون ألف دينار ، وهو يضلع وهم يزجونه ، فقال معاوية : ما هذا ؟ قالوا : أعيا وعليه المال ، ونحن نزجّه ليلحق ، فقال : اصرفوه إلى أبي محمد ، فدفعه إليه وعليه ثمانون ألف دينار »[2].

ومن الأجواد:التابعيّ : عبيد الله بن أبي بَكْرة مولى رسول الله ﷺ :

عن قريش بن أنس قال : وجَّه محمد بن المهلب بن أبي صفرة إلى عُبيد الله بن أبي بكرة أنه أصابتني علّة ، فوُصف لي لبنُ البقر ، فابعث إليّ ببقرة أشرب من لبنها ، فبعث إليه بسبعمائة بقرة ورُعَاتها ، وقال : القرية التي كانت ترعى فيها لك[3].

---

(١) لباب الآداب صـ ١٤٣ – ١٤٥ .

(٢) لباب الآداب صـ ٨٧ .

(٣) رواه الذهبي في « السير » ، والمحاملي في « أماليه » ، وابن عساكر ، والدارقطني =

وعن ابن سيرين قال : اشتكى رجلٌ فوُصف له لبن الجواميس ، فبعث إلى عبيد الله بن أبي بكرة : ابعث إلينا بجاموسة ، قال : فبعث إلى قيِّمه: كم حلوب لنا ؟ قال : تسعمائة . قال : ابعث بها إليه ، قال : فلما أتته قال : إنما أردت واحدة . قال : فبعث إليه : اقبضها كلَّها[١].

وعن محمد بن عبد الرحمٰن الهمداني قال : رأى عبيد الله بن أبي بكرة على أبي الأسود الدّيلي جُبَّةً رثَّةً كان يكثر لبسها ، فقال : يا أبا الأسود ، أمَا تَمَلُّ هذه الجبَّة ؟ فقال : لَرُبَّ مَمْلولٍ لا يُستطاع فراقه . قال : فبعث إليه بمائة ثوب .

قال أبو الحسن المدائني : لقي ابن أبي بكرة سعيدَ بن عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد ولَّاه معاوية خراسان ، وابن أبي بكرة يريد المدينة ، فرأى خباءً مضروبًا رثًّا ، فقال : لمن هذا ؟ قالوا : لسعيد بن عثمان بن عفان ، يريد خراسان ، فمشى إليه ، وقال : أنت ابن أمير المؤمنين عثمان والي خراسان في هذه الهيئة ، اجعل طريقك بالبصرة ، واكتب إلى وكيلي يجهِّزك ، فكتب إلى وكيله سُليم الناصح أن أعطه عشرين ألفًا ، وعشرين عبدًا ، وعشرين بِرْذَونًا ، وعشرين بعيرًا ، وعشرين طَيْلسانًا ، فظن سعيد ابن عثمان أنه يهزأ به ، فدخل البصرة ، فنزل على مولى لعثمان بن عفان رحمه الله ، وقال : إن ابن أبي بكرة قد كتب إلى وكيله بشيءٍ ، أفَتراه يُنْفذ ما كتب به ؟ فأرسل إلى وكيله وأعطاه الكتاب ، فقال : أجِّلْني جمعةً ،

= في « المستجاد » .

(١) حسن : أخرجه الدارقطني في « المستجاد » ، وابن عساكر ، والذهبي وقال : هذا بعبيد الله أشبه من عبد الرحمٰن . وهو كذلك لسعة مال عبيد الله وشهرته في السخاء .

فأَجَّلَه ، فأتاه بما في الكتاب ، ثم قال له سليم : ألك حاجة ؟ فقال له سعيد : لو كانت لي حاجة كنتَ تَقْضيها ؟ قال : أمّا في مثل ما أعطاك مولاي ما كنت لأفعل ، فقال سعيد : ما أدري أيّكما أكرم[١] .

وَوَسَّعَ لعبيد الله بن أبي بكرة رجلٌ في مجلس ، فلما قام قال للرجل : الحقني ، فأمر له بعشَرة آلاف درهم .

وابتنى رحمه الله دارًا بالبصرة ، أنفق عليها عشرة آلاف دينار ، فدخل عليه فيها بعض أصحابه فاستحسنها ، فقال : هي لك بما فيها من الفُرُش والأثاث والرقيق ، فقال الرجل : عمَّرها الله بك ومتَّعك بها . فقال : والله لتقبلنَّها ، فقبلها .

ودخلت عليه امرأةٌ وقالت : سألت أحياءَ العرب : مَنْ المرجو نايله ؟ فأُرسلتُ إليك ودخلت عليك ، وأنا - أصلح الله أمرك - امرأة قد هلك عنها الوالد والولد ، وذهب الطارف والتالد ، ومثلك من يسدُّ الخلة ، ويزيح العلة ، فإمَّا أنْ تُحْسن صَفَدي فتقيمَ أَوَدي ، وإمَّا أنْ تَردَّني إلى بلدي . فقال : بل أجمعُ لك كلَّ ما ذكرتِ ، وأمر لها بعشرة آلاف درهم وزادٍ وكسوة وراحلة[٢] .

ومن جوده أنه أدلى إليه رجل بحرمة فأمر له بمائة ألف درهم ، فقال : أصلحك الله ، ما وَصَلَني أحدٌ بمثلها قط ، ولقد قطعت لساني عن شكرِ غيرك ، وما رأيت الدنيا في يدِ أحدٍ أحسن منها في يدك[٣] .

وكان رضي الله عنه ينفق على جيرانه أربعين دارًا من كل جانب ،

---

(١) لباب الآداب ٩٠ - ٩١ .

(٢) الدّر المنضود في ذم البخل ومدح الجود صـ ٧٢ .

(٣) العقد الفريد ١ / ٣٠٠ .

ويُفْطِر على الكسرة ، وكان يبعث إليهم بالأضاحي والكسوة في الأعياد ، وكان يعتق كلَّ سنة في عيد الفطر مائة مملوك[١] .

جود عُرابة الأوسي :

اجتمع جماعةٌ بفناء الكعبة ، فتذاكروا الأجواد ، وتلاحقوا ثلاثة منهم ؛ فقال أحدهم : أجود الناس عبد الله بن جعفر ، وقال أحدهم : أجود الناس قيس بن سعد ، وقال الآخر : أجود الناس عرابة الأوسي . وَكَثُرَ نزاعهم ، فقال رجل : ليمضِ كلُّ واحدٍ لصاحبه حتى ننظر ما يعطيه ، ونحكم على العيان . **فقام صاحب عبد الله ، فصادفه قد وضع رجله في الركاب يريد** سفرًا ، فقال له : يا ابن عم رسول الله ﷺ ، ابن سبيل ومنقطع به . فثنى رجله وقال : خذ الناقة بما عليها ، ولا تُخْدع على السيف فإنه من سيوف ابن أبي طالب ، قُوِّم عليَّ بألف دينار . فجاء بالناقة بما عليها .

ومضى الآخر إلى قيس بن سعد فوجده نائمًا ، فقال غلامه : ما حاجتك ؟ قال : ابن سبيل ومنقطع به ، قال : حاجتك أيسر من أن أُوقظه ، هذا كيسٌ فيه سبعمائة دينار ، والله ما في داره اليوم غيرها ، خذه وامضِ إلى معاطن الإبل بغلامه كذا ، إلى من فيها ، فخذْ راحلةً وعبدًا ، وامضِ لشأنك ، فلمّا انتبه قيس ، وأعلمه غلامه بما صنع أعتقه ، وقال : هلّا أيقظتني فكنت أزيده .

ومضى صاحب عرابة إليه ، فلقِيَه قد خرج من منزله يريد الصلاة ، **وهو متوكِّئ على عبدين ، وقد كُفَّ بصره ، فقال : ابن سبيل ومنقطع به .** فتخلَّى عن الغلامين ، وصفَّق بيديه وقال : أواه !! ما تركت الحقوق لعرابة مالًا ، خذ العبدين ، فقال الرجل : ما كنتُ بالذي أَقُصُّ جناحَيْك . قال :

---

(١) تنبيه المُغترين للشعراني .

إن لم تأخذهما فهما حُرَّان ، فإنْ شئت خذ وإن شئت فأعْتِق ، ورفع يديه عنهما ، وتركهما وأقبل يلتمس الحائط بيده ، فأخذ الرجل الغلامين ومضى . فأجمع الناس على أن عرابة أجود الثلاثة ، لأنه أعطى جهدًا من مقلّ وغيره أعطى من سعةٍ وفضل .

وفي عرابة يقول الشّماع :

رأيتُ عرابة الأوسيَّ يسمو ... إلى العَلْيَاءِ مُنْقطع القرينِ

إذا ما رأته رفعت لحد ... تلقَّاها عرابةُ باليمينِ[1]

قالت الحكماء : القليلُ من القليل أحمد من الكثير من الكثير .

وقالوا : جهد المُقِلّ أفضلُ من غِنى المُكثِر .

وقيل لبعض الحكماء : من أجودُ الناس ؟ قال : مَنْ جاد عن قلّةٍ ، وصان وجه السائل عن المذلة .

إنَّ الكريم ليُخْفي عنك عُسْرتَه ... حتى تراه غنيًّا وهْو مجهودُ

وللبخيل على أمواله عِلَلٌ ... زُرقُ العيونِ عليها أوْجُهٌ سُودُ

وقال حاتم :

أُضاحِكُ ضيفي قبل إنزالِ رَحْلِه ... ويُخصَبُ عندي والمحلُّ جَديبُ

وَمَا الخِصْبُ للأضيافِ أن يكثر القِرَىٰ ... ولكنَّما وَجْه الكريم خَصيبُ

أُويس القَرَني :

عن مغيرة قال : إن كان أُويس القرني ليتصدّق بثيابه حتى يجلس عُريانًا لا يجد ما يروح فيه إلى الجمعة .

---

(١) الدّر المنضود في ذم البخل ومدح الجود صـ ٧٠ - ٨١ .

وعن أصبغ بن زيد : كان أويس إذا أمسى تصدّق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب ، ثم قال : اللهم من مات جوعًا فلا تُؤاخذني به ، ومن مات عُريًا فلا تؤاخذني به[١].

وكان يقول في دعائه : « اللهم إني أعتذر إليك اليوم من كل كبدٍ جائعةٍ وبَدَنٍ عارٍ ، فإنه ليس في بيتي من الطعام إلَّا ما في بطني ، وليس لي شيء من الدنيا إلَّا ما على ظهري » . ولم يكن على ظهره حينذاك إلَّا خرقة .

إيه يا سيّد التابعين .. هذا والله الكرم .. وتعجز الكلمات عن أن توفيك قدرك .

قال رسول الله ﷺ : « أفْضَلُ الصدقة جهد المُقِلِّ ، وابدأ بمن تعُول »[٢].

زين العابدين علي بن الحسين رحمه الله :

عن عمرو بن دينار قال : دخل عليُّ بن الحسين على محمدِ بنِ أُسامة ابن زيد في مرضه فجعل يبكي ، فقال : ما شأنك ؟ قال : عليَّ دَيْن ، قال : كم هو ؟ قال : خمسة عشر أو بضعة عشر ألف دينار . قال : فهي عليّ .

وروى أبو نُعيم عن زين العابدين أنه أعتق غلامًا له أعطاه فيه عبد الله ابن جعفر عشرة آلاف درهم وألف دينار .

وعن سفيان : كان علي بن الحسين يحمل معه جرابًا فيه خبزٌ ، فيتصدّق

(١) السير ٤ / ٣٠ ، والحلية ٢ / ٨٤ ، ٢ / ٨٧ .
(٢) صحيح . رواه أبو داود ، والحاكم في « المستدرك » عن أبي هريرة وصححه ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١١١٢) .

به ويقول : إن الصدقة تُطفئ غضب الرَّبِّ عز وجل .

وكان يقول : ما يسرّني بنصيبي من الذُّلّ حُمْر النَّعم .

أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقِر :

قال الوصّافي : كنت عند أبي جعفر فقال : يُدخل أحدكم يده في كمّ أخيه أو كِيسِهِ ، فيأخُذ حاجَتَهُ ؟ قلنا : لا . قال : ما أنتم بإخوان[1].

شِنْشِنَة أَعْرِفُهَا مِنْ أخْزَم .. هذا كرم بيت النبوة .

ويرحم الله من قال من علماء سلفنا : إني لأستحي من الله عز وجل أن أسأله الجنة لأخٍ من إخواني ، أو أقول له : إني أحبك في الله ، ثم أمنعه شيئًا من الدنيا .. لا بل والله الدنيا كلها .

موسى الكاظِمُ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمه الله :

كان رحمه الله إذا بَلَغه عن الرجل ما يكره - يعني من الحاجة - بعث إليه بصُرَّة دنانير ، وكانت صِرارُه ما بين الثلثمائة إلى المائتي دينار فكانت صراره مَثَلًا بالمدينة[2].

فقيه الشام أبو عبد الله مكحول :

عن سعيد بن عبد العزيز أن مكحولًا أُعطي مرةً عشرة آلاف دينار ، فكان يُعطي الرجل من أصحابه خمسين دينارًا ثمن الفرس - أي ليغزو ويجاهد بها في سبيل الله - .

قال سعيد : وكان مكحول يقول : إذا أَعطيتَ ....

---

(١) إسناده حسن . رواه الدارقطني في المستجاد ، وأبو نعيم ، وابن أبي الدنيا في الإخوان ، وابن عساكر .

(٢) تاريخ الخطيب ١٣ / ٢٧ - ٣٢ .

فاجبُر[١] .

الحَكَم بن المطّلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي :

سأل أعرابيٌّ الحكمَ بن المطّلب ، فأعطاه مالًا ، فبكى الأعرابيُّ ، فقال الحاكم : ما يُبكيكَ ؟ قال : والله إني أَنْفَسُ على الأرض أن تأكُلَ مثلك إذا متَّ .

وفي العقد الفريد : فقال : ما يُبكيك يا أعرابي ؟ لعلَّك استقللتَ ما أعطيناك ؟ قال : لا والله ، ولكني أبكي لما تأكُل الأرض منك ، ثم أنشأ يقول :

وكأنَّ آدمَ حينَ حانَ وفاتُهُ   أوصاك وهْو يجودُ بالحَوْباءِ
ببَنِيهِ أنْ ترعاهمُ فرعيتَهُم   وكَفَيتَ آدمَ عَيْلَةَ الأبناءِ[٢]

قال العتبي : أخبرني رجل من أهل مَنْبِج ، قال : قدم علينا الحكم ابن حنطب وهو مُملِقٌ فأغنانا . قال له : كيف أغناكم وهو مُملق ؟ قال : علَّمنا المكارمَ ، فعاد غنيُّنا على فقيرنا .

ولما مات الحكمُ رثاه ابنُ هرمةَ فقال :

سألوا عن الجُودِ والمعروفِ أين هما   فقلتُ إنهما ماتا مع الحَكَمِ
ماتا مع الرجل المُوَفِّي بذِمَّتِهِ   يومَ الحِفَاظِ إذا لم يُوفَ بالذِّمَمِ
ماذا بمَنْبِجَ لو يُنْشَر مقابرُها   من التَّهَدُّمِ بالمعروفِ والكرمِ

خيثمة بن عبد الرحمٰن بن أبي سَبْرَة :

كان رحمه الله من فقهاء التابعين .

(١) المستجاد للدارقطني صـ ٩١ .
(٢) مكارم الأخلاق صـ ١٣٧ ، والعقد الفريد ١ / ٣٠٢ ، والحوباء : النفس .

وكان رحمه الله يحمل صُرَرًا – وكان موسِرًا – فيجلس في المسجد ، فإذا رأى رجلًا من أصحابه في ثيابه رَثَاثَةٌ ، اعترض له فأعطاه[1].

أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام رحمه الله :

« عن أبي عمر القرشي المكي قال : خرج قوم من قريش ، يريدون بعض الخلفاء في الشام ، فمرّوا قريبًا من أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث ابن هشام ، فقالوا : لو مِلْنا إلى أبي بكر . فمالوا إليه ، فحبسهم ثم أرسل إليهم بثوبٍ فيه مال تحمله عدَّة ، وقال : لو كان عندنا أكثر من هذا ، أرسلنا به إليكم . فلمّا رأوْا ذلك قالوا : ما نحتاج إلى الذهاب في وجهنا ، في هذا ما نكتفي به ». فارتحلوا ، فلم يَدْنُ منهم أحدٌ مِنْ غلمانه وحَشَمِه يُعينهم على رحلتهم ، فلمّا ودّعوه قالوا : لقد رأينا من برِّك وإكرامك وصنيعك ما أعْجَبَنا ، ولكنّا رأينا شيئًا أنكَرناه عند رحلتنا ، لم يدنُ منّا أحدٌ من غلمانك وحشمك فيعيننا على رحلتنا ، حتى تكلّفْنا نحن ذلك . فضحك وقال : إنهم لا يعينون أحدًا على رحلتهم عنا »[2].

هذا والله الكرم يَسْرِي من السَّيِّد إلى خدمه .

عمرو بن عُتبة :

دخل الفرزدق على عمرو بن عتبة وهو في داره بالزاوية ، فجعل يسلِت العرق عن وجهه وقال :

لولا ابنُ عُتبةَ عمرٌو والرَّجاءُ له ... ما كانتِ البصرةُ الحمقاءُ لي وَطَنَا
أعطانيَ المالَ حتى قلتُ : يُودعني ... أو قُلتُ : أودعَ لي مالًا رآه لنا

---

(١) أبو نعيم في « الحلية » ٤ / ١١٣ ، وابن سعد ٦ / ٢٠٠ .
(٢) « مكارم الأخلاق » لابن أبي الدنيا صـ ١٤٢ .

فجُودهُ مُكسِبٌ شُكرًا ومِنَّتهُ ... وكُلَّما ازدَدْتُ شُكرًا زَادَني مِنَنَا
يرمي بِهِمَّتِهِ أقْصَى مسافتِهَا ... ولا يُريدُ على معروفه ثَمَنَا[1]

محمد بن سيرين :

قال أبو خَلْدة : دخلنا على محمد بن سيرين رحمه الله ؛ أنا وعبدُ الله ابن عون ، فقال : ما أدري ما أُتحِفُكم ؟ كلٌّ منكم في بيته خبزٌ ولحمٌ ، ولكنْ سأُطْعِمُكم شيئًا لا أراه في بيوتكم . فجاء بِشُهْدَةٍ ، فكان يقطع بالسِّكِّين ويُلقمنا[2].

الحسن البصري :

قال رحمه الله : كُنَّا نعدُّ البخيل الذي يُقرض أخاه[3].

رحمك الله يا أبا سعيد .

قليلٌ منك يكفيني ولكنْ ... قَلِيلُك لا يُقالُ له قليلُ

طلحةُ الجودِ .. طلحةُ النَّدَى .. طلحة بن عبد الله بن عوف :

ابنُ أخي عبد الرحمٰن بن عوف .

« قال ابن عائشة : كان طلحة بن عبد الله بن عوف جوادًا ، وَوَلِيَ المدينة ، وأنشدني بعضُ قريش فيه :

يا طَلْحُ أنت أخُو النَّدَى وَعَقِيدُهُ ... إنَّ النَّدَى إن ماتَ طلحةُ ماتا
إن الفَعَالَ إليكَ أطْلَقَ رَحْلَهُ ... فبحيثُ بِتَّ مِنَ المنازل باتا

قدم الفرزدقُ المدينة وقد مات طلحة ، فقال : يا أهلَ المدينة ، أنتم

---

(١) مكارم الأخلاق صـ ١٣٤ .
(٢) لباب الآداب صـ ٨٠ - ٨١ .
(٣) حسن . رواه البيهقي في « شعب الإيمان » .

أذلُّ قومٍ في الأرض . قالوا : وما ذاك ؟ قال : غَلَبكم الموتُ على طلحة »[1].

الطَّلحات المعروفون بالكرم :

قال الأصمعيُّ :

طلحة بن عبيد الله التيمي ، وهو الفيَّاض .

وطلحة بن عمر بن عبيد الله بن عمرو ، وهو طلحة الجواد .

وطلحة بن عبد الله بن عوف الزهري ، وهو طلحةُ النَّدَى .

وطلحة بن الحسن بن علي ، وهو طلحةُ الخير .

وطلحة بن خلف الخزاعي ، وهو طلحة الطَّلَحاتِ . سُمِّي بذلك لأنه كان أجْوَدَهم[2].

طَلْحَةُ الطَّلَحاتِ : طلحة بن عبد الله بن خلف الخُزاعي :

أبو المطرف ، أحد الأجواد المشهورين . وفيه يقول الشاعر :

رحم الله أعظُمًا دفنوها بِسِجِسْتَان طَلْحَة الطلحاتِ

« وَهَبَ في عامٍ واحدٍ ألف جاريةٍ ، فكانت كلُّ جاريةٍ منهن إذا ولدتْ غلامًا ، تسمِّيه طلحة على اسم سيِّدها »[3].

« قدم المغيرة بن حبناء على طلحة الطلحات يطلب صِلَته ، فأخرج إليه حَجَرَيْ ياقوت في دُرْج ، فقال : أيّما أحبُّ إليك : عشرة آلاف ، أو هذان الحجران ؟ فقال : ما كنت لأختار الحجارة على الدراهم . فأعطاه

---

(١) لباب الآداب صـ ٩٥ .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ٥ / ١٧ .

(٣) الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود للمناوي صـ ٦٩ .

عشرة آلاف درهم ، فقال : إن نفسي قد تتبَّعتْ أحَدَ الحجريْن . فدفعهما إليه . فقال المغيرة :

أرى الناس عاضوا ثم غاضُوا ولا أرى بـني خَـلَفٍ إلَّا رواءَ المـواردِ
إذا نفعـوا عـادوا لمـن ينفعونه وكائن تَرَى من نافعٍ غير عائِدِ[1]

خارجة بن زيد بن ثابت المفتي الفقيه :

عن صالح بن سنان قال : « لما قدم سليمانُ بن عبد الملك المدينةَ ، أهدى له خارجة بن زيد بن ثابت – رحمه الله – ألف عِرق موز ، وألف قَرْعة عسل أبيض ، وألف شاة ، ومائة أوزّة ، وألف دجاجة ، ومائة جزور ، فقال له سليمان : يا خارجة ، أجحفتَ بنفسك ، وما كنت تصنع بهذا في مثل هذا الموضع ؟! فقال : يا أمير المؤمنين ، قدمتَ بلد رسول الله ﷺ ، ونزلت في بني مالك بن النجّار ، فأنتَ ضيفٌ ، وإنما هذا قِرًى . قال : يغفر الله لك . هذا أجحفُ ببني مخزوم ، وَصَلَكَ الله . قال صالح : فقال سليمان : هذا وأبيكم السُّؤْدُد ! رجلٌ أهدى إليَّ – فسمَّى كلَّ ما أهدى له ، حتى أتى على آخره . ثم سأل : ما عليه من الدين ؟ فقال : خمسة وعشرون ألف دينار . قال : اقضـوها عنه . وأمَرَ له بعشرة آلاف دينار ، وهلك خارجة في تلك السنة حين صَدَرَ سليمان عن الحج »[2].

قال المناوي : « رجع خارجة بن زيد يومًا إلى داره فرأى فتى جالسًا عليها ، فقال : ما أجْلَسَك هاهنا ؟ قال : خير ، قال : والله لتخبرني . قال : جئت سائلًا أهل هذه الدار ما آكُل ، فخرج إليَّ منها جارية أخذت قلبي وسلبتْ عقلي ، فأنا جالسٌ لعلَّها تخرج ثانيًا فأنظر إليها . قال : أتعرفُها إذا

---

(١) لباب الآداب صـ ٨٩ .
(٢) لباب الآداب صـ ١٠٣ – ١٠٤ .

رأيتَها ؟ قال : نعم . فدعا بمن في الدار من الجواري ، وجعل يعرضهنّ عليه واحدةً واحدةً حتى مرّت الجارية ، فقال : هذه . قال : قف مكانك . ودخل داره وخرج بالجارية ودفَعَهَا إليه ، وقال : إنما أبطأتُ عليك لأنها لم تكُن لي ، بل كانت لبعض بناتي ، فابتعتُها منها ، وقد وهبتُها لك ، وخُذ هذه الآلاف أصْلِحْ بها شأنَك »[1].

زيد بن وهب الجُهَنِي التابعي :

عن أبي المجالد الجهني : كان زيد بن وهب الجهني إذا خرج عطاؤه ، لم يَدَع أحدًا من كبار أهل ربيعة إلَّا كساه ثوبًا ، ويَهَب لِمَنْ كان صغيرًا درهمًا ، فلا والله ما رأيتُ ألفيْ درهم أعْظَمَ بركةً من ألفَيْ درهم زيدِ بنِ وهبٍ . وذلك أن القبيلة يظلّون فَرِحِينَ مِن ثيابٍ وطعامٍ ودراهِمَ : الصغير والكبير[2].

عبد الرحمٰن بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان :

كان رجلًا فقيهًا فاضلًا موسرًا ، كثير الغزو والحجّ ، أعطى حتى بلغت عطاياه قواعد المسجد . قال : فبينا هو يومًا يتغدّى حيث فرغَ من غدائه ، إذ استأذنَ عليه رجلٌ مكفوف من بني فِهر ، تقوده أَمَةٌ سوداء ، فقال : يا غلام ، طعامك . فأقبل يأكُل معه كأنه لم يأكل شيئًا ، ثم قال : حاجتك ؟ قال : حفظك الله ، شيخ من بني فهر ، لي أربع بنات ، ليس لي ولا لهنّ إلَّا الأمة السوداء ، فإن خدمَتْني أضرّ ذلك بهنّ ؛ وإن خَدَمَتْهُنَّ أضرَّ ذلك بي ، ووالله ما أصبحتُ أملك شيئًا ، فانظُر في حاجتي ، وَصَلَكَ اللهُ . فأقبل يعتذر إليه ، ويذكر مسيره وَمَنْ يأتيه من قومه وما يتكلّف ، فقُلنا :

---

(١) الدر المنضود للمناوي صـ ٧٢ .

(٢) لباب الآداب صـ ١٠٣ - ١٠٥ .

يعطيه خمسة دنانير ، فإن أعطاه عشرة فذلك كثير ! فقال : يا غلام ، أعطه مائة دينار ، وأَخْدِمْ كلَّ ابنةٍ له خادِمًا ، وأعطِهِ قائدًا ، وأجْرِ عليه من مالنا بالسُّقيا كذا وكذا وسقًا من تَمْر . فلمّا نهض الشيخ قيل له : يرحمك الله ، اعتذرت إليه ، فقلنا : يعطيه خمس دنانير ، فإن زاده أعطاه عشرة دنانير ! فقال : إي والله ، لأن يكون فِعْلي أحْسَن من قولي ، أحبُّ إليّ من أن يكون قولي أحسن من فِعْلي[1].

إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله ، أسَدُ قريش :

قال إبراهيم بن هرمة : أردتُ البناء على ابني ، وخروجًا إلى باديتي - وكان يخرج إلى العَقيق في كلِّ سنةٍ - ومؤنةً للشتاء ، فتفكَّرتُ في قريش ، فلم أذكُر إلا إبراهيم بن محمد بن طلحة ، فخرجتُ إليه في مالٍ له بين شرقي المدينة وغربيها ممّا يلي أُحُدًا ، يقال له : رحبة ، وقد هيَّأتُ له شِعرًا ، فلمّا جئتُه قال لبنيه : قوموا إلى عمِّكم . فقاموا إليّ حتى أنزلوني عن دابّتي فسلَّمتُ عليه ، وجلستُ أتحدّث معه ، ورحّب بي ، وبشَّ إليَّ ، فقلتُ له ، حيث اطمأنّ بي المجلس : أردتُ الباديةَ ، وحَضَرَ الشتاءُ ومؤنتُه ، وأردتُ أن أجمع على ابني أهْلَهُ ، وكانت الأشياء متعذِّرة فتفكَّرتُ في قومي ، فلم أذكُر إلا أنت وقد هيَّأتُ لك ما أُحبُّ أن تسمعه . فقال : بحقي عليك أن لا تسمعني شعرًا ؛ ففي قَرَابتِك ورَحِمك وواجب حقِّك ، ما تُوصل به رحمُك ، وتُقضى به حاجتُك ، فامضِ إلى باديتك واعذِرْني فيما يأتيك مني . قال : فلمّا انصرفتُ ، مضيتُ إلى باديتي بالعقيق ، فإني لجالس بعد أيامٍ إذ نظرتُ إلى شُوَيْهاتٍ تتسايل : يتبع بعضُها بعضًا ، فأعجبني ما رأيت من حُسنها ، فما زالت تتسايل حتى انفرشتْ في الوادي ، وإذا غلامان أسودان فيها ،

---

(١) لباب الآداب صـ ١٠٣ - ١٠٥ .

وإنسان راكب على بغلٍ يحمل بين يديه رِزْمَةً ، حتى جاءني فثنى رِجْلَه ، ثم قال : أرسلني إليك أخوك إبراهيمُ بن محمد بن طلحةٍ ، وهذه ثلثمائة شاة من غنمه ، وهذان راعيان ، وهذه أربعون ثوبًا ، ومائتا دينار ، وهو يسألك أن تعذِره[1] .

أمير المؤمنين المهدي :

قال المهدي : ما توسّل إليّ أحدٌ بوسيلة ، ولا تذرَّع بذريعةٍ ، هي أقرب من تذكيره إياي يدًا سلفتْ مني إليه ، أُتبعها أُختَها وأُحْسِن رَبَّها ؛ لأن منْع الأواخر يقطع شُكْر الأوائل[2] .

إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بالإمام :

قدم إبراهيم بن محمد المدينة ، فأَتَتْهُ عجوزٌ من ولد الحارث بن عبد المطّلب ، فشكت إليه ضنْك المعيشة ، فقال : ما يحضرني لك الكثير ، ولا أرضى لك بالقليل ، وإنّا على ظهر سفرٍ ، اقْبَلي ما حضر ، وتفضّلي بالعُذر ، ثم دعا مولًى له ، فقال : ادفع إليها ما بقي من نفقتنا ، وخذي هذا البعير والعبد . فقالت : بأبي وأمي ! أجزل الله لك في الآخرة أجرك ، وأعلى في الدنيا كعبك ، ورفع فيها ذكْرك ، وغفر لك يوم الحساب ذنبك .

وقدم إبراهيم المدينة ، فأتاه قومه يكلِّمونه في حمالةٍ ، فأجابهم ، فقال له رجل من الأنصار : أنت والله كما قال الأعشى :

ترى البخلَ مُرًّا والعطاءَ كأنَّما ... تَلَذُّ به عذْبًا من الماء باردًا
وأحْلَمُ من قيسٍ وأمْضَى من الذي ... بِذِي الغيل من جفانٍ أصبح حارِدًا

---

(١) المستجاد صـ ٩٥ - ٩٦ .

(٢) المستجاد صـ ٩٧ .

فقال : يا أخا الأنصار ، لسنا نفعل ما ترى من سعةٍ ، ولكن وَلَدُ أبي - أي بني هاشم - لا يُحسنون إلا ما ترى . ثم تمثّل بقول لبيد :

وبنو الديّان لا يأتُون لا ... وعلى ألسُنهم خفَّت نعمْ
زيّنتْ أحلامُهم أحسابَهم ... وكذاك الدِّينُ زَيْنٌ للكرم[(١)]

مُحمَّد بن عبَّاد بن حبيب بن المهلّب :

كتب المنصور ابنُ المهْدي إلى محمد بن عبَّاد يشكو دَيْنًا وضيقَ ذات يدٍ وجفوة سلطانه ، فبعث إليه بعشرة آلاف دينار .

وكان رحمه الله يقول : منْعُ الموجودِ سوءُ ظنٍّ بالمعبودِ .

عمارة بن حمزة الهاشمي مولاهم :

من أولاد عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما ، وكان سخيًّا ، حتى يخبز في بيته ألفا رغيفٍ كل يومٍ لألفي إنسان .

عبد الرحمٰن الكِنْدي :

قال محمد بن يونس بن موسى : كنت عند أبي نعيم ، فجاءه ابنه عبد الرحمٰن يكلِّمه أن يكلم له رجلًا في حاجته ، فقال : يا بني ، لا تَخْلِقْ وجهي ، فقد ذهب الأحرار . فأعاد عليه ، فزَبَرَهُ ، ثم أقبل عليَّ فقال : يا محمد بن يونس . قلت : لبيك وسعديك . قال : إن الغناء عن الناس بابٌ جَسِيم . ثم قال : لقد جاءني حفصُ بن غياث ومحمد بن بشر معهما رجل ، فقالا : يا أبا نعيم ، قم معنا إلى عبد الرحمٰن الكندي في حاجةٍ لهذا الرجل . قال أبو نعيم : وكان الكندي كريمًا ما شئت ، فأتيناه ، فقال حفص : يا أبا محمد ، نعرض الحاجة ، وأنت مخيرٌ في القضاء ، قال : وما هي ؟ قال :

---

(١) ابن عساكر (٢ / ٥٤١ / ق) ، والمستجاد صـ ١٠٤ .

إنَّ هذا الرجل اشتريتُ منه ضيعةً بمائة ألف ، هي قُوته وقوت عياله ، وقد جئناك طالبين أن تُقِيله ، وتأخذ المائة الألف ! فقال : ليس إلى الإقالة سبيل ، ولكن يا بُني ، هات عهدة الرجل . فجاء بها ، فأقبل على حفصٍ ، فقال : يا أبا عمرو . وعلى محمد بن بشر ، فقال : يا أبا عبد الله . وعليَّ فقال : يا أبا نعيم ، اشهدوا عليَّ أنَّ هذه الضيْعة لهذا الرجل بحقوقها ، كما لا حقَّ لي فيها ، ولا دعوى ، ولا طلبة بوجهٍ من الوجوه ، ولا سببٍ من الأسباب ، ورُدَّ يا بني عليه المائة الألفَ وخَراجُها عليَّ . قال أبو نعيم : فنحن اليوم في كُسَيْر وعُوَيْر[1] .

« كُسير وعُوير ، وكل غير خير »[2] .

مَسْرُوق بن الأجدع التابعي الجليل :

قال أبو إسحاق السَّبيعي : زوَّج مسروق بنته بالسائب بن الأقرع على عشرة آلاف ، يجعلها في المجاهدين والمساكين[3] .

عامر بن عبد الله بن الزبير ، الإمام الرباني أبو الحارث :

قال أحمد بن حنبل : حدثنا سفيان أن عامر بن عبد الله اشترى نفسه من الله سِتَّ مرَّاتٍ ، يعني يتصدق كل مرة بدِيَتِهِ[4] .

محمد بن كعب القرظي :

قال الذهبي : قيل : كان له أملاكٌ بالمدينة ، وحصَّل مالًا مرة ، فقيل

---

(١) المستجاد صـ ١١٩ .

(٢) أمثال العسكري ٢ / ١٢٧ . يعنون بالخصلتين المكروهتين والرجلين الرديئين .

(٣) السير ٤ / ٦٦ .

(٤) السير ٥ / ٢١٩ .

له : ادَّخر لولدك ، قال : لا ، ولكن أدخره لنفسي عند ربِّي ، وأدَّخر ربي لولدي[١] .

بكر بن عبد الله المزنيّ :

كان بكر بن عبد الله المزني - رحمه الله تعالى - يطعم الضيفَ ثم يكسوه إذا أراد الانصراف ، ويقول : إنَّ فَضْلَ إجابتِهِ إلى طعامي أعظم مما صنعت أنا معه .

حبيب العجمي :

انتبَه من رقدة الغفلة ، فخرجَ عن جميع مَالِهِ .

عبد الله بن أبي ربيعة :

كان - رحمه الله تعالى - إذا حَجَمه عبدٌ من عبيده أعتقه ، وإذا كان لغيره اشتراه من مولاه وأعتقه[٢] .

مُحمَّد بن شِهاب الزُّهْريّ :

قال الإمام مالك : كان ابنُ شهابٍ من أسخى الناس ، فلما أصاب تلك الأموال ، قال له مولى له وهو يعظه : قد رأيت ما مرَّ عليك من الضيِّق ، فانظر كيف تكون ، أَمْسِكْ عليك مالك ، قال : إن الكريم لا تحنكه التجارب .

قال الشافعي : قال عمي : ونزل ابن شهاب بماءٍ من المياه ، فالتمس سَلَفًا فلم يجد ، فأمر براحلته فنحرت ، ودعا إليها أهل الماء ، فمرّ به عمُّه ، فدعاه إلى الغداء ، فقال : يا ابن أخي ، إنَّ مروءة سنة تذهب بِذُلِّ الوجهِ

---

(١) السير ٥ / ٦٨ .

(٢) تنبيه المغترّين للشعراني صـ ٩٠ ، ٩١ .

ساعة ، قال : يا عم ، انزل فاطْعَمْ ، وإلا فامضِ راشدًا .

ونزل مرَّة بماء ، فشكا إليه أهل الماء أن لنا ثماني عشرة امرأة عُمرية ؛ أي لهن أعمار ليس لهن خادم ، فاستسلف ابن شهاب ثمانية عشر ألفًا ، وأخدم كل واحدةٍ خادمًا بألف .

وقال رحمه الله : وجدنا السَّخيَّ لا تَنْفَعُه التجارب .

وقال الشافعي : مَرَّ رجلٌ تاجر بالزهري وهو بقريته ، والرجل يريد الحج ، فأخذ منه بأربعمائةِ دينار إلى أن يرجع من حَجِّهِ ، فلم يبرح الزهري حتى فرَّقه ، فَعَرَف الزهريُّ في وجه التاجر الكراهية ، فلما رجع قَضَاه ، وأمر له بثلاثين دينارًا ينفقها .

وقيل للزهري : إنهم يعيبون عليك كثرة الدَّيْن ، قال : وكم دَيْني ؟ قيل : عشرون ألف دينار ، قال : ليس كثيرًا ، وأنا مليء لي خمسةُ أعينٍ ، كل عينٍ منها ثَمَنُ أربعين ألف دينار .

وعن عقيل بن خالد أن ابن شهاب كان يَخْرج إلى الأعراب يُفقِّههم ، فجاء أعرابي وقد نَفِدَ ما بيده ، فمدَّ الزهري يده إلى عمامتي ، فأخذها فأعطاه ، وقال : يا عقيل ، أُعطيك خيرًا منها[1] .

اللَّيثُ بن سَعْد ، إمامُ مصر وفقيهها ومُحدِّثها ومُحْتشمها ورئيسها وَمَنْ يَفْتخر بوجودِهِ الإقليمُ :

قال ابن وهب : كتب مالك إلى الليث بن سعد : إني أريد أن أُدخل بنتي على زوجها ، فأحبُّ أن تبعث لي بشيءٍ من عُصْفرٍ ، فبعث إليه بثلاثين

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٣٨ - ٣٤١ .

حِمْلًا عصفرًا ، فباع منه بخمسمائة دينارٍ ، وبقي عنده فضلة[١].

قال أبو داود:قال قتيبة : كان الليث يستغلُّ عشرين ألفَ دينار في كل سنة ، وقال : ما وجبت عليَّ زكاة قَطُّ . وأعطى الليثُ ابنَ لهيعة ألفَ دينار ، وأعطى مالكًا ألف دينار ، وأعطى منصور بن عمار ألفَ دينار ، وجارى تَسْوى ثلاثمائة دينار .

قال : وجاءتْ امرأة إلى الليث ، فقالت : يا أبا الحارث ، إن ابنًا لي عليلٌ ، واشتهى عسلًا ، فقال : يا غلام ، أعطها مِرْطًا من عسلٍ ، والمِرْط : عشرون ومائة رطل .

وقال رحمه الله : ما وجبتْ عليَّ زكاةٌ مُنْذُ بلغتُ .

وقال أبو صالح : سألت امرأةٌ الليثَ مَنًّا من عسلٍ ، فأمر لها بِزِقٍّ ، وقال : سألت على قدرها ، وأعطيناها على قدر السَّعة علينا .

وعن يحيى بن إسحاق قال : جاءت امرأةٌ بسُكُرُّجةٍ[٢] إلى الليث تطلب عسلًا ، فأمر من يحمل معها زِقًّا ، فجعلت تأبى ، وجعل الليث يأبى إلَّا أنْ يَحمل معها من عسل ، وقال : نعطيك على قدرنا .

وعن الحارث بن مسكين ، قال : اشترى قومٌ من الليث ثمرةً فاستَغْلَوْها . فاستقالوه فأقالهم ، ثم دعا بخريطةٍ فيها أكياس ، فأمر لهم بخمسين دينارًا ، فقال له ابنه الحارث في ذلك . فقال : اللهم غفْرًا ، إنهم قد كانوا أمَّلُوا فيها أملًا ، فأحببت أن أُعوّضهم من أملهم هذا .

وقال شعيب بن الليث : خرجتُ حَاجًّا مع أبي ، فقدم المدينة ،

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٧ ، ٨ ، وحلية الأولياء ٧ / ٣١٩ ، والسير ٨ / ١٤٨ .
(٢) إناءٌ صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأُدْم ، وهي فارسية .

فبعث إليه مالك بن أنس بطبقِ رطبٍ ، قال : فجعل على الطبق ألف دينار ، وردّه إليه .

وقال عبد الله بن صالح : صحبتُ الليث عشرين سنة ، لا يتغدَّى ولا يتعشَّى إلا مع الناس .

وكان له كل يوم أربعة مجالس ، منها مجلس لحوائج الناس ، لا يسأله أحد فيردّه ، كَبُرتْ حاجتُه أو صَغُرت ، وكان يُطْعم الناسَ في الشِّتاء الهَرَائسَ بعسل النَّحل وسمن البَقرِ ، وفي الصيف سويق اللَّوزِ في السُّكر[١] .

قال قتيبة : قَفَلْنا مع الليث بن سعدٍ من الإسكندرية ، وكان معه ثلاث سفائن ، سفينةٌ فيها مَطْبخه ، وسفينةٌ فيها عائلته ، وسفينة فيها أضيافه[٢] .

وقال : ولمَّا احترقتْ كتبُ ابن لهيعة ، بعث إليه الليث من الغد بألف دينارٍ .

قال شعيب بن الليث : يستغلُّ أبي في السَّنَةِ ما بين عشرين ألفَ دينارٍ إلى خمسة وعشرين ألفًا ، يأتي عليه السَّنَة وعليه دَيْنٌ .

قال سعيد الآدم - وكان من سَادَات العُبَّاد -: مررتُ بالليث بن سعد فتنَحْنَح لي ، فرجعت إليه ، فقال لي : يا سعيد ، خُذْ هذا القُنْداقَ[٣] فاكتب لي فيه مَنْ يلزم المسجد ممن لا بضاعة له ولا غلَّة . فقلت : جزاك الله خيرًا يا أبا الحارث ، وأخذت منه القنداقَ ، ثم صرت إلى المنزل ، فلما صليتُ أوقدت السِّراج ، وكتبتُ : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٩ ، وفيات الأعيان ٤ / ١٣١ .

(٢) السير ٨ / ١٥٠ .

(٣) صحيفة الحِسَاب .

قلت : فلان بن فلان . ثم بدرتني نفسي ، فقلت : فلان بن فلان . قال : فبينا أنا على ذلك إذْ أتاني آتٍ ، فقال : هاالله يا سعيد ، تأتي إلى قومٍ عاملوا الله سِرًّا فتكشفهم لآدمي ؟! مات الليث ، ومات شعيب ، أليس مَرْجِعُهُمْ إلى الله الذي عاملوه ؟! فقمتُ ولم أكتب شيئًا ، فلما أصبحتُ أتيت الليث ، فتهلَّل وجهه ، فناولتُه القُنْداق ، فنشره ، فما رأى فيه غير : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، فقال : ما الخبر ؟ فأخبرته بصدقٍ عمّا كانَ ، فصاح صيحةً ، فاجتمع عليه الناس من الحِلَق فسألوه فقال : ليس إلا خير ، ثم أقبل عليّ فقال : يا سعيد ، تَبَيَّنْتَهَا وحُرِمْتُها ، صَدَقتَ ؛ مات الليث ، أليس مرجعهم إلى الله[1] ؟!

عن أبي صالح - كاتب الليث - قال : كُنَّا على باب مالك ، فامتنع عن الحديث ، فقلت : ما يُشبه هذا صاحبنا ؟ قال : فسمعها مالك فأدخلنا ، وقال : من صاحبكم ؟ قلت : الليث . قال : تُشَبِّهونا برجلٍ كَتبتُ إليه في قليل عُصْفرٍ ، نَصْبغ به ثياب صِبْياننا ، فأنفذَ منه ما بعنا فَضْلَته بألف دينارٍ[2] .

قال أسَد بن موسى : كان عبد الله بن علي يطلب بني أمية فيقتلهم . قال : فدخلت مصر في هيئةٍ رَثَّةٍ ، فأتيتُ الليث ، فلما فرغت من المجلس ، تبعني خادمٌ له بمائةِ دينار ، وكان في حُزَّتي هِمْيان[3] فيه ألف دينار فأخرجتها ، فقلت : أنا في غنى ، استأذن لي على الشيخ . فاستأذن فدخلت ، وأخبرته بنسبي واعتذرت من الرَّدِّ ، فقال : هي صلةٌ . قلت : أكره أن أُعوّد نفسي . قال : ادفعها إلى من ترى من أصحاب الحديث .

---

(١) تهذيب الكمال ١١٥٣ ، وتاريخ بغداد ١٣ / ١١ ، ١٢ ، والسير ٨ / ١٥٣ .
(٢) حلية الأولياء ٧ / ٣١٩ ، والسير ٨ / ١٥٧ .
(٣) هي موضع شَدِّ السَّراويل .

قال قتيبة : كان الليث يتصدق كل يوم على ثلاثمائةِ مسكين .

وقال منصور بن عمار : دخلتُ على الليث خلوة ، فأخرج من تحته كيسًا فيه ألف دينار ، وقال : يا أبا السَّري ، لا تُعْلِمْ بها ابني ، فتهون عليه .

رحم الله الليث .. لله دَرُّهُ من إمامٍ عالمٍ بالمروءة ، ورأس في الفتوَّة .

مُحمَّد بن عُمَر الوَاقِديّ :

قال الحسن بن شاذان : قال الواقدي : صَار إليَّ من السُّلطان ستمائة ألف درهم[1] ، ما وجبت عليَّ فيها الزكاة .

قال محمد بن سعد : رآني الواقديُّ مغتمًّا فقال لي : لا تغتمّ ، فإن الرزق يأتي من حيث لا تحتسب ؛ أملقتُ مرةً حتى بعت بِرْذَوني ، فاستبطأني يحيى بن خالد[2] ، فاعتذرت إليه ، فوقف على حالي فأمر لي بخمسمائةِ دينار ، فصرتُ بها إلى البيت ، فأنا في تصريفها في قضاء الدَّيْن والعيال إذ طرقني رجلٌ من أهل المدينة قد قُطع عليه الطريق ، من وَلَد أبي بكرٍ رضي الله عنه ، فشكا إليَّ حاله ، فدفعت إليه ما فضل ، ولم أشتر بِرْذونًا ، فاستبطأني يحيى بن خالد ، فأخبرته الخبر ، فوجَّه إلى البكري فسأله ، فقال : نعم ، أخذتُ الدنانير منه ، فلما صرتُ بها في البيت جاءني فلان الأنصاري ، فشكا إليَّ حاله ، فدفعتها إليه . فوجّه يحيى إلى الأنصاري يسأله : هل وجَّه البكري إليه المال ؟ فأخبره الخبر ، فتعجَّب يحيى بن خالد من الكرم ، ثم أمر لي بألفِ دينار ، وللبكري بمثلها ، وللأنصاري بمثلها ، ولزوجتي بخمسمائةٍ لغمِّهَا حين

---

(١) يعني في عطاءات متكررة .

(٢) البرامكة كانوا من الزنادقة .

دفعتُ الدنانير إلى البكري .

قال الواقدي : وكان لي صديقان ؛ أحدهما هاشمي ، وكنا كَنَفْسٍ واحدة ، فنالتني ضِيقَةٌ شديدة ، وحضر العيد ، فقالت لي امرأتي : أمّا نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صِبياننا فقد قطَّعوا قلبي رحمة لهم ؛ لأنهم يرون صِبيان الجيران قد تزيَّنوا في عيدهم ، وأصلحوا ثيابهم ، وهم على هذه الحال من الثياب الرَّثَّة ، فلو احتلتَ بشيءٍ تصرفه في كسوتهم . فكتبتُ إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليَّ بما حضره ، فوجَّه إليَّ كيسًا مختومًا ، ذَكَر أنَّ فيه ألفَ درهم ، فما استقر قراري حتى كتب إليَّ الصديق الآخر يشكو مثل شكواي إلى صاحبي ، فوجَّهتُ إليه الكيس بحاله ، وخرجتُ إلى المسجد ، فأقمت في ليلي مُسْتحييًا من امرأتي ، ثم رجعت ، فلما دخلتُ عليها استحسنتْ ما كان مني ولم تعنِّفْني عليه ، فبينا أنا كذلك ، إذْ وافاني صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته ، فقال لي : اصدقني عمَّا فعلته فيما وجهتُ إليك . فعرَّفْته الخبر على جهته . فقال : إنَّك وجهت إليَّ تسألني العونَ ، وما أملك إلا ما بعثت به إليك ، وكتبتُ إلى صديقنا أسأله المواساة ، فوجَّه إليّ كيسي بخاتمي ، قال الواقدي : فتواسينا الألفَ وقسمناها بيننا أثلاثًا ، بعد أن أخرجنا للمرأة مائة درهم ، ونُمِيَ الخبرُ إلى المأمون ، فدعاني ، فشرحتُ له الأمر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار ؛ لكل واحدٍ منا ألفا دينار ، وللمرأة ألف دينار[1] .

الإمــام الشــافعيُّ :

قال أبو ثور : قلَّ ما كان يُمسك الشافعيُّ الشيءَ من سماحته .

---

(١) مُروج الذهب للمسعودي ٧ / ٧٣ - ٧٥ ، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٢١٢ - ٢١٣ .

وقال عمرو بن سواد : كان الشافعي أسخى الناس على الدِّينار والدِّرْهم والطَّعام ، فقال لي الشافعي : أفلستُ من دهري ثلاث إفلاسات ، فكنتُ أبيع قليلي وكثيري ، حتى حُلّي بنتي وزوجتى ، ولم أُرهن قطُّ .

قال الربيع : أخذ رجلٌ بِركَاب الشَّافعي ، فقال لي : أعطه أربعةَ دنانير ، واعْذِرْني عنده[1].

قال المزني : كنتُ مع الشافعي يومًا ، فخرجنا الأكوام ، ومَرَّ بهدفٍ ، فإذا برجلٍ يرمي بقوسٍ عربيَّةٍ ، فوقف عليه الشافعي ينظر ، وكان حَسَن الرمي ، فأصاب بأَسْهمٍ ، فقال الشافعي : أحسنتَ ، وبرَّك عليه ، ثم قال : أعطه ثلاثة دنانير ، واعْذِرني عنده .

وقال الربيع : كان الشافعي مارًّا بالحذَّائين ، فسقط ثوبه ، فوثب غلامٌ ومسحه بكُمِّه وناوله ، فأعطاه سبعة دنانير .

قال الربيع : تزوجتُ ، فسألني الشافعي : كم أَصْدَقْتَهَا ؟ قلتُ : ثلاثين دينارًا ، عجّلتُ منها ستة ، فأعطاني أربعةً وعشرين دينارًا .

وقال الربيع : ناول الشافعي إنسان رُقعةً يقول فيها : إنني بقَّال ، رأس مالي درهم ، وقد تزوجتُ فأعنِّي . فقال : يا ربيع ، أَعْطِهِ ثلاثين دينارًا واعْذرني عنه . فقلت : أصلحك الله ، إنَّ هذا يكفيه عشرة دراهم . فقال : ويحك ! وما يصنع بثلاثين ؟ أفي كذا ، أم في كذا – يَعُدُّ ما يصنع في جهازه – أعطه .

وعن الشافعي قال : خرج هرثمة ، فأقرأني سَلَامَ أمير المؤمنين هارون ، وقال : قد أمر لك بخمسة آلاف دينار ، قال : فَحُمِلَ إليه المال ،

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٢ / ٢٢٠ .

فدعا بحجّامٍ ، فأخذ شعره ، فأعطاه خمسين دينارًا ، ثم أخذ رِقَاعًا ، فصرَّ صُرَرًا ، وفرّقها في القُرشيين الذين هم بالحضرة وَمَنْ بمكة ، حتى ما رجع إلى بيته إلا بأقل من مائة دينار .

وقال الحميدي : قدم الشافعي صنعاءَ ، فضُربت له خيمةٌ ، ومعه عشرة آلاف دينار ، فجاء قوم فسألوه ، فما قُلِعت الخيمة ومعه منها شيء[1] .

مَعْنُ بن زَائِدة أبو الوليد الشَّيْباني ، أمير العرب وعَيْن الأجْواد :

حدّثْ عن البحر ولا حَرَج ، وحَدِّثْ عن معن ولا حرج .

قال صاحب شرطة معن : بينا أنا على رأس معنٍ إذا هو براكبٍ يوضع ، قال : فقال معن : ما أحسب الرجل يريد غيري . قال : ثم قال لحاجبه : لا تحجبه . قال : فجاء حتى مَثُلَ بين يديه . قال : فقال :

أَصْلَحَكَ الله قَلَّ ما بيدي   فما أُطيق العِيالَ إذْ كَثُروا
ألحَّ دهرٌ رمى بكَلْكَلِه   فأَرْسَلوني إليك وانْتَظَرُوا

قال : فقال معن - وأخذته أرْيَحِية - : لا جَرَم ، والله لأُعجلنَّ أوبتك . ثم قال : يا غلام ، ناقتي الفلانية وألف دينار . فدفعها إليه وهو لا يعرفه .

وقال سعيد بن سلم : لمَّا ولَّى المنصورُ معنَ بن زائدة أذربيجان قَصَده قومٌ من أهل الكوفة ، فلما صاروا ببابِهِ واستأْذَنُوا عليه ، فدخل الآذِنُ فقال : أصلح اللهُ الأمير ، بالباب وفدٌ من أهل العراق . قال : من أي أهل العراق ؟ قال : من الكوفة . قال : ايذنْ لهم . فدخلوا عليه ، فنظر إليهم معن في هيئةٍ رزيَّة ، فوثب على أريكته وأنشأ يقول :

---

(١) مناقب الشافعي للرازي صـ ١٢٨ .

إذا نَوبةٌ نابتْ صديقَك فاغتنمْ مرمَّتَهَا فالدَّهْرُ بالناس قُلَّبُ
فأحسنُ ثوبَيْك الذي هو لابسٌ وأَفْرَهُ مُهْرَيْك الَّذي هو يَركبُ
وبادرْ بمعروفٍ إذا كنتَ قادرًا زوال اقتدارٍ أو غنًى عنكَ يُعْقبُ

قال : فوثب إليه رجلٌ من القوم ، فقال : أصلح الله الأمير ، ألا أنشدك أحسنَ من هذا ؟ قال : لابن عمك ابن هرمة . قال : هاتِ . فأنشأ يقول :

وَلِلنَّفْسِ تاراتٌ تحلُّ بها العُرى وتَسْخُو عن المالِ النُّفوس الشَّحائحُ
إذَا المرءُ لم ينفعْك حيًّا فنفعهُ أقلُّ إذا ضُمَّتْ عليه الصَّفَائحُ
لأيةِ حالٍ يمنعُ المرءُ مَالَه غدًا فغدًا والموتُ غادٍ ورائحُ

فقال معن : أحسنت والله ، وإنْ كان الشِّعْر لغيرك ، يا غلام ، أعطهم أربعة آلافٍ يستعينون بها على أمورهم إلى أنْ يتهيأ لنا فيهم ما نريد . فقال الغلام : يا سيدي،أجعلُها دنانيرَ أم دراهم ؟ فقال مَعن : واللهِ لا تكون همَّتك أرفع من همتي ، صَفِّرْها لهم .

وكتب إليه شاعرٌ ، وقد رأى الحجاب على بابه :

إذا كان الجوادُ له حجابٌ فما فَضْلُ الجَوادِ على البخيل

فقال معن :

إذا كان الجوادُ قليلَ مالٍ ولم يُعْذر تَعلَّلَ بالحجابِ

فقال الشّاعر : إنا لله ، أَيُؤْيسُني من معروفه ؟ ثم ارتحل منصرفًا ، فسأل معنٌ عنه فأخبر بانصرافه ، فأتبعه بعشرة آلافٍ وقال : هي لك عندنا في كلِّ زَوْرةٍ .

ولله دَرُّ من قال في معن :

له راحتان الجُودُ والحَتْفُ فيهما أبى اللهُ إلا أنْ تَضُرَّ وَتَنْفَعَا

وَلَّى أبو جعفر قُثَم - يعني رجلًا من ولد العباس - فأتاه أعرابي فقال :

يا قُثَم الخير جُزيتَ الجَنَّهْ اُكْسُ بُنَيَّاتي وأُمَّهُنَّهْ

أُقسمُ باللهِ لتَفْعلَنَّهْ

قال : فقال : والله لا أفعل . فقال الأعرابي : لكنْ لو أقسمتُ على معنٍ لأبرَّ قَسَمي ؛ فبلغتْ الكلمةُ معنًا ، فبعث إليه ألف دينار .

وقال السهمي : أذن معن بن زائدة إذنًا عامًّا ، فدخل عليه كلُّ رجل يمُتُّ بوسيلةٍ وذكر حاجته ، ثم دخل في آخرهم فتًى ، فقال : منْ أنت ؟ وما سبيلك ؟ فقال :

أَتاك بيَ الرَّحمـٰنُ لا شيءَ غَيْره وفَضْلٌ وإحسانٌ عليك دليلُ

فشفِّعْ كريمًا سَيِّدًا متفضِّلًا فليس إلى ردِّ الجليلِ سبيلُ

فقال : يا فتى ، لقد توسلت بأجلّ منْ تَوسَّل به أحد ، فأعطاه وفضّله على سائر من أعطى .

وأتى أعرابي إلى معن بن زائدة ومعه نِطْعٌ فيه صبي حين ولد ، فاستأذن عليه ، فلما دخل دَهْدَه الصبيَّ بين يديه وقال :

سَمَّيْتُ معنًا بمعنٍ ثم قلتُ له هذا سَمِيُّ فتًى في النَّاسِ مَحْمودُ

أنتَ الجَوادُ ومنْك الجُودُ نَعْرفهُ ما مِثْلُ جودِكَ مَعهودٌ وموجودُ

أَمْستْ يمينُك عن جودٍ مُصوَّرة لا بل يمينُك منها صُوِّرَ الجودُ

قال : كم الأبيات ؟ قال : ثلاثة . قال : أعطوه ثلاثمائة دينار ، ولو زدت لزدناك . قال : حَسْبُك ما سمعتَ ، وحَسْبي ما أخذتُ[1] .

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٣٦ - ٢٤٠ .

وأتاه رجلٌ يسأله أن يَحْمله فقال : يا غلام ، أعطه فرسًا وبِرْذَونًا وَبَغْلًا وَعِيرًا وبعيرًا وجارية ، وقال : لو عرفتُ مَرْكُوبًا غير هؤلاء لأعْطَيْتك[1].

وهـو أول مـن عمل البيمارستان ، وأخرج الصدقات على الزَّمْنى والمجذومين والعميان والمساكين ، واستخدم لهم الخدَّام .

وقال له رجل : إني جعلتُ فضلك سَبَبي إليك ، وكرمك وسيلة عندك . قال : سَلْ . قال : ألف درهم . قال معن : قد أربحتني أربعة آلاف ، وإني حَدَّثتُ نفسي أن أعطيك خمسة آلافٍ ، قال : أنت أكبر من أن تربح على مؤمليك . فأعطاه خمسة آلاف .

ومما قيل فيه :

أيَا جُودَ معنٍ ناجِ معنًا بِحَاجتي ... فَمَا لِي إلى معنٍ سِوَاكَ رَسُولُ

ومما قيل فيه :

كتبتُ نَعَمْ ببابك حين يدعو ... **إليك الناسُ مسفرة النِّقَاب**

وقال فيه الحسين بن مطير الأسدي بعد موته :

ويا قبرَ معنٍ كَيْفَ واريتَ جُودَهُ ... وَقَدْ كَانَ مِنْهُ البَرُّ والبَحْر مُتْرَعَا

ولكنْ حَوْيت الجودَ والجودُ مَيِّتٌ ... ولو كان حيًّا ضِقْتَ حتى تَصَدَّعَا

وما كان إلَّا الجودُ صورةَ وجْهِهِ ... فعـاشَ ربيعًـا ثمَّ ولَّى فودَّعَـا

فلما مضى معنٌ مضى الجودُ والندى ... وأصبح عِرْنِينُ المكارمِ أَجْدعَا

وكتب رجلٌ إلى معن بن زائدة ، وهو والي اليمن ، يستهديه خِطْرًا ، فأرسل إليه بجرابِ خِطْرٍ ، وفي الخِطر ألف دينار ، وكتب إليه : أنِ

---

(١) العِقد الفريد ١ / ٣٠٢ .

اختضب بالخطر ، وانتفع بنخالته . وكان الرجلُ قبل أن يكتب إلى معنٍ قد سأل بعض إخوانه خطرًا فلم يبعث إليه ، فلما ورد عليه الخطر من معنٍ أنشأ يقول :

أتَانَا أبو العَبَّاسِ ضَنَّ بخِطْرِهِ ... كتَبنَا إلى مَعْنٍ فأهدىٰ لنا خِطرَا

وأهدى دنانيرًا ، وأهدى دراهمًا ... **وأهدى لنا بَزًّا وأهدى لنا عِطرا**

وما النـاسُ إلا مَعـدنَانِ فمعـدِنٌ ... قريشٌ وشيبانُ الَّتي فَرَّعتْ بَكرَا

ورثاه مروان بن أبي حفصة فقال :

مَضَى لِسَـبيله معـنٌ وأبقـىٰ ... مَحـامـدَ لن تَبـيدَ ولنْ تُنـالَا

وكان النـاسُ كلُّهُـمُ لمعـنٍ ... إلى أنْ زَارَ حفـرته عِـيالَا

ولم يَكُ طـالِبٌ للعـرفِ يَنـوي ... إلى غـير ابنِ زائـدةَ ارْتحـالَا

ثوى مَنْ كان يَحْمِل كلَّ ثقلٍ ... ويسبق فيضُ راحتِـهِ السـؤالَا

ومـا نَزلَ الوُفـودُ بمثـلِ معـنٍ ... ولا حَطُّـوا بِسـاحته الرِّحَـالَا

وَمَا بلغتْ أكُفُّ ذوي العَطَايَا ... يمينـًا مـن يَديْـهِ ولا شِمَـالَا

ومـا كـانت تجـفُّ له حيـاضٌ ... مـن المعروفِ مُتْرَعـةً سِجالَا

لأبيضَ لا يعـدُّ المالَ حتى ... يعـمَّ بـه بغـاةَ الخـيرِ مَـالَا

فلَهْـفَ أبي عليـك إذا العَطَـايا ... جُعلن مُنًى كَوذاب واعْتِلَالَا

ولهـفَ أبي عليـك إذا اليتـامى ... غَـدَوْا شُعْثًا كأنَّ بهـم سُلَالَا

ولهفَ أبي عليك إذا المواشي ... رَعَتْ جَدْبًا تموت به هُزالَا

ولهف أبي عليك إذا القوافي ... لمُمْتَـدحٍ بهـا ذهبتْ ضَـلَالَا

وقلنـا أين نَذْهـبُ بعـد معـنٍ ... وقـد ذهـبَ النـوالُ فَلا نَوالَا[1]

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٤١ - ٢٤٣ .

يزيد بن المُهَلّب :

وكان هشام بن حسّان إذا ذكره قال : والله إنْ كانت السُّفن لتجري في جوده .

قال سليمان بن عبد الملك لموسى بن نصير : اغْرَمْ ديتك خمسين مرَّةً . قال : ليس عندي ما أغرم . قال : والله لتغرمنَّ ديتك مائة مرة . قال يزيد ابن المهلب : أنا أغرمها عنه يا أمير المؤمنين . قال : اغرم . فغرمها عنه مائة ألف .

ومرّ يزيدُ بن المهلب في طريق البصرة بأعرابيةٍ ، فأهدت إليه عنْزًا فقبلها ، وقال لابنه معاوية : ما عندك من نفقة ؟ قال : ثمانمائةِ درهم . قال : ادْفَعْها إليها . قال : إنها لا تعرفك ، ويُرضيها اليسير . قال : إن كانت لا تعرفني ، فأنا أعرف نفسي ، وإنْ كان يرضيها اليسير ، فأنا لا أَرضىٰ إلَّا بالكثير .

وكان يقول : إن خير المال ما قُضِيتْ فيه الحقوق ، وحُملت فيه المغارمُ ، وإنما لي من المال ما فضل عن إخواني .

قال الأصمعي : قدم على يزيد بن المهلب قومٌ من قُضَاعة من بني ضِنَّة ، فقال رجل منهم :

والله ما نَدري إذَا ما فَاتَنَا ... طلبٌ إليك مَن الَّذي نَتطلَّبُ
ولقد ضَرَبنا في البلادِ فَلَمْ نَجِدْ ... أَحدًا سواكَ إلى المكارمِ يُنسَبُ
فاصبر لعادتنا التي عَوَّدتنا ... أوْ لَا فَأَرْشدْنا إلى مَنْ نَذْهَبُ

فأمر له بألف دينارٍ ، فلما كان في العام المقبل وفد عليه فقال :

ما لي أرى أبوابهم مهجورة ... وكأنَّ بابَك مَجْمعُ الأسواقِ

حَابوكَ أَمْ هابوكَ أَمْ شامُوا النَّدى ... بِيَدَيْكَ فاجتمعوا من الآفاقِ
إني رأيتُك للمكارمِ عاشقًا ... والمَكْرُمَات قليلةُ العُشَّاقِ
وَلَيَتْ أَنْعُمُكَ البلادَ فأصبحتْ ... تُجْنى إليك مَكارِمُ الأخلاقِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم[١].

وحج رحمه الله فأتى بحلَّاقٍ حلق رأسه ، فأمر له بألف درهم ، فتحيّر ودُهِشَ ، وقال : أمضي إلى فلانةٍ أُبشِّرها ، قال : أعطوه ألفًا أخرى[٢].

الإمام المُبَارَك عَبْدُ الله بن المُبَارَك :

قال إسماعيل بن عياش : لقد حَدَّثني أصحابي أنهم صَحبوهُ – أي ابن المبارك – من مصر إلى مكة ، فكان يطعمهم الخَبِيص ، وهو الدهر صائم .

وانظر إلى كرمه وأدبه ومروءته :

قال عمر بن حفص الصوفي : خرج ابن المبارك من بغداد يريد المِصِّيصة ، فصحبه الصوفية ، فقال لهم : أنتم لكم أنفس تحتشمون أن يُنفق عليكم ، يا غلام ، هات الطَّسْت ، فألقى عليه مِنْديلًا ، ثم قال : يُلقي كلُّ رجلٍ منكم تحت المنديل ما معه ، فجعل الرجل يلقي عشرة دراهم ، والرجل يلقي عشرين ، فأنفق عليهم إلى المصِّيصة ، ثم قال : هذه بلاد نفير ، فنقسم ما بقي ، فجعل يُعطي الرجل عشرين دينارًا فيقول : يا أبا عبد الرحمٰن ، إنما أعطيتُ عشرين درهمًا ، فيقول : وما تُنكر أن يبارك الله للغازي في نفقته[٣].

---

(١) العِقْد الفريد ١ / ٣٠٣ – ٣٠٦ ، والدر المنضود صـ ٨٤ .
(٢) الدر المنضود صـ ٩٠ .
(٣) تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٧ – ١٥٨ ، والسير ٨ / ٣٨٤ – ٣٨٥ .

وقال علي بن الحسن بن شقيق : كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج ، اجتمع إليه إخوانه من أهل مَرْو ، فيقولون : نصحبك ، فيقول : هاتوا نفقاتكم ، فيأخذ نفقاتهم ، فيجعلها في صندوق ، ويقفل عليها ، ثم يَكْتري لهم ، ويخرجهم من مَرْو إلى بغداد ، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلوى ، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زيٍّ وأكمل مروءة ، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ ، فيقول لكل واحدٍ : ما أَمَرَكَ عيالُكَ أنْ تشتري لهم من المدينة مِنْ طُرَفها ؟ فيقول : كذا وكذا ، ثم يخرجهم إلى مكة ، فإذا قضوا حَجَّهم ، قال لكل واحد منهم : ما أمرك عيالُك أن تشتري لهم من متاع مكة ؟ فيقول : كذا وكذا ، فيشتري لهم ، ثم يخرجهم من مكة ، فلا يزال ينفق عليهم إلا أن يصيروا إلى مروٍ ، فيجصِّص بيوتهم وأبوابهم ، فإذا كان بعد ثلاثة أيام ، عمل لهم وليمةً وكساهم ، فإذا أكلوا وسُرُّوا ، دعا بالصندوق ، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صُرَّته عليها اسمه .

وقال : أخبرني خادمه أنه عمل آخر سَفْرةٍ سافرها دعوةً ، فقدَّم إلى الناس خمسةً وعشرين خُوانًا فالوذج . فبلغنا أنه قال للفُضيل : لولاك وأصحابك ما اتَّجرت . وكان ينفق على الفقراء في كلِّ سنة مائة ألف درهم[1] .

وعن سلمة بن سليمان : جاء رجلٌ إلى المبارك ، فسأله أن يقضي دينًا عليه ، فكتب له إلى وكيلٍ له ، فلما وَرَدَ عليه الكِتابُ قال له الوكيل : كم الدَّيْن الذي سألتَه قضاءه ؟ قال : سبعمائة درهم . وإذا عبد الله قد كتب له أن يُعطيه سبعة آلاف درهمٍ ، فراجعه الوكيل ، وقال : إنّ الغلّات

---

(١) تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٨ .

قد فنيت . فكتب إليه عبد الله : إن كانت الغَلَّات قد فنيت ، فإن العمر أيضًا قد فنيَ ، فأجزْ له ما سبق به قلمي .

وعن حبان بن موسى قال : عُوتب ابن المبارك فيما يُفَرِّقُ من المال في البلدان دون بلده ، قال : إني أعرف مكانَ قومٍ لهم فضلٌ وصدق ، طلبوا الحديث ، فأحسنوا طلبه لحاجةِ الناس إليهم ، احتاجوا ، فإن تركناهم ضاع عِلْمُهم ، وإن أعنّاهم بثُّوا العلم لأمة محمد ﷺ ، لا أعلم بعد النبوةِ أفضل من بثِّ العلم .

قال أبو إسحاق الطَّالقاني : رأيتُ بعيرَيْن محمَّلين دَجَاجًا مَشْويًّا لسُفرة ابنِ المبارك .

وقال الحَسن بن حمَّاد : دخل أبو أسامة على ابن المبارك ، فوجد في وجه عبد الله أثر الضُّرِّ ، فلما خرج بعث إليه أربعة آلاف درهم ، وكتب إليه :

وَفَتًى خَلَا من مالِهِ ... ومن المروءة غَيْرُ خَالِ
أعطاكَ قَبْلَ سؤالِهِ ... وكفاك مَكْروهَ السُّؤَالِ

وقال المسيب بن واضح : أرسل ابن المبارك إلى أبي بكر بن عيّاش أربعة آلاف درهم ، فقال : سُدَّ بها فتنة القوم عنك[1].

خالد بن عبد الله القَسْري ، أبو الهيثم :

كان جَوَادًا مُمدَّحًا معظَّمًا عالي الرتبة ، من نُبَلاء الرِّجَال .

قال خالد : إنَّ أكرم الناس من أعطى مَنْ لا يرجوه ، وأعظم الناس عفوًا من عفا عن قُدْرةٍ ، وأَوْصل الناس من وصل عن قطيعةٍ .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨ / ٤١٠ .

وقال رحمه الله على المنبر : إني لأطعم كلَّ يومٍ ستةً وثلاثين ألفًا من الأعرابِ تمرًا وسويقًا .

وأنشد أعرابي :

أخالدُ بَيْن الحَمْدِ والأجر حاجتي ... فأيُّهمَا يأتي فأنتَ عِمَادُ
أخالدُ إني لم أَزُرْك لحاجةٍ ... سوى أنني عافٍ وأنتَ جَوَادُ

فقال : سَلْ ، قال : مائة ألفٍ ، قال : أسرفتَ يا أعرابي ، قال : فأحُطُّ للأمير ؟ قال : نعم . قال : قد حططتك تسعين ألفًا ، فتعجَّبَ منه ، فقال : سألتك على قدرك ، وحططتك على قدري ، وما أستأهله في نفسي ، قال : لا والله ، لا تغلبني ، يا غلام أعطه مائة ألفٍ .

وعن إسماعيل بن عبد الله قال : قدم الراعي الشَّاعر على خالد بن عبد الله القسري ومعه ابنه جندل ، فكان يغشاه مع أبيه ، ثم فقده ، فقال له : ما فعل ابنك ؟ فقال : تُوفِّي - أصلح اللهُ الأمير - بعد أنْ زوَّجْتُه وأصدقته . فأمر له خالد بديةِ ابنه وصداقه ، فقال الراعي :

وَدَيْتَ ابنَ راعي الإبل إذْ حَانَ يَومُه ... وشقَّ له قبرًا بأرضِكَ لاحدُ
وَقَدْ كَانَ مات الجودُ حتى نَعَشْتَهُ ... وذَكَّيْتَ نَارَ الجودِ والجودُ خامدُ
فلا حَمَلَتْ أنثى ولا آب غائبٌ ... ولا وَلدتْ أنثى إذَا مَاتَ خالدُ[1]

إسماعيل بن عيّاش :

عن يحيى الوُحَاظِي : ما رأيتُ رجلًا كان أكبر نَفسًا من إسماعيل بن عيّاش ، كُنَّا إذا أتيناه إلى مزرعته لا يرضى لنا إلا بالخروف والخَبِيص[2] .

---

(١) لباب الآداب صـ ١٠٥ - ١٠٦ .
(٢) السير ٨ / ٣١٢ - ٣٢٨ .

يعقوب بن شيبة ، الحافظ صاحب المسند المعلّل :

قال يوسف بن البُهلول : حدثني يعقوب بن شيبة قال : أظلَّ عيدٌ من الأعياد رجلًا - يشير إلى نفسه - وعنده مائة دينارٍ ، لا يملك سواها ، فكتب إليه رجل من إخوانه يقول له : قد أظلَّنا هذا العيد ، ولا شيءَ عندنا ننفقه على الصِّبْيان ، ويستدعي منه ما ينفقه . فجعل المائة دينار في صُرَّةٍ وختمها ، وأنفذها إليه ، فلم تلبث الصُّرَّة عند الرجل إلا يسيرًا حتى وردتْ عليه - أي على الرجل - رقعةُ أخٍ من إخوانه ، وذكر إضَاقته في العيد ، ويستدعي منه مثل ما استدعاه ، فوجَّه بالصُّرَّة إليه بختمها ، وبقي الأول لا شيءَ عنده ، فكتب إلى صديقٍ له وهو الثالث الذي صارت إليه الدَّنَانير ، يذكر حاله ، ويستدعي منه ما ينفقه في العيد ، فأنفذ إليه الصرَّة بخاتمها ، فلما عادتْ إليه صرته التي أنفذها بحالها ، ركب إليه ومعه الصرّة وقال له : ما شأن هذه الصرّة التي أنفذتها إليَّ ؟ فقال له : إنه أظلَّنا العيد ، ولا شيءَ عندنا ننفقه على الصبيان ، فكتبتُ إلى فلان أخينا أستدعي منه ما ننفقه ، فأنفذ إليَّ هذه الصرّة ، فلما وردت رقعتُك عليَّ أنفذتها إليك . فقال : قمْ بنا إليه ، فركبَا جميعًا إلى الثاني ومعهما الصرّة ، فتفاوضوا الحديث ، ثم فتحوها فاقتسموها أثلاثًا .

قال أبو الحسن : قال لي أبي : والثلاثة : يعقوب بن شيبة ، وأبو حسان الزيادي ، وأُنسيتُ أنا الثالث(١).

كَـرَمُ عبـدٍ :

خرج عبدُ الله بن جعفر إلى ضِياعهِ ينظر إليها ، فإذا في حائطٍ لنسيب له عبدٌ أسود ، بيده رغيف ، وهو يأكل لقمة ، ويطرح لكَلب لقمة ، فلمَّا

---

(١) صفحات من صبر العلماء صـ ١٨٥ - ١٨٦ .

رأى ذلك استحسنه ، فقال : يا أسود ، لمن أنت ؟ قال : لمصعب بن الزبير . قال : وهذه الضيعة لمن ؟ قال : له . قال : لقد رأيتُ منك عجبًا ، تأكل لقمة وتطرح للكلب لقمة ! قال : إني لأستحيي من عينٍ تنظرُ إليَّ أنْ أُوثر نفسي عليها . قال : فرجع إلى المدينة ، فاشترى الضيعة والعبد ، ثم رجع ، وإذا بالعبد ، فقال : يا أسود ، إني قد اشتريتك من مصعب ، فوثب قائمًا ، وقال : جعلني الله عليك مَيْمونَ الطلعة . قال : وإني اشتريتُ هذه الضَّيْعة . فقال : أكْمَل الله لك خيرها . قال : وإني أُشهدُ أنَّك حُرٌّ لوجه الله . قال : أحسن الله جزاءك . قال : وأُشهد الله أنَّ الضيعة مني هدية لك . قال : جزاك الله بالحسنى . ثم قال العبد : فأُشهد الله وأُشهدكَ أنَّ هذه الضيعة وقفٌ مني على الفقراء . فرجع وهو يقول : العبدُ أكْرَم منَّا[1] .

وفي تاريخ بغداد : روي عن الحسن بن علي أنه كان مَارًّا في بعضِ حِيطان المدينة ، فرأى أَسْودَ بيده رغيف يأكل لقمةً ويُطْعِمُ الكلبَ لقمة ، إلى أنْ شاطره الرَّغيف . فقال له الحسن : ما حملك على أنْ شاطرته ولم تغابنه فيه بشيءٍ ؟ فقال : استَحتْ عيناي من عينيْه أن أغابنه . فقال له : غلامُ من أنت ؟ فقال: غلامُ أبان بن عثمان ، فقال : والحائط ؟ قال : لأبان بن عثمان ، فقال له الحسن : أقسمتُ عليك ، لا برحتَ حتى أَعودَ إليك ، فمرَّ واشترى الغلام والحائط ، وجاء إلى الغلام فقال : يا غلام ، قد اشتريتُك ، قال : فقام قائمًا ، فقال : السَّمعُ والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي ، **قال : وقد اشتريتُ الحائط** ، وأنت حُرٌّ لوجه الله ، والحائط هبةٌ مني إليك . قال : فقال الغلام : يا مولاي ، قد وهبتُ الحائط للذي وهبتني له .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٦٣ - ٣٦٤ ، تاريخ بغداد ٦ / ٣٤ .

الفَقِيه الإمام المُحدِّث دَعْلَج بنُ أحمد بن دعلج :

قال الحاكم : دعلج الفقيه ، شيخ أهل الحديث في عصره ، له صدقاتٌ جارية على أهل الحديث بمكة وببغداد وسجستان . وقال الخطيب : كان دعلج من ذوي اليَسَار ، له وقوفٌ على أهل الحديث .

قال أبو عمر بن حيويه : أَدْخَلَني دعلج إلى داره ، وأراني بِدَرًا من المال معبأة في منزله ، وقال لي : يا أبا عمر ، خُذْ من هذه ما شئت ، فشكرتُ له ، وقلتُ : أنا في كفايةٍ وغنًى عنها ، فلا حاجة لي فيها .

« وَحَدَّثَ أبو بكر محمد بن علي بن عبد الله الحدّاد - وكان من أهل الدِّين والقرآن والصَّلاح - عن شيخ سمّاه ، فذهب عني حفْظ اسمه ، قال : حضرتُ يوم جمعةٍ مسجد الجامع بمدينة المنصور ، فرأيت رجلًا بين يديّ في الصَّفِّ حسن الوقار ، ظاهر الخشوع ، دائم الصلاة ، لم يزل يتنفَّل مُذْ دخل المسجد إلى قرب قيام الصلاة ، ثم جلس ، قال : فعلَتْني هَيْبتُه ، ودخل قلبي محبته ، ثم أقيمت الصلاةُ فلم يُصَلِّ مع الناس الجمعة ، فَكَبُرَ عليَّ ذلك من أمره ، وتعجَّبْتُ من حاله وغاظني فعله ، فلما قُضيت الصلاة تقدمتُ إليه ، وقلت له : أيها الرجل ، ما رأيتُ أعجب من أمرك ! أطلتَ النافلةَ وأحسنتها ، وتركت الفريضة وضَيَّعْتها ؟! فقال : يا هذا ، إنَّ لي عذرًا ، وبي علةٌ منعتني عن الصلاة ، قلت : وما هي ؟ فقال : أنا رجلٌ عليَّ دَيْنٌ اختفَيتُ في منزلي مدةً بسببه ، ثم حضرتُ اليوم الجامع للصلاة ، فقبل أن تقام التفتُّ فرأيتُ صاحبي الذي له الديْن عليَّ ورائي ، فمن خوفِه أحدثتُ في ثيابي ، فهذا خبري ، فأسألك بالله إلَّا سترتَ عليَّ وكتمتَ أمري . قال : فقلت : وَمَن الذي له عليك دَيْن ؟ قال : دعلج بن أحمد ، قال : وكان إلى جانبه صاحبٌ لدعلج قد صلَّى وهو لا يعرفه ، فسمع هذا القول ،

ومضى في الوقت إلى دعلج ، فذكر له القصة ، فقال لهُ دعلج : امض إلى الرجل واحْمله إلى الحمام ، واطرح عليه خُلْعةً من ثيابي ، وأجلسْه في منزلي حتى أنصرف من الجامع ، ففعل الرجل ذلك ، فلما انصرف دعلج إلى منزله أمر بالطعام فأُحضرَ ، فأكل هو والرجل ، ثم أخرج حِسَابَه فنظر فيه ، وإذا له عليه خمسة آلاف درهم ، فقال له : انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أو نَسِيٌّ نقدٍ . فقال الرجل : لا ، فضرب دعلج على حسابه . وكتب تحته علامة الوفاء ، ثم أحضر الميزان ووزن خمسة آلاف درهم وقال : أمَّا الحساب الأول فقد حللناك مما بيننا وبينك فيه ، وأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف الدرهم ، وتجعلنا في حلٍّ من الروعة التي دخلت قلبك برؤيتك إيَّانا في مسجد الجامع .

وأودع أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشميّ عشرة آلاف دينارٍ ليتيم ، فضاقت يده فامتدت إليها ، فأنفقها وحلَّ موعدُ فَكِّ الحجر عن الغلام ، وضاقتْ بالهاشمي الأرضُ بما رَحُبَتْ ، فذهب إلى دعلج وقصَّ عليه القصة ، فأعطاه إياها ، حتى كاد عَقْلُه يطير فرحًا ، وبعد ثلاث سنين أتى بها إلى دعلج شاكرًا فما قبلها ، وقال : يا سبحانَ الله ، والله ما خَرجتْ الدنانيرُ عن يدي فنويت آخذ عِوَضها ، حَلِّ بها الصِّبْيان »[1].

لُؤلُؤ العَادلي ، الحاجب ، من أبطال الإسلام :

خدم مع صلاح الدِّين ، وفي آخر أيامه أقبل على الخير والإنفاق في زمن قَحْطِ مصر ، وكان يتصدق في كل يوم باثني عشر ألف رغيفٍ مع عدة قُدُورٍ من الطَّعام[2].

---

(١) تاريخ بغداد ٨ / ٣٨٩ - ٣٩١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٣٨٤ - ٣٨٥ .

عَبْدُ القَادِر الجِيلانيّ :

قال الإمام الرَّبَّاني عبد القادر الجيلاني : « فَتَّشتُ الأعمال كلَّها ، فما وجدتُ فيها أفضل من إطعام الطعام ، أوَدُّ لو أن الدنيا بيدي فأُطْعِمُهَا الجياعَ ، كَفِّي مثقوبةٌ لا تضبط شيئًا ، لو جاءني ألفُ دينارٍ لم أبيِّتها »(١).

شيخُ الإسلام ابن تَيْمِيَة :

قال الذهبي عن شيخ الإسلام : « هو أحد الأَجْوادِ الأسخياء الَّذين يُضْرَبُ بهم المَثَل »(٢).

وقال الحافظ عمر البزّار في « الأعلام العليَّة في مناقب ابن تيمية » (٦٣ - ٦٧) :

كان رضي الله عنه مجبولًا على الكرم ، وما شدَّ على دينارٍ ولا درهمٍ قطُّ ، بل كان مَهْمَا قدر على شيءٍ من ذلك ، يجود به كله ، وكان لا يردُّ من يسأله شيئًا يقدر عليه من دراهم ولا دنانير ولا ثياب ولا كتب ولا غير ذلك .

بل ربَّما كان يسأله بعضُ الفقراء شيئًا من النفقة ، فإن كان حينئذٍ متعذرًا لا يَدَعهُ يذهب بلا شيءٍ ، بل كان يَعْمَدُ إلى شيءٍ من لباسه فيدفعه إليه . وكان ذلك المشهور عند الناس من حاله .

قال الشيخ عبد الله بن أحمد بن سعيد : كنتُ يومًا جالسًا بحضرة شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه ، فجاءه إنسان فسلَّم عليه ، فرآه الشيخ مُحتاجًا إلى ما يعتَمُّ به ، فنزع الشيخ عمامته ، من غير أن يسأله الرجل ذلك ، فقطعها نصفين ، واعْتَمَّ بنصفها ، ودفع النصف الآخر إلى ذلك

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٤٤٧ .
(٢) العقود الدرية لابن عبد الهادي صـ ٢٣ .

الرجل ، ولم يحتشم للحاضرين عنده .

وكان الشيخُ مَارًّا يومًا في بعض الأزقّة ، فدعا له بعض الفقراء ، وعرف الشيخ حاجتهِ ، ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه ، فنزع ثوبًا على جلده ودفعه إليه ، وقال : بِعْهُ بما تيسَّر وأنفقه ، واعتذر إليْه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة . وكان لا يردُّ أحدًا يسأله شيئًا من كتبه ، بل يأمره أن يأخذَ هو بنفسه ما يشاء منها .

وحكى غيرُ واحدٍ ما اشتهر عنه من كثرة الإيثار ، وتَفَقُّد المحتاجين والغرباء ، ورقيقي الحال من الفقهاء والقُرَّاء ، واجتهاده في مصالحهم وصلاتهم ، ومساعدته لهم ، بل ولكل أحدٍ من العامة والخاصة ممن يُمكنه فعل الخير معه ، وإسداء المعروف إليه بقوله وفعله ، ووجهه وجاهه[١].

عِكْرَمةُ الفَيَّاض الرّبعي ، جَابِرُ عَثَراتِ الكِرَام :

كان في أيَّام سليمان بن عبد الملك رجلٌ يقال له : خزيمة بن بشر ، من بني أسد بالرقَّة ، وكان له مروءةٌ ونعمة حسنة ، وفضلٌ وبرٌّ بالإخوان ، فلم يزل على تلك الحال حتى احتاج إلى إخوانه الذين كان يتفضَّل عليهم ، فواسَوْه حينًا ثم مَلُّوه ، فلما لاح تغيُّرهم أتى امرأته - وكانت ابنة عمه - فقال لها : يا ابنة عمي ، قد رأيتُ من إخواني تغيُّرًا ، وقد عزمتُ على لزوم بيتي إلى أن يأتيني الموت ، ثم إنه أغلق بابه ، وأقام يتقوَّتُ بما عنده حتى نفد ، وبقي حائرًا في حاله ، وكان عكرمة الفياض الربعي واليًا على الجزيرة ، فبينما هو في مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد ، إذ جرى ذِكْرُ خزيمة بن بشر في مجلسه ، فقال عكرمة : ما حاله ؟ فقالوا : صار من سوءِ الحال إلى

---

(١) الأعلام العليّة في مناقب ابن تيمية ، للبزار صـ ٥٠ .

أمرٍ لا يُوصف ، فأغلق بابه ولزم بيته . فقال الفيّاض : فما وَجَدَ خزيمةُ بن بشر مواسيًا ولا مكافِئًا ؟! قالوا : لا . فأمسك ، ثم لمَّا كان الليل عمد إلى أربعةِ آلافِ دينارٍ ، فجعلها في كيس واحد ، ثم أمر بإسراجِ دابَّته ، وخرج سرًّا من أهله ، فَرَكِبَ ومعه غلامٌ من غلمانه يحمل المال ، ثم سار حتى وقف بباب خزيمة ، ثم أخذ الكيس من الغلام ، ثم أبعده عنه ، وتقدَّم فدفعه بنفسه ، فخرج إليه خزيمة ، فناوله الكيس وقال : أَصْلِحْ بهذا شأنك . فتناوله ، فرآه ثقيلًا ، فوضعه ، ثم أمسك بلجام الدابة ، وقال له : منْ أنت جُعلتُ فداك ؟ فقال : يا هذا ، ما جئتك في هذه السَّاعة وأنا أريد أن تعرفني . قال خزيمة : فما أقبله أوْ تُعرِّفني من أنت . قال : أنا جابر عثرات الكرام . قال : زدني . قال : لا مزيد . ثم مضى ، ودخل خزيمة بالكيس إلى امرأته فقال لها : أبشري ، فقد أتى الله بالفرج والخير ، ولو كان هذا فلوسًا فهو كثير ، قومي فأسرجي . قالت : لا سبيل إلى السِّراج ، فبات يلمسها فيجد خشونة الدنانير ولا يصدّق ، فرجع عكرمة إلى منزله فوجد امرأته قد افتقدته وسألت عنه ، فأُخبرت بركوبه منفردًا ، فارتابت فشقّت جيبها ولطمت خدَّها ، فلما رآها على تلك الحال قال لها : ما دَهَاكِ ؟ قالت : يا ابن عمي ، غدرتَ . قال : وما ذاك ؟ قالت : أميرُ الجزيرة يخرج بعد هدوءٍ من الليل منفردًا عن غلمانه ، في سرٍّ من أهله إلَّا إلى زوجةٍ أو سُرِّيّة ؟ قال : لقد علم اللهُ ما خرجت إلى واحدة منهما . قالت : فخبِّرني فيمَ خرجت ؟ قال : يا هذه ، لم أخرج في هذا الوقت ، وأنا أريد أن يعلم بي أحدٌ . قالت : لابدّ أن تخبرني بالقصة . قال : فاكْتُميهِ إذًا . قالت : أفعل . فأخبرها بالقصة على وجهها ، وما كان من قوله له وردّه عليه ، ثم قال لها : أتحبين أن أحلف لك ؟ قالت : لا ، فإن قلبي قد سَكَنَ إلى ما ذكرت . فلما أصبح خزيمة صالحَ الغُرَمَاء ، وأصلح حاله ، ثم تجهَّز

يريد سليمان بن عبد الملك بفلسْطِين ، فلما وقف ببابه دخل الحاجب فأخبره بمكانه - وكان مَشْهورَ المروءة ، وكان سليمان به عارفًا - فأذن له ، فلما دخل عليه وسلّم بالخلافة . قال : يا خزيمة ، ما أبطأكَ عنَّا ؟ قال : سوءُ الحال . قال : فما منعك من النَّهْضة إلينا ؟ قال : ضعفي . قال : فبمَ نهضتَ ؟ قال : لم أعلم بعد هدوءٍ من الليل إلا ورجل طرق بابي ، فكان منه كَيْتَ وكَيْتَ ، وأخبره بقصَّته من أولها إلى آخرها ، فقال له : هل تعرفه ؟ قال : ما عرفتُه يا أميرَ المؤمنين ، وذلك أنه كان متنكرًا ، وما سمعتُ منه إلا : « جابر عثرات الكرام » . فتلَهّفَ سليمانُ على معرفته وقال : لو عرفناه لأعنَّاه على مروءته ، ثم قال : عليَّ بقناةٍ . فعقد لخزيمة الولاية على الجزيرةِ التي على عَمَلْ عِكرمة الفيَّاض ، فخرج خزيمة طالبًا الجزيرة ، فلما وصل إليها خرج عكرمةُ وأهل بلده للقائه ، فسلّم عليه ، ثم سارَا جميعًا إلى أنْ دخلَا جميعًا ، فنزل خزيمةُ دارَ الإمارة ، وأمر أن يُؤخذ عكرمة بكفيلٍ وأن يُحاسب ، فحوسب فوُجد عليه فضولٌ كثيرة ، فطالبه بأدائها ، قال : ما لي إلى شيءٍ منها سبيل . قال : لابدَّ منها . قال : ما هي عندي ، فاصنع ما أنت صانع . فأمر به إلى الحَبْس ، ثم بعث إليه يطالبه ، فأرسل إليه : لستُ ممن يصون ماله بعرضه ، فاصْنعْ ما شئت . فأمر به فكُبِّل بالحديد ، وضُيِّق عليه ، وأقام كذلك شهرًا أو أكثر ، فأضناه ذلك وأضرَّ به ، وبلغ ابنةَ عمه ضُرُّه ، فجزعتْ واغتمتْ لذلك ، ثم دعت مولاةً لها ذات عقل . فقالت : امضِ السَّاعة إلى باب هذا الأمير خزيمة ابن بشر ، فإذا دخلتِ عليه فسليه أن يُخْلِيَك ، فإذا فعل فقولي له : ما كان هذا جزاءُ « جابر عثرات الكرام » منك أن كافأتَه بالحَبْس والضيق والحديد ، ففعلتْ ذلك ، فلما سمع خزيمة قولها قال : وَاسَوْءَتَاهُ ، وإنَّه لهو ؟ قالت : نعم . فأمر من وقته بدابته فأُسرجتْ ، وبعث إلى وجوه أهل

البلد فجمعهم ، وأتى بهم إلى الحبس ففُتح ، ودخل خزيمة ومن معه ، فلقي عكرمةَ في قاعة الحبس متغيّرًا ، قد أضناه الضرّ ، فلما نظر إليه عكرمةُ وإلى الناس أحْشَمَه ذلك ، فنكَّسَ رأسه إليه وقال : ما أعقبَ هذا منك ؟ قال : كريمُ فعالك وسوءُ مكافأتي . قال : يغفرُ الله لنا ولك ، ثم أمر بالحـدّاد ففكَّ القيد عنه ، وأمر خزيمة أن يوضع في رجله نفْسه ، فقال عكرمة : تريد ماذا ؟ قال : أريد أن ينالني من الضرّ مثل ما نالك ! فقال : أُقسم عليك بالله ألا تفعل . فخرجَا جميعًا إلى أن وصلَا إلى دار خزيمة ، فودَّعه عكرمة وأراد الانصراف ، فقال له : ما أنت ببارحٍ ، قال : فماذا تريد ؟ قال : أُغيِّرُ من حالك ما رَثَّ ، وحيائي من ابنة عمك أشدُّ من حيائي منك ، ثم أمر بالحمَّام فأُخْلي ، فدخلَا جميعًا ، ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه ، ثم خرجَا ، فخلع عليه وجمَّله ، وحمل إليه مالًا كثيرًا ، ثم سار معه إلى داره ، واستأذن في الاعتذار من ابنة عمه فأذن له ، فاعتذر إليها وتذمَّمَ من ذلك ، ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه إلى أمير المؤمنين سليمان ابن عبد الملك ، وهو يومئذ مقيمٌ بالرملة ، فأنعم له بذلك ، فسارَا جميعًا حتى قدمَا على سليمان بن عبد الملك ، فدخل الحاجبُ فأعلمه بقدومِ خزيمة بن بشر ، فَرَاعَه ذلك ، وقال : والي الجزيرة يَقْدم بغير أمْرِنَا ، ما هذا إلَّا لحادثٍ عظيم ، فلما دخل عليه قال له قبل أن يُسَلم : ما وراءك يا خزيمة ؟ قال : خير يا أمير المؤمنين . قال : فما الذي أقدمك ؟ قال : ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أسرَّك ، لِمَا رأيتُ من تلهفك عليه وتشوُّقك إلى رؤيته . قال : ومن هو ؟ قال : عكرمة الفيّاض ، فأذن له بالدخول ، فدخل وسلَّم عليه بالخلافة ، فرحَّب به وأدناه من مجلسه . فقال له : يا عكرمة ، ما كان خَيْرُكَ لخزيمة إلَّا وَبَالًا عليك ، ثم قال له : اكتب حوائجك كلَّها وما تختاره في رقعة . قال : أَوَ تعفِيني يا أمير المؤمنين ؟

قال : لابدَّ من ذلك . ثم دعا بدواة وقرطاس وقال : اعتزل واكتب جميع حوائجك ، ففعل ذلك ، فأمر بقضائها جميعًا من ساعته ، وأمر له بعشرة آلاف دينارٍ ، وبِسفْطَيْن ثيابًا، ثم دعا بقناةٍ وعَقَد له على الجزيرة وأرْمينيًّا وأذربيجان ، وقال له : أَمْرُ خزيمة إليك ، إن شئتَ أبقيته ، وإن شئت عزلته . قال : بل أردُّه إلى عمله ، ثم انصرفا جميعًا ، ولم يزالا عاملَيْن لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته[١] .

كَرَمُ رجلٍ مع قاتلِ أبيه :

عن الحسن بن خضر قال : لما أفضتِ الخلافةُ إلى بني العباس اختفتْ رجالٌ من بني أُميَّة ، وكان فيمن اختفى إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك ، حتى أَخَذ له داود بن العباس أمانًا ، وكان إبراهيم رجلًا حَدُثًا[٢] ، فَخُصَّ بأبي العباس ، فقال له يومًا : حدّثني عن ما مرَّ بك في اختفائك ؟ قال : كنتُ - يا أميرَ المؤمنين - مختفيًا بالحِيرَةِ ، في منزلٍ شارع إلى الصحراء ، فبينا أنا على ظهر بيتٍ إذْ نظرتُ إلى أعلامٍ سود قد خرجتْ من الكوفة تريد الحيرة ، فوقع في رُوعي أنها تريدني ، فخرجتُ من الدار متنكِّرًا ، حتى أتيتُ الكوفة ، ولا أعرف بها أحدًا أختفي عنده ، فبقيتُ مُتلدِّدًا[٣] ، فإذا بباب كبير ، ورحبة واسعة ، فدخلت فيها ، فإذا رجل وسيم الهيئة على فرسٍ قد دخل الرحبة ، ومعه جماعةٌ من غلمانه وأتباعه ، فقال : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ فقلت : رجل مختفٍ يخاف على دمهِ ، استجار بمنزلك . فَأَدْخَلني

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد صـ ١٨ - ٢٢ ، لأبي القاسم التنوخي ، ط . دار العرب .

(٢) أي كثير الحديث ، حسن السياقة له .

(٣) التلدد : أنْ يحتارَ فيلتفتُ يمينًا وشمالًا .

منزله ، ثم صَيَّرني في حجرة تلي حُرمه ، وكنت عنده فيما أُحبُّ من مطعمٍ ومشرب وملبس ، ولا يسألني عن شيءٍ من حالي ، إلَّا أنه يركب في كل يوم رَكْبة ، فقلتُ له يومًا : أراك تُدْمن الركوب ، ففيم ذلك ؟ فقال : إن إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبرًا ، وقد بلغني أنه مُخْتفٍ ، وأنا أطلبه لأدرك منه ثأري . فكثر والله تعجُّبي ؛ إذْ ساقني القدرُ إلى حتفي في منزل من يطلب دمي ! وكرهتُ الحياة ، فسألتُ الرجل عن اسمه واسم أبيه فخبّرني ، فعرفت أن الخبر صحيح ، وأنا قتلتُ أباه صبرًا ، فقلتُ : يا هذا ، قد وَجَبَ عليّ حَقُّك ، ومن حقك عليَّ أن أدلك على خصمك ، وأُقرِّب عليَّ الخطوة . قال : وما ذاك ؟ قلت : أنا إبراهيم بن سليمان قاتلِ أبيك ، فخذ بثأرك . فقال : إني أحسبك رجلًا قد مَضَّه[1] الاختفاء فأحبَّ الموت . فقلت : بل الحق ما قلت لك ، أنا قتلته يوم كذا وكذا ، بسبب كذا وكذا ، فلما عرف صدقي ارْبَدّ وجهه واحمرت عيناه ، وأطرق مَليًّا ، ثم قال : أمّا أنت فستلقى أبي فيأخذ بثأره منك ، وأمّا أنا فغير مُخْفِرٍ ذمَّتي ، فاخرج عني ، فلستُ آمن نفسي عليك . وأعطاني ألفَ دينار . فأخذتها وخرجت من عنده . فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين[2] .

عبد الحمِيد بن سَعْد ، أمير مِصْر :

أجدب الناسُ بمصرَ وعبد الحمِيد بن سعد أميرهم ، فقال : والله لأعلمنَّ الشيطان أني عدوه ؛ فَقَالَ[3] مَحَاوِيجَهُم إلى أن رَخُصَت الأسعار ، ثم عُزل عنهم ، فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم ، فرهنهم بها حليَّ نسائه

---

(١) مضه وأمَضَّه ؛ أي شقَّ عليه .

(٢) لباب الآداب ١٢٨ - ١٢٩ .

(٣) يعني أقال .

وقيمتها خمسمائة ألف ألف ، فلما تعذَّر عليه ارتجاعُهَا كَتَبَ إليهم بيعها ، وَدَفَعَ الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تنله صِلاته[1] .

أبـو مَـرْثَـد :

وكان أبو مرثد أحد الكرماء ، فمدحه بعض الشعراء ، فقال للشاعر : والله ما عندي ما أعطيك ، ولكن قدِّمْني إلى القاضي ، وادّع عليَّ بعشرة آلاف درهم حتى أقرَّ لك بها ، ثم احبسني ، فإن أهلي لا يتركوني محبوسًا . ففعل ذلك ، فلم يُمْسِ حتى دُفع إليه عشرة آلاف درهم . وأُخرج أبو مرثد من السجن[2] .

سَعـيد بن خـالد :

دخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك ، وكان سعيد رجلًا جـوادًا ، فإذا لم يجـد شيئًا كتب لمن سأله صَكًّا على نفسه حتى يَخْرج عطاؤه ، فلمّا نظر إليه تمثَّل بهذا البيت فقال :

إني سمعتُ مع الصَّباحِ مُناديًا ... يَا مَنْ يُعينُ على الفَتى المِعْوانِ

ثم قال : ما حاجتك ؟ قال : دَيْنٌ عليَّ ، قال : وكم هو ؟ قال : ثلاثون ألف دينار . قال : لك دَيْنك ومثله .

الأَشْعَـث بن قَيْـس :

عن الأغرِّ : كان الأشعث بن قيس لا يَقْدم من سفرٍ فيصلي الفجر إلَّا كَسَا أهل المسجد وَوَصَلَهم ، قال : وكانت لي على رجلٍ من كِنْدة ألف وخمسمائة درهم ، فأتيته أتقاضاه ، فقال : ما عندي شيءٌ ، ولكن الأشعث

---

(١) إحياء علوم الدين ٣ / ٢٦٣ .

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ٣ / ٢٦٣ .

قد قدم اليوم ، وما قدم من سفرٍ قَطُّ فصلَّى الفجر في المسجد إلا كَسَا ووصل ، فاحْضَرْنا بالغداة فصَلِّ معنا ، فإني لأرجو أنْ تأخذ مَالَكَ . قال : فصليتُ معهم الفجر ، فلما سلَّم الإمامُ قام رجل فقال : أيُّهَا القوم ، أقيموا في صفوفكم ، ثم أعطى كلَّ رجلٍ حلةً وخمسمائة درهم ، فقال : فجاءني الرجل فأعطاني الخمسمائة درهم التي دُفعتْ إليه ، وأُعطيت أنا خمسمائة أخرى لنفسي ، فانصرفتُ بألف درهم[١].

حَمَّاد بن أبي سُلَيْمان :

قال الشافعي : لا أزال أحب حمّاد بن أبي سليمان لشيءٍ بلغني عنه ؛ أنه كان ذات يوم راكبًا حماره فحرَّكه فانقطع زرُّه ، فمرَّ على خيَّاطٍ ، فأراد أن ينزل إليه ليُسوي زرَّه ، فقال الخيّاط : والله لا نزلتَ . فقام الخيّاط إليه فسوّى زرَّه ، فأخرج إليه صرَّة فيها عشرة دنانير ، فسلَّمها إلى الخيّاط واعتذر من قلَّتها . وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه :

يَا لَهْفَ قلبي على مالٍ أجُودُ به ... على المُقِلِّينَ مـن أهل المروءاتِ
إنَّ اعتذاري إلى مَنْ جاء يسألني ... ما ليس عندي من إحدى المصيباتِ

شعبة بن الحجاج :

جاء سائلٌ إلى شعبة وليس عنده شيء ؛ فنزع خَشَبَةً من سقف بيته ثم اعتذر إليه[٢].

قال عبد الملك بن مَرْوان لأسماء بن خارجة : بلغني عنك خصالٌ ، فحدِّثْني بها . فقال : هي من غيري أحْسَن منها مني ، فقال : عزمتُ عليك

(١) لباب الآداب صـ ١٠٤ .
(٢) إحياء علوم الدين ٣ / ٢٧٣ .

إلَّا حدّثتني بها . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما مددتُ رِجلي بين يدي جليسٍ لي قطُّ ، ولا صنعتُ طعامًا قطّ فدعوتُ عليه قومًا ، إلَّا كانوا أمَنّ عليَّ مني عليهم ، ولا نَصَبَ لي رجلٌ وجهَهُ قطُّ يسألني شيئًا فاستكثرتُ شيئًا أعطَيتُه إيَّاهُ[1].

كَهْمَس العابد :

عن إسحاق بن إبراهيم قال : دخلنا على كهمس العابد رحمه الله ، فقدَّم إلينا إحدى عشرة تمرة حمراء ، وقال : هذا الجهد من أخيكم ، والله المستعان[2].

عن بكر بن عبد الله المُزَني رحمه الله ، قال : إذا أتاك الضَّيفُ فلا تنتظر به ما ليس عندك ، وتمنعه ما عندك ، قدِّمْ له ما حَضَر ، وانتظر بعد ذلك ما تريد من إكرامه .

الشيخ عبد العزيز بن باز :

وما ظنُّك بكرم إمامٍ ما أكل طعامًا إلَّا بحضرة الضيف أو العلماء أو طلبةِ العلم طيلة ثلاثين عامًا ، وَتُمَدُّ الموائد دائمًا ببيته ، فيتناول الناسُ من طعامه ، وينهلون من علمه ، ويتعلّمون من أدبه وخلقه . وما ادَّخر شيئًا من مالٍ ، إنما يُنفقه على طلبة العلم . لله دَرُّه .

* * *

---

(١) إحياء علوم الدين ٣ / ٢٦٥ .

(٢) لباب الآداب صـ ٨٠ .

☐ صُورٌ من الإنفاق في سبيل الله ☐

أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه :

قال أنس : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالًا من نخلٍ ، وكان أَحَبّ أمواله إليه بَيْرَحَاء ، وكانت مُسْتقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طَيِّب . قال أنس : فلمَّا أُنزلت هذه الآية : ﴿ **لن تنالوا البِرَّ حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ **وإن أَحَبَّ أموالي إليَّ بيرحاء ، وإنها** صدقة لله أرجو بِرَّها وَذُخْرها عند الله ، فَضَعْها يا رسول الله حيث أراك الله ، قال : **فقال رسول الله ﷺ : « بَخٍ ، ذلك مالٌ رابحٌ ، ذلك مال رابح ،** وقد سمعتُ ما قلتَ ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين » . فقال أبو طلحة : أفْعَلُ يا رسول الله . فقسَّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمِّه[(١)].

الرَّبيع بن خُثَيم :

عن منذر أن الرَّبيع كان إذا أخذ عطاءه فرَّقه ، وتَرَكَ قَدْرَ ما يكفيه[(٢)].

وروى بشير بن دعلوف عن الربيع بن خثيم أنه وقف سائلٌ على بابه فقال : أطعموه سُكَّرًا ؛ فإن الربيع يحب السُّكَّر[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب « الزكاة » ، باب « الزكاة على الأقارب » ، ومسلم ومالك والترمذي والنسائي .

(٢) السير ٤ / ٢٥٨ - ٢٦٢ .

(٣) « التبصرة » لابن الجوزي ٢ / ٢٥٥ .

« وكان الربيع - رحمه الله تعالى - لا يُعطي السائل كِسرةً ولا شيئًا مكسورًا ولا ثوبًا خَلِقًا ، ويقول : أستحيي أن تُقرأ صحيفتي على الله تعالى وفيها الأشياء التافهة التي أعطيتها لأجله »[١].

وعن منذر الثوري ، عن ربيع بن خُثيم أنه قال لأهله : اصنعوا لنا خَبيصًا . فصُنِع ، فدعا رجلًا كان به خَبَل ، فجعل يُلقمه ولُعابُه يسيل ، فلمّا أكل وخرج ، قال له أهله : تكلّفنا وصنعْنا ثم أطعمتَهُ ، ما يدري هذا ما أكَل ! قال الربيع : لكنّ الله يدري[٢].

إبراهيم التّيْمي :

كان رحمه الله يجمع كلَّ قليل جماعةً من الفقراء ، ويُجلسهم في المسجد ، ويقول لهم : تعبَّدُوا وأنا أقوم بخدمتكم ومُؤْنَتِكم[٣].

أبو حفص النَّيْسابُوري :

الإمام القُدوة الرَّبَّانيّ شيخ خُراسان .

قال عنه الذهبي في ترجمته في السير (١٢ / ٥١٠ - ٥١٣) : « أنفذ في يومٍ واحد بضعة عشر ألف دينار يفتكُّ به أَسْرى ، فلمَّا أمسى لم يكن له عشاء » .

الحافظ عبد الغنيِّ المَقْدِسِيّ :

قال الضِّياء المقدسي : رأيت يومًا قد أُهدي إلى بيت الحافظ مشمش ، فكانوا يفرِّقون ، فقال من حينه : فرِّقوا **﴿ لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما**

---

(١) تنبيه المغترين للشعراني صـ ٩٣ .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ٧ / ١٠٠ .

(٣) تنبيه المغترين صـ ٩١ .

تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] . وقد فُتح له بكثيرٍ من الذهب وغيره ، فما يترك شيئًا ، حتى قال لي ابنُه أبو الفتح : والدي يعطي الناس الكثير ، ونحن لا يبعث إلينا شيئًا[١] .

حَمَّاد بن أبي سليمان :

كان رحمه الله ذا دنيا متَّسِعة ، وكان يفطِّر في رمضان خمسمائة إنسان ، وكان يُعطِيهم بعد العيد لكلِّ واحدٍ مائة درهم[٢] .

أبو جَعْفر القارئ :

قال الذهبي في السير (٥ / ٢٨٧ ، ٢٨٨) : كان أبو جعفر يتصدّق حتى بإزاره .

جعفر الصادق بن محمد بن علي :

قال الذهبي في ترجمة جعفر في السير (٦ / ٢٥٥ - ٢٧٠) : « عن هيّاج بن بِسْطام قال : كان جعفر بن محمد يُطعم حتى لا يبقى لعياله شيء » .

قال تعالى : ﴿ **مَنْ ذَا الذي يُقرض الله قَرضًا حسنًا فيُضاعفه له أضعافًا كثيرة والله يقبض ويبسُط وإليه تُرْجَعُون** ﴾ [البقرة : ٢٤٥].

وقال تعالى : ﴿ **الذين يُنفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانيةً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ . [البقرة : ٢٧٤].

* * *

(١) انظر ترجمة الحافظ عبد الغني في « السير » ٢١ / ٤٤٣ - ٤٧١ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٣١ - ٢٣٩ .

أبو الدَّحْدَاح رضي الله عنه :

عن أنس بن مالك أن رجلًا قال : يا رسول الله ، إن لفلان نَخْلَة ، وأنا أُقيم حائطي بها ، فمُره أن يُعطيني حتى أُقيم حائطي بها . فقال له النبي ﷺ : « أعطها إياه بنخلةٍ في الجنة » . فأبى . وأتاه أبو الدحداح فقال : بعني نخلتك بحائطي . قال : ففعل . قال : فأتى النبيَّ ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني قد ابتعتُ النخلة بحائطي ، فجَعَلَهَا له ، فقال رسول الله ﷺ : « كم مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ لأبي الدّحْداح في الجنة » . مرارًا ، فأتى امرأته فقال : يا أمَّ الدَّحداح ، اخرجي من الحائط ، فإني بعتُه بنخلةٍ في الجنة . فقالت : قد ربحتَ البيع . أو كلمة نحوها[١].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رُبَّ عذقٍ مُذَلَّلٍ لابن الدَّحداحة في الجنة »[٢].

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كم من مُعلَّقٍ لأبي الدّحداح في الجنة »[٣].

زيد بن عَمْرو بن نُفَيل رضي الله عنه :

وكان من الأحناف ، مات وهو في طريقه إلى مكّة .

قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها : لقد رأيت زيد بن عمرو

---

(١) إسناده رجاله ثقات . والحديث أخرجه الحاكم في « المستدرك » عن أبي النضر ، وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » ٩ / ١٤٤ رقم (٧١١٥) .

(٢) صحيح . رواه ابن سعد عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٤٨٣) .

(٣) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي .

ابن نفيل قائمًا مُسنِدًا ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ، والله ما فيكم أحد على دين إبراهيم غيري . وكان يُحيي المَوْءودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : مَهْ ، لا تَقْتُلْهَا ، أنا أكفيك مُؤْنَتَهَا . فيأخُذُها فإذا ترعرعتْ قال لأبيها : إن شئتَ دفعتها إليك ، وإن شئتَ كفيتُك مؤنتها[1] .

كم بَيْنَكَ وَبَيْنَ المَوْصوفين ؟! كم بين المجهولين والمعروفين ؟! آثرتَ الدنيا وآثروا الدِّين ، فتَلَمَّحْ تفاوُتَ الأَمْر يا مِسْكِين .

❊ ❊ ❊

(١) رواه الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ١٣٩/٨ . وهذا حديث صحيح .

□ سَجْعٌ على قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ □

حَرِّكُوا هِمَمَكم إلى الخير وأزْعِجُوا ، وحثُّوا عزائمكم على الجِدِّ وأدْلِجُوا ، والتفتوا عن الحِرْص على المال وَعَرِّجُوا ، وآثِروا الفقير بما تُؤْثِرون ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ .

وَيْحَكُم ، السَّيْر حَثِيث ، ولا مُنجد لكم ولا مُغِيث ، فبادِرُوا بالصَّدقة المواريث ﴿ **ولا تيمَّمُوا الخبيث منه تُنفقون** ﴾ .

كَم قطعت الآمال بتًّا ، كَم مُصَيِّفٍ ما أرْبَعَ ولا شتَّى ، كَم عازمٍ على إخراج المال ما تَأَتَّى ، سبقته المَنُون ﴿ **لَنْ تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ .

يا حريصًا ما يستقِرّ ، يا طَالِبًا للدنيا ما يقِرّ ، إن كنتَ تُصَدِّق بالثواب فتصدَّق في السِّرِّ بالمحبوب المَصُون ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ .

يا بخيلًا بالفتيل ، وشحيحًا بالنَّقِير ، يا صريعًا بالهوىٰ إلى متى عَقِير ، تختار لنفسك الأجود ولرَبِّك الحقير ، وما لا يصلُح لك من الشيء تُعطيه الفقير ، فما تختار لنا كذا يكون ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ .

اكْتِسابُكَ على أغراضك أنْفَقْتَ ، أمْرَجْتَ نَفْسَكَ في الشهوات وأطْلَقْتَ ، ونسيتَ الحساب غدًا وما أشْفَقْتَ ، فإذا رحمتَ الفقير وتصدَّقت ، أعطيتَ الرَّدِيَّ الدُّون ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ .

أمَّا المسكين أخوك من الوالِدَيْن ، فكيف كَفَفْتَ عن إعطائه اليَدَيْن ، كيف تحثُّ على النَّفْلِ والزَّكاةُ عليك دَيْن ، وأنتم فيها تتأوَّلُون ﴿ **لن تنالوا**

البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ .

يا وحيدًا عن قليل في رَمْسِه ، يا مُسْتَوْحِشًا في قبره بعد طُول أُنسه ، لو قدّم خيرًا نَفَعه في حَبْسه ﴿ **ومن يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ فأولئك هم المفلحون** ﴾ .

تجمعُ الدينار على الدينار لغيرك ، وينساك مَنْ أخذ كلَّ خَيْرِكَ ، ولا تزوّدْتَ منه شيئًا لسَيْرِكَ ، هذا هو الجنون ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾[1].

* * *

(١) التبصرة ٢ / ٢٦٠ .

□ كلماتٌ عَطِرة في الجُودِ والكَرَم □

قال أكْثَم بن صَيْفِي حكيمُ العرب : ذَلِّلُوا أخلاقكم للمطالب ، وقُودوها إلى المحامد ، وعَلِّموها المكارم ، ولا تُقيموا على خُلُقٍ تَذُمُّونه من غيركم ، وصِلوا من رَغِبَ إليكم ، وتَحلُّوا بالجُود يُكسبكم المحبة ، ولا تعتقدوا البخل فتتعجّلوا الفقر .

وقال محمود الورَّاق :

مَنْ ظَنَّ باللهِ خيرًا جَادَ مُبتدِئًا وَالبُخْلُ مِنْ سُوءِ ظَنِّ المَرْءِ باللهِ

وقال عبد الله بن عباس : سادات الناس في الدنيا الأسخياء ، وفي الآخرة الأتقياء .

وقال أبو مسلم الخولاني : ما شيءٌ أحسن من المعروف إلَّا ثوابه ، وما كُلّ من قَدَر على المعروف كانت له نِيَّة ، فإذا اجتمعت القُدرة والنِّيَّة تمَّت السَّعادة . وأنشد :

إن المكارمَ كُلَّها حَسَنٌ والبذلُ أحْسَنُ ذلك الحسنِ
كم عارفٍ بيَ لستُ أعرفُهُ ومُخَبِّرٌ عنّي وَلَمْ يَرَني
يأتيهمُ خبري وإن بَعُدتْ داري وبُوعِدَ عنهمُ وطني
إنّي لحُرِّ المال مُمْتَهِنٌ ولحُرِّ عِرْضِيَ غيرُ مُمْتَهِنِ

وقال خالد بن عبد الله القَسْرِيّ : من أصابه غُبار مركبي ، فقد وَجب عليَّ شكرُه .

تَمثّل متمثل عند عبد الله بن جعفر فقال :

إن الصَّنِيعَةَ لا تكون صنيعةً حتى يُصابَ بها طريقُ المصنعِ

فإذا اصطنعتَ صنيعةً فاعْمِدْ بها ... للهِ أو لـذوي القـرابة أو دَعِ

فقال عبد الله بن جعفر : إن هذين البيتين ليُبَخِّلان الناس ، ولكن أمطر المعروف مطرًا ، فإن أصاب الكرامَ كانوا له أهْلًا ، وإن أصاب اللِّئام كنتَ له أهلًا .

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه : والله لَرَجُلٌ ذَكَرني ، ينام على شِقّةٍ مرة وعلى شقةٍ أُخرى ، يراني موضعًا لحاجته ، لَأَوْجَبَ عليَّ حقًّا إذا سألنيها مني ، إذن قضيتُها له .

وقال عبد العزيز بن مَرْوان : إذا أمكنني الرجل من نفسه حتى أضع معروفي عنده ، فيَدُه عندي أعظم من يدي عنده . وأنشد لابن عباس رضي الله تعالى عنهما :

إذا طارِقَاتُ الهَمِّ ضاجعتِ الفَتَى ... وأعمل فِكْرَ اللَّيْلِ والليلُ عاكِرُ
وَبَاكَرَني في حاجةٍ لم يَكُنْ لها ... سِوَايَ ولا مِنْ نَكْبَةِ الدَّهْرِ ناصِرُ
فَرَجْتُ بمالي همَّهُ عن خِناقِهِ ... وزايَلَهُ الهَمُّ الطَّرُوقُ المُسَاوِرُ
وكانَ له فَضْلٌ عليَّ بِظَنِّهِ ... بِيَ الخَيْرَ إنّي لِلَّذي ظَنَّ شاكِرُ

وقيل لأبي عُقيل البليغ العراقي : كيف رأيتَ مَرْوان بن الحكم عند طَلَب الحاجة إليه ؟ قال : رأيت رغبتَهُ في الإنعام فوق رغبته في الشُّكْر ، وحاجتَهُ إلى قضاء الحاجة أشَدَّ من حاجة صاحِب الحاجة .

وقال الشاعر :

ليس يُعطيك للرَّجاءِ ولا الخو ... فِ ولكنْ يَلَذُّ طَعْمَ العطاءِ

وقال الشَّاعر في علوِّ همَّةِ رجلٍ في الجُود :

لَزِمْتَ نَعَمْ حتَّى كأنَّك لم تَكُنْ ... سمعتَ من الأشْياءِ شيئًا سِوى نَعَمْ

وأنكرت لا حتى كأنَّك لم تكنْ   سمِعتَ بها في سالِفِ الدَّهر والأُمَمْ[١]

وقالوا : الأيامُ مَزارِع ، فما زرعتَ فيها حصدتهُ .

إن الحـــياة مـــزارِعٌ   فازرَعْ بها ما شئتَ تحصُدْ

وقال الأحنف بن قيس : ما ادَّخرتِ الآباءُ للأبناء ، ولا أبْقَتِ الموتى للأحياء شيئًا أفْضَلَ من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب والآداب .

وقالوا : أَحْيِ معروفَك بإماتةِ ذِكْره ، وعظِّمْهُ بالتَّصغير لهُ .

وقالت الحكماء : مِن تمام كَرَم المُنعم التَّغافُل عن حجَّته ، والإقرار بالفضيلة لشاكِرِ نعمته .

وقالوا : للمعروف خِصال ثلاث : تعجيله وسَتْره وتيسِيره ، فمن أخلَّ بواحدةٍ منها ، فقد بَخَس المعروف حقَّه ، وسقط عنه الشُّكْر .

وفي منثور الحِكَم : الجُود خيرُ موجود .

وقال عابد : من وُصِف ببذل ماله لطُلّابه فليس سخِيًّا ، إنما السّخيّ من يبدأ بحقوق الله في أهل طاعته ، ولا تُنازعه نَفْسُه إلى حُبِّ الشُّكْر له إذا كان يَقينُه بثواب الله تامًّا .

وقال ابن السَّمّاك : عجبتُ لمن يشتري المماليك بماله ، ولا يشتري الأحرار بمعروفه .

وقيل لابن عُيَيْنَة : ما السَّخَاء ؟ قال : بِرُّ الإخوان ، والجُود بالمال .

وَوَرِثَ عبد الرحمـٰن بن الحارث خمسين ألفًا ، فبعث بها سرًّا إلى

---

(١) وفيات الأعيان ٢ / ٢٢٧ .

إخوانه وقال : قد كنتُ أسأل لهم الجنة في صَلاتي ، فأبخل عليهم بالدنيا !!

لله ما أحلى هذه الكلمة وأعمقها !

وأحلى منها ما قاله الإمام الرَّبّاني شيخ خراسان أبو حفص النيسابوري : « ما استحق اسم السَّخاء مَنْ ذَكَرَ العطاء ولا لَمَحَهُ بِقَلْبِهِ » .

ولله دَرُّ القائل : « الكرم طَرْحُ الدنيا لمن يحتاج إليها ، والإقبال على الله بحاجتك إليه » .

وقيل لمعاوية : مَنْ أحبُّ الناس إليك ؟ قال : من كَثُرَتْ أياديه عندي . قيل : فإن لم يَكُنْ ؟ قال : مَنْ كثرتْ أياديَّ عنده .

وقال الحكماء : جُود الرجل يُحبِّبه إلى أضداده ، وبُخْلُه يُبغِّضه إلى أولاده .

وخير الأمور ما استرقَّ حُرًّا ، وخير الأعمال ما استحقَّ شُكرًا .

وقالوا : الإحسان رِقٌّ والمكافآت عِتْق .

وقالوا : مَنْ بذلَ مالَه أدرك آمالَه .

وقيل لحكيم : أيّ فِعْل البشر أشْبَهُ بفعل الباري ؟ قال : الجُود .

وإذَا الكريمُ مَضَى وولَّى عمْرُهُ   كَفَلَ الثَّنَاءُ له بِعُمرٍ ثانِ

قال الحافظ : ليس شيء ألذّ ولا أسَرّ ، ولا أنْعَم من عزِّ الأمر والنَّهْي ، ومن الظَّفَر بالأعداء ، ومن تقليد المِنَن في أعناق الرجال .

وقالوا : مما يَلْزَم الكريمَ الماجد بِشْر الوَجْه المُسائل والوافِد .

وقالوا : البِشْر أوَّلُ البُسْر ، وهو دالٌّ على السخاء ، كما يدل الشَّجر على المَطر ، والنُّوَّار على الثمر .

وقال الحسن : لَأَن أقضي حاجة لأخي ، أحبُّ إليَّ من عبادةِ سنةٍ .

وقال إبراهيم بن السّندي : قلتُ لرجلٍ من أهل الكوفة ، مِنْ وجوه أهلها ، كان لا يَجفُّ لِبْدُه ، ولا يستريح قلبُه ، ولا تسكُن حركتُه في طَلَبِ حوائج الرجال ، وإدخال المرافق على الضعفاء ، وكان رجلًا مفوَّهًا ، فقلتُ له : أخبرني عن الحالة التي خفَّفتْ عنك النَّصَب ، وهوَّنتْ عليك التعب في القيام بحوائج الناس ، ما هي ؟ قال : قد والله سمعتُ تغريد الطير بالأسحار ، في فروع الأشجار ، وسمعت خفق أوتار العِيدان ، وترجيع أصوات القِيان ، فما طَرِبتُ من صوتٍ قطُّ طَرَبي من ثناءٍ حسن بلسانٍ حسن ، على رَجُلٍ قد أحْسَنَ ، ومن شُكرِ حرٍّ لمنعِمٍ حرٍّ ، ومن شفاعةِ مُحْتَسب لطالب شاكِر . قال إبراهيم : فقلت له : لله أبوك ! لقد حُشيتَ كرمًا .

وقال جعفر الصادق : إن الله خَلَقَ خَلْقًا من رحمته برحمته لرحمته ، وهم الذين يقضون حوائجَ الناس ، فمن استطاع منكم أنْ يكون منهم فليكُن .

ومن أفرطِ ما قيل في الجود ، قولُ بكر بن النَّطّاح :

فَتًى جَعَلَ الدُّنْيا وِقاءً لِعِرْضِهِ ... فأسْدَى بِهَا المَعْروفَ قبل عداتِهِ
فلو خَذَلَتْ أموالُه جُودَ كَفِّهِ ... لَقَاسَمَ مَنْ يَرْجوه شَطْرَ حياتِهِ
وإن لم يَجُزْ في العمر قَسْمٌ لمالكٍ ... وجاز له أعطاه من حَسَنَاتِهِ
وجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ بِرَبِّهِ ... وأشْرَكَهُ في صومِهِ وَصَلاتِهِ

وقول القائل :

ملأتُ يدي من الدنيا مِرَارًا ... وما طَمِعَ العَواذِلُ في اقتصادي
ولا وَجَبَتْ عليّ زكاةُ مالٍ ... وهل تجبُ الزكاةُ على الجَوادِ

وقالوا : السَّخِيّ من كان مسرورًا بِبَذْلِهِ ، متبرِّعًا بعطائه ، لا يلتمس

عَرَضَ دُنيا فيُحبط عمله ، ولا طَلَب مكافأةٍ فيسقط شكره ، ولا يكون مثله فيما أعطى مثل الصَّائِدِ الذي يُلقي الحَبَّ للطائر ، لا يريد نَفْعها ولكن نفع نفسه .

ولله دَرُّ من قال :

كريمٌ على العِلّات جَزْلٌ عطاؤه ... يُنيل وإنْ لم يُعْتَمَد لنَوالِ

وما الجودُ من يُعطي إذا ما سألتَهُ ... ولكنّ مَنْ يُعطي بغير سؤالِ

ولله دَرُّ خالد بن صفوان حين يقول : فواتُ الحاجة خيرٌ من طَلَبِها إلى غير أهلها .

ودخل محمد بن واسع على قُتيبة بن مسلم فقال : أتيتُك في حاجةٍ فإن شئت قضيتها وكُنّا كريميْن ، وإنْ شئتَ لم تَقضِهَا وكُنَّا لئيميْن .

أراد إن قضيتَها كنت أنت كريمًا بقضائها ، وكنتُ أنا كريمًا بسؤالك إياها ؛ لأني وضعتُ الطِّلبة في موضعها ، فإنْ لم تَقْضِها ، كنتَ أنت لَئِيمًا بمنْعك ، وكنتُ أنا لئيمًا بِسُوءِ اختياري لك .

لله أقوامًا خلقهم الله للجُود ونَفْع الناس !

فهذا خالد بن الخليفة يزيد بن معاوية ، كان موصوفًا بالعلم ، وكان من صالحي القوم .

قال فيه الشاعر :

سَألتُ النَّدَى والجُودَ حُرَّان أنتما ... فقالَا جميعًا إنَّنا لَعَبِيدُ

فقلتُ فَمَنْ مولاكمَا فتطاوَلَا ... عليَّ وقالَا خالد بن يزيد[1]

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨٢ - ٣٨٣ .

وقال ﷺ في الصحيح : « الناس كإبل مائة ، لا تكاد تجد فيها راحلة » .

وقالت الحكماء : الكرام في اللئام كالغُرَّة في الفَرَس .

وقال دِعْبِل :

ما أَكْثَرَ الناس لا بَلْ ما أقلَّهُمُ   والله يعلم أني لم أقل فَنَدَا
إني لأُغلِق عيني ثم أَفْتَحُها   على كثيرٍ ولكنْ ما أرى أحَدَا

« قال إبراهيم بن أدهم : عجبًا للرجل اللئيم يبخل بالدنيا على أصدقائه ويَسْخَىٰ بالجنة لأعدائه .

وقال محمد بن سيرين : أدركنا الناسَ وهم يتهادون بالفضة في الأطباق كالفاكهة .

وقال الحسن البصري : عجبًا لك يا ابن آدم ، تنفق في شهواتك إسرافًا وَبِدَارًا ، وتبخل في مرضاة ربك بدرهم ، ستعلم يا لُكع مقامك عنده غدًا .

وكان يقول : أعطوا الشعراء وذوي اللسان ؛ فإنَّ مَنْ لم يبالِ بالشِّكاية فيه فقد نادى على نفسه بالدناءة وقلة المروءة .

وكان يقول : إياك أن تطلب حاجة من بخيلٍ ، فإن من طلب منه حاجة فهو كمن يطلب صيد السمك من البراري والقفار .

وكان أبو القاسم الجنيد - رحمه الله - لا يمنع قط أحدًا سأله شيئًا ، ويقول : أتخلَّق بأخلاق رسول الله ﷺ .

وكان حمَّاد بن أبي سليمان - رحمه الله - يقول : لولا سؤال المحتاجين لي ما اتَّجرتُ في شيءٍ أبدًا .

وقال معمر : من أقبح المعروف أنْ تحوج السائل إلى أنْ يسأل وهو خَجِلٌ منك ، فلا يجيءُ معروفُك قَدْرَ ما قاسى من الحياء ، وكان الأَوْلى أن تتفقَّدَ حال أخيك وترسل إليه ما يحتاج ولا تُحْوجه إلى السؤال .

وكان الفُضيل بن عياض - رحمه الله - يقول : نحن لا نعدُّ القرضَ من المعروف ؛ لأن صاحبه يطلب المقابلة ، وإنما المعروف المسامحة للناس في كل ما يطلبونه منك في الدنيا وفي الآخرة .

وكان السّري السّقطي - رحمه الله - يقول : ذهب المعروفُ وبقيت التجارة ؛ يعطي أحدُهم لأخيه الشيءَ لأجل أنْ يعطيه نظيره .

وكان أحدهم يقول : لا يتم المعروف إلا بثلاث : تعجيلُه ، وتَصْغيره في عين مُعْطيه ، وإخفاؤه عن الناس .

وكان الحسن البصري يقول : لقد أدركنا الناس وأحدهم يدخل دارَ أخيه وهو غائبٌ فيرى السَّلَّة مملوءة فاكهة ، فيأخذها فيأكل منها ويُفرّق منها بغير إذنٍ ، فإذا جاء أخوه وأُخبر فرح بذلك .

وكان لمحمد بن سيرين - رحمه الله - بغلٌ مربوط في دِهْليزه ، فكلُّ من احتاج إلى ركوبه أخذه وركبه من غير استئذانٍ ؛ لما يعلمون من طِيب نَفْسِهِ بذلك .

وكان بقيَّة بن الوليد - رحمه الله - يَدْخل دار صديقه في غيبته ، ويأخذ القِدْر من النَّار ويضعه على باب الدار ، فيأكل منه ويفرّق على الفقراء والمساكين ، فإذا جاء أخوه فرح بذلك وقال : جزاك الله من أخٍ صالحٍ خيرًا ، قدَّمت لنا اليوم معادنا »[1].

---

(١) تنبيه المغترين للشعراني ٨٩ - ٩٢ .

وكان جعفر بن محمدٍ رضي الله عنهما يقول : بِئْس الأخُ من لا يتجرَّأُ أخوه أن يفتح كيسه في غَيْبته ، ويأخذ منه ما يحتاج إليه بغير إذنه .

وكان مطرِّف بن عبد الله - رحمه الله تعالى - يقول : مَنْ كان له عندي حاجة فليكتبها في قرطاسٍ ويرسلها إليَّ ؛ فإني أكره أن أرى ذلَّ المسألة في وجه مسلم ، فإن السؤال أرجح من النَّوَال ، وإنْ جَلَّ .

وكان الفُضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - يقول : من المعروف أن ترى المِنَّة لأخيك عليك إذا أخذ منك شيئًا ؛ لأنه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب ، وأيضًا فإنه خصَّك بالسؤال ورجا فيك الخير دون غيرك .

وكان السلف يعدون ليلة الضيف كأنها ليلة عيد ؛ لِمَا يحصل لهم من السُّرور .

وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول : لأن أَجْمَع نفرًا من أصحابي على طعامي أحبّ إليَّ من عتق رقبة .

وكان أحدهم يقول : زكاة الدَّار أَنْ يُجعل فيها بيتٌ للضيافة .

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : ليس من السَّرَف التَّبسط للضيف في الطعام .

وكان ميمون بن مِهْران - رحمه الله تعالى - يقول : من أطْعَم ولم يُتْمر - أي لم يقدِّم تمرًا أو شيئًا حُلوًا - كان كمن صلَّى العشاء ولم يُوتر .

وكان يحيى بن معاذ يقول : عجبتُ ممّن يبقى معه مالٌ وهو يسمع قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إنْ تَقْرِضوا الله قرضًا حَسَنًا يضاعفْه لكم** ﴾ [التغابن : ١٧] .

قال الأصعمي : ما استُضِفْتُ عند بخيل إلَّا وصاحتْ دَابَّتي جُوعًا ،

واستغنيتُ عن الخلاء، وأمنتُ من التُّخْمَة .

وقالوا عن البخيل : لو مَلَك بيتًا من بغداد إلى النُّوبة مملوءًا إبرًا ، ثم جاءه جبريلُ وميكائيلُ ومعهما يعقوب النبي عليه السلام ، يطلبون منه إبرةً ، ويسألونه إعارتهم إياها ليخيطَ بها قميصَ يوسف مَا فَعَل.

لو أنَّ دارك أَنْبَتَتْ له أَرْضُها إبرًا يضيقُ بها فِنَاءُ المحملِ
وأتاك يُوسفُ يَسْتَعيرُكَ إبرةً لِيَخيطَ قَدَّ قَميصِهِ لم تَفْعَلِ

وقالوا عن البخيل :

وإذا أردتَ إخـــاءَه فارْفَعْ يَمينكَ مِنْ طَعَامِهْ
فالمـوتُ أهـونُ عنـده من مَضْغِ ضيفٍ والتقامِهْ
سِيَّان كَسْـرُ رغيفـهِ أو كَسْرُ شَيءٍ من عِظَامِهْ
وإذا مــرَرتَ ببـــابهِ فاحْفَظْ رغيفكَ من غُلامِهْ

وكان عبد العزيز بن عمير يقول : الصلاة توصلك إلى نصف الطريق ، والصَّوْم يوصلك إلى باب المَلِك ، والصدقةُ تُدخلك إلى الملك .

وكان رحمه الله يقول : الأموال عندنا ودائعُ للمكارم .

وكان إبراهيم بن يوسف - رحمه الله - يجمع الأموال ويقول : إنما أَجْمَعُ ذلك لبطونٍ جائعة ، وظهور عاريَة ، ولم أجمعه للماء والطين .

وقال أحد العُبَّاد : يتزوج أحدُكُم فلانة بنت فلان بالمال الكثير ، ولا يتزوَّج الحور العين بلقمةٍ أو تمرة أو خِرْقة ، هذا من العجب !!

وكان الليث بن سعد يقول : من أخذ مني صدقةً أو هديّةً فحقه عليَّ أعظم من حقي عليه ؛ لأنه قبل مني قُرباني إلى الله عز وجل .

وقال معاذ النسفي - رحمه الله - : مَنْ لم يَرَ نفسه أَحْوج إلى ثواب

صدقته من الفقير إلى صدقته ، فهو ممَّن أَبْطَلَ صدقته بالمنِّ ؛ لأنه رأى نفسه على الفقير .

أخي ، لا تَحْقر من الصدقة شيئًا ولو حَبَّة ، فكم في الحَبَّة من مثقال ذرة .

أخي ، لا تَنْهَرْ سائلًا ، فلو عرفتَ ما يحمله لك من الخير لحملتَه في فؤادك ، لا على رأسك .

فقد كان سفيان الثوري - رحمه الله - يَنْشرح إذا رأى سائلًا على بابه ويقول : مرحبًا بمن جاء يغسل ذنوبي .

وكان الفُضيل بن عياض - رحمه الله - يقول : نِعْم السائلون ، يحملون أَزْوادنا إلى الآخرة بغير أجرة ، حتى يضعوها في الميزان بين يدي الله تعالى .

وكان إبراهيم بن أدهم ، قبل زهده ، إذا جاءه سائلٌ يَدْخل إلى عياله ويقول لهم : قد جاءكم رسولُ المقابر ، فهل توجِّهون إلى موتاكم شيئًا من الصدقة ؟!.

ودخل سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم بالحَرَم يومًا ، فرأى هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام : سلني حاجتك يا سالم . فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أستحيي أنْ أسألَ في بيت الله أحدًا غيره تعالى .

ودخل سائلٌ يومًا على معروف الكَرْخي فلم يَرَ عنده ما يعطيه غير نعله ، فأعطاه إياه ، ثم بلغ معروفًا بعد ذلك أنه باع النعل واشترى بثمنها فاكهة ، فقال معروف : الحمد لله ، لعله كان يشتهي الفاكهة فواسَيْناه بثمنها .

وقالوا : إن لك في مالك شَريكَيْن : الحدَثان والوارث ، فإن استطعت

ألّا تكون أبخس الشُّركاء حظًّا فافعل .

أخي ، أترضى أن يكون كافرٌ أجودَ منك وأنت مُسْلم .. فإن كنتَ بعيد الهمة عاليها فانظر بعض خبر حاتم الطائي .. يقول لغلامه يسار :

أوقِدْ فإنَّ الليلَ ليلٌ قَرُّ ۞ والرِّيحُ يا مَوْقِدُ ريحٌ صِرُّ
عَسَى يرى نَارَك مَن يمرُّ ۞ إنْ جَلَبْتَ ضَيْفًا فأنتَ حرُّ

ومرَّ حاتمٌ في سفره على عَنَزة ، وفيهم أسيرٌ ، فاستغاث بحاتم و لم يحضره فِكَاكه ، فاشتراه من العنزيّين وأطلقه ، وأقام مَكَانه في القيد حتى أدى فداءه .

وَرُئِي حاتم يومًا يضرب ولدَه ، لمَّا رآه يضربُ كلبةً كانت تدل عليه أضيافه ، وهو يقول :

أَقُولُ لابني وقد سَطَتْ يداهُ ۞ بكلبةً لا يزال يَجْلِدُهَا
أُوصيكَ خيرًا بها فإنَّ لها ۞ عندي يدًا لا أزال أَحْمدُهَا
تدلُّ ضَيْفي عليَّ في غَلَسِ اللَّيلِ إذا النَّارُ نامَ مُوقِدُهَا

وذكرت طَيِّئ عند عديٍّ بن حاتم أن رجلًا يُعرف بأبي الخَيبريّ مرَّ بقبرِ حاتم ، فنزل به وجعل ينادي : أبا عديّ ، أَقْرِ أضيافك . قال : فيقال له : مهلا ، ما تُكلِّم من رَمَّةٍ باليةٍ . فقال : إن طَيِّئًا يزعمون أنه لم ينزل به أحدٌ إلا قراه ، كالمستهزئ ، فلما كان في السَّحَر ، وثب أبو خيبريّ يصيح : واراحلتاه !! فقال له أصحابه : ما شأنك ؟ قال : خرج والله حاتم بالسيف حتى عقر ناقتي وأنا أنظر إليها ، فتأملوا راحلته ، فإذا هي لا تنبعث ، فقالوا : قَدْ والله أقراك ، فنحروها وظلّوا يأكلون من لحمها ، ثم أردفوه وانطلقوا ، فبينما هم في مسيرهم إذ طلع عليهم عديُّ بن حاتم ومعه جملٌ قد قرنه ببعيره ، فقال : إن حاتمًا جاء في النوم ، فذكر لي قولك ، وأنه

أقراك وأصحابَك راحلتك ، وقال لي أبياتًا ، ردَّدها عليَّ حتى حفظتها ، وهي :

أبا الخيبريِّ وأنت امرؤٌ ... حَسُودُ العشيرةِ شتَّامُهَا
فماذا أردتَ إلى رِمَّةٍ ... بداويةٍ صخب هَامُهَا
أتبغي أذاها وإعْسَارها ... وحولك غوثٌ وأنعامُهَا
وإنَّا لنطعم أَضْيافنا ... من الكُوم بالسَّيف نَعْتامُهَا[1]

وأمرني بدفعِ راحلةٍ عوض راحلتك ، فخذها،فأخذها .

هذا حاتم وبعض أمره ... وهو القائل :

يرى البخيلُ سبيلَ المالِ واحدةً ... إن الجَوادَ يرى في مالِهِ سُبُلا

يَتسخَّى مَيْتًا :

« قال محمد بن محمد الحافظ : سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول : كان بمصر رجلٌ عُرف بأنه يجمع للفقراء شيئًا ، فوُلد لبعضهم مولودٌ ، قال : **فجئت إليه وقلت له : وُلد لي مولود وليس معي شيءٌ،فقام معي ودخل على جماعة ، فلم يُفتح بشيءٍ ، فجاءَ إلى قبر رجل وجلس عنده وقال : رحمك الله** ، كنتَ تفعل وتصنع ، وإني درتُ اليوم على جماعةٍ فكلَّفْتهم دفعَ شيءٍ للمولود ، فلم يَتَّفق لي شيء ، قال : ثم قام وأخرج دينارًا وقسمه نصفين وناولني نصفه ، وقال : هذا دَيْنٌ عليك إلى أن يفتح الله عليك بشيءٍ ، قال : فأخذته وانصرفتُ فأصلحت ما اتَّفق لي به ، قال : فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال : **احضر منزلي ، وقل لأولادي يحفروا مكان** الكَانون ، ويُخرجوا قِرَابَةً فيها خمسمائة دينار ، فاحملها إلى هذا الرجل ، فلما

---

(١) الكُوم : جمع كَوْماء ، وهي الناقة عظيمةُ السَّنام ، ونعتامها : أي نختارها .

كان من الغَـدِ تقدَّم إلى منزِل الميت وقَصَّ عليهم القصـة ، فقالوا له : اجلس ، وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه ، فقال : هذا مالكم ، وليس لرؤياي حُكْمٌ ، فقالوا : هو يتسخَّى ميتًا ولا نتسخَّى نحن أحياء ؟! فلما ألحّوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود ، وذكر له القصة ، قال : فأخذ منها دينارًا فكسره نصفين ، فأعطاه النصف الذي أقرضه ، وحمل النصف الآخر ، وقال : يكفيني هذا ، وتصدَّق به على الفقراء ، فقال أبو سعيد : فلا أدري أيّ هؤلاء أسخى[1].

❊ ❊ ❊

(١) الإحياء ٣ / ٢٦٥ - ٢٦٦ .

□ مَـرَاتِبُ الجُـودِ □

قال ابن القيم عن مَنْزِل الجود والسخاء والإحسان :

« المراتب ثلاثة :

إحـداهـا : أن لا ينقصه البَـذْلُ ولا يصعـب عليـه ، فهـو منزلة « السخاء » .

الثانية : أن يعطي الأكثر ويُبقي له شيئًا ، أو يُبقي مثل ما أعطى فهو « الجود » .

الثالثة : أن يُؤْثر غيره بالشيء مع حاجته إليه ، وهو « مرتبة الإيثار » .

قالوا لقيس بن سعد يومًا : هل رأيتَ أسخَى منك ؟ قال : نعم . نزلنا بالبادية على امرأةٍ ، فحضر زوجها ، فقالت : إنه نزل بك ضيفان . فجاء بناقة فنحرها ، وقال : شأنكم . فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها ، فقلنا : ما أكلنا من التي نَحَرْتَ البارحة إلا اليسير ، فقال : إني لا أطعم ضيفاني البائت ، فبقينا عنده يومين أو ثلاثة ، والسماء تمطر وهو يفعل ذلك . فلما أردنا الرَّحيل وضعنا مائة دينار في بيته ، وقلنا للمرأة : اعتذري لنا إليه . ومضينا ، فلما طلع النهار إذا نحن برجل يصيح خلفنا : قفوا أيها الركب اللئام ، أعطيتموني ثمن قِرايَ !! ثم إنه لحقنا ، وقال : لتأخذنَّه أو لأُطَاعنكم بِرُمْحي ، فأخذناه وانصرف .

والجُـودُ عَشْـر مَـرَاتِب :

أحدها : الجُودُ بالنَّفْسِ :

وهو أعلى مراتبه ، كما قال الشاعر :

يَجودُ بالنَّفْسِ إذ ضنَّ الجوادُ بها ... والجُودُ بالنَّفْسِ أقصىٰ غايةِ الجُودِ

هذا الفتح بن خاقان ، طرح نفسه على الخليفة المتوكّل ، حتى خلط لحمَه بلحمِهِ ، ودمَه بدمِهِ ، فهل بعد هذا مواساة .

احْملاني إنْ لم يكنْ لكُمَا عَقْـ ... ـرٌ إلى جنبِ قـبرِهِ فاعْقِـراني
وانْضحَـا مـن دَمي علَيه فقَـدْ ... كان دمي من نَداهُ لو تَعْلمانِ

الثانية : الجود بالرِّيَاسة :

وهو ثاني مراتب الجود ، فيحمل الجَوَاد جوده على امتهان رياسته ، والجود بها ، والإيثار في قضاء حاجاتِ الملتمس .

وهذا كجُود الحَسن بن علي .. جَادَ بالخلافة على معاوية ليُصْلِحَ بين طائفتين من المسلمين .. فهو سَيِّدٌ من سادات المسلمين الأَجواد .

الثالثة : الجود براحتِه ورفاهيته ، وإجمامِ نفسِه :

فيجود بها تعبًا وكدًّا في مصلحة غيره ، وَمِنْ هَذَا جود الإنسان بِنَوْمه ولَذَّته لِمُسَامِرِه ، كما قيل :

مُتَـيَّمٌ بالنـدى لو قـالَ سَـائله ... هبْ لي جميعَ كَرىٰ عَيْنَيْكَ لم يَنَمِ

علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه :

عن أبي جعفرٍ قال : ما مات علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – حتى بلغتْ غلَّتُه مائة ألف ، ولقد مات يوم مات وعليه سبعون ألفًا دَيْنًا . فقلت : مِنْ أين كان عليه هذا الدَّيْن ؟ قال : كان تأتيه حامَّتُه من أصهاره ومعارفه ، ممَّن لا يرىٰ لهم في الفَيْءِ نصيبًا ، فيُعطيهم ، فلمَّا قام الحسنُ ابن علي ، باع وأخذ من حواشي مالِهِ ، حتى قضى عنه ، ثم كان يُعْتِق عنه في كل عامٍ خمسين نَسَمَةً حتى هلك ، ثم كان الحسين يُعتق عنه خمسين

نسمةً حتى قُتِلَ ، ثم لم يفعله أحدٌ بعدهما[١] .

نزع أبو بكر مَخيطَ الهوى فمزَّقه عليٌّ ، رمى الصِّدِّيق جهاز المُطلَّقة فوافقه عليٌّ حتى رمى الخاتم .

حبَّـب الفقـرَ إليـه أنَّـه سُؤْدُدٌ وَهْوَ بذاكَ الفقر يَغْنَى
وشَريفُ القومِ من بَقَّى لهم شَرَفَ الذِّكْرِ وخَلَّى المال يَفْنَى
ما اطمأنّ الوَفْر في بُحْبُوحَةٍ فـرأيتُ المجـدَ فيهـا مُطْمَئِنَّا
تُهْـدَمُ الأمـوالُ مِـن آساسها أبدًا مـا دامـتِ العلياءُ تُبْـنَى[٢]

الحسن بن علي :

قاسَمَ الحسنُ الله مَالَه ثلاث مرات ، حتى كان يُعطي الخُفَّ ويُمسِك النعل .

سأل رجلٌ الحسن بن علي - رضوان الله عليهما - حاجةً ، فقال له : يا هذا ، حقّ سؤالك إيايّ يعظُم لديّ ، ومعرفتي ما يجب لك تكبُر عليّ ، ويدي تعجز عن نَيْلك ما أنت أهلُه ، والكثير في ذات الله تعالى قليلٌ ، وما في مَلَكَتِي وفاءٌ لِشُكْرك ، فإنْ قَبِلتَ الميسورَ ، ورفعتَ عني مؤونَةَ الاحتيال ، والاهتمام لما أتكلَّف من واجبك ، فعلتُ . فقال : يا ابن رسول الله ، أقبلُ القليل ، وأشكُرُ العَطِيَّة ، وأعْذِر على المَنْع . فدعا الحسن - رضوان الله عليه - وكيلَهُ ، وجعل يُحاسبه على نفقاته حتى استقصاها ، ثم قال : هات الفاضِلَ من الثلثمائة ألف درهم . فأحضر خمسين ألفًا ، قال : فما فعلت الخمسمائة دينار ؟ قال : هي عندي . قال : أحْضِرها . فأُحْضِرَتْ ، فَدَفَعَ

---

(١) مكارم الأخلاق صـ ١٠٦ .

(٢) التبصرة ٢ / ٢٥٨ .

الدراهم والدنانير إلى الرجل ، وقال : هات من يحملها . فأتاه بحمَّالين ، فدفع إليهم الحسن - رضي الله عنه - رداءَهُ لِكِرَى الحمل ، فقال له مواليه : والله ما بقي عندنا درهم . فقال : لكنني أرجو أن يكون لي عند الله تعالى أجر عظيم[١] .

الرابعة : الجُودُ بالعلم وبَذْله :

وهو من أعلى مراتب الجود ، والجود به أفضل من الجود بالمال ؛ لأن العلم أشرف من المال . وأفضل الجود ما يقرِّبك من مولاك خطوة ، ويُدنيك من الجنة ، أو يُعينك بالعلم على طَلَبها ، ويَدُلّك على طريقها ، لا من يُطعمك الدنيا . ورحم الله أُمَّ البنين بنت عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز ، حين قالت كلمةً تساوي الدنيا وما عليها : « البَخيل كُلّ البخيل مَنْ بخل على نَفْسِه بالجنة » .

والناس في الجود به على مراتب متفاوتة . وقد اقتضتْ حكمةُ الله وتقديرُه النّافِذ : أن لا ينفع به بخيلًا أبدًا .

ومن الجود به : أن تبذُله لمن يسألك عنه ، بل تطرحه عليه طرحًا .

ومن الجود بالعلم : أن السائل إذا سألك عن مسألة ، اسْتَقْصَيْتَ له جوابها جوابًا شافيًا ، لا يكون جوابُك له بِقَدْر ما تدفع به الضرورة ، كما كان بعضهم يكتب في جواب الفتيا « نعم » أو « لا » مقتصرًا عليها .

ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية - قدّس الله روحه - في ذلك أمرًا عجيبًا : **كان إذا سُئل عن مسألة حُكْميَّة ، ذَكَر في جوابها مذاهب** الأئمة الأربعة ، إذا قدر ، ومَأْخذ الخلاف ، وترجيح القول الراجح ، وَذَكَر

---

(١) لباب الآداب صـ ١٢٥ - ١٢٦ .

متعلّقات المسألة التي ربما تكون أنفع للسائل من مسألته ، فيكون فَرَحُه بتلك المتعلّقات واللّوازِم ، أعظم من فرحه بمسألته . وهذه فتاويه - رحمه الله - بين الناس ، فمن أحبّ الوقوف عليها رأى ذلك .

فمن جود الإنسان بالعلم : أنه لا يقتصر على مسألة السائل ، بل يذكر له نظائرها ومتعلّقها ومَأْخَذها ، بحيث يشفيه ويكفيه .

وقد سأل الصحابةُ - رضي الله عنهم - النبيَّ ﷺ عن المتوضِّئ بماء البحر ؟ فقال : « هو الطهور ماؤه ، الحِلُّ ميتَتُهُ » فأجابهم عن سؤالهم ، وجَادَ عليهم بما لعلّهم - في بعض الأحيان - إليه أحْوَج مما سألوه عنه . وكانوا إذا سألوه عن الحُكم ، نبّههم على عِلّته وَحِكْمته ، كما سألوه عن بيع الرُّطب بالتمر ، فقال : « أينقص الرُّطب إذا جَفَّ ؟ » . قالوا : نعم . قال : « فلا إذن » . ولم يكن يَخْفَى عليه ﷺ نقصان الرطب بجفافه ، ولكنْ نبّههم على علّة الحكم . وهذا كثيرٌ جدًّا في أجوبته ﷺ ؛ مثل قوله : « إن بعتَ من أخيكَ ثمرةً ، فأصابتها جائِحَةٌ ، فلا يحلّ لك أن تأخُذ من مال أخيك شيئًا ، بِمَ يأخُذ أحدكم مال أخيه بغير حقٍّ ؟! » . وفي لفظ : « أرأيتَ إن منعَ الله الثمرة ، بِمَ يأخذ أحدكم مال أخيه بغير حق ؟! » . فصرّح بالعلّة التي يحرم لأجلها إلزامه بالثمن ، وهي مَنْعُ اللهِ الثمرة التي ليس للمشتري فيها صُنع .

وكان خصومه - يعني شيخ الإسلام ابن تيمية - يعيبونه بذلك ، ويقولون : سأله السائل عن طريق مصر - مثلًا - فيذكُر له معها طريق مكة ، والمدينة ، وخراسان ، والعراق ، والهند ، وأيّ حاجة بالسائل إلى ذلك ؟! ولعمر الله ، ليس ذلك بعيبٍ ، وإنما العيب : الجهل والكِبْر . وهذا موضع المثل المشهور :

لَقَّبُـوهُ بِحَـامِضٍ وَهْـوَ خَـلٌّ   مِثْل مَنْ لم يَصِلْ إلى العُنْقُودِ

الخامسة : الجود بالنَّفْعِ بالجَاه :

كالشفاعة ، والمشي مع الرجـل إلى ذي سلطانٍ ، ونحوه ... وذلك زكاة الجاه المُطالبُ بها العبد ، كما أن التعليم وبذل العلم زكاته .

السادسة : الجود بِنَفْعِ البَدَنِ على اختلافِ أنواعه :

كما قال ﷺ : « يصبح على كل سُلاَمَى من أحدكم صَدَقةٌ كلّ يومٍ تطلُع فيه الشمس ، يعـدل بين اثنين : صدقة ، ويُعين الرجل في دابَّته ؛ فيحملُه عليها ، أو يرفع له عليها متاعه : صدقةٌ ، والكلمة الطَّيِّبة : صدقةٌ ، وبكل خُطوةٍ يمشيها الرجل إلى الصلاة : صدقةٌ ، ويُميط الأذى عن الطريق : صدقةٌ » . متفق عليه .

السابعة : الجودُ بالعِرْضِ :

كجـودِ عُلبة بن زيد بن حـارثة بن الأوس الأنصاري « المتصـدِّق بعِرْضِه » .

فقد كان علبة بن زيد بن حارثة رجلًا من أصحاب النبي ﷺ ، فلمَّا حضَّ على الصدقة ، جاء كل رجلٍ منهم بطاقته وما عنده ، فقال علبةُ ابن زيد : اللهم إنه ليس عندي ما أتصدَّق به ، اللهم إني أتصدَّق بعِرْضِي على من ناله من خَلْقك . فأمر رسولُ الله ﷺ مناديًا فنادى : أين المتصدِّق بعرضه البارحة ؟ فقام عُلبة ، فقال : « قد قُبِلَتْ صَدَقتُك » . وعند ابن القيم في زاد المعاد : « أبْشِـر ، فوالذي نفس محمدٍ بيده ، لقـد كُتبتْ في الزَّكاة المُتقبَّلة » . وفي هذا الجود من سلامة الصدر ، وراحة القلب ، والتَّخلُّص من مُعاداة الخَلْق ما فيه .

الثامنة : الجُود بالصَّبر ، والاحتمال ، والإغضاء :

هذه مرتبة شريفة من مراتبه . وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال وأعَزّ له وأنْصَر ، وأمْلَك لنفسه ، وأشرف لها . ولا يقدر عليها إلا النفوس الكبار ، كما قال ﷺ : « من كظم غيظًا ، وهو قَادِرٌ على أن يُنفذه ، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يُخيِّره من الحور العين ، يُزوِّجه منها ما شاء »[(١)].

وكما جاء في حديث ابن عمر عند الطبراني : « ... ومن كظم غيظًا ، ولو شاء أن يُمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة »[(٢)].

فمن صَعُبَ عليه الجود بماله ، فعليه بهذا الجود ، فإنه يجتني ثمرة عواقبه الحميدة في الدنيا قبل الآخرة . وهذا جود الفتوّة . قال تعالى : ﴿ **والجروح قِصاص فمن تصدَّق به فهو كفَّارةٌ له** ﴾ [المائدة : ٤٥] . وفي هذا الجود : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحبُّ الظالمين** ﴾ [الشورى : ٤٠].

التاسعة : الجود بالخُلق والبِشْر والبَسْطَة :

وهو فوق الجود بالصبر ، والاحتمال والعفو . وهو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم ، وهو أثقل ما يوضع في الميزان . قال النبي ﷺ : « لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ، ولو أن تَلْقَى أخاك ووجهُك مُنْبَسِط إليه » . وفي هذا الجود من المنافع والمسارّ ، وأنواع المصالح ، ما فيه ، والعبد يمكنه أن

---

(١) حسن . رواه أصحاب السنن الأربعة ، وأحمد ، وأبو نعيم في الحلية ، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٣٩٤) .

(٢) حسن . جزء من حديث رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، والطبراني في الكبير وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (٩٠٣) وصحيح الجامع رقم (١٧٤) .

يَسَعَهم بِخلُقه واحتماله .

العاشرة : الجود بتركِهِ ما في أيدي الناس عليهم :

فلا يلتفت إليه ولا يستشرِف له بقلبه ، ولا يتعرَّض له بحاله ، ولا لسانه . وهذا الذي قال عبد الله بن المبارك فيه : « سخاء النفس عمّا في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبَذْل » فلسان حال القدر يقول للفقير الجواد : وإن لم أُعطك ما تجود به على الناس ، فجُد عليهم بزُهدك في أموالهم وما في أيديهم ، تُفضِل عليهم ، وتُزاحمهم في الجود ، وتنفرد عنهم بالراحة . ولكلِّ مرتبةٍ من مراتب الجود ، مزيد وتأثير خاصّ في القلب والحال . والله سبحانه قد ضَمِن المزيد للجواد ، والإتلاف للمُمْسِك . والله المستعان »[1] .

* * *

(١) مدارج السالكين بتصرف ٢ / ٢٩٣ - ٢٩٦ .

□ الإيثـــار □

قال تعالى : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصَةٌ ومن يُوق شُحَّ نَفْسِهِ فأولئك هم المفلحون** ﴾ [الحشر : ١٦] .

أعلى مراتب الجود والإحسان الإيثار ... بأبي وأُمي صفة كأنَّما أُنزلت في دار الدنيا من أجل الأنصار ، فلهم فيها القدح المعلّى وقَصَب السَّبق .

وتأمّل سِرّ التقدير ، حيث قدّر الحكيم الخبير - سبحانه - استئثار الناس على الأنصار بالدنيا - وهم أهْلُ الإيثار - ليجازيهم على إيثارِهم إخوانَهم - في الدنيا - على نفوسهم ، بالمنازل العالية في جنات عدن على الناس ، فتظهر حينئذٍ فضيلة إيثارهم ودرجته ، ويغبطهم من استأثر عليهم بالدنيا أعظم غِبْطة . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

فإذا رأيت الناس يستأثِرون عليك - مع كونك من أهل الإيثار - فاعلم أنه لخير يُراد بك . والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ٢٩٧ - ٢٩٨) : قال : « وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : أن تُؤثر الخلْق على نفسك فيما لا يَخرِم عليك دينًا ، ولا يقطع عليك طريقًا ، ولا يُفسد عليك وقتًا » .

يعني : أن تقدّمهم على نفسك في مصالحهم ، مثل أن تطعمهم وتجوع ، وتكسوهم وتَعْرَى ، وتسقيهم وتَظْمأ ، بحيث لا يؤدِّي ذلك إلى ارتكاب إتلاف لا يجوز في الدين . ومثل أن تؤثرهم بمالك وَتَقْعُدَ كَلًّا مضطرًّا ، مستشرِفًا للناس أو سائلًا ، وكذلك إيثارهم بكل ما يحرمه على المؤثر دينه ، فإنه سَفَه وَعَجْز ، يُذمّ المؤثر به عند الله وعند الناس .

وأما قوله : « ولا يقطع عليك طريقًا » . أي لا يقطع عليك طريق الطَّلب والمسير إلى الله تعالى ، مثل أن تؤثِر جليسك على ذِكْرِك وتوجّهك وجمعيّتك على الله ، فتكون قد آثرته على الله ، وآثرت بنصيبك من الله ما لا يستحقّ الإيثار . فيكون مَثَلك كمثل مسافر سائر على الطريق ، لَقِيَه رجلٌ فاستوقفه ، وأخذ يحدّثه ويُلهيه حتى فاته الرِّفاق . وهذا حال أكثر الخلْق مع الصادق السائر إلى الله تعالى ، فإيثارهم عليه عين الغبْن . وما أكثر المؤثِرين على الله تعالى غيره ، وما أقلّ المؤثرين الله على غيره .

وكذلك الإيثار بما يُفسد على المؤثر وقته قبيح أيضًا ، مثل أن يؤثر بوقته ويفـرّق قلبه في طَلَب خلفه ، أو يؤثر بأمرٍ قـد جمع قلبـه وهمّه على الله ، فيفرّق قلبه عليه بعد جمعيته ، ويشتِّت خاطره ، فهذا أيضًا إيثار غير محمود .

وكذلك الإيثار باشتغال القلب والفِكر في مهماتهم ومصالحهم - التي لا تتعيّن عليك - على الفكر النافع ، واشتغال القلب بالله ، ونظائر ذلك لا تخفى . بل ذلك حال الخلْق ، والغالب عليهم .

وكل سببٍ يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله : فلا تُؤثِر به أحدًا ، فإن آثرتَ به ، فإنما تُؤثِر الشيطان على الله ، وأنت لا تعلم .

وتأمَّل أحوال أكثر الخَلْق في إيثارهم على الله مَنْ يَضُرّهم إيثارُهم له ولا ينفعهم . وأيّ جهالة وسفهٍ فوق هذا ؟!

ومن هذا تكلّم الفقهاء في الإيثار بالقُرَب ، وقالوا : إنه مكروه أو حرام ؛ كمن يؤثِر بالصَّفِّ الأول غَيْرَهُ ويتأخّر هو ، أو يؤثره بقُربه من الإمام يوم الجمعة ، أو يؤثر غيره بالأذان والإقامة ، أو يؤثِره بِعِلْمٍ يحرِمُه نَفْسَه ،

ويرفعه عليه ، فيفوز به دونه .

وتكلَّموا في إيثار عائشة - رضي الله عنها - لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بدَفْنِه عند رسول الله ﷺ في حجرتها . وأجابوا عنه بأن الميت ينقطع عملُه بموته وبقُربه ، فلا يتصوّر في حقّه الإيثار بالقرب بعد الموت ، إذ لا تقرُّب في حق الميت ، وإنما هذا إيثار بمسكنٍ شريفٍ فاضلٍ لمن هو أوْلَى به منها . فالإيثار به قُربةٌ إلى الله عز وجل للمُؤثِر . والله أعلم .

قال : « ولا يُستطاع إلا بثلاثة أشياء : بتعظيم الحقوق ، وَمَقْت الشُّحّ ، والرَّغْبة في مكارم الأخلاق » .

ذكر ما يُعين على « الإيثار » فيبعث عليه ، وهو ثلاثة أشياء :

تعظيم الحقوق ؛ فإن من عظمت الحقوق عنده ، قام بواجبها ، ورعاها حق رعايتها ، واستعظم إضاعتها ، وعلم أنه إن لم يبلُغ درجة الإيثار ، لم يؤدّها كما ينبغي ، فيجعل إيثاره احتياطًا لأدائها .

الثاني : مَقْت الشُّحّ ؛ فإنه إذا مَقَته وأبغضَهُ ، التزم الإيثار ، فإنه يرى أنه لا خَلاصَ له من هذا المقت البغيض إلا بالإيثار .

الثالث : الرغبة في مكارم الأخلاق ، وبِحَسَب رغبته فيها يكون إيثاره ؛ لأن الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق .

« **الدرجة الثانية** : إيثار رضا الله على رضا غيره ، وإن عَظُمت فيه المحن ، وثقُلت فيه المُؤَن ، وضعف عنه الطَّوْل والبدن » .

قال ابن القيم : إيثار رضا الله على غيره : هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته ، ولو أغضب الخلق . وهي درجة الأنبياء ، وأعلاها للرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، وأعلاها لأُولي العزم منهم ، وأعلاها لنبيِّنا ﷺ

وعليهم ؛ فإنه قاوم العالم كله ، وتجرَّد للدعوة إلى الله ، واحتمل عداوة البعيد والقريب في الله تعالى ، وآثر رضا الله على رضا الخلْق من كل وجهٍ ، ولم يأخذه في إيثار رضاه لومة لائم ، بل كان هَمُّه وعَزْمه وَسَعْيه كلّه مقصورًا على إيثار مرضاة الله ، وتبليغ رسالاته ، وإعلاء كلماته ، وجهاد أعدائه ، حتى ظَهَر دين الله على كل دينٍ ، وقامتْ حجَّتُه على العالمين ، وتمَّت نعمته على المؤمنين ، فبلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، ونَصَحَ الأُمَّة ، وجاهد في الله حقَّ جهاده ، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه . فلم ينل أحدٌ من درجة هذا الإيثار ما نال صلوات الله وسلامه عليه .

وأما قوله : « وإن عَظُمتْ فيه المحن ، وثَقُلتْ فيه المؤن » .

فإن المحنة تعظم فيه أولًا ، ليتأخّر من ليس من أهله ، فإذا احتملها وتقدَّم انقلبت تلك المحن مِنَحًا ، وصارت تلك المؤن عَوْنًا . وهذا معروف بالتَّجرِبة الخاصّة والعّامة ؛ فإنه ما آثر عبدٌ مرضاة الله عز وجل على مرضاة الخلق ، وتحمّل ثقل ذلك ومُؤْنَته ، وصبر على محنته ، إلا أنشأ الله من تلك المحنة والمؤنة : نعمةً ومسرَّةً ومعونةً ، بِقَدْر ما تحمَّل من مرضاته ، فانقلبتْ مخاوِفُهُ أمانًا ، ومظانُّ عَطَبه نجاةً ، وتعبُهُ راحةً ، ومؤنَتُهُ معونةً ، وبليَّتُهُ نعمةً ، ومحنتُهُ مِنحةً ، وسخطُهُ رضًا . فيا خيبةَ المتخلِّفين ، ويا ذِلَّة المتهيِّبين !

هذا ، وقد جرت سُنَّة الله - التي لا تبديل لها - أن مَنْ آثَر مرضاة الخلْق على مرضاته ، أن يسخطَ عليه مَنْ آثر رضاه ، ويخذُله مِن جهته ، ويجعل محنتَهُ على يديه ، فيعود حامدُهُ ذامًّا ، ومَن آثر مرضاته ساخطًا ، فلا على مقصوده منهم حَصَل ، ولا إلى ثواب مرضاة رَبِّه وَصَل ، وهذا أعجز الخلْق وأحمقُهم .

هذا مع أن رضا الخلْق : لا مقدور ، ولا مأمور ، ولا مأثور . فهو مستحيلٌ ، بل لا بدَّ من سخطهم عليك ، فَلأَنْ يسخطوا عليك وتفوز برضا الله عنك ، أحبُّ إليك وأنْفَعُ لك من أن يَسْخوا عليك والله عنك غير راضٍ . فإذا كان سخطهم لا بدَّ منه - على التقديرَيْن - فآثِرْ سخطَهم الذي يُنال به رِضَا الله ، فإنْ هم رضوا عنك بعد هذا ، وإلَّا فأهْوَن شيءٍ رضا مَنْ لا ينفعك رضاه ، ولا يضرُّك سخطُه في دينك ، ولا في إيمانك ، ولا في آخرتك . فإن ضرَّك في أمرٍ يسيرٍ في الدنيا ، فمضرَّةُ سخطِ الله أعْظَمُ وأعظمُ . وخاصّة العقل : احتمال أدنى المفسدتيْن لدفع أعلاهما ، وتفويت أدنى المصلحتيْن لتحصيل أعلاهما . فوازِنْ بعقلك ، ثم انظر أيَّ الأمريْن خيرٌ فآثِرْه ، وأيهما شرٌّ فابْعُدْ عنه ، فهذا برهان قطعيّ ضروري في إيثار رِضَا الله على رِضَا الخلْق .

هذا مع أنه إذا آثر رِضَا الله ، كفاه الله مؤنةَ غضب الخلْق ، وإذا آثر رضاهم ، لم يكفوه مؤنةَ غضب الله عليه .

قال بعض السَّلف : **لَمُصَانَعَةُ** وجهٍ واحد **أيسرُ** عليك من مصانعة وجوه كثيرةٍ ؛ إنك إذا صانعت ذلك الوجه الواحد كفاك الوجوه كلها .

وقال الشافعي رضي الله عنه : رضا الناس غايةٌ لا تدرك ، فعليك **بما فيه صلاح نفسك فالزمه .**

ومعلوم : أنه لا صلاحَ للنفس إلَّا بإيثارِ رضا ربها ومولاها على غيره . ولقد أحسن أبو فراس في هذا المعنى ، إلا أنه أساء كل الإساءة في قوله ؛ إذ يقوله لمخلوق لا يملك له ولا لنفسه نفعًا ولا ضرًّا :

فليتكَ تَحْلُو والحياة مَريرة وَلَيْتَكَ ترضى والأنام غِضَابُ
وليتَ الذي بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العَالَمِينَ خَرَابُ

إذا صَحَّ منك الوُدُّ فالكل هَيِّن وكلُّ الذي فوق الترابِ تُرابُ

ثم ذكر الشيخ - رحمه الله - ما يُستطاع به هذا الإيثار العظيم الشأن فقال : « ويستطاع هذا بثلاثة أشياء : بطيب العود ، وحُسْن الإسلام ، وقوة الصبر » .

من المعلوم : أن المؤثر لرضا الله مُتصدٍّ لمعاداةِ الخلق وأذاهم ، وسعيهم في إتلافه ولا بد . هذه سنة الله في خلقه ، وإلا فما ذنب الأنبياء والرسل ، والذين يأمرون بالقسط من الناس ، والقائمين بدين الله ، الذَّابِّينَ عن كتابه وسنة رسوله عندهم ؟

فمن آثر رضا الله فلا بد أن يُعادِيه رُذَالةُ العالم وسَقَطُهم ، وغَرْثَاهم[1] وجُهَّالهم ، وأهلُ البدع والفجور منهم ، وأهلُ الرِّيَاسات الباطلة ، وكلُّ من يخالف هَدْيُه هَدْيَه . فما يُقْدم على معاداة هؤلاء إلا طالبُ الرجوع إلى الله ، عامل على سماع خطاب : ﴿ **يأيَّتُها النَّفْسُ المطمئنة ارْجعي إلى رَبِّك راضيةً مَرْضِيةً** ﴾ [الفجر : ٢٧ - ٢٨] ومَنْ إسْلَامه صُلْبٌ كامل لا تُزَعْزعه الرجال ، ولا تُقَلْقله الجبال ، ومَنْ عَقْد عزيمةِ صَبْره مُحْكَمٌ لا تَحُلُّه المحن والشدائد والمخاوف .

قلت : ومَلاكُ ذلك أمران : الزهد في الحياة والثناء . فما ضَعُفَ من ضعف ، وتَأخَّر من تأخر إلا بحبه للحياة والبقاء ، وثناء الناس عليه ، ونفرته من ذَمِّهم له . فإذا زهد في هذين الشيئين ، تأخَّرت عنه العوارضُ كلها ، وانغمس حينئذٍ في العساكر .

ومَلاكُ هذين الشيئين بشيئين : صحة اليقين ، وقوة المحبة .

(١) جوعاهم .

ومَلاكُ هذين بشيئين أيضًا : بصدْق اللُّجْأ والطَّلب ، والتَّصدي للأسباب الموصلة إليهما .

فإلى هاهنا تنتهي معرفة الخَلْق وقدرتهم . والتوفيق بعدُ بِيَدِ مَنْ أَزِمَّةُ الأمور كلها بيده ﴿ **وما تشاءُون إلَّا أنْ يشاءَ الله إنَّ الله كان عليمًا حكيمًا يُدْخِل مَنْ يشاءُ في رحمته والظَّالمين أعَدَّ لهم عذابًا أليمًا** ﴾ [الإنسان : ٣٠ - ٣١] .

قال : « **الدَّرجة الثالثة** : إيثارُ إيثارِ الله . فإن الخوض في الإيثار دعوى في المِلْك . ثم تَرْك شهودِ رؤيتك إيثار الله . ثم غيبتك عن الترك » .

يعني بإيثار إيثار الله : أن تَنْسب إيثارَك إلى الله دون نفسك ، وأنه هو الذي تفرد بالإيثار ، لا أنت . فكأنَّك سَلَّمت الإيثار إليه . فإذا آثرتَ غيرك بشيءٍ فإن الذي آثره هو الحق ، لا أنت . فهو المُؤْثر حقيقةً ؛ إذْ هو المعطي حقيقة .

ثم بَيَّنَ الشيخ السببَ الذي يصحُّ به نسبة الإيثار إلى الله ، وترك نسبته إلى نفسك ، فقال : « فإن الخوض في الإيثار : دعوى في الملك » .

فإذا ادَّعى العبد : أنه مُؤْثر فقد ادَّعى مِلْك ما آثر به غيره . والملك في الحقيقة : إنما هو لله الذي له كل شيءٍ . فإذا خرج العبد عن دعوى الملك فقد آثر إيثار الله - وهو إعطاؤه - على إيثار نفسه ، وشهد أن الله وحده هو المؤثر بملكه . وأما من لا ملك له : فأي إيثار له ؟

وقوله : « ثم تركُ شهود رؤيتك إيثار الله » .

يعني أنك إذا آثرتَ إيثار الله بتسليمك معنى الإيثار إليه ؛ بقيتْ عليك من نفسك بقية أخرى لا بدَّ من الخروج عنها ، وهي أن تُعْرِض عن شهودك رؤيتك أنك آثرت الحق بإيثارك ، وأنك نسبتَ الإيثار إليه لا إليك . فإن

في شهـودك ذلك ، ورؤيتك له : دعـوى أخرى ، هي أعظم من دعوى الملك ، وهي أنك ادَّعيت أن لك شيئًا آثرت به الله ، وقدمته على نفسك فيه ، بعد أن كان لك . وهذه الدعوى أصعب من الأولى ؛ فإنها تتضمن ما تضمنته الأولى من الملك ، وتزيد عليها برؤية الإيثار به ؛ فالأول : مُدَّعٍ للملك مؤثر به . وهذا مدعٍ للملك ومدع للإيثار به . فإذن يجب عليه ترك شهود رؤيته لهذا الإيثار ، فلا يعتقد أنه آثر الله بهذا الإيثار ، بل الله هو الذي استأثر به دونك ، فإن الأَثَرة واجبةٌ له بإيجابه إياها بنفسه ، لا بإيجاب العبد إياها له .

قوله : « ثم غيبتك عن الترك » .

يريد : أنك إذا نزلت هذا الشهود وهذه الرؤية : بقيت عليك بقية أخرى ، وهي رؤيتك لهذا التَّرك ، المتضمِّنة لدعوى ملكك للترك . وهي دعوى كاذبة ؛ إذ ليس للعبد شيء من الأمر ؛ ولا بيده فِعْلٌ ولا ترك ، وإنما الأمر كله لله .

وقد تبيَّن في الكشف والشهود والعلم والمعرفة : أن العبد ليس له شيء أصلًا ، والعبد لا يملك حقيقةً ؛ إنما المالك بالحقيقة سيده . فالأَثَرة والإيثار والاستئثار كلها لله ، ومنه وإليه ، سواء اختار العبد ذلك وعلمه أو جهله ، أمْ لم يختره ، فالأَثَرة واقعة ، كَرِه العبدُ أم رضي ، فإنها استئثار المالك الحق بملكه تعالى ، وقد فهمتُ من هذا قوله : « فإن الأَثَرة تَحْسُن طوعًا . وَتَصِحُّ كَرهًا » . والله سبحانه وتعالى أعلم[1] .

* * *

(١) انتهى النقل بأكمله من مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٢٩١ - ٣٠٤ .

□ صُورٌ مِن الإيثار □

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ ، فبعث إلى نسائه ، فقلن : ما معنا إلَّا الماء ، فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ يَضُمُّ - أو يضيف - هذا ؟ » فقال رجلٌ من الأنصار : أنا . فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت : ما عندنا إلّا قوتُ صبياني . فقال : هيئي طعامَك ، وأصبحي سِرَاجك ، ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عَشَاءً ، فهيَّأت طعامها ، وأصبحتْ سِرَاجَهَا ، ونوّمت صبيانها ، ثم قامت كأنها تُصلح سراجها فأطفأته ، فجعلَا يُريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين . فلما أصبح غَدَا إلى رسول الله ﷺ فقال : « ضحك اللهُ الليلةَ - أو عجب - من فعالكما » فأنزل الله : ﴿ **ويُؤْثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصة ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ [الحشر : ٩][(١)] .

واسم هذا الصحابي أبو طلحة ، كما وقع في رواية مسلم ، وليس هو أبا طلحة زيد بن سهل .

علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه :

بات رضي الله عنه على فراشِ النبي ﷺ يَفديهِ ويُؤْثره بالحياة ، وهو مَوْقفٌ تَعْجز كلُّ كلمات الدنيا أن تحيط به .. حمى الدعوة والرسالة في شخصِ نبيِّها ، فآثره الله على من سواه بزواجه من أحبِّ الناس إلى رسول الله ﷺ ، وأم أبيها ، وسيدة نساء العالمين ، فاطمة بنت محمدٍ ﷺ ؛ لتُسْعد فراشه رضي الله عنه وعنها .

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم .

سَعْد بن الرَّبيع رضي الله عنه :

لمَّا هاجر عبد الرحمٰن بن عوف إلى المدينة فقيرًا ، لا شيءَ له ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ، أحد النُّقباء ، فعرض عليه أن يشاطره نعمته ، وأن يُطلِّق له أحسن زوجتيه . فقال له عبد الرحمٰن بن عوف : بارك الله لك في أهلك ومالك ، ولكن دُلَّني على السوق .

فهذا والله الإيثار .. وهذه شِيَمُ الأنصار ، وهذا سَعْدٌ ، وأي الناس كابن الربيع .

قال الحسن البصري : والله لقد رأيتُ أقوامًا كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قَدَمَيْه ، ولقد رأيتُ أقوامًا يُمسي أحدُهم ولا يَجدُ عنده إلا قوتًا ، فيقول : لا أجعل هذا كلَّه في بطني ، فيتصدَّق ببعضه ، ولعلّه أجوع إليه ممن يتصدق عليه .

إبراهيم بن يَزيد التَّيْمي :

عن ابن سعد : أخبرنا علي بن محمد قال : طلب الحجاجُ إبراهيمَ النَّخعي ، فجاء الرسول فقال : أريد إبراهيم ، فقال إبراهيم التيمي : أنا إبراهيم ، ولم يستحلّ أن يدلَّه على النخعي ، فأمر بحبسه في الدَّيْمَاس ، ولم يكن لهم ظلٌّ من الشمس ، ولا كِنٌّ من البرد ، وكان كل اثنين في سلسلة ، فتغيّر إبراهيم ، فعادته أمُّه فلم تعرفه حتى كلَّمها ، فمات ، فرأى الحجاجُ في نومه قائلًا يقول : مات في البلد الليلة رجل من أهل الجنة . فسأل فقالوا : مات في السجن إبراهيم التيمي ، فقال : حُلْم ، نَزْغةٌ من نزغات الشيطان ، وأمر به فألقي على الكُناسة .

رحمك الله يا إبراهيم ، آثرتَ أخاك على نَفْسِكَ وأنت تَعْلم أنك ستسجن .

بَقـيُّ بن مَخْـلد :

قال ابن البادية الحافظ : كان أَسْلم بن عبد العزيز يُقدِّمه على جميع من لقيه بالمشرق ، ويصف زهده ويقول : ربما كنتُ أمشي معه في أزقَّة قرطبة ، فإذا نظر في موضع خالٍ إلى ضعيفٍ محتاج أعطاه أحد ثوبيه .

الخطيب البَغْدادي وأبو بكر ابن زهراء :

مَنْ صَفا صُفِّيَ له .

أوصى الخطيب البغدادي بأن يُتصدق بجميع ثيابه .

قال أبو البركات إسماعيل بن أبي سعدٍ الصوفي : كان الشيخ أبو بكر ابن زهراء الصوفي برِبَاطِنَا ، قد أعدَّ لنفسه قبرًا إلى جانب قبر بشرٍ الحافي ، وكان يمضي إليه كل أسبوع مرة وينام فيه ، ويَتْلو فيه القرآن كله ، فلما مات أبو بكر الخطيب ، كان قد أوصى أن يُدفن إلى جنب قبر بشرٍ ، فجاء أصحاب الحديث إلى ابن زهراء ، فسألوه أن يدفنوا الخطيب في قبره وأن يؤثره به ، فامتنع وقال : موضعٌ قد أعددتُه لنفسي يُؤخذ مني ؟! فجاءوا إلى والدي ، وذكروا له ذلك ، فأُحضر ابن زهراء ، وهو أبو بكر أحمد بن علي الطُّرَيْثِيثي فقال : أنا لا أقول لك : أَعْطهم القبر ، ولكن أقول لك : لو أن بشرًا الحافي في الأحياء وأنت إلى جانبه ، فجاء أبو بكر الخطيب ليقعد دونك ، أكان يَحْسُن بك أن تقعد أعلى منه ، قال : لا ، بل كنت أُجْلِسُه مكاني . قال : فهكذا ينبغي أن تكون السَّاعة . قال : فطاب قلبه وأَذِنَ .

عبد الغَني المقدسي :

قال منصور الغضاري : شاهدتُ الحافظ في الغلاء بمصر ، وهو ثلاث ليالٍ يُؤثر بِعَشَائه ويَطْوي .

* * *

دَاود الطَّائي :

قال حماد بن أبي حنيفة : إن مولاةً كانت لداود الطائي تخدمه ، قالت : لو طبختُ لك دَسَمًا تأكله ؟ فقال : وددت . فطبختْ له دسمًا ثم أتته به ، فقال لها : ما فعل أيتام بني فلان ؟ قالت : على حالهم . قال : اذهبي بهذا إليهم . فقالت : أنت لم تأكل أُدْمًا منذ كذا وكذا . فقال : إنَّ هذا إذا أكلوه صار إلى العَرْش ، وإذا أكلتُه صار إلى الحُشِّ[1] .

« وعن أبي الحسن الأنطاكي : أنه اجتمع عنده نَيِّفٌ وثلاثون نفسًا - وكانوا في قريةٍ بِقُرْب الرَّيِّ - ولهم أرغفةٌ معدودة ، لم تُشْبع جميعهم ، فكسروا الرُّغفان وأطفئوا السِّراج ، وجلسوا للطعام ، فلما رُفع فإذا الطعام بحاله ، ولم يَأْكل أحدٌ منه شيئًا ، إيثارًا لصاحبه على نفسه »[2] .

بِنَفْسِي أَنْتم شُهَدَاء اليَرْمُوك :

عن ابن الأعرابي قال : اسْتَشْهد باليرموك عكرمةُ بن أبي جهل ، وسهيل بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام ، وجماعةٌ من بني المغيرة ، فأُتوا وهم صَرْعى ، فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه !! أتي عكرمةُ بالماء فنظر إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال : ابدءوا به . فَنَظر سُهيل إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال : ابدءوا بهذا . فماتوا كلهم قبل أن يشربوا ، فمر بهم خالد بن الوليد فقال : بنفسي أنتم[3] !.

وفي الإحياء للغزالي : « قال حذيفة العدوي : انطلقتُ يوم اليرموك

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ / ٢٦١ .
(٢) إحياء علوم الدين ٣ / ٢٧٣ .
(٣) التبصرة ٢ / ٢٥٩ .

أطلب ابن عمٍّ لي ، ومعي شيءٌ من ماء ، وأنا أقول : إن كان به رمقٌ سَقَيتُه ومسحت به وجهه ، فإذا أنا به فقلت : أسقيك ؟ فأشَار إليَّ أَنْ نَعم ، فإذا رجل يقول : آه .. فأشار ابن عمي إليَّ أن انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو هشام بن العاص ، فقلتُ : أسقيك ؟ فسمع به آخر فقال : آه .. فأشار هشام : انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات ، رحمةُ الله عليهم أجمعين »[١] .

الرَّبيع بن خُثيْم رحمه الله :

اشتهى الربيعُ بن خثيم حَلْواء ، فلمَّا صُنعت دعا بالفقراء فأكلوا ، فقال أهله : أتعبْتنا ولم تأكل . فقال : وهل أكل غيري ؟!.

بشر بن الحارث الحافي :

قال عباس بن دَهْقان : ما خرج أحدٌ من الدنيا كما دخلها إلا بشر ابن الحارث ؛ فإنه أتاه رجلٌ في مرضه فشكا إليه الحاجة ، فنزع قميصه وأعطاه إياه ، واستعار ثوبًا فمات فيه .

الجريري أبو محمد :

قال أبو الحسن بن مقسم : مات الجُريري - يعني أبا محمد - سنة وقعة الهَبير[٢] ، مات عَطَشًا ؛ بلغني أن بعض الصوفية حمل إليه قدحًا من ماء يشربه ، فنظر إلى من حوله ، فقال للذي جاء به : وَيْحَكَ ، كيف أشرب أنا وهؤلاء يَتْلَفُونَ حولي ؟! أعطِه من شئت منهم ؛ فإن كان يصحُّ في وقتٍ

---

(١) الإحياء ٣/ ٢٧٤ .

(٢) الهَبير : رملُ زرُود ، في طريق مكة ، كانت عنده وقعة ابن أبي سعيد القرمطي بالحجاج في سنة ٣١٢ .

إيثارٌ ففي مثل هذا الوقت ، ومات عطشًا[1] .

أبو الحُسين النُّوري :

عن أبي العباس بن عطاء قال : سَعَى ساعٍ بالصوفية إلى الخليفة ، فقال : إن هاهنا قومًا من الزَّنادقةِ يرفضون الشَّريعة ، فأُخذ أبو الحسين النُّوري ، وأبو حمزة ، والدَّقام ، وتَستَّر الجُنيدُ بالفقه ، فكان يتكلّم على مذهب أبي ثور ، فأُدخلوا على الخليفة ، فأمر بضرب أعناقهم ، فَبَدَرَ أبو الحسين إلى السَّيَّاف ليضرب عنقه ، فقال له السيَّاف : مَا لكَ بدرتَ من بين أصحابك ؟ فقال : أحببتُ أن أُوثر أصحابي بحياةِ هذه اللحظة . فتعجَّب السَّياف من ذلك وجميعُ من حضر ، وكتب به إلى الخليفة ، فردَّ أمرَهم إلى قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق ، فقام إليه النوريُّ ، فسأله عن أصول الفرائض في الطهارة والصلاة فأجابه ، ثم قال : وَبَعْدَ هذا ، فإنَّ لله عبادًا يأكلون بالله ، ويلبسون بالله ، ويسمعون بالله ، ويَصْدُرون بالله ، وَيَرِدُون بالله ، فلما سمع القاضي كَلَامَه بكى بكاءً شديدًا ، ثم دخل على الخليفة فقال : إن كان هؤلاء القوم زنادقة ، فما على وجه الأرض مُوَحِّدٌ[2] .

نافع بن جُبير :

عن مِسْعر قال : شُوي لنافع بن جبير دَجَاجة ، فجاء سائل فأعطاها إيَّاه ، فقال له إنسان في ذلك ، فقال : إني أبغي ما هو خير منها[3] .

* * *

(١) تاريخ بغداد ٤ / ٤٣٣ - ٤٣٤ ، والجامع لشُعَب الإيمان للبيهقي ٧ / ٩٦ - ٩٧ .

(٢) تاريخ بغداد ٥ / ١٣١ ، والحلية ١٠ / ٢٥٠ ، والجامع لشعب الإيمان ٧ / ٩٧ .

(٣) المعرفة والتاريخ للفسوي ١ / ٥٦١ ، والجامع لشعب الإيمان ٧ / ١٠٠ .

يحيى بن معاذ الرَّازي :

قال يحيى بن معاذ الرازي : عجبتُ من رجل يُرائي بعمله الناس وهم خَلْق مثله ، ومِنْ رجلٍ بقي له مالٌ وربُّ العزة يستقرضه ، ورجلٍ رغب في محبة مخلوق والله يدعو إلى محبته ، ثم تلا : ﴿ **والله يدعو إلى دَارِ السَّلام** ﴾ [يونس : ٢٥] .

الحَكَم بن المطَّلب بن حَنْطَب :

قال مصعب : كان الحكم بن المطَّلب من أبرِّ الناس بأبيه ، وكان أبوه - المطلب بن عبد الله - يحب ابنًا له يقال له : « الحارث » حُبًّا شديدًا مفرطًا ، وكان بالمدينة جارية مشهورة بالجمال والفَراهة ، فاشتراها الحكم من أهلها بمالٍ عظيم ، فقال له أهلها - وكانت مُوَلَّدةً عندهم - : دعها عندنا حتى نصلح لك من شأنها ، ثم نزفّها إليك بما تستأهل الجارية منا ، فإنَّما هي لنا ولد ، فتركها عندهم حتى أصلحوا حالها ، ثم نقلوها كما تُزَفُّ العروس إلى زوجها ، وتهيَّأ الحكم بأجمل ثيابه وتطيَّب ، ثم انطلق ، ثم بدأ بأبيه ليراه في تلك الهيئة ويدعو له - تَبَرُّكًا بدعائه - حتى دخل عليه وعنده الحارث ابن المطلب أخوه ، فلما رآه أبوه في تلك الهيئة أقبل عليه فقال : إنّ لي حاجة . قال : ما تقول يا أَبَهْ ؟! إنَّما أنا عبدك ، فَمُرني بما أحببت . قال : تَهِبُ جاريتك هذه للحارث أخيك ، وتعطيه ثيابك هذه التي عليك ، وتطيِّبه من طيبك ، وتدعه حتى يدخل على هذه الجارية . فقال له الحارث : لِمَ تُكَدِّرُ عليَّ أخي وتُفسد عليه قلبه ؟! وذهب يريد يَحْلف ، فَبَدَره الحكم ، فقال : هي حرّةٌ إن لم تفعل ما أمرك به أبي ؛ فإنّ قرةَ عينهِ أَسرُّ إليَّ من هذه الجارية ، وخلع ثيابه فألبسه إياها وطيَّبه ، ودفع إليه الجارية[1] !!.

---

(١) لباب الآداب ، للأمير أسامة بن منقذ صـ ٩٧ - ٩٨ .

إنَّ الكِـــــرامَ مُناهِبُــــــو ... كَ المجـــدَ كُلُّهُـــمُ فناهِـــبْ
أَخلِـفْ وأتلِـفْ كلّ شـيْ ... ءٍ زَعْزعتـه الـريحُ ذاهـــبْ

وقال محمود الورّاق :

تمتَّـعْ بمـالِكَ قبـلَ الممـاتِ ... وإلَّا فَـلَا مـالَ إنْ أنتَ مُتَّـا
شقـــيتَ به ثم خلّفتَـــهُ ... لغَيْرِكَ بُعْـدًا وسُحقًا ومَقْتَـا
فجـادُوا عليك بزُور البُكَـا ... وجُدتَ عليهم بما قد جَمَعْتَا
وأوهبتَهمْ كلَّ ما في يَدَيْك ... وخَلَّوْك رهنًا بما قَد كسبتَا

وقال ابن الرومي :

بَقَّيْتَ مَالكَ ميراثًا لوَارثِهِ ... فليتَ شِعْرِيَ ما بقَّى لك المالُ
القومُ بعدكَ في حال تَسرُّهُمُ ... فكيفَ بعدهُمُ حالتْ بِكَ الحالُ
مَلُّوا البكاءَ فما يَبْكيك من أحدٍ ... واستحكم القيلُ في الميراث والقالُ
وَلَّتْهُمُ عنك دنيا أقبلتْ لَهُمُ ... وأدبرتْ عنكَ والأيامُ أحوالُ[1]

قال أبو نصـر العـاملي : كان يقـال : زكاة النِّعَم اتخـاذُ الصنائع والمعروف[2].

وقال محمد بن واسع : ما رَدَدَتُ أحدًا عن حاجةٍ أقدر على قضائها ، ولو كان فيها ذَهَاب مالي[3].

قال رسول الله ﷺ : « وأي داءٍ أَدْوى من البخل »[4].

---

(١) لباب الآداب صـ ١٢٧ .
(٢) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا صـ ٩٨ تحقيق عمرو عبد المنعم ، مكتبة ابن تيمية .
(٣) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا صـ ٨٢ .
(٤) صحيح :

قال ابن القيم في الوابل الصيب : « كان عبد الرحمـٰن بن عوف - أو سعد بن أبي وقَّاص - يطوف بالبيت وليس له دَأبٌ إلا هذه الدَعْوة : ربِّ قني شُحَّ نفسي ، رب قني شح نفسي . فقيل له : أما تدعو بغير هذه الدعوة ؟ فقال : إذا وُقيتُ شَرَّ نفسي فقد أفلحت .

والفرق بين الشُّحِّ والبخلِ : أن الشُّحَّ : هو شدة الحرص على الشيء ، والإحفاء في طلبه ، والاستقصاء في تحصيله ، وجشع النفس عليه . والبخل : منع إنفاقه بعد حصوله،وحُبّه وإمساكه ، فهو شحيحٌ قبل حصوله ، بخيل بعد حصوله .

فالبخل ثمرة الشح ، والشح يدعو إلى البخل ، والشُّح كامنٌ في النفس .

وقال ﷺ : « شَرُّ ما في رجل شُحٌّ هالع وجبنٌ خالع »[(١)].

وقال رسول الله ﷺ : « إيَّاكم والشح ، فإنما هَلَكَ من كان قبلكم بالشُّح ، أمرهم بالبخل فبخِلوا ، وأمرهم بالقَطِيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفُجُور ففجروا »[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ : « إذا ضَنَّ الناسُ بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعِينَةِ ، وتبعوا أَذْنابَ البقر ، وتركوا الجهادَ في سبيل الله ، أَدْخل اللهُ عليهم ذُلًّا ، لا يرفعه عنهم حتى يُراجعوا ....

(١) صحيح : أخرجه البخاري في التاريخ ، وأبو داود ، عن أبي هريرة ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٧٠٩ .

(٢) صحيح : رواه أبو داود والحاكم عن ابن عمرو ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٦٧٨ .

دِينهم »[(١)].

وقال رسول الله ﷺ : « إن لله تعالىٰ أقوامًا يختصُّهم بالنِّعَم لمنافعِ العباد ، ويُقرُّها فيهم ما بَذَلوها ، فإذا منعوها نَزَعَها منهم فحوَّلها إلى غيرهم »[(٢)].

قال ابن القيم في الوابل الصَّيب : « السَّخِيُّ قريبٌ من الله تعالىٰ ، ومن خَلْقِه ومن أَهْله ، وقريبٌ من الجنة ، وبعيدٌ عن النار ، والبخيلُ بعيدٌ عن خَلْقه ، بعيدٌ من الجنة ، قريبٌ من النار . فجودُ الرجل يحبِّبه إلى أضداده ، وبخله يبغِّضُه إلى أولاده .

والسَّخاء نوعان :

فأشرفهما : سخاؤك عما بيد غيرك .

والثاني : سخاؤك ببذل ما في يدك . فقد يكون الرجل من أسخى الناس ، وهو لا يعطيهم شيئًا ؛ لأنه سَخَا عمَّا في أيديهم ، وهذا معنى قول بعضهم : السَّخاءُ أن تكون بمالك متبرِّعًا ، وعن مال غيرك متورعًا[(٣)].

إخـواني ، رَحَلَ من أَصِفُه ، وبقي من لا أعرفه ، سَلْ عنهم ﴿ **تجارةً لن تبور** ﴾ وزُرْ إذا **اشتقتهُمُ القبور** .

أَقْـوَتْ مـن الحيِّ الدِّيَا رُ فمـا لهـا في العَيْنِ نُور

(١) صحيح : رواه أحمد والطبراني والبيهقي عن ابن عمر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٧٥ .
(٢) حسن : أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢١٦٤ .
(٣) الوابل الصيِّب صـ ٦٨ - ٧٠ .

كانوا يُؤْثرون بالطعام ويؤثرون الصيام ، ويَأْملون فضل الإنعام ، فما كانت إلا أيام حتى اخضرَّتِ البذور ﴿ **وَأَنْفَقُوا مما رَزَقْناهم سِرًّا وعلانيةً يَرْجُونَ تجارةً لن تَبُور** ﴾ .

بَعَثوا الأموال الحبيبة إلى بلاد البَعْث الغريبة ، فإذا الأرباح عن قريبٍ قريبة ، وعلى هذا التجارةُ تدور ﴿ **يرجون تجارة لن تبور** ﴾ .

بالجِدِّ فاز من فاز ، وبالعَزْم جاز من جاز ، وما حاز الثناءَ مَنْ للمالِ حاز .

وسـائِلٍ عنهـمُ مـاذا تَقَـدَّمَهُمْ فقلتُ فَضْلٌ به عن غَيْرهمْ بَانُوا
وألهج الحمـد بالأبطـالِ بَيْنَهُـمُ أنْ ليس بَيْنَهُـمُ للمـالِ إبطـانُ

واعجبًا لغنيٍّ يبخل بما يَفْنى ، ولفقيرٍ لا يصبر على ما يبقى .

أعـاذلَ إن المـال غير مُخَلَّدٍ وإنَّ الغـنى عَـارِيَّةٌ فـتزوّدِ
فكم من جوادٍ يُفسِدُ اليومَ جُودَه وَسَاوِسُ قَدْ خوَّفْنه الفَقْرَ في غَدِ

كم ناداك مولاك وما تسمع ، وكم أعطاك وما تَقْنَع ، لقد استقرضك مالَكَ فما لكَ تَجْمع ؟! وضمن أن الجَنَّة تُنبتُ سبعمائة وما تزرع .

لِيَكُنْ همّك في طلب المال الإفضالَ به ، فإن الشَّريف الهمّة لا يطلب الفضل إلا للفضل .

قال أعرابي لأخيه : إنَّ مَالَكَ إنْ لم يكنْ لك كنتَ له ، فكُلْه قبل أن يَأْكُلك .

كم مُخَلِّفٍ لمتخلِّفٍ ، ترك لمن لا يحمده ، وقَدم على من لا يَعْذِره ، رانَ على القلوب حبُّ الدنيا فجمعَتْها كفُّ الشَّره ، وتمسكتْ بها أيدي البخل ، فلو تَلَمَّحتَ معنى ﴿ **من ذا الذي يقرض** ﴾ أو اشتقتَ إلى أرباح

﴿ **فيضاعفه** ﴾ لرأيتَ إنفاق كلٍّ محبوبٍ حقيرًا في جنب ما ترجو .

فتدبروا إخواني أحوالكم ، وأنفقوا في الخير أموالكم ، فإنَّ المال إذا أُخِذْتُم في سيركم لِغَيْركم .

كم مشغولٍ بالقصور يعمرها ، لا يفكر في القبور ولا يذكرها ، يبيتُ الليالي في فكر الدنيا ويسهرها ، يجمع الأموال إلى الأموال يثمرها ، وقع في أشراكِ المنايا وهو لا يُبْصرها ، أفٍّ لدنيا هذا آخرها ، وآهٍ لأخرى هذا أولها ﴿ **ولن يُؤخر اللهُ نفسًا إذا جاء أجَلُها** ﴾ .

❊ ❊ ❊



الفصْلُ السَّادِس

عُلُوُّ الهِمَّةِ
في
الحَجِّ والعُمْرَةِ



□ علو الهمة في الحج والعمرة □

عبدُ الله بن عُمَر رضي الله عنهما :

قال الذهبي في السير (٥ / ٩٧) : « قال نافع : سافرتُ مع ابن عمر بِضْعًا وثلاثين حِجَّةً وعمرة » .

الحَسَن بن عليٍّ سِبْط رسول الله ﷺ ورَيْحانته من الدُّنيا وسَيِّد شباب أهلِ الجنة :

حَجَّ الحسن خمسَ عشرةَ مرةً ، وحجّ كثيرًا منها ماشيًا من المدينة إلى مكة ، ونجائبهُ تُقاد معه[1].

أنس بن مالك :

قال الجريري : أَحْرَمَ أنس بن مالك من ذات عِرق ، فما سمعناه متكلِّمًا إلّا بذكرِ الله حتى حلَّ ، قال : فقال له : يا ابن أخي ، هذا الإحرام[2].

عبد الله بن الزُّبير بن العَوَّام رضي الله عنه :

قال الذهبي في السير (٣ / ٣٧٠) : « قال مجاهد : ما كان بابٌ من العبادة يَعْجَز عنه الناس إلّا تكلَّفه ابنُ الزبير ، ولقد جاء سيل طبَّق البيت فطاف سِبَاحَةً » .

ولا يشغله عن الطواف ماء ... والله إنها لأعاجيب ، وأحاديث أطيب من نفح المسك ، وأحلى مذاقًا من العَسل !

* * *

(١) السير ٣ / ٢٥٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧ / ٢٢ .

مُطرِّف بن الشِّخِّير ، وبَكْر بن عبد الله المُزَني :

قال أحدهما في يوم عرفة : ما أحلى هذا الجمع لولا أنّي فيهم . وقال الآخر : اللهم لا تَردّهم من أجلي .

رحم الله العَابِدَيْن ، ومن في الناس مثلهما !

الأسود بن يَزيد النَّخعي :

عن أبي إسحاق قال : حَجَّ الأسود ثمانين ، من بين حِجّة وعمرة(١) .

عمرو بن ميمون الأَوْدي :

قال أبو إسحاق : حَجَّ عمرو بن ميمون ستين مرةً ، من بين حجة وعمرة .

وفي رواية : مائة مرة(٢) .

أبو عثمان النَّهْدي :

عن عبد القاهر بن السري عن أبيه عن جَدهِ قال : كان أبو عثمان من قضاعة ، وسكن الكوفة ، فلما قُتل الحُسين تحوَّل إلى البصرة ، وقال : لا أسكن بلدًا قُتل فيها ابن بنت رسول الله ﷺ . قال : وحج ستين مرة ، ما بين حِجة وعمرة(٣) .

سعيد بن المُسَيِّب :

قال عبد الرحمٰن بن حَرْملة : سمعتُ ابن المسيب يقـول : حججتُ

---

(١) السير ٤ / ٥١ .

(٢) الحلية ٤ / ١٤٨ ، والسير ٤ / ١٦٠ .

(٣) طبقات ابن سعد ٧ / ٩٨ ، وتاريخ بغداد ١٠ / ٢٠٤ ، والسير ٤ / ١٧٧ .

أربعين حجة[١].

سعيد بن جُبير :

عن هلال بن خبَّاب قال : كان سعيد بن جبير يُحْرم في كل سنةٍ مرتين ؛ مرة للحج ومرة للعمرة[٢].

زَيْن العَابِدِين عليٌّ بن الحُسَين رضي الله عنهما :

قال مالك : أَحْرم عليُّ بن الحسين ، فلما أراد أن يُلبي قالها ، فأغمي عليه وسقط من ناقته ، وهُشِم[٣].

مُسْلم بن يَسَار :

كان مسلم بن يسار يحج كلَّ سنةٍ ، ويُحجج معه رجالًا من إخوانه تعوّدوا ذلك ، فأبطأ عامًا حتى فاتت أيام الحج ، فقال لأصحابه : اخرجوا ، فقالوا : كيف ؟! قال : لابد أن تخرجوا . ففعلوا استحياءً منه ، فأصابهم حين جنَّ عليهم الليل إعصارٌ شديدٌ ، حتى كاد لا يَرى بعضهم بعضًا ، فأصبحوا وهم ينظرون إلى جبال تِهَامة ، فحمدوا الله ، فقال : ما تعجبون من هذا في قدرة الله تعالىٰ[٤].

نَافِع بن جُبير :

قال ابن حبَّان : كان من خيار الناس ، كان يحج ماشيًا ، وناقته تُقاد[٥].

---

(١) السير ٤ / ٢٢٢ .
(٢) السير ٤ / ٣٢٥ .
(٣) السير ٤ / ٣٩٢ ، وابن عساكر ١٢ / ٢٠ أ .
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٦ / ٢٤٧ أ ، والسير ٤ / ٥١٢ .
(٥) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٠٦ ، والسير ٤ / ٥٤٢ .

طـــاووس :

قال ابن حبان : كان طـاووس مـن عُبَّاد أهـل اليمن ، ومن سَادات التابعين ، مُسْتجاب الدَّعوة ، حجَّ أربعين حجة .

وعن ابن شَوْذب قال : شهدتُ جنازةَ طاووس بمكة سنة خمسٍ ومائة ، فجعلوا يقولون : رحم الله أبا عبد الرحمـٰن،حَجَّ أربعين حجة[١].

عَطَاء بن أبي رَبَاح :

قال أبو حازم : ما أدركتُ أحدًا أَعْلَمَ بالحج من عطاء بن أبي رباح .

وعن ابن أبي ليلى قال : دخلتُ على عطاء ، فجعل يسألني ، فكأنَّ أصحابه أنكروا ذلك ، وقالوا : تسأله ؟! قال : ما تنكرون ، هو أعْلم مني . قال ابن أبي ليلى - وكان عالمًا بالحج - : قد حَجَّ زيادةً على سبعين حجة[٢].

أيوب السَّخْتياني :

عن هشام بن حَسّان أن أيوب السَّختياني حج أربعين حجة[٣].

الأوْزاعـــي :

« قال ضمرة بن ربيعة : حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة ، فما رأيته مضطجعًا في المَحْمَل في ليلٍ ولا نهارٍ قطُّ ، كان يصلِّي ، فإذا غَلَبه النَّوْم استند إلى القِتْب »[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٥ ، ٤٧ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٨١ - ٨٢ .
(٣) السير ٦ / ٢١ .
(٤) السير ٧ / ١١٩ .

سُفيان بن عُيَيْنة :

روى سليمان بن أيوب : سمعت سفيان بن عيينة يقول : شهدت ثمانين مَوْقفًا .

ويُروى أن سفيان كان يقول في كل موقف : اللهم لا تَجْعله آخرَ العهدِ منك ، فلما كان العام الذي مات فيه ، لم يقل شيئًا ، وقال : قد استحييتُ من الله تعالى(١).

عيسى بن يُونس :

الإمامُ القدوة الحافظ الحجة السَّبيعي أخو الحافظ إسرائيل .

قال أحمد بن جَناب : غزا عيسى بن يونس خمسًا وأربعين غزوة ، وحج كذلك(٢).

عبد الله بن وَهْب إمامُ أهل مصر :

عن سُحْنون الفقيه قال : كان ابنُ وهب قد قسَّم دَهْرَه أثلاثًا ، ثُلُثًا في الرِّبَاط ، وثُلُثًا يُعَلِّمُ الناس بمصر ، وثُلُثًا في الحج . وذكر أنه حج سِتًّا وثلاثين حجة(٣).

عبد الرحمٰن بن مَهْدي :

قال رُسته : كان عبد الرحمٰن يحج كل عام(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٦٥ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٩٤ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٢٦ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٠٤ .

هَارُون الرَّشيد أمير المؤمنين رحمه الله :

كان يَغزو عامًا ويَحجُّ عامًا .

قال الشاعر :

فَمَنْ يَطْلُبْ لِقَاءَكَ أو يُرِدْهُ فَبالحَرَميْنِ أو أَقْصى الثُّغُورِ
ففي أرضِ العَدوِّ على طِمِرٍّ وفي أرضِ التَّرفُّهِ فَوْقَ كُورِ
وما جَازَ الثُّغورَ سِوَاكَ خَلق مِن المُتخلِّفينَ على الأُمورِ

كان رحمه الله إذا حَجَّ أحجَّ معه مائةً من الفقهاء وأبناءهم ، وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة بالنفقة السَّابغة والكسوة التامة[1] .

مُحمَّد بن طارق :

قال محمد بن فضيل : قال ابن شبرمة :

لَوْ شِئْتُ كنتُ ككُرزٍ في تَعَبُّدِهِ أو كابنِ طارق حَوْلَ البيتِ في الحَرَمِ
قَدْ حَالَ دونَ لذيذِ العَيْشِ خَوْفُهُما وسارعَا في طِلابِ الفَوْزِ والكرمِ

قال : كان محمد بن طارق يطوف في كل يوم وليلة سبعين أُسْبوعًا ، وكان كُرز يختم في كل يومٍ وليلة ثلاث خَتْمات .

وقال ابن شبرمة : قال لي ابن هبيرة : مَنْ كُرز ؟ وَمَنْ ابن طارق ؟ قال : قلت : أما كُرز فكان إذا كان في سفرٍ واتَّخَذَ الناس منزلًا اتخذ هو منزلًا للصلاة . وأما ابن طارق فلو اكتفى أحدٌ بالتُّراب كفاه كفٌّ من تراب . قال أبو حفص : ذَكروا أنَّ ابن طارق كان يُقدِّرُ طوافه في اليوم عشرة فراسخ[2] .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٠ / ٢١٣ - ٢٢٣ .

(٢) حلية الأولياء ٥ / ٨١ - ٨٢ .

الخُلْدي : جعفر بن محمد بن نُصَير الإمام القدوة :

قال الخُلْدي : وقفتُ بعرفة سِتًّا وخمسين وَقْفَةً(١).

الحافظ ابنُ المُقْرئ : مُحمَّد بن إبراهيم الأَصْبهاني :

قال أبو طاهر ابن سلمة : سمعت ابنَ المقرئ يقول : استلمتُ الحجرَ في ليلة مائةً وخمسين مرة(٢).

الخطيبُ البَغْدادي :

قال أبو الفرج الإسفراييني : كان الخطيبُ معنا في الحج ، فكان يختم كل يوم ختمةً قراءةَ ترتيل ، ثم يجتمع الناسُ عليه وهو راكب يقولون : حدِّثنا ، فيُحدِّثهم .

قال الخطيب في ترجمة إسماعيل بن أحمد النيسابوري الضَّرير : حَجَّ وحدَّث ونعم الشيخ كان ! ولما حَجَّ كان معه حمل كتبٍ ليجاور ؛ منه « صحيح البخاري » سمعه من الكُشْمِيهَني ، فقرأتُ عليه جميعَه في ثلاث مجالس ، فكان المجلس الثالث من أول النهار وإلى الليل ، ففرغ طلوع الفجر . قال الذهبي : هذه والله القراءة التي لم يُسمع قطُّ بأسرع منها(٣).

الفقيه هَيَّاجُ بن عُبيد ، إمام الحرم ومفتيه شيخ الإسلام :

كان رحمه الله يعتمر في اليوم ثلاث عُمر(٤).

قال عنه هبةُ الله الشيرازي في مُعجمه : حدَّثنا هيّاج الزاهد الفقيه ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٥٩ .

(٢) السير ١٦ / ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٨ / ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٤) السير ١٨ / ٣٨٦ .

وما رأتْ عَيْناي مثله في الزُّهد والورع[(١)].

ابن قيِّم الجُوزيَّة :

قال ابن رجب عن ابن القيم : « وَحَجَّ مَرَّات كثيرة ، وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شِدَّة العبادة وكثرة الطواف أمرًا يُتعجَّب منه »[(٢)].

ولقد ألَّف كتابَه القيم « مفتاح دار السعادة » بمكة . يقول ابن القيم في آخر مقدمته له : « وكان هذا من بعضِ النُّزول والتُّحفِ التي فتح الله بها عليَّ حين انقطاعي إليه عند بيته ، وإلقائي نفسي ببابه مسكينًا ذليلًا ، وتعرُّضي لنَفَحَاته في بيته وحوله بُكرةً وأصيلًا ، فما خَاب من أنزل به حوائجه ، وعلّق به آماله ، وأصبح ببابه مُقيمًا وبحماه نزيلًا » .

الحافظ البرزالي صاحب التَّاريخ والمعجم الكبير :

« مات بخليص مُحْرمًا في ثالث ذي الحجة ، سنة ثمانٍ وثلاثين وسبعمائة .

ولقد حكى بعض مشايخنا عنه أنه كان إذا قرأ الحديث ، ومرّ به حديث ابن عباس في قصة الرَّجُل الذي كان مع النبي ﷺ فَوَقصتْه ناقته وهو مُحْرم فمات ... الحديث ، وفيه : « فإنه يُبْعث يوم القيامة مُلبِّيًا » ، فكان إذا قرأه يبكي ، ويَرِقُّ قلبه ، فمات مُحْرمًا بخليص »[(٣)].

رُوحٌ دَعَاها للوِصَالِ حَبِيبُهَا ... فَسَعَتْ إليه تُطِيعُهُ وتُجِيبُهُ

(١) السير ١٨ / ٣٩٤ .
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٤٩ .
(٣) الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي صـ ٢١٧ - طبعة المكتب الإسلامي .

يا مُدَّعي صدقَ المحبَّةِ هكذا فِعْلُ الحبيبِ إذَا دَعَاهُ حَبِيبُهُ

قولوا لمن لم يكن صادقًا : لا يتعنَّى ... وهذا خِتَامُ المِسْكِ لهذا الفصل .

* * *

انتهى المُجلَّد الثاني ويليه المُجلَّد الثالث

إنْ شاء الله تعالى



□ فهرس المجلد الثاني □

الموضـــوع | الصفحة